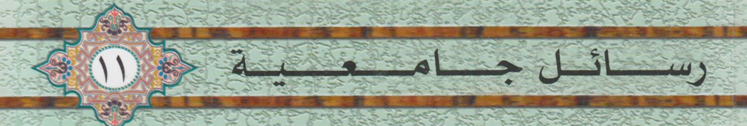


مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

أثر الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية

دراسة تاريخية حديثية تحليلية مقارنة

الدكتور إبراهيم بن يوسف الأقصم



أثر الأحاديث النبويّة الواردة في خلفاء الدّولة الأمويّة في الكتابة التاريخيّة

دراسة تاريخيّة حديثيّة تحليليّة مقارنة

الدكتور إبراهيم بن يوسف الأقصم

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الأقصم، إبراهيم بن يوسف
أثر الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية. / إبراهيم بن يوسف الأقصم .- الرياض، ١٤٢٩هـ.
٤٧٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٦-٨٧-٨٩٠-٩٩٦٠-٩٧٨
١ ـ الخلفاء الأمويون ٢ـ الدولة الأموية
٣ـ الحديث ـ مباحث عامة أ ـ العنوان
ديوي ٩٥٣,٠٣ ١٤٢٩/٣٢٢

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣٢٢
ردمك: ٦-٨٧-٨٩٠-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

أصل هذا الكتاب رسالة مقدَّمة جزءاً من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة الملك عبد العزيز - جدة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية



المحتويات

المقدِّمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقي تاريخ بني أمية اهتماماً واسعاً في مجال الدراسات التاريخية قديماً وحديثاً، وقد تناوله الباحثون من عدة جوانب: سياسية، واقتصادية، وثقافية، وعلمية، وحضارية، واجتماعية. لكن الجوانب المتعلِّقة بأثر الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء بني أمية في الكتابة التاريخية لم يَنَلْ حظَّهُ من البحث والدراسة على رغم العلاقة الراسخة بين علم الحديث والتاريخ. والمتصفِّح للتاريخ الإسلامي المبكِّر يُدرك مدى قوة العلاقة التي تربط علم التاريخ بعلم الحديث، وقد أكَّدت بعض الدراسات التاريخية ارتباطهما منذ بداية نشأتهما من حيث اعتمادهما على علم الرواية (الإسناد) وعلم الدراية (المتن)، بل إن من أبرز دوافع الكتابة التاريخية عند المسلمين تدوين السيرة النبوية وما اشتملت عليه من أحاديث وأفعال المصطفى ﷺ؛ فالسيرة النبوية كانت عاملاً مشتركاً بين الحديث والتاريخ.

ومَن تأمَّل أعلام الكتابة التاريخية يجد أن العديد منهم يُعدُّ من علماء الحديث؛ كالخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) المشهور بمؤلَّفه الضخم (تاريخ بغداد)، وابن عساكر الدمشقي علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) صاحب (تاريخ دمشق)، والإمام الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) صاحب (تاريخ الإسلام) و(سِيَر أعلام النبلاء)، وابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) صاحب (البداية والنهاية).

كما أن بعض كتب الحديث ذكرت أحاديث كثيرة عن بني أمية من خلال أبواب الفتن والملاحم والمناقب والخلافة، وقد قدَّم بعض شرَّاح الحديث تعليقات تاريخية مفيدة، كما قدَّموا نقداً جيداً لبعض الأحاديث، وربطوا الأحداث التاريخية بمعاني الحديث وألفاظه.

ويُلاحظ أن الكثير من المصادر التاريخية تأثّرت بما أوردته مصادر الحديث من خلال إشارتها إلى أحاديث عديدة تتعلق بالأسرة الأموية عامة وخلفائهم خاصة. كما أشارت مصادر الحديث والتاريخ إلى أحاديث نبوية تتعلّق باستياء النبي ﷺ وغضبه على بني أمية، فعوّضه الله عن ذلك الغضب بليلة القدر (سورة القدر) وبنهر الكوثر (سورة الكوثر). كما أن المتأمّل لمصادر الحديث والتفسير والتاريخ يجد أنها اشتركت في ذكر تفاسير لآيات من القرآن الكريم وصفت بني أمية بالملعونين على لسان رسول الله ﷺ، على سبيل المثال ما قيل من أن بني أمية هم الشجرة الملعونة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ** ﴾ [الإسراء: ٦٠].

وهذه الدراسة الموسومة بـ(أثر الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية) ستحاول إلقاء الضوء على الأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ) وتأثيرها في كتابات المؤرخين، سواء بالشتم واللعن أو العكس. وستقتصر هذه الدراسة على الأحاديث النبوية فقط، أما الآثار وأقوال السلف فلا تدخل ضمن مجال الدراسة، لكن يمكن الإشارة إلى بعضها لتوضيح علاقة معينة، أو لبيان رابط، أو لتعضيد قول، أو استشهاداً لحادثة ما، أو إشادة بشخصية ما لبناء تصوُّر متكامل عنها.

وستكتفي هذه الدراسة بما ورد من أحاديث في بني أمية عامة، وفي خلفائهم خليفةً خليفةً خاصة، ولن تتطرَّق إلى الأحاديث الأخرى المتعلِّقة ببعض الأحداث التي حدثت في عهدهم؛ كحادثة كربلاء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما عام ٦١هـ، ووقعة الحَرَّة بالمدينة عام ٦٣هـ، وخروج عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومقتله عام ٧٣هـ، وذلك يعود إلى كثرة الأحاديث الواردة فيها، وبخاصة في الحسين ومقتله، ولأن هذه الأحداث أخذت حقَّها من البحث والتحقيق في مرويَّاتها. لكن الدراسة ستحاول تسليط الضوء على الأحاديث التي تُبرز العلاقة بين الحدث والخليفة المعاصر له، ومثال ذلك: ما قيل عن وجود أحاديث تربط

أحداث وقعة كربلاء ومقتل الحسين رضي الله عنه ووقعة الحَرَّة وتهدُّم الكعبة وتنسبها إلى يزيد بن معاوية.

أما المقصود بالأثر والتأثير فيمثِّل عدة صور في الكتابات التاريخية؛ منها: النقل فقط، ويكون نصِّياً، أو بالمعنى، أو بالإشارة إلى مصدر الحديث. كما يشمل التأثُّر نقد المصادر التاريخية للحديث أو السكوت عنه، ويشمل أيضاً بيان ضعف الحديث أو عدم التعليق عليه، كما يشمل رصد ميول المؤرخين واتجاهاتهم وأحكامهم تجاه بني أمية من خلال هذه الأحاديث، وبمعنى آخر: ما موقف المصادر التاريخية من الحديث؟

ويرجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى ما وجده الباحث من انتشار للأحاديث النبوية في مصادر التاريخ، سواء بطريقة متفرِّقة أو جُمعت ضمن أبواب وفصول، ناهيك من كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة بها؛ مما حفَّز الباحث على طَرْق الموضوع واختياره.

وتكمن أهمية الدراسة في أن كتب الحديث قدَّمت مادة تاريخية جيدة من خلال الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية، ومن خلال شروح العلماء لها التي يمكن الاستفادة منها بشكل كبير في خدمة الدراسات التاريخية.

كما أن هذه الدراسة ستُسهم في إيجاد روابط تاريخية بين هذه الأحاديث من خلال كتابات المؤرِّخين وتعليقات المحدِّثين، مع الأخذ في الاهتمام صحَّتها وضعفها حسب أقسامها المشهورة: (الصحيح، والحسن، والضعيف)، وبيان مدى حُجِّيتها من حيث القبول أو الرد.

كما تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المادحة أو الذامَّة لبني أمية، وأثرها في انحرافات بعض الكتابات التاريخية حسب الميول والمذاهب، وما نتج عنها من أحكام اللعن والذمّ التي قام المؤرِّخون بإصدارها عليهم.

وتزداد أهمية الدراسة في توضيح الكذب والزَّيف الموجود عند بعض الرواة والمؤرخين الذين أسهموا في وضع أحاديث نبوية، أو تساهلوا في قبول هذه الأحاديث، لذمٍّ بني أمية ولعنهم وسبِّهم والتبرُّؤ منهم وعدم الاعتراف بخلافتهم. ودوافع ذلك عديدة، منها ما كان استنصاراً لمذاهبهم كالخوارج والشيعة، أو تقرُّباً من أعدائهم التقليديين من بني العباس (الدولة العباسية)، أو بسبب التنافس بين الأمويين والهاشميين. وفي المقابل من ذلك فقد وُضعت أحاديث وأخبار عن بني أمية لرفع مكانتهم والحطِّ من مكانة علي بن أبي طالب وآل بيته رضي الله عنهم أجمعين، ويغلب ذلك الاتجاه على المؤرِّخين النَّواصب من أهل الشام الذين ناصبوا علياً وآل بيته العداء، بل إن بعض المحدِّثين لم يَسْلَمْ من قضية الميول والتعصُّب، فمنهم مَن غلا في التشيُّع، ومنهم من وقع في النَّصْب.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

١- توضيح أثر الأحاديث النبوية في الكتابة التاريخية المتعلِّقة ببني أمية.

٢- توضيح دور الفِرَق الدينية والعصبية القبلية في وَضْع الأحاديث في بني أمية.

٣- توضيح دور العباسيين في تشويه سُمعة بني أمية من خلال نشر الأحاديث الذامَّة لهم.

٤- تبيين دور بعض المؤرخين في نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بني أمية.

٥- بيان مدى انحراف الكتابة التاريخية من خلال تأثُّرها بالأحاديث الضعيفة والموضوعة الواردة في الأمويين، مع بيان منهجيَّة المؤرخين.

٦- تحليل بعض الظواهر والمواقف التاريخية الناتجة عن انتشار الأحاديث وبيان أثرها.

٧- توضيح دور بعض المصادر التاريخية التي أسهمت في نقد الأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية وأعطت صورة حقيقية لهم دون تعصُّب.

٨- نقد المصادر التاريخية التي أسهمت في تشويه سُمعة خلفاء الدولة الأموية.

٩- نقد المصادر التاريخية التي بالغت في مدح بني أمية وتحيَّزت لهم.

١٠- الإسهام في إعطاء صورة صحيحة عن خلفاء الدولة الأموية دون إفراط أو تفريط على ضوء شروح المحدِّثين؛ مثل ما ذكره الذهبي وابن كثير وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

١١- توضيح دور الأحاديث الموضوعة في تشويه سُمعة الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

١٢- تصنيف الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية من حيث القبول والرد إلى أحاديث مقبولة وأحاديث مردودة.

١٣- بيان اختلاف المحدثين في الحُكْم على صحة بعض الأحاديث الواردة في بني أمية.

١٤- توضيح أثر التشيُّع وضدّه النَّصْب في بعض المحدثين من خلال سردهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

١٥- بيان منهجية بعض المحدثين في النقل والرواية، وأثر ذلك في انتشار الموضوعات ضد الأمويين.

وسيعتمد الباحث بمشيئة الله على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية ونقدها وتحقيقها وتوثيقها ومقارنتها بما ورد في مصادر أخرى، ومن ثَمَّ محاولة صياغتها بأسلوب علمي ومنهجية بحثية حسب ما هو معروف في مجال الدراسات العلمية.

أما بالنسبة للتعريف بالأعلام والأماكن فقد اجتهد الباحث في التعريف بها حسب أهميتها للدراسة وحسب ما يراه مناسباً، علماً أن هذا الأمر هو محلّ خلاف بين الدراسات. ونظراً إلى كثرة الحواشي والإحالات ابتعد الباحث عن ذكر (مصدر سابق)، أو (مرجع سابق) أو نحوهما، واكتفى باختصار اسم المصدر أو المرجع المُقتبَس منه، كما تجنَّب الباحث تكرار رموز (ج) أو (مج) بعد أن تم تدوينها أول مرة ضمن العناصر (الببليوجرافية) عن المصدر.

وسيكون عمل الباحث في هذه الدراسة بمشيئة الله قائماً على الخطوات التالية:

- تخريج الأحاديث الواردة عن خلفاء الدولة الأموية من كتب الحديث.
- الإشارة إلى المصادر التاريخية التي أشارت إلى الحديث.
- ذِكْر آراء المحدِّثين والمحقِّقين حول الحديث من حيث القبول والرد.
- الاستعانة في الحكم على الحديث بالكتب التي تكلَّمت عن الأحاديث الموضوعة.
- تصنيف هذه الأحاديث إلى الأقسام المشهورة: الصحيح، والحسن، والضعيف.
- توضيح أثر الحديث في بعض المصادر التاريخية سلباً أو إيجاباً.
- بيان موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في بني أمية.
- جمع أقوال المؤرِّخين وآرائهم حول الحديث ودراستها ونقدها.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهت الباحث في هذه الدراسة فأبرزها ما يتعلَّق بعلم الحديث؛ فبضاعتي فيه أوَّل الأمر كانت قليلة، لكن العزم والرغبة وحبَّ العلم دفعوني إلى طلب هذا العلم الجليل من مظانِّه، والجلوس بين أيدي العلماء لفهمه ودراسته، وسؤال أهل العلم والرِّحلة إليهم والاستفسار منهم عن كل ما يواجهني من إشكاليات، كما أنني قمتُ بالبحث والقراءة والتلخيص والحفظ والمذاكرة للحرص على استيعابه وفهم أُسُسه ومصطلحاته. ومن الصعوبات التي واجهت الباحث أيضاً تلك الروايات العديدة والألفاظ المتنوعة للأحاديث النبوية، وكثرة تكرارها في مصادر التاريخ والحديث على حدٍّ سواء، أو إيرادها بالمعنى أحياناً، خصوصاً في المصادر التاريخية. ومن الصعوبات أيضاً أن بعض الأحاديث تحتوي على عدَّة مقاطع تضطر الباحث للاستشهاد بها في عدة مواضع؛ مما يؤدِّي إلى التكرار. وقد حاول الباحث أن يتغلَّب على ذلك بالإشارة إلى هذه الروايات في الحاشية، والتركيز في موضوع الحديث ومعناه بُعداً عن التكرار قدر المستطاع. ومن الصعوبات التي واجهت الباحث أيضاً تباين المحدِّثين واختلافهم في الحُكْم على

الحديث؛ مما حدا بالباحث أن يذكر جُلّ الآراء، ومن ثَمَّ يُرجِّح أحياناً بما توفَّر لديه من الأدلة القوية.

وهذه الدراسة تنقسم إلى مقدِّمة وتمهيد وثلاثة فصول رئيسة وخاتمة.

أما المقدمة فوضَّح فيها الباحث أهمية الدراسة وأهدافها ثم منهجيَّته في البحث، مع تقديم دراسة موجزة لأبرز مصادر الدراسة.

وفي التمهيد حاول الباحث إلقاء الضوء على موضوعين مهمين بالنسبة للدراسة:

أولهما: أهمية الحديث للدراسات التاريخية، موضِّحاً العلاقة بين التاريخ والحديث وأوجه الشبه بينهما، وخطوات نقد النص عند المحدثين والمؤرخين، وعلاقة ذلك بموضوع الدراسة.

وثانيهما: مكانة بني أمية في العهدَيْن النبوي والراشدي، ودور الأسرة الأموية خلالهما؛ لما له علاقة ببعض الأحاديث النبوية التي قِيلت عن بعض زعماء بني أمية.

أما الفصل الأول فيتعلق بأثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأسرة الأموية في الكتابات التاريخية، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

الأول منها يتكلم عن أسباب وضْع الحديث في بني أمية، ووضَّح فيه الباحث الدوافع السياسية والمذهبية والقبلية ودور العباسيين في وضع الأحاديث في الأمويين. ويتعرض المبحث الثاني منه إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي أوردتها مصادر الحديث والتفسير في الأسرة الأموية عامة دون تخصيص خليفة بعينه، مع تسليط الضوء على ما ورد من أحاديث في الحَكَم بن أبي العاص والوليد بن عقبة الأموي. كما يتعرَّض هذا المبحث للأحاديث الصحيحة العامة التي اختلف العلماء في مقاصدها؛ فمنهم مَن استشهد بها في ذمِّ بني أمية، ومنهم مَن ردَّ ذلك واستبعده. ويختتم الفصل الأول موضوعه بمبحثٍ عن أثر هذه الأحاديث في الكتابة التاريخية، وقدَّم فيه الباحث عرضاً مفصَّلاً للأحاديث الواردة في بني أمية

في مصادر التاريخ، موضِّحاً مواقف المؤرخين المتباينة حول ذلك. كما تعرَّض الباحث للمصادر التاريخية موضِّحاً كيفية تناولها هذه الأحاديث سلباً أو إيجاباً. ثم خُتم هذا الفصل بذِكْر موقف المراجع الحديثة من الأحاديث الواردة في ذمّ بني أمية.

ويتناول الفصل الثاني من الدراسة الأحاديث المُنذِرة بخلافة بني أمية وسقوطهم وأثرها في الكتابة التاريخية. ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول يتعلق بمصطلح الخلافة والمُلْك ومعناهما والفرق بينهما. ويتطرَّق المبحث الثاني إلى مفهوم الإشارات النبوية، ومن ثَمَّ الأحاديث الواردة في تولِّي بني أمية المُلْك، مع بيان موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في ذلك، والإشارة إلى كثرة النبوءات حول سقوط بني أمية. ثم يختم هذا الفصل مباحثه بمبحث مهمّ يتعلق بالسُّفياني المُنتظَر الذي ينتظره الأمويون ليوحِّد رايتهم، ويقضي على العباسيين أعدائهم التقليديين. وقد فصَّل الباحث في ذلك من خلال ما انتشر من أخباره بين الأمويين خاصة وأهل الشام عامة، وما نتج عن ذلك من قيام ثورات أموية ضد العباسيين ترفع شعار السُّفياني. كما تعرَّض هذا المبحث لأحاديث السُّفياني في مصادر الحديث والتاريخ وبيان صحتها من ضعفها، وأسباب انتشارها، وتأثُّر المصادر التاريخية بما أوردته مصادر الحديث في هذا الشأن، ثم تحليل ظاهرة السفياني خاتمةً لهذا المبحث.

ويتعلَّق الفصل الثالث بالأحاديث النبوية الواردة في خلفاء بني أمية خليفةً خليفةً، وتأثُّر المصادر التاريخية بذلك. وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول يتعلَّق بالأسرة السفيانية، ويشمل معاوية وابنه يزيد. والمبحث الثاني يشمل الأسرة المَرْوانية من مَرْوان بن الحكم إلى مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية. وفي هذا الفصل ذكر الباحث أولاً الأحاديث الواردة في كل خليفة مع بيان صحتها من ضعفها، ثم بيَّن انتشار هذه الأحاديث في المصادر التاريخية،

وما نجم عنها من ظهور أقوال ذامَّة لهم وما ترتَّب عليها من إصدار أحكام اللعن أو التكفير أحياناً، ويتضح ذلك جلياً في سيرتي يزيد بن معاوية ومَرْوان بن الحَكَم، كما ترتَّب على ذلك نقل أقوال نُسبت للسلف تلعنهم.

ثم ختمت هذه الدراسة فصولها بذِكْر النتائج التي توصَّلت إليها من خلال الخاتمة.

وأخيراً، فإن هذا العمل ما كان له التَّمام لولا توفيق الله ثم إعانة الآخرين ووقوفهم معي؛ فالشكر والدعاء لكل مَن أعانني وساعدني في إتمام هذا البحث، سواء بكلمةٍ أو بإحالةٍ أو بخاطرةٍ أو بإعارةٍ لكتابٍ أو بحثٍ أو بإجابةٍ عن استفسارٍ ما؛ فجزاهم الله خير الجزاء.

وختاماً، فهذا جهد بشر من طبعه النسيان، ومن جبلَّته الخطأ، فإن أحسن فمن الله، وإن أخطأ فمن نفسه ومن الشيطان، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن يتقبَّل منا هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلَّى الله وسلَّم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عرض لأهم مصادر البحث

تمثِّل هذه الدراسة اتجاهين رئيسين: حديثياً وتاريخياً؛ فهي قراءة تاريخية لمصادر الحديث، وقراءة حديثية لمصادر التاريخ؛ لذا سيتمُّ إلقاء الضوء على أبرز مصادرها من هذين الاتجاهين.

أولاً: مصادر الحديث

تتميز مؤلَّفات الحديث عامة بالكثرة والشمولية والتنوُّع من حيث موضوعاتها. وهذه الدراسة استخدمت جُلَّ أنواع هذه المؤلَّفات؛ كالسنن(١)، والجوامع(٢)، والمسانيد(٣)، والمستدركات(٤)، والمصنَّفات(٥)،

---

(١) السنن: هي الكتب المرتَّبة على الأبواب الفقهية، وتشمل فقط الأحاديث المرفوعة، وأشهرها: سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. انظر: محمود الطحان، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ط٢، (الرياض: المعارف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص١١٥، ١١٦. محمد لطفي الصباغ، الحديث النبوي، ط ٧، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٢٨٧.

(٢) الجوامع: كل كتاب يُوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المُحتاج إليها من العقائد والأحكام والآداب والسِّيَر والتاريخ والتفسير والشمائل والفتن والمناقب والمثالب، وأشهرها: الجامع الصحيح للبخاري، والجامع الصحيح لمسلم. انظر: الطحان، أصول التخريج، ص٩٧. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٨٤.

(٣) المسانيد: هي الكتب الحديثية التي صنَّفها مؤلِّفوها على أسماء الصحابة؛ أي كل صحابي على حدة، ويكون ترتيب أسمائهم حسب السابقة أو القبيلة، أو على الحروف وهو الأسهل والأشهر؛ كمسند أحمد، ومسند أبي داود الطيالسي. انظر: الطحان، أصول التخريج، ص٤٠. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٨٤.

(٤) المُستدرَكات: كل كتاب جمع فيه مؤلِّفه الأحاديث استدراكاً على كتاب آخر مما فاته على شرطه، كما هو في مُستدرَك الحاكم على الصحيحين. انظر: الطحان، أصول التخريج، ص١٠٢. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٨٦.

(٥) المُصنَّفات: هي الكتب المُرتَّبة على الأبواب الفقهية، وتشمل الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة؛ أي توجد بها أقوال الرسول ﷺ والصحابة وفتاوى التابعين وأتباعهم. ومن أشهرها: مصنَّف ابن أبي شيبة. انظر: الطحان، أصول التخريج، ص١١٨.

والمعاجم[١]، والزوائد[٢]، وكتب الأصول، وكتب الجرح والتعديل، وكتب الرجال، والتراجم، وكتب الموضوعات، وغيرها من الشروحات المتعلقة بكتب الحديث. والدراسة ستقتصر هنا على المصادر ذات الأهمية وما له علاقة بمباحثها.

ومصادر الحديث تتباين من حيث القوة والضعف، فهناك مصادر هي مظانّ الضعيف؛ كالمسانيد والمصنَّفات والزوائد والمعاجم، وهناك مصادر هي محلّ الصحيح؛ كالصحيحين، وهناك مصادر فيها الصحيح والحسن والضعيف؛ كالسنن الأربعة وغيرها.

ويرجع هذا التفاوت في القوة والضعف إلى عدة أسباب، منها اختلاف مناهج المحدثين في قبول الرواية، فهناك المتشدِّد وهناك المتساهل في قبول الروايات، وهناك الجامع فقط وهناك الناقد، فلا يُستغرب من وجود المنكرات والموضوعات في بعض المصادر.

فالمصادر التي أجمعت الأمة على قبولها وصحَّة ما ورد فيها هي: صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجُعفي (ت ٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النَّيْسَابُوريّ القُشَيْرِيّ (ت ٢٦١هـ)[٣]، وتليها في القوة ما يُعرف بالسنن الأربعة[٤]؛ كسنن أبي داود لسليمان بن الأشعث الأزدي

(١) المعاجم: هي الكتب التي تُرتَّب فيها الأحاديث على مسانيد الصحابة أو الشيوخ أو البلدان، والغالب تكون المعاجم مرتَّبة على الحروف، وأشهرها المعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني. انظر: الطحان، أصول التخريج، ص٤٥. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٨٥.

(٢) الزَّوائد: هي المُصنَّفات التي يجمع فيها مؤلِّفها الأحاديث الزائدة في بعض الكتب عن الأحاديث الموجودة في كتب أخرى؛ مثل: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي. انظر: الطحان، أصول التخريج، ص١٠٤.

(٣) تلقَّت الأمة أحاديث البخاري ومسلم بالقبول. انظر: أبا عمرو عثمان الشَّهْرُزُوريّ، مقدِّمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تعليق: صلاح عويضة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص٢٠-٢٢.

(٤) أحاديث السنن عامة فيها الصحيح والحسن، أما الضعيف والمنكر فهو قليل. للاستزادة عن نقد كل مصدر منها انظر: خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ط٤، (جدة: دار كنوز العلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٢، ص٦٨٦، ٦٨٧.

السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، وسنن التِّرمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، وسنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، وسنن النَّسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). وتُعرف السنن الأربعة مع صحيحي البخاري ومسلم بالكتب الستة[١].

وأوَّل ما سنحاول إلقاء الضوء عليه هو كتب الحديث المشهورة، أو ما يُسمَّى بالكتب الستة، وعلاقتها بالدراسة. ونظراً إلى شهرتها فلن يشمل الحديث هنا التعريف بها ولا ترجمة مَن ألَّفها، وإنما سيقتصر على ذِكْر الأحاديث الواردة بها؛ ليتَّسع المجال لدراسة مصادر أخرى غير مشهورة تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وعلى مؤلفيها.

أما بالنسبة لصحيح البخاري ففيه أحاديث عامَّة فسَّرها بعض الشرَّاح بأنها وردت في ذمِّ بني أمية؛ كحديث: «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، وحديث: «إنَّ آلَ أَبِي فُلانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي»، وحديث عائشة رضي الله عنها مع مَرْوان حول نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ [الأحقاف: ١٧]. كما أورد البخاري أحاديث عامَّة فسَّرها بعض الشرَّاح بأنها مَنْقَبَة لبعض بني أمية؛ كحديث: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي»، وحديث: «أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو القُسْطَنْطِينِيَّةَ مَغْفُورٌ لَهُ»، وحديث: «لا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، وحديث: «إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا».

وقد اعتمدت الدراسة على تعليقات ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، الذي أورد آراء العلماء في شرح هذه الأحاديث، وبيان مقاصدها، وتوجيه معانيها حول بني أمية.

---

(١) يعدُّ البعض موطَّأ مالك من الكتب الستة، ويعدُّ البعض سنن الدَّارمي من الكتب الستة عوضاً عن سنن ابن ماجه. والذي أُشير إليه في المتن هو الراجح والمشهور من كلام أهل الأصول. انظر: الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٩٣.

أما صحيح مسلم فقد أورد عدة أحاديث، أبرزها حديث: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي»، وحديث الاثني عشر خليفة، وحديث دعاء النبي ﷺ على معاوية: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ». ثم نقلنا شرح الإمام النووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٧هـ) لهذه الأحاديث، وبيان آراء العلماء في معانيها بما يخصُّ بني أمية.

أما الترمذي فقد خصَّ بني أمية بأحاديث عديدة، منها ما فيه ذمٌّ شديد لهم، لكنه بيَّن موقفه منها ببيان حكم الحديث[1]. ومن هذه الأحاديث حديث طويل سيأتي بيانه في حينه، ومعناه أن الألف شهر التي وردت في سورة القدر هي أيام حكم بني أمية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. وهذا الحديث انتشر في جُلِّ المصادر. كما أورد الترمذي حديث: «الخِلافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ»، وبيَّن قول سفينة رضي الله عنه راوي الحديث أن بني أمية هم شرُّ الملوك. كما أورد الترمذي حديث أن رسول الله ﷺ مات وهو يكره ثلاثة أحياء، منهم بنو أمية. كما أورد حديثاً في دعاء النبي ﷺ لمعاوية. ثم نقلنا أقوال العلماء وتوجيهاتهم لهذه الأحاديث حول بني أمية ومدى صحَّتها من خلال كتاب (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) لمحمد عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ). وعلى الرغم من ثناء العديد من العلماء على الترمذي إلا أن المحقِّقين من أهل العلم انتقدوا عليه سوقه بعض الأحاديث الضعيفة والمنكرة[2].

ومن سنن أبي داود استفادت الدراسة من حديث سفينة؛ إذ أورده بلفظ مختلف عن الترمذي. وأبرز ما أفاد الدراسة من سنن أبي داود حديث: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ لِسَنَةِ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ أَوْ سِتٍّ وَثَلاثِينَ أَوْ سَبْعٍ وَثَلاثِينَ، فَإِنْ هَلَكُوا

(١) يختلف الترمذي عن بقية السنن في نقده للحديث، فله عدة صيغ لبيان حكمه على الحديث؛ منها: صحيح غريب، حسن صحيح، حسن غريب، حسن صحيح غريب، وقد اختلف العلماء في توجيه هذه المعاني. للاستزادة انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص٣٨، ٣٩. خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدِّثين، ٢/ ٦٩٥، ٦٩٦. الصباغ، الحديث النبوي، ص٣٤٢.

(٢) انظر: الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ٢/ ٦٩٢، ٦٩٣. الصباغ، الحديث النبوي، ص٣٢٣.

فَبِسَبِيلِ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ بَقُوا يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ عَاماً». وقد ذكر شُرَّاح الحديث أقوالاً مهمة وعديدة ترتبط ببني أمية بين الذم والمدح. وقد اعتمدت الدراسة في توضيح هذه الأحاديث على كتاب (عون المعبود شرح سنن أبي داود) مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١هـ) للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي.

ومن سنن النَّسائي أبرزت الدراسة حديثاً في ذمٍّ بني مروان، وهو حديث عائشة رضي الله عنها وسبِّها مَرْوان بن الحكم حين قالت له: أنت قصص - وفي رواية: فَضَضٌ - من لعنة الله. وهذا الحديث ضعيف، وقد أورده النسائي في كتابه (السنن الكبرى) الذي توجد به العديد من الأحاديث الضعيفة، والمعوَّل عليه عند أهل العلم هو كتاب (السنن الصغرى)، وهو ما يعرف بـ(المُجْتَبَى)، وقد جمعه النَّسائي من السنن الكبرى كخلاصة للأحاديث الصحيحة، فسنن النسائي إذا ذُكرت ضمن الكتب الستة يُقصد بها (السنن الصغرى). أما أحاديث السنن الكبرى ففيها الصحيح والضعيف[1].

أما سنن ابن ماجه فلم تجد فيها الدراسة حديثاً يخصُّ بني أمية، وجلُّ ما وجدته هو حديث الرايات السود القادمة من المشرق.

كما استفادت الدراسة مما أورده ابن حبَّان محمد بن حِبَّان البُسْتيّ (ت ٣٥٤هـ) في صحيحه؛ مثل حديث: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ لِسَنَةِ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ»، وحديث: «تُنْقَضُ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، أَوَّلُهُنَّ الحُكْمُ». ثم بيَّنت أقوال العلماء فيه مما يتعلق ببني أمية.

ومما اعتمدت عليه الدراسة أيضاً كتب المسانيد، وأبرزها: مسند أبي داود الطيالسي لسليمان بن داود (ت ٢٠٤هـ)، ومسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

---

(١) انظر: خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ٢/٦٩٦، ٦٩٧. الصباغ، الحديث النبوي، ص٣٢٠.

فمن مسند الطيالسي أوردت الدراسة حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّه إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيًّا». بالإضافة إلى حديث سفينة، وحديث: «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، وحديث الاثني عشر خليفة، وحديث في معاوية فيه دلالة على تولِّيه الحكم. وقد استفادت الدراسة من كتاب (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود) مع الشرح والتعليق للشيخ أحمد البنا الشهير بالساعاتي.

ويعد مسند الإمام أحمد بن حنبل من أكثر المصادر المتقدِّمة إيراداً لأحاديث بني أمية، فهو كتاب كبير جامع يشتمل على نحو أربعين ألف حديث مرتَّبة على مسانيد الصحابة، لكنه لم يرتِّب الصحابة على نسق حروف المعجم، إنما راعى في ترتيب أسمائهم أموراً متعدِّدة؛ منها أفضليَّتهم، ومنها مواقع بلدانهم التي نزلوها، ومنها قبائلهم. وقد ابتدأ المصنِّف فيه بمسانيد العشرة المبشَّرين بالجنة[1]. وقد أخذ العديد من العلماء والأئمة الأعلام على الإمام أحمد عدَّة أحاديث ضعيفة، بل يرى البعض أنه يوجد في المسند أحاديث موضوعة[2]، ودافع عنه آخرون[3]. والذي يهمُّ الدراسة أن المسند أورد أحاديث عديدة وروايات مختلفة في لعن بني العاص وبني الحكم، وفي لعن الحكم بن أبي العاص وأبنائه من بعده، وأحاديث في ظلم بني الحكم وبني العاص للناس بعد تولِّي ثلاثين رجلاً للحُكْم وفي رواية

---

(١) انظر: الطحان، أصول التخريج، ص٤٢-٤٤.

(٢) مثل: ابن الجوزي، وابن كثير، والحافظ العراقي. للاستزادة راجع: خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ٢/٦٤٥.

(٣) بسط القول في ذلك ابن حجر العسقلاني، وخرج بقول مفاده عدم وجود حديث موضوع في المسند. راجع: القول المُسدَّد في الذَّبِّ عن المسند للإمام أحمد، ط١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠١هـ)، ص١-١٠.

(أربعين)، وأحاديث في ذمِّ سنة الستين، وأحاديث في وصف الوليد بن يزيد بأنه فرعون الأمة. كما أورد أحاديث في دعاء النبي ﷺ لمعاوية وتوليته الحكم. كما أورد المسند حديث حذيفة بن اليمان: «تَكُونُ نُبُوَّةٌ ثُمَّ خلافَةٌ»، وحديث: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ لِسَنَةِ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ»، وحديث: «تُنَقَضُ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً»، مع بيان توجيهات العلماء وشُرَّاح المسند حول هذه الأحاديث بما يتعلَّق ببني أمية. وقد استفادت الدراسة من كتاب (الفتح الرَّبَّاني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني) للشيخ العلامة أحمد البنا الشهير بالساعاتي، كما استفادت من (الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد)، نشر مؤسَّسة الرسالة (خمسون مجلداً).

كما أن هناك العديد من المسانيد التي لم يقف عليها الباحث؛ لذا اضطرَّ للاستعانة بالكتب الجامعة للعديد من هذه المسانيد؛ مثل كتاب (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة)[1] للإمام البوصيري أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت ٨٤٠هـ)، وقد جمعها ورتَّبها ترتيباً فقهياً في (أحد عشر مجلداً). والذي يهم الدراسة منها ما جاء في بني أمية؛ إذ عقد عدة أبواب تخصُّهم؛ مثل: باب (الاستعاذة من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان)[2]، وباب (في ما ورد من لعن الحكم بن أبي العاص وبنيه)[3]، وساق عدة أحاديث في ذمِّه، وباب (في ما جاء عن يزيد وبني أمية)[4]، وذكر عدة أحاديث؛ منها حديث: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ

---

(١) هي: مسند الحميدي، ومسند الحارث، ومسند مسدَّد، ومسند أحمد بن منيع، ومسند أبي داود الطيالسي، ومسند ابن أبي عمر، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند عبد بن حميد، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند أبي يعلى الموصلي. للاستزادة عن كل مسند انظر مقدِّمة كتاب البوصيري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: عادل بن سعد والسيد بن محمود، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج١، ص٣٦-٤٥.

(٢) إتحاف الخيرة، ١٠/ ١٦٣-١٦٥.

(٣) إتحاف الخيرة، ١٠/ ٢٢٦-٢٢٩.

(٤) إتحاف الخيرة، ١٠/ ٢٣١.

سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»، وحديث في أن بني أمية هم آفة هذا الدين. كما ذكر عدة أحاديث متفرِّقة عن بني أمية، منها أنهم شرُّ قبائل العرب، وأنهم أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ[١]. ويُلاحظ على البوصيري عدم تنبيهه على الأحاديث شديدة الضعف أو المُنكَرة أو الموضوعة، بل يكتفي بالرمز لها بالضعف فقط[٢].

أما الكتاب الآخر الذي جُمعت فيه المسانيد واعتمدت عليه الدراسة فهو (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية)[٣] للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو في (عشرة مجلدات)؛ فقد عقد فيه مؤلِّفه باباً في (لعن رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص وبنيه وبني ابنه)، ثم ساق عدة أحاديث[٤]، بالإضافة إلى سوقه أحاديث متفرقة؛ مثل حديث أنهم شر قبائل العرب، وأنهم يثلمون هذا الدين، وحديث: «لَيَرْعَفَنَّ جَبَّارٌ مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِي هَذَا»، وحديث ان أول مَن يَثْلِم هذا الدين رجل من بني أمية يقال له: يزيد[٥]. كما استفادت الدراسة من نقد ابن حجر العسقلاني لبعض الأحاديث، ومن تعليقات المحقِّقين عليها.

ومما اعتمدت عليه الدراسة كتب المصنفات، وأبرزها (مصنف ابن أبي شيبة) لأبي بكر عبد الله (ت ٢٣٥هـ)، وهو من أوائل المصنفات، وفيه الصحيح

---

(١) إتحاف الخيرة، ١٠/ ٢٢٥.

(٢) هذا النقد جاء عن طريق المحقِّقَيْن لكتابه. انظر مقدِّمة التحقيق من كتاب: إتحاف الخيرة، ١/ ١٧.

(٣) هي: مسند الحميدي، ومسند الحارث، ومسند مسدَّد، ومسند احمد بن منيع، ومسند ابي داود الطيالسي، ومسند ابن أبي عمر، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند عبد بن حميد. انظر مقدِّمة: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: أيمن ابو يماني واشرف صلاح علي، ط١، (القاهرة: مؤسَّسة قرطبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٤) انظر: المطالب العالية، ١٠/ ١٠٤-١٠٨.

(٥) انظر: المطالب العالية، ١٠/ ١٠٨، ١٠٩.

والحسن، لكن يكثُر به الضعيف[١]. وقد أوردت الدراسة منه حديثاً في أن أول مَن يبدِّل سُنَّة المصطفى ﷺ رجل من بني أمية، وحديثاً في ذمِّ سنة السبعين، وحديثاً في لعن بني الحكم.

كما اعتمدت الدراسة على كتب المعاجم، وأبرزها (المعجم الكبير) و(المعجم الأوسط) للطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)[٢]. ويعد المعجمان الكبير والأوسط من المصادر التي هي مظانُّ الضعيف؛ فالطبراني على رغم أنه حافظ ثَبْت إلا أن في حديثه ليناً وله إفرادات، ومما انتُقد عليه أيضاً سوقه الضعيف والموضوع بكثرة على رغم جلالة علمه[٣]. وقد أفادت منه الدراسة في عدة أحاديث؛ مثل حديث لعن أبي سفيان ومعاوية ويزيد ابنه، وحديث: «لا بَارَكَ اللَّهُ فِي يَزِيدَ»، وحديث: «الوَلِيدُ اسْمُ فِرْعَوْنِ الأُمَّةِ، هَادِمُ شَرَائِعِ الإِسْلامِ»، وأحاديث في لعن الحكم وبنيه، وهي كثيرة، وأحاديث في الاستعاذة من سنة الستين ومن إمارة الصبيان، وأحاديث في ملك معاوية ودعاء النبي ﷺ له.

لكن هناك أربعة مصادر حديثية احتوت على أحاديث كثيرة في ذمِّ بني أمية، بل إنها صنَّفت فصولاً أو أبواباً فيهم، وقد اعتمد عليها بعض المحدثين والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين، ونظراً إلى أهميتها للدراسة وكثرة ما احتوته من أحاديث يكثر بها المنكرات والموضوعات سنعرض لها ولمؤلفيها بالنقد والدراسة. وهذه

---

(١) للاستزادة عن الملاحظات الخاصة بمصنف ابن أبي شيبة انظر: خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ٢/ ٦٣١.

(٢) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، الحافظ الثبت، اشتهر بالعلو في علم الحديث، كان واسع العلم كثير التصانيف، له إفرادات، وليَّنه ابن مردويه لكونه غلط أو نسي، وعِيب عليه تقديمه أحاديث منكرة جداً وموضوعة وفي بعضها قدح في الصحابة، مات سنة ٣٦٠هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ١٩٥. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، (د. م، د. ن، د. ت)، ج٣، ص٧٥.

(٣) انظر: شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي البجاوي، (د. م: دار الفكر، د. ت)، ج٢، ص١٩٥.

المصادر هي: كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد المَرْوَزِيّ (ت ٢٢٩هـ)[١]، وكتاب (المُستدرَك على الصحيحين) للإمام الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)[٢]، وكتاب (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) للهيثمي نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)، وكتاب (تطهير الجَنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه) لابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد (ت ٩٧٤هـ)، وسنذكرها حسب الأقدمية.

أول هذه المصادر وأكثرها إيراداً لأحاديث بني أمية كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد، وهو من الأئمة الأعلام، وله عدة مصنفات[٣]. وعلى رغم أنه من كبار أهل العلم إلا أنه يروي المناكير والموضوعات، وكتابه (الفتن) مليء بها، وقد انفرد بعدة روايات؛ لذا لا يجوز الاحتجاج بإفراداته[٤]. وكتابه (الفتن) هو عبارة عن سبعة وسبعين فصلاً وعشرة أجزاء صغيرة مجموعة في كتاب واحد، يتحدث عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة التي وقع بعضها وجرى بعد وفاة النبي ﷺ. والذي يهم الدراسة منها الأحاديث التي وردت في بني أمية أو تُخبر عنهم أو تذمُّهم وتلعنهم؛ فقد عقد نعيم بن حماد عدة فصول وأبواب في بني أمية، وأفاد

---

(١) نعيم بن حماد الخزاعي: أحد الأئمة الأعلام على لين في حديثه، سكن مصر، وله عدة مصنَّفات، مات سنة ٢٢٩هـ. انظر: الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج١٠، ص٥٩٥-٦١٢.

(٢) الحاكم: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو عبد الله الحاكم الضبِّي، ويُعرف بابن البيِّع، من أهل نيسابور، وُلد سنة ٣٢١هـ، كان من أهل العلم، وبخاصة في الحديث، له عدة مصنَّفات، توفِّي بنيسابور سنة ٤٠٥هـ. انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ج١٥، ص١٠٩، ١١٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/٥٩٥-٦١٢.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/٢٦٧-٢٧٠. قال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً. انظر: تقريب التهذيب، ط٢، (حلب: دار الرشيد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٥٦٤.

الدراسة في الأحاديث التي تخبر عن مُلْكهم وسقوطهم[1]، كما أفاد الدراسة بالأحاديث الخاصة بالسفياني وخروجه وموقف بني أمية منه[2]، كما قدَّم للدراسة عدة أحاديث تذمُّ خلفاء بني أمية خليفةً خليفةً؛ مثل معاوية وابنه يزيد، ومروان بن الحكم، والوليد بن يزيد، وهشام بن عبد الملك، ومروان بن محمد، كما قدَّم عدة أحاديث تمدح وتُخبر عن عدل عمر بن عبد العزيز وورعه. وأحاديث كتاب (الفتن) عن بني أمية عامة يغلب عليها الضعف والوضع، وموقف نعيم منها هو ذكر السند فقط دون نقد أو تعليق منه، وهو ما سيتَّضح من خلال فصول الدراسة، وسيتضح أكثر مدى تأثر المصادر التاريخية بما أورده نعيم بن حماد في كتابه.

ويعدُّ كتاب (المُستدرَك على الصحيحين) للإمام الحاكم من أكثر مصادر الحديث ذكراً لأحاديث بني أمية بعد كتاب (الفتن)؛ فـ(المستدرك) كتاب كبير أخرج الحاكم أحاديثه مما ليس في الصحيحين لكنه على شرطي البخاري ومسلم في الرواة، وقد رتَّبه في الغالب على سياق ترتيب البخاري في الأبواب[3]. وقد انتقد العديد من العلماء كتاب (المستدرك) وتساهله في التصحيح[4]، ومنهم الذهبي الذي استدرك على (المستدرك) مائة حديث موضوع، وقد وافق الذهبي الحاكم في العديد من الأحاديث، وسكت عن بعضها، وسكوته عنها فسَّره البعض

(١) انظر باب: ما يُذكر في ملك بني أمية، وباب: آخر من ملك بني أمية، وباب: العلامات في انقطاع ملك بني امية. انظر: الفتن، تحقيق: مجدي الشورى، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٧٨، ٨١، ١٢٤.

(٢) ذكر نعيم عدة فصول تتحدث عن السفياني سيأتي بيانها بالتفصيل عند الحديث عن السفياني في الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص ٢٦٥.

(٣) للاستزادة عن منهج الحاكم وأقوال العلماء فيه انظر مقدِّمة التحقيق؛ إذ أفرد له المحقِّق أكثر من مائة صفحة: المستدرك على الصحيحين ومعه تلخيص الذهبي، صنعة: عبد السلام علوش، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

(٤) انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص٢٤، ٢٥. الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ٢/ ٦٧١-٦٧٧.

بالموافقة، لكن ذلك لا يعني بالضرورة موافقته[1].

وعلى الرغم من أن الحاكم النيسابوري من أئمة الحديث وأعلام المحدثين لكن العلماء انتقدوا عليه تشيُّعه، لكن تشيُّعه ليس كتشيُّع الروافض الذين يذمُّون أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ فهو يقدِّمهما على عليّ رضي الله عنه ويترضَّى عنهم أجمعين ولم يذمَّهم أبداً[2]. كما ذكر الإمام الذهبي أن الحاكم تحامل على بني أمية وأورد أحاديث كثيرة في مثالبهم؛ لذا فإن ما ينفرد به الحاكم في ذمِّ بني أمية لا يُقبل لتشيُّعه[3]. وقد دافع البعض عن الحاكم؛ كابن حجر العسقلاني، بحُجَّة أنه سوَّد كتابه (المستدرك) لينقِّحه، إلا أنه مات قبل إتمام ذلك[4]. لكن أكثر ما يلفت انتباه القارئ لـ(المستدرك) أنه يورد عبارات توحي لمن يجهل مقاصده أن الحديث صحيح، كما في قوله: (صحيح على شرط الشيخين)، أو (صحيح على شرط البخاري)، أو (صحيح على شرط مسلم). فلا يُستغرب من تناقُل بعض المؤرخين هذه العبارات دون الوقوف على مقاصدها أو معانيها. والذي يهم الدراسة من (المستدرك) ما يتعلَّق ببني أمية؛ فقد أورد أحاديث عديدة عنهم، فيها الصحيح والضعيف والموضوع، خصوصاً في باب (الفتن والملاحم)[5]؛ فقد أورد أحاديث في لعن الحكم بن أبي العاص وبنيه وفي ظلمهم للناس، وأحاديث في ذمِّ سنة الستين، وحديثاً في رؤيا النبي ﷺ بني أمية

---

(١) للاستزادة عن ذلك انظر مقدمة محقِّق المستدرك على الصحيحين، ص٧٨-٨٢.

(٢) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١٥/ ١٠٩، ١١٠. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٦٠٨. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وزملائه، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ج١١، ص٣٨٠.

(٣) انظر تعليق الذهبي نقلاً عن ابن عدي عن الليث بن سعد، مستدرك الحاكم، ٥/ ٦٧٩.

(٤) للاستزادة عن أقوال العلماء في المستدرك راجع: مقدمة ابن الصلاح، ص٢٤. الأحدب، أسباب اختلاف المحدثين، ٢/ ٦٧٦، ٦٧٧.

(٥) انظر: المستدرك، ٥/ ٦٧٥-٦٧٩.

يصعدون منبره فاستاء منهم، وأحاديث في السفياني. كما أورد عدة تفاسير عن بني أمية؛ كتفسير الشجرة الملعونة في القرآن بأنها بنو أمية، وأنهم المقصودون في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

ومن أكثر المصادر إيراداً لأحاديث بني أمية كتاب (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) للهيثمي[١]، وهو من أئمة الحديث، ويتميز بمنهجه النقدي للعديد من الأحاديث التي أوردها في مجمعه، إلا أنه أحياناً يذكر عدة عبارات تجعل غير المُطَّلع على أصول الحديث يقطع بصحَّته؛ مثل قوله: (رجاله رجال الصحيح)، وقوله: (رجاله ثقات)، وهذه العبارات لا تعني الصحة دائماً[٢]. وتكمن أهمية عرض هذا الكتاب هنا في أن مؤلِّفه الهيثمي عقد فيه عدة أبواب عن بني أمية؛ مثل: (باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلال)، وأورد فيه أكثر من عشرين حديثاً عن بني أمية، وأعطى فيها حكماً جيداً في الغالب من خلال دراسة السند[٣]. كما عقد باباً في (إمرة معاوية)، وساق تحته حديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وَلِيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ»[٤]. كما عقد في الوليد: (باب فتنة الوليد)[٥]، وساق تحته حديث: «سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

---

(١) الهيثمي: نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان، من حفَّاظ الحديث بمصر، ولد ٧٣٥هـ، ومات ٨٠٧هـ. السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ترتيب: خليل المنصور، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص٣٠٩.

(٢) انظر ما ذكره الشيخ الألباني حول هذه العبارات في مقدِّمته لكتاب المنذري: صحيح الترغيب والترهيب، ط٣، (الرياض: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٤٣-٥٠.

(٣) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج٥، ص٢٣٨.

(٤) انظر: مجمع الزوائد، ٥/ ١٨٩.

(٥) انظر: مجمع الزوائد، ٧/ ٣١٦.

والكتاب الرابع الذي يُعدُّ ضمن أكثر المصادر نشراً للأحاديث في بني أمية هو (تطهير الجَنان واللسان عن الخُطُور والتفوُّه بثَلْب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه) لابن حجر الهيتمي[1]. ويتحدث الكتاب عن معاوية خاصة، وعن بني أمية عامة، وتكمن فائدته في أن مؤلِّفه أفرد لمعاوية عدة مباحث، منها الأحاديث الواردة في تولِّيه الحكم، والأحاديث الموضوعة له وعليه وما طُعن به عليه، كما أن الكتاب يحوي أحاديث عديدة في الحكم بن أبي العاص وولده مروان ويزيد بن معاوية، ذاكراً أقوال العلماء في تكفير يزيد بن معاوية والأحاديث التي استندوا إليها في لعنه، كما أورد أحاديث الوليد بن يزيد (فرعون الأمة)، وغيرها من الأحاديث التي وردت في ذمِّ بني أمية والاستعاذة من سنة الستين وإمارة الصبيان، وأحاديث بُغض النبي ﷺ لهم وأنهم آفة هذا الدين وأوَّل من يثلمه. لكن هذه الأحاديث التي أوردها الهيتمي عن بني أمية أكثرها ضعيف وبعضها موضوع، وقد انتقد عليه العلماء استدلاله بالموضوع والضعيف[2].

ومما اعتمدت عليه الدراسة كتب تراجم الصحابة التي ألَّفها المحدثون؛ إذ أوردت عدة أحاديث في بني أمية وخلفائهم، ومنها: كتاب (فضائل الصحابة) للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر يوسف ابن عبد الله (ت ٤٦٣هـ)، وكتاب (أُسْد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير

---

(١) ابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن حجر الوائلي السعدي الهيتمي المصري المكي، ولد سنة ٩٠٩هـ، انتقل من مصر إلى مكة وصنَّف بها عدة مصنَّفات، مات سنة ٩٧٣هـ. انظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، جمع: محمد زبارة، ضبط: خليل المنصور، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، مج١، ص٧٥.

(٢) للاستزادة عن مآخذ العلماء على ابن حجر الهيتمي راجع مقدِّمة دراسة: مديحة السدحان، تحقيق كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، رسالة ماجستير، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب بالرياض، قسم الدراسات الإسلامية، ١٤١٠هـ ص٥٤، ٥٥.

عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، وكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني. وقد استفادت الدراسة منها فيما يتعلَّق بشخصية الحكم بن أبي العاص الذي ذكرت فيه أحاديث عديدة فيها ذمٌّ له ولأولاده من بعده، أو فيها ذمٌّ لبني أمية، وكذلك شخصية الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. كما نالت شخصية معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عدة أحاديث. والأحاديث التي أوردتها هذه المصادر لم تسلم من نقد المؤلفين، وبخاصة ابن حجر العسقلاني في الإصابة، لكن يُلاحظ على ابن عبد البر سَوْقُهُ أحياناً أحاديث ضعيفة جداً دون تعليق منه عليها مما سيأتي بيانه عند الحديث عن مروان بن الحكم.

كما استعانت الدراسة بكتب الموضوعات، وهي مصادر نقدية مهمة ذكرت الأحاديث الموضوعة المنتشرة في المصادر الحديثية. وقد استفادت منها الدراسة فيما يتعلَّق ببني أمية عامة وبخلفائهم خاصة، علماً أن الدراسة لم تقتصر على رأي مصدر واحد فقط بل نقلت عدة أقوال في الحديث الموضوع للتأكيد على وضع الحديث. وأكثر ما استفادت منه الدراسة من هذه المصادر ما ورد من أحاديث موضوعة في ذمٍّ بني أمية أو مدحهم، أو في ذمٍّ معاوية أو مدحه، أو ما ورد في ذمٍّ يزيد أو ذمٍّ مروان بن الحكم أو ذمٍّ الوليد بن يزيد. وأبرز هذه المصادر: كتاب (الأباطيل والمناكير) للجوزقاني أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم (ت ٥٤٣هـ)[١]. كما اعتمدت الدراسة على كتاب (الموضوعات) لابن الجوزي أبي الفرج

---

(١) الجوزقاني: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجوزقاني الهمداني، وهو إمام حافظ ناقد، توفِّي ٥٤٣هـ. وقد اعتمد ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات) على كتاب الجوزقاني. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/١٧٧. وقد اختُلف في لقبه هل هو الجوزقاني أم الجورقاني بالراء المهملة، والمشهور في التراجم بالراء المعجمة كما هو عند الذهبي، وما درجت الرسالة عليه هو الجوزقاني.

عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، وكتاب (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) لابن الجوزي أيضاً. كما استعانت الدراسة بتلخيص وتعليقات الذهبي على ابن الجوزي؛ لأن ابن الجوزي عِيبَ عليه التسرُّع في التضعيف؛ فقد ضعَّف أحاديث صحيحة(١). كما اعتمدت الدراسة على كتاب (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للسيوطي، وتكمن أهميته للدراسة في أنه بيَّن أحاديث موضوعة لم ينتقدها في كتابه (تاريخ الخلفاء)، كما أنه يُحيل إلى مصادرها الحديثية والتاريخية، كما أن في الكتاب تعليقات واستدراكات ومتابعات لما أورده الجوزقاني وابن الجوزي(٢). أما كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة) لابن عراق علي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣هـ)(٣) فهو تلخيص واستدراك لما أورده ابن الجوزي والسيوطي(٤). كما استندت الدراسة إلى كتاب (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة) المعروف بـ(الموضوعات الكبرى) للملاَّ شمس الدين علي قاري (ت ١٠١٤هـ)، وكتاب (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) للإمام الشوكاني محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ). كما استعانت الدراسة بـ(سلسلة الأحاديث الضعيفة) للشيخ ناصر الدين محمد الألباني، خصوصاً في تعليقاته على أحاديث السنن الأربعة.

---

(١) انظر تعليق ابن الصلاح على ابن الجوزي: مقدمة ابن الصلاح، ص٧٩.

(٢) انظر مقدمة السيوطي في: الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج١، ص٢.

(٣) ابن عراق: أبو الحسن سعد الدين علي بن محمد بن علي... ابن عراق الكناني، نزيل المدينة وإمامها وخطيبها، ولد سنة ٩٠٧هـ بساحل بيروت، له عدة مؤلفات، منها شرح صحيح مسلم، مات بالمدينة ٩٦٣هـ. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، د. ط، (بيروت: دار التراث العربي، د. ت)، ج٨، ص٣٣٧.

(٤) انظر مقدمة ابن عراق: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبدالوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج١، ص٣.

كما اعتمدت الدراسة على مصنفات الجرح والتعديل أو ما يُعرف بـ(كتب الرجال)، أو الضعفاء منهم. ومن ذلك: كتاب (المجروحين) لأبي حاتم محمد بن حِبَّان البُسْتِيِّ، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للإمام الذهبي، و(لسان الميزان) لابن حجر العسقلاني.

كما تأتي كتب الأصول المهتمة بقواعد علم الحديث ضمن مصادر الدراسة لبيان أحكامٍ وضعها العلماء في هذا العلم؛ كالتعريف بالمصطلحات، وبيان أنواع الحديث، ومدى حُجِّيَّة الحديث الضعيف، وبيان قواعد في معرفة الأحاديث الموضوعة. ومن أبرز هذه المصادر: كتاب (مقدِّمة ابن الصلاح في علوم الحديث) للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرُزُوري (ت ٦٤٣هـ)، وكتاب (تدريب الراوي) للإمام السيوطي. وأكثر مصادر الأصول التي استفادت منه الدراسة فيما يتعلَّق ببني أمية وما وضع حولهم من أحاديث كتاب (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) لابن قيِّم الجوزية. كما استفادت الدراسة من المراجع الحديثة في علم الأصول، وبخاصة كتاب (أسباب اختلاف المحدِّثين) لخلدون الأحدب، وكتابا (أصول التخريج) و(مصطلح الحديث) لمحمود الطحان، وكتاب (الحديث النبوي) لمحمد لطفي الصباغ.

وحول تخريج الأحاديث اهتمت الدراسة بالكتب التي تعتني بأطراف الحديث وتحيل إلى مَن خرَّجها؛ مثل كتاب: (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) للعلامة المتقي الهندي علاء الدين علي المتقي حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)[١]، وهو سِفْرٌ عظيم جمع فيه مؤلِّفه جميع الأقوال والأفعال النبوية وغيرها في أكثر من

(١) المتقي الهندي: علي بن حسام الدين بن عبد الملك بن قاضي خان البرهانبوري، وهو الشيخ الإمام العالم الكبير المحدِّث، ولد بمدينة برهانبور بالهند سنة ٨٨٥هـ، ثم رحل إلى مكة في طلب العلم، مات سنة ٩٧٥هـ ودفن بالمعلاة بمكة وعمره ٨٧ سنة، وقيل: ٩٠ سنة. انظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر)، ط١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، مج١، ج٤، ص٣٨٥-٣٨٩.

عشرين مجلداً وما يقارب الأربعين ألف حديثاً. وقد أعطى المؤلف رموزاً لكل مصدر، سواء كان حديثياً أو تاريخياً؛ مما سهَّل للدراسة تتبُّع هذه المصادر. كما استفادت الدراسة من برامج الحاسب الآلي المختصة بتخريج الأحاديث النبوية في المصادر مع التأكُّد من مصادرها الأصلية؛ كالسلسلة الذهبية والموسوعة للحديث النبوي.

كما استعانت الدراسة بمصادر التفسير في شرح وتوضيح أسباب نزول وتفسير آيات قرآنية تتعلَّق بذمِّ بني أمية؛ لتوضيح مدى انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بني أمية، وتوضيح مدى تأثر التفاسير بالموضوعات والإسرائيليات التي وردت في التنبُّؤ بمُلْكهم وظلمهم، واستياء النبي ﷺ منهم وتحذيره من شرِّهم، وغير ذلك مما سيأتي بيانه عند الحديث عن سورتي القدر والكوثر وغيرهما من آيات القرآن التي قيل إنها نزلت فيهم. ومن أشهر مصنَّفات التفسير التي تطرَّقت إلى هذه الجوانب وفنَّدت الآراء الضعيفة وبيَّنت الصحيح منها: تفسير (جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن) للإمام الطبري أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، و(تفسير القرآن العظيم) للإمام الحافظ ابن كثير، وكتاب (الفتح القدير) للإمام الشوكاني.

ثانياً: مصادر التاريخ

ينحصر مفهوم التاريخ عند البعض في الجانب السياسي والعسكري، لكن المتأمِّل للمصنَّفات التي صُنِّفت في هذا العلم يجد أنها اتَّصفت بالكثرة والتنوُّع من حيث موضوعاتها، فهناك عدة أنواع من المؤلفات التاريخية، منها التأليف في السيرة والدلائل أو الشمائل النبوية، وفي الفتوح، والأموال، والمدن، والأنساب، والتراجم، وأخبار الخلافة، والأحداث الداخلية.

ومن خلال هذه المؤلفات اهتمت بعض المصادر التاريخية بالأحاديث النبوية، خصوصاً عن بني أمية، فمصادر السيرة مثلاً تُدرج أحاديث بني أمية ضمن أبواب الدلائل النبوية والشمائل المحمدية، كما هو عند البيهقي في (الدلائل)،

وابن كثير في (الشمائل)، والسيوطي في (الخصائص الكبرى). وتارةً تذكر المصادر التاريخية أحاديث بني أمية ضمن التراجم الخاصة بهم، كما هو عند الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق)، والذهبي في (سِيَر أعلام النبلاء). وتارةً تُورد هذه الأحاديث حسب الأحداث والوقائع، كما هو عند البلاذري في (أنساب الأشراف)، والطبري في (تاريخ الرسل والملوك)، والمسعودي في (مروج الذهب)، والذهبي في (تاريخ الإسلام). وهناك مصادر تاريخية جمعت أحاديث بني أمية في فصل أو باب، كما هو عند ابن كثير في (البداية والنهاية)، والسيوطي في (تاريخ الخلفاء).

لكن الأمر المُلاحَظ أن هذه المصادر التاريخية تباينت في منهجية رواية الأحاديث؛ فمصادر تكتفي بذكر الحديث بالسند واللفظ وتشير إلى مَن أخرجه، ويغلب ذلك عند ابن عساكر، ومصادر لا تقف عند ذلك، فهي تهتم بنقده ودراسة سنده، كما هو عند ابن كثير والذهبي، كما أن هناك مصادر تشير إلى الحديث باللفظ تارة وبالمعنى تارة دون الاهتمام بالسند أو مدى صحة الحديث، كما هو في أغلب المصادر التاريخية العامة، إلا أن بعض المصادر التاريخية التي أُلِّفت من قِبَل المحدِّثين أضْفَت لها قوة علمية، وقدَّمت للدراسة جانباً كبيراً من الفوائد العلمية، وهذا ما نلمسه عند الذهبي وابن كثير.

وسيحاول الباحث إلقاء الضوء على أبرز المصادر التاريخية التي اهتمت بالأحاديث النبوية الواردة في بني أمية، وذلك حسب أقدميتها الزمنية.

(أنساب الأشراف) لأبي بكر أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ): وهو كتاب جمع بين التراجم والأحداث التاريخية، ويُعنى الكتاب بأنساب النبلاء من العرب، ويخصُّ منهم قريشاً، وقد خصَّص لبني أمية جانباً كبيراً من أنسابه. والبلاذري كان من رجال البلاط العباسي[١]، وقد أفاد الدراسة فيما يتعلَّق

(١) عن البلاذري ومنهجه وكتابه راجع: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط١،=

بالأحاديث النبوية عند الحديث عن شخصية الحَكَم بن أبي العاص وابنه مروان ومعاوية بن أبي سفيان؛ فقد ذكر أحاديث في لعن الحَكَم وولده، وفي تولّيهم الحُكْم وصعودهم منبر النبي ﷺ وظلمهم الناس واتّخادهم عبيداً، كما أورد أحاديث في معاوية تقطع بدخوله النار، وأحاديث أخرى تقطع بدخوله الجنة في تناقض واضح، كما أورد أحاديث في دعاء النبي ﷺ له، وحديثاً في لعن النبي ﷺ له. ويُلاحَظ أن البلاذري لم يُبْدِ نقداً للأحاديث، فكانت أحاديثه تحمل الصحيح والضعيف والموضوع.

وعلى رغم أن كتاب البلاذري (أنساب الأشراف) من أحسن المصادر وأكثرها تجرُّداً وموضوعية في سرد تاريخ الأمويين على حدِّ قول بعض الباحثين[١] إلا أن إيراده الأحاديث الموضوعة في ذمِّ معاوية أو بني أمية يجعل هذا القول محلَّ نقد ونظر.

(تاريخ الرسل والملوك) للطبري: يعدُّ الطبري من الأئمة المُعتمَدين في علم التاريخ، وكتابه عمدة لمَن جاء بعده، وهو تاريخ عالمي يبدأ من بدء الخليقة إلى سنة ٣٠٢هـ، وهو مرتَّب وفقاً للمنهج الحولي، مستخدماً طريقة المحدِّثين في الإسناد، واكتفى بموقف الحياد عند سرده الروايات[٢]. وقد أمدَّ الدراسة بمرسوم مهم صدر في سنة ٢٨٤هـ عن الخليفة العباسي المعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ)،

= (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، ج١، ص٢٤٥. محمد المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، ط١، (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج١، ص٥٧-٦٠.

(١) انظر: المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية، ١/ ١٤، ١٥. إحسان العمد، الجذور التاريخية، ص١٩.

(٢) انظر: علي الشبل، الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، د. ط، (الرياض: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص٨-٢٠. شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخون، ١/ ٢٥٣.

ويحتوي هذا المرسوم على أحاديث وآيات ذُكِر أنها وردت في لعن بني أمية، وهو ملحق في آخر الدراسة. وأبرز أحاديثه تتعلق بـ:

- تفسير الشجرة الملعونة في القرآن بأنها بنو أمية.
- لعن أبي سفيان وابنه معاوية ويزيد على لسان رسول الله ﷺ.
- حديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية يَنْزُونَ على منبره فاستاء منهم.
- حديث لعن الحكم بن أبي العاص وابنه مروان.
- أحاديث في لعن معاوية والأمر بقتله وتبشيره بالنار.
- أحاديث في وصف أيام بني أمية أو بني الحكم بالظلم وأخذ أموال الناس بالباطل.

(مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ): ويتحدث الكتاب من بدء الخليقة حتى سنة ٣٣٦هـ، وقد استخدم مؤلِّفه المنهج الموضوعي والمنهج الحولي، واهتم فيه بالجوانب الجغرافية بحُكْم رحلاته المتعدِّدة، لكنه قدَّم تاريخ بني أمية في صورة مشوَّهة متأثراً بميوله الشيعية[1]. والذي يهمُّ الدراسة هنا الأحاديث النبوية؛ فالمسعودي ممَّن اهتم ببعض الأحاديث الواردة في بني أمية؛ مثل حديث سفينة: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً»، وأخذ يفصِّل في تواريخ الخلفاء بالأيام والشهور والسنين، وقد تمَّ الاعتماد عليه ضمن آراء العلماء في حديث سفينة. كما ذكر المسعودي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أنها مدة بني أمية، وأخذ يجمع مدة كل خليفة أموي بالسنين والشهور والأيام ليثبت أنها ألف شهر، كما أنه ذكر حديثاً موضوعاً لبيان أن مدة حكم بني العباس ضِعْف مدة حكم بني أمية، ثم حاول المسعودي أن

(١) للاستزادة عن المسعودي وكتابه مروج الذهب ومنهجه ومذهبه انظر رسالة ماجستير مطبوعة: إبراهيم الأقصم، الدولة الأموية في كتابات المسعودي، ط١، (جدة: دار المجتمع، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٢٩-٣٤.

يعمل حسابات تاريخية ليثبت صحته، كما قدَّم معلومات جيدة حول السفياني الذي ينتظره الأمويون من خلال كتابه (التنبيه والإشراف).

(دلائل النبوة) لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ): يعدُّ البيهقي من أئمة الحديث الحفَّاظ[١]، وكتابه (الدلائل) الذي اختصَّ بالسيرة النبوية من أكثر المصادر التاريخية المتقدِّمة إيراداً للأحاديث النبوية الواردة في بني أمية؛ فقد أورد فيهم عدة أبواب وفصول؛ مثل: باب (ما جاء في إخبار النبي ﷺ عن خلفاء يكونون بعده فكانوا)[٢]، وباب (ما جاء في إخباره عن ملوك يكونون بعد الخلفاء فكانوا)[٣]، وباب (ما جاء في إخباره بصفة بني عبد الحكم بن أبي العاص)[٤]، وباب (ما جاء في رؤياه في مُلْك بني أمية)[٥]، وباب (ما جاء في إخباره بمُلْك معاوية بن أبي سفيان)[٦]، وباب (ما جاء في إخباره برجل يكون في أمته يُقال له الوليد صاحب ضَرَر فكان كما أخبر)[٧].

وأهم ما أورده البيهقي من أحاديث: أحاديث في لعن الحَكَم وبنيه، وأحاديث في ظلم بني الحكم للناس بعدة روايات. كما أورد أحاديث في استياء النبي ﷺ من بني أمية أو بني العاص، وأحاديث في مُلْك معاوية، وأحاديث في ذمٍّ ابنه يزيد، وحديثاً في الوليد بن يزيد، بالإضافة إلى أحاديث عامَّة تتعلَّق بالخلافة والمُلْك استعانت بها الدراسة. وقد اكتفى البيهقي بسرد العديد من الأحاديث

(١) للاستزادة عن البيهقي وعلمه انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/١٦٣-١٧٠.

(٢) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، (بيروت: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٢، ص٣٣٨.

(٣) دلائل النبوة، ٦/٣٣٩.

(٤) دلائل النبوة، ٦/٥٠٧.

(٥) دلائل النبوة، ٦/٥٠٩.

(٦) دلائل النبوة، ٦/٤٤٦.

(٧) دلائل النبوة، ٦/٥٠٣.

مُسندةً على رغم ضعفها ونكارتها، ويكاد يكون نقدُهُ لها يسيراً جداً. وتزداد أهمية الكتاب في اعتماد العديد من المؤرِّخين المتأخرين عليه، بل نقلوا عنه أسماء الأبواب التي عنونها نفسها؛ كالمقريزي والسيوطي والشامي.

(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي: وهو كتاب يُعنى بالأعلام البارزين في المجتمع البغدادي، كما يهتم بالحركة العلمية والثقافية في بغداد. وعلى الرغم من مكانة الخطيب العلمية، وبخاصة في علم الحديث، إلا أنه يسوق فيه أحاديث ضعيفة وموضوعة دون تعليق منه أو تضعيف[1]؛ لذا فالأحاديث التي أوردها الخطيب في (تاريخ بغداد) لا يمكن الاطمئنان إليها جميعها؛ لأنه لم ينقلها عن الصحاح الستة، بل معظمها من معاجم شيوخ ومنتخبات وأجزاء حديثية يختلط فيها الصحيح بالضعيف. وعلى رغم تعقُّب الخطيب بعض الأحاديث وانتقادها إلا أنه لم يفعل ذلك دائماً[2]. ويلاحظ أن الأحاديث الموضوعة عند الخطيب تكثر في باب المناقب والمثالب والفتن والملاحم، ولكن ذلك لا ينسحب على تاريخه كله؛ فله أحاديث صحيحة وحسنة. كما أن منهج الخطيب في ذكر الموضوعات كمنهج غيره من العلماء أمثال الطبراني وابن عساكر في (تاريخ دمشق) الذين يذكرون الحديث الموضوع بسنده لإبراء الذِّمَّة من عهدته[3]. وقد أفاد الخطيب

(1) أكرم العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ط2، (الرياض: دار طيبة، 1405هـ/ 1985م)، ص49. للاستزادة: تُوجد دراسة عن الأحاديث الواردة في (تاريخ بغداد) في ستة اجزاء أوضحت أن الخطيب عِيب عليه كثرة تحديثه عن الضعفاء. انظر: علي بن عبد الله الجمعة، الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (تخريجها ودراسة أسانيدها وبيان درجتها من أول الكتاب حتى ترجمة محمد بن مصعب بن الدعاء)، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، (1419هـ)، مج1، ص21.

(2) انظر: أكرم العمري، موارد الخطيب، ص89.

(3) قام خلدون الأحدب بدراسة تاريخ الخطيب ومنهجه من خلال مقدِّمة التحقيق. راجع: زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، ط1، (دمشق: دار القلم، 1417هـ/ 1996م)، ج1، ص87-90.

البغدادي الدراسة بعدّة أحاديث عن بني أمية، منها ما يتعلق بالشجرة الملعونة، ومنها ما يتعلق بسقوطهم وهلاكهم على يدي بني العباس، كما قدَّم أحاديث عديدة عن السفياني، وأحاديث عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(تاريخ دمشق) للحافظ ابن عساكر: ويعدُّ من أضخم المجلدات التاريخية؛ إذ يصل إلى أكثر من سبعين مجلداً، ويهتم بتاريخ دمشق وأعلامها، وقد قدَّم مؤلفه جملةً من أخبار الشام وفضائلها ومناقبها، ثم اهتم بتراجم مَن حلَّ بدمشق أو اجتاز بها وبأعمالها[1]. وعلى جلالة قدر ابن عساكر في علم الحديث ورسوخ قدمه وثناء العلماء عليه إلا أنه يكثر من رواية الموضوعات، وهو كغيره من قدامى المحدثين الذين يكتفون بذكر السند حتى تبرأ ذمتهم[2]. والذي يهم الدراسة ذكره أحاديث في بني أمية وبني الحكم وبني العاص بشكل كبير، وإن كان قد علَّق على بعض الأحاديث بالضعف، وتكلم عن السند أحياناً، وسكت عنها أحياناً، وهذا ما أوردته الدراسة في حينه حسب ورود كل حديث. ويعدُّ أبرز ما أورده ابن عساكر للدراسة هو إيراده (١١٩) رواية في أحاديث معاوية صنَّفها الباحث بين الضعيف والموضوع والصحيح. كما قدَّم للدراسة معلومات قيِّمة حول السفياني واهتمام بني أمية بأمره والأحاديث التي يروونها فيه. كما ذكر عدة أحاديث في لعن الحكم بن أبي العاص وولده وذمٍّ بني أمية، وذلك ضمن ترجمة مروان بن الحكم.

(تاريخ الإسلام) للإمام الذهبي: ويُعنى بأحداث التاريخ الإسلامي بدءاً من

(١) للاستزادة عن مكانة ابن عساكر وأهمية كتابه (تاريخ دمشق) ومنهجه انظر: طلال سعود الدعجاني، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤١٧هـ)، مج١، ص١٩، ٣٤-٤١.

(٢) انظر: محمد إسحاق إبراهيم، جهود الحافظ ابن عساكر الحديثية من خلال (تاريخ دمشق): عرض ونقد، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٤١٢هـ)، مج٣، ص١١١٧.

السيرة النبوية إلى نهاية سنة ٧٠٠هـ تقريباً، فهو مادة واسعة في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي والثقافي، ومورد خصب للتراجم والشخصيات البارزة. والذهبي من أئمة الإسلام في الحديث، كما أنه من كبار المصنِّفين في مجال التاريخ، ومن الروَّاد في النقد العلمي للأحاديث وعلم الجرح والتعديل، ومن المحقِّقين الذين يُعوَّل عليهم في التحقيق[١]. وتكمن أهمية كتابه للدراسة في أنه من الذين أسهموا في دفع الشبهات عن بني أمية وعلَّقوا على الأحاديث الواردة فيهم. وفي كتابيه (تاريخ الإسلام) و(سِيَر أعلام النبلاء) أورد أحاديث تذمُّ بني أمية وبني الحكم، لكنه أخضعها للنقد ووصفها بالضعف والنَّكارة. وقد أفاد الدراسة في عدَّة مواضع، أبرزها ما قام به من تصنيف للأحاديث الواردة في معاوية بين الموضوع والضعيف والحسن والمختلف في صحَّته، وما انتقده من أحاديث في يزيد بن معاوية وغير ذلك مما سيأتي بيانه في حينه.

(البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير: وهو جهد تاريخي نقدي ابتدأ فيه مؤلِّفه ببدء الخليقة وانتهى بنهاية سنة ٧٦٧هـ، وقد لقي قبولاً في أوساط العلماء والمؤرِّخين لما فيه من مادة تاريخية محقَّقة في أغلبه، ولما يتميَّز به من نقد علمي ومنهجية متَّزنة دون ميول، فتميَّز من غيره من المؤرِّخين وتفرَّد عمن سبقه بأنه جمع في تاريخه بين كتابات أهل السِّيَر والتاريخ والأخبار وما رواه أهل الحديث؛ لذا يعدُّ تاريخه خلاصةً لما قام بها المسلمون خلال سبعة قرون[٢]. ويعدُّ ابن كثير أكثر

---

(١) للاستزادة عن منهج الذهبي وكتابه (تاريخ الإسلام) انظر رسالة دكتوراه مطبوعة: بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجه في كتابه (تاريخ الإسلام)، ط١، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي، ١٩٧٦م)، ص١٠-١٥.

(٢) للاستزادة عن منهج ابن كثير ونقده المؤرِّخين والمحدِّثين والروايات التاريخية راجع: شمس الله محمد صديق، منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، (كلية الدعوة - قسم التاريخ)، المدينة المنورة، (١٤١٣هـ)، ص٨٧٢-٨٩٢، ٩٦٠-٩٧٠.

المؤرخين نقداً واهتماماً بالأحاديث النبوية الواردة في بني أمية، وقد وضع لها عناوين مختلفة؛ مثل: (كتاب دلائل النبوة باب إخباره عن الغيوب المستقبلية)[1]، كما ذكر: (باب في ذكر الأخبار عن خلفاء بني أمية جملةً جملةً). وقد أورد ابن كثير أحاديث عديدة في ذمٍّ بني العاص أو بني الحكم أو بني أمية، وعلَّق عليها بالغرابة والنَّكارة الشديدة، وناقش جميع طرق هذه الأحاديث وبيَّن ضعفها، وكانت تعليقاته علمية مقنعة بعد أن ذكر المصادر التي أوردتها. كما قدَّم ابن كثير نقداً علمياً للأحاديث الواردة في معاوية ويزيد ابنه، ووجَّه اللوم لابن عساكر في سَوْقِهِ لها، وقدَّم نقداً علمياً للأحاديث الواردة فيما ذُكِر من أن الوليد بن يزيد هو فرعون الأمة. كما أنه أفاد الدراسة بتعليقات جيِّدة حول بعض الأحاديث المتعلِّقة بالمُلْك والخلافة ومدى علاقة بني أمية بها؛ كحديث سفينة رضي الله عنه: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً»، وحديث الاثني عشر خليفة.

(النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم) لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ): والمقريزي من العلماء والمؤرِّخين المشهورين بكثرة التصانيف[2]، منها هذه الرسالة التي أورد فيها المؤلف عدة أحاديث في بني أمية تحت اسم: (فصل فيما ورد في بني أمية)، وتتعلَّق بذمٍّ بني العاص أو بني الحكم. كما أورد أحاديث الشجرة الملعونة في القرآن وليلة القدر عن بني أمية، وأكثر هذه الأحاديث ضعيفة أو مُنكَرة أو موضوعة. كما أن المقريزي أوردها باستفاضة أكثر في كتابه الآخر (إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة

---

(١) البداية، ٦/٢٠٧-٢٦٠.

(٢) للاستزادة عن المقريزي راجع: ابن حجر، أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج٩، ص١٧١، ١٧٢. للاستزادة عن منهجه انظر مقدِّمة التحقيق: المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد النميسي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص٧-١٠، ٣٨.

والمتاع)، وهو كتاب يُعدُّ ضمن المصنَّفات في السيرة والدلائل والشمائل، وقد عقد فيه عدة فصول في الأحاديث الواردة في بني أمية؛ فعقد فصلاً بعنوان: (يزيد بن معاوية وإحداثه في الإسلام الأحداث العظام)[١]، وفصلاً بعنوان: (إخباره ﷺ بأن جباراً من جبابرة بني أمية يَرْعَفُ على منبره فكان كما أخبر)[٢]، وآخر عن: (إخباره ﷺ بتمليك بني أمية)[٣]، وفصلاً بعنوان: (إخباره عليه الصلاة والسلام بالوليد وذمِّه)[٤]، كما عقد فصلاً بعنوان: (إشارته ﷺ إلى خلافة عمر بن عبد العزيز)[٥]. ويُلاحَظ التفاوت بين الكتابين من حيث الأسلوب والمنهج؛ فأسلوب المقريزي في كتاب (النزاع والتخاصم) يظهر عليه عبارات الشتم والسب والقذف واللعن التي يُستبعد أن تصدر من المقريزي؛ إذ لا يتَّفق ذلك ومكانته العلمية؛ فهو معروف بعلوِّ قَدْره وعلمه، وفي المقابل فإن الكتاب يعكس غلواً في مدح الهاشميين، الأمر الذي يثير الشك في نسبة الكتاب إلى المقريزي، فيمكن أن يكون منحولاً عنه، وهو ما سعت الدراسة إلى توضيحه وبيانه. وأما منهجه في كتابه (إمتاع الأسماع) فقد رتَّبه ترتيباً علمياً منظَّماً في نحو (اثني عشر مجلداً)، وقد اعتمد المقريزي على مصادر الحديث، وأما ما يتعلق بأحاديث بني أمية فقد اعتمد كثيراً على دلائل النبوة للبيهقي، إلا أن المقريزي لم يكن ناقداً لهذه الأحاديث إلا فيما ندر؛ فقد اكتفى بذكر مَن أوردها.

(تاريخ الخلفاء) للسيوطي: والسيوطي من المصنِّفين المكثرين في التأليف في جلِّ العلوم، ومنها التاريخ. و(تاريخ الخلفاء) هو تاريخ مُوجَز لسيرة الخلفاء من

---

(١) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٠-٢٧٢.

(٢) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٣-٢٧٩.

(٤) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٥) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٨٢-٢٨٤.

أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى خلافة المتوكِّل على الله العباسي بمصر (٨٨٤ - ٩٠٣هـ)[١]. وقد قدَّم السيوطي في أول كتابه موضوعات مهمة احتاجت إليها الدراسة؛ كما هو في مدَّة الخلافة في الإسلام كحديث سفينة وحديث الاثني عشر خليفة والأحاديث الواردة في قيام الدولة الأموية. وعلى الرغم من مكانة السيوطي العلمية إلا أنه أسهم في تشويه سمعة بني أمية من خلال ذكره أحاديث ضعيفة بل موضوعة أحياناً دون تعليق منه أو نقد، وهذا لا يُستغرب منه ـ رحمه الله ـ فقد أشار العلماء إلى تساهُله في الحديث، وأنه يذكر غرائب وأباطيل لا يُعتدُّ بها[٢]. فالسيوطي من الذين أشاروا إلى الأحاديث النبوية الواردة في بني أمية بكثرة؛ فقد أورد عنواناً مُميَّزاً تحت اسم: (فصل في الأحاديث المُنذِرة بخلافة بني أمية)[٣]، وساق تحته أحاديث سورتي الكوثر والقدر وغيرها من أحاديث في ذمِّهم؛ كصعودهم منبر النبي ﷺ. كما ذكر السيوطي عدة أحاديث عندما ترجم للخلفاء بني أمية خليفةً خليفةً، ومن هؤلاء: معاوية بن أبي سفيان، ويزيد ابنه، والوليد بن يزيد.

كما عقد السيوطي في كتابه (الخصائص الكبرى) ـ الذي يعدُّ ضمن مصنَّفات السيرة والشمائل والدلائل ـ عدَّة فصول أورد فيها أحاديث ضعيفة تتعلَّق ببني أمية؛ مثل: (باب في إخباره ﷺ بالخلفاء بعده ثم الملوك وخلافة الأربعة ومعاوية

---

(١) انظر: فاروق عبد المعطي، جلال الدين السيوطي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص٣٨-٤٧.

(٢) ذكر الإمام السخاوي عدة ملاحظات على السيوطي؛ منها: أنه ناقل غير مدقِّق، كما أنه كثير التصحيف والتحريف. شمس الدين محمد السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، د. ط، (بيروت: دار الجيل، د. ت)، ج٤، ص٦٥-٧٠. كما أشار ابن عراق الكناني في مقدِّمته إلى الكثير من أخطاء السيوطي وتساهله في النقد، انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، ١/٣، ٤.

(٣) انظر: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمود الحلبي، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ)، ص١٨-٢٢.

وبني أمية)(١). ويُلاحَظ أن السيوطي في (الخصائص) كان مجرَّد ناقل للأحاديث؛ إذ لم يعلِّق عليها واكتفى بذكر أسانيدها، بينما نجده في (تاريخ الخلفاء) يورد بعض الأحاديث وينتقدها أحياناً بإشارته إلى ما يعضدها من شواهد وروايات. كما يُلاحَظ أن بعض الأحاديث التي ذكرها السيوطي في (تاريخ الخلفاء) وفي (الخصائص الكبرى) ولم يُعلِّق عليها قد أشار إلى أنها موضوعة في كتاب آخر، هو (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، وفي ذلك دلالة على تباين منهج السيوطي من كتاب لآخر، ويظهر ذلك جلياً في الكتابات التاريخية.

(سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للإمام الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ) : والشامي محدِّث ومؤرِّخ له عدة تصانيف(٢)، منها : كتاب (سبل الهدى والرشاد)، وهو كتاب يهتم بالسيرة والشمائل والدلائل في نحو (اثني عشر مجلداً)، وقد أورد فيه عدة أحاديث عن بني أمية ضمن باب : (في إخباره ﷺ بولاية بني أمية)(٣)، فقدَّم فيه أحاديث في لعن الحَكَم وما في صلبه من بعده، كما أورد أحاديث في ظلم بني الحَكَم للناس بعدة روايات، كما ذكر أحاديث في استياء النبي ﷺ من بني أمية، كما عقد عدة أبواب عن خلفاء بني أمية؛ مثل باب : (في إخباره ﷺ بولاية معاوية)(٤)، وذكر فيه أكثر من عشرة أحاديث. كما عقد باباً بعنوان : (في إخباره ﷺ بولاية يزيد وأنه أوَّل مَن يُغيِّر أمر هذه الأمة)(٥)، وساق تحته عدة أحاديث. ومنهج الشامي في استعراضه أحاديث بني أمية يتباين

---

(١) انظر : الخصائص الكبرى، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٢، ص١٩٢.

(٢) راجع : ابن العماد، شذرات الذهب، ٨ / ٢٥٠.

(٣) انظر : محمد يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق : عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (بيروت : ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١٠، ص٩٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد، ١٠ / ٨٧، ٨٨.

(٥) سبل الهدى والرشاد، ١٠ / ٨٩.

بين النقل والنقد؛ فهو يكتفي أحياناً بذكر مَن أخرج الأحاديث ولا يعلِّق عليها، وأحياناً يقدِّم نقداً لسنده مُورِداً تضعيفه.

كما استفادت الدراسة من عدة مصادر متنوعة؛ مثل الرسائل السياسية حول بني أمية للجاحظ عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)[١]، وترويجه العديد من الأحاديث النبوية في جواز لعنهم، بل تكفيرهم، وهو في ذلك يمثِّل جانب المعتزلة في فكرهم تجاه الحكم الأموي.

كما استفادت الدراسة من بعض المصادر الشيعية التي شاركت المصادر التاريخية في ذكر أحاديث عن بني أمية، لكنها بالغت في سرد الأحاديث الموضوعة في ذمِّهم؛ مثل: كتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد عبدالحميد ابن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٥هـ)[٢]، وهو كتاب جامع لخطب ورسائل وحِكَم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأغلب ما في كتاب (شرح نهج البلاغة) منسوب للإمام علي رضي الله عنه، وهو غير صحيح؛ لأنه يحمل أقاويل نُسبت له ولا يمكن أن تصدر عنه، ولأن فيه السبَّ والحطَّ من قَدْر الصحابة، كما تُوجد به أحاديث موضوعة، بالإضافة إلى ترويجه العقائد الشيعية كالوصاية والوراثة، ناهيك من أن مؤلِّفه من الغالين في التشيُّع[٣]، كما أنه ممن تأثَّر بالفكر المعتزلي؛

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب المصنَّفات، أشهرها: (الحيوان) و(البيان والتبيين)، تُوفِّي ٢٥٥هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/٥٢٦-٥٣٠. ميزان الاعتدال، ٣/٢٤٧. ابن كثير، البداية، ١١/٢٢.

(٢) ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد... عز الدين المدائني، الكاتب الشاعر الشيعي الغالي، له (شرح نهج البلاغة) في عشرين مجلداً، ولد بالمدائن سنة ٥٨٦هـ، ثم سار إلى بغداد فصار أحد الكتَّاب والشعراء بالديوان، كان حظياً عند الوزير ابن العلقمي لما لهما من المناسبة والمقاربة في التشيُّع والأدب، مات سنة ٦٥٥هـ. ابن كثير، البداية، ١٣/٢١٣.

(٣) ذكر الشيخ محمد العربي التباني أن نسبة الكتاب للإمام علي رضي الله عنه دعوة باطلة من عشرة أوجه. انظر: تحذير العبقري من محاضرات الخضري أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٢، ص١١١-١١٤.

فهو دائم الاستشهاد برؤوس المعتزلة[1]، وعلى رأسهم الجاحظ المعروف بعداوته للأمويين. والمهم هنا الأحاديث النبوية المتعلِّقة بالتاريخ الأموي؛ إذ أورد المؤلف عدَّة أحاديث ضعيفة في ذمٍّ بني أمية نقلها عن مصادر الحديث؛ مثل: أحاديث ظلم بني العاص للناس، وأحاديث لعن النبي ﷺ الحكم بن أبي العاص وطرده، وما قيل عن لعن عائشة رضي الله عنها مروان وأباه، وما ورد في تفسير الشجرة الملعونة بأنها بنو أمية، واستياء النبي ﷺ منهم حين رآهم في المنام يَنْزُونَ على منبره كالقردة، وأن الألف شهر التي وردت في سورة القدر هي أيامهم. كما ذكر ابن أبي الحديد أحاديث موضوعة في ذمِّهم لم توردها مصادر الحديث المشهورة، وسيأتي بيان ذلك وتوضيحه.

كما استفادت الدراسة من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) حول العديد من المسائل الحديثية التاريخية المتعلقة بتاريخ بني أمية، وذلك من خلال مصنَّفَيْه: (منهاج السنة النبوية)، و(الفتاوى). كما استفادت الدراسة من تعليقات ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) حول حديث سفينة، وتوضيحه وشرحه بإسهاب مفهوم المُلْك والخلافة والفرق بينهما، وذلك من خلال مقدِّمته وتاريخه.

---

(١) المعتزلة: ويُلقَّبون بالقدرية والعدلية، وهي فرقة نشأت في العصر الأموي، والأكثرون على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وقد كان ممَّن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي، وفي ذلك المجلس ثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر، وهي مسألة نفي إيمان مرتكب الكبيرة؛ فقد قال واصل مخالفاً للحسن: «أنا أقول: إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين»، ثم اعتزل مجلس الحسن، وهذا الاسم اشتُقَّ من اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. واشتهر المعتزلة بأصولهم الخمسة وأقوالهم في: التوحيد، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: أبا الفتح محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَانِيّ، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج١، ص٤٣-٤٦. عبد القاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق، ط٥، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١٥، ٩٤، ٩٥. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د. ط، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩م)، ج١، ص١٢٤-١٢٦. المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٢٣٤-٢٣٦.

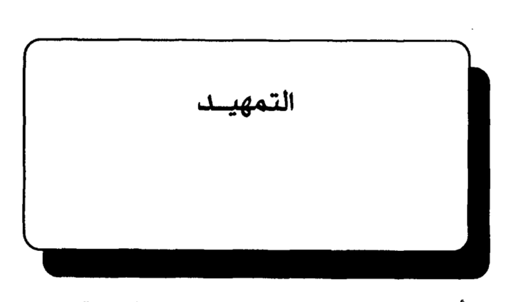
كما استعانت الدراسة بكتاب (قيد الشريد في لعن يزيد) لابن طولون شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ) الذي نقل أقوال العلماء في لعن يزيد وتكفيره والأحاديث التي اعتمدوا عليها في جواز لعنه.

كما استفادت الدراسة من كتب الفِرَق لبيان عقائد بعضها، وكتب الأعلام والتراجم للتعريف ببعض الشخصيات البارزة، ومعاجم البلدان للتعريف ببعض الأماكن.

كما استفادت الدراسة من بعض المراجع الحديثة، ومن ذلك كتاب (أغاليط المؤرِّخين) الذي أشار فيه مؤلِّفه الشيخ أبو اليسر عابدين إلى بعض الأحاديث الواردة في بني أمية وبعض خلفاء دولتهم؛ مثل: مروان بن الحكم والوليد بن يزيد وغيرهما، مستنكراً لها، لكنه لم يفصِّل أو يشير إلى المصادر التاريخية التي تناولتها، ولم يُعْطِها حقَّها من البحث والدراسة سوى إشارات يسيرة[١]. كما استفادت الدراسة من تعليقات بعض المعاصرين على بعض الأحاديث الواردة في لعن بني أمية وتفسير الشجرة الملعونة بأنها بنو أمية، ودور العباسيين في نشرها، ومن ذلك: كتاب (ضحى الإسلام) لأحمد أمين، وكتاب (التاريخ الأموي) لمحمود شاكر، وكتاب (مأساة سقوط دمشق) لصلاح الدين المنجد.

كما استفادت الدراسة من العديد من البحوث والدراسات المنهجية والرسائل العلمية التي تتعلَّق بمنهجية بعض المؤرِّخين والمحدِّثين في الكتابة التاريخية ومواردهم؛ مثل: موارد الخطيب البغدادي، وموارد تاريخ دمشق، وموارد تاريخ ابن كثير. كما استفادت الدراسة من بعض المراجع التاريخية المهتمة بالمنهجية التاريخية وعلاقتها بمنهجية المحدِّثين من خلال مؤلَّفَي أكرم العمري: (دراسات تاريخية) و(السيرة النبوية الصحيحة)، ومؤلَّفَي محمد بن صامل السلمي: (منهج كتابة التاريخ الإسلامي)، و(منهج نقد الروايات التاريخية).

(١) محمد أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرِّخين، د. ط، (دمشق: نشر محمد عزيز عابدين، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م)، ص١٤٦، ١٤٧، ١٦١.



التمهيد

المبحث الأول: أهمية الحديث النبوي للدراسات التاريخية

المبحث الثاني: بنو أُميَّة.. نسبهم ومكانتهم في عهد النبوة والراشدين

المبحث الأول
أهمية الحديث النبوي للدراسات التاريخية

أولاً: الحديث.. مفهومه وأهميته

الحديث أصله ضد القديم؛ أي الجديد. وشرعاً: ما يُضاف إلى النبي ﷺ(١).

واختلف العلماء في تعريف الحديث: هل يُطلق على السُّنَّة، أم بينهما فرق؟(٢).

والحديث في اصطلاح المحدِّثين مرادف للسُّنَّة، وهو: ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة(٣).

ويحتل الحديث مكانة عالية؛ إذ يعدُّ ثاني أدلَّة علوم الإسلام ومادة الأصول والأحكام(٤)، قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال رسول الله ﷺ: « ... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ »(٥).

---

(١) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أحمد هاشم، د. ط، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص٢٣.

(٢) للسُّنَّة عدة تعريفات، فعند الأصوليين: ما نُقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. وعند الفقهاء: تُطلق أحياناً على ما يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه. وعند المحدِّثين: تاتي بمعنى الحديث. انظر: أحمد هاشم، السنة النبوية وعلومها، ط٢، (د. م: مكتبة غريب، د. ت)، ص١٥-٢٤. الصباغ، الحديث النبوي، ص١٢٠-١٢٤. خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدِّثين، ١/ ٢٥.

(٣) محمد عجاج الخطيب، السُّنَّة قبل التدوين، ط٣، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٢٠-٢٢. الصباغ، الحديث النبوي، ص١١٨، ١٢١. إبراهيم النعمة، الواضح في مصطلح الحديث، ط١، (عمَّان: دار النفائس، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٢١.

(٤) الحسين الطيبي، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٣٣.

(٥) انظر: حديث العِرْبَاض بن سَارِيَة في سنن أبي داود (باب لزوم السنة). عون المعبود شرح سنن أبي داود، شرح أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١٢، ص٢٣٤، ٢٣٥.

وقد أبرز علماء السلف أهمية الحديث ومكانته وفضل مَن اشتغل به، فصدروا بذلك مقدّماتهم. يقول الإمام النووي في مقدّمته لشرح صحيح مسلم: «إن الاشتغال بالحديث من أجلّ العلوم الراجحات، وأفضل أنواع الخير، وآكد القربات»(١). ويقول الإمام السيوطي: «إن علم الحديث رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر»(٢).

ثانياً: تدوين الحديث (السُّنَّة)

اختلف السلف في كتابة الحديث، فكرهها طائفة؛ مثل: عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، وأباحها طائفة؛ مثل: علي بن أبي طالب، وابنيه الحسن والحسين، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، ثم أجمعوا فيما بعد على جوازها(٣).

ومن أدلة المانعين للكتابة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئاً إلاَّ القُرْآنَ، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»(٤). ومن أدلة المجيزين حديث أبي شاهٍ اليمني رضي الله عنه الذي التمس من رسول الله ﷺ أن يكتب له شيئاً مما سمعه منه في خطبته بمكة عام الفتح، فقال رسول الله ﷺ: «اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ»(٥). وكذلك حديث ابن عباس رضي الله

(١) يحيى بن شرف الدين النَّوَوِيّ، صحيح مسلم بشرح النووي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٢.

(٢) السيوطي، تدريب الراوي، ص١٩.

(٣) مقدّمة ابن الصلاح، ص١١٩. السيوطي، تدريب الراوي، ٢/ ٦١.

(٤) انظر باب ذكر كراهية كتابة العلم، أبو عمر يوسف بن عبد البَرّ، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، ص٢٦٨. وانظر أيضاً: باب التثبُّت في الحديث وحكم كتابة العلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/ ١٠١. مقدمة ابن الصلاح، ص١١٩.

(٥) انظر: باب ذكر الرُّخصة في كتابة العلم، ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/ ٢٩٨. أحمد بن=

عنهما قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعُهُ قال: «ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ»(١). وأيضاً سماح النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص بالكتابة عنه(٢).

وقد كان المنع في بداية الأمر خشية اختلاط القرآن بغيره، وعندما شاع القرآن وانتشر بين المسلمين انتفت حكمة المنع ونُسخ بأحاديث أخرى؛ كحديث أبي شاهٍ وحديث ابن عباس رضي الله عنهم. كما كان النهي لعامة الناس، بينما أذن الرسول ﷺ بالكتابة لـمَن كان يثق في ضبطه ودقَّته وعدم خلطه بين الحديث والقرآن؛ كعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهم. فالنهي متقدِّم، والإذن ناسخ له(٣).

إلا أن الخلاف زال وأجمع المسلمون على تدوين الحديث. قال ابن الصلاح: «ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة»(٤).

ولقي تدوين الحديث عناية فائقة منذ وقت مبكر، وكانت توجد عند بعض الصحابة صحائف كثيرة دوَّنوا فيها ما سمعوه من رسول الله ﷺ؛ مثل صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص المعروفة بـ(الصادقة)، وصحيفة أبي هريرة، وصحيفة جابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين(٥).

= علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، ط١، (القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ج١، ص٢٤٨. وانظر أيضاً: النووي، شرح صحيح مسلم، (كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها)، ٩/ ١٩٠، ص١٠٧-١١٠.

(١) النووي، شرح صحيح مسلم، ١١/ ٧٥. ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٥١.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/ ٢٩٩، ٣٠٠. ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٥١.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: النووي، شرح مسلم، ٩/ ١١٠، ١١١، ١٨/ ١٠١، ١٠٢. مقدِّمة ابن الصلاح، ص١١٩. ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٥١-٢٥٣. السيوطي، تدريب الراوي، ٢/ ٦٣.

(٤) مقدمة ابن الصلاح، ص١١٩.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/ ٢٩٩، ٣٠٠. ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٤٨، ٢٤٩.

ولكن هذا العمل كان فردياً؛ إذ لم يسمح الخلفاء الراشدون بتدوين الحديث بشكل رسمي إلى أن جاء عصر عمر بن عبد العزيز فأمر بتدوين السُّنَّة على رأس المائة الأولى، فاستجاب لهذا الطلب عالم المدينة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)[١].

ولما جاء العصر العباسي وانتصف القرن الثاني الهجري بدأ التأليف في الحديث في عدة أمصار، واضطلع بهذه المهمة كثير من العلماء، أشهرهم: مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ). ويتميز التدوين خلال هذه الفترة بأن الحديث كان ممزوجاً غالباً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ورُتِّبت الأحاديث على أبواب الفقه، كما في موطَّأ مالك[٢].

ثم ظهرت بعد ذلك خطوة جديدة على رأس المائتين تقريباً، وهي استقلال الحديث عن الفقه بظهور كتب المسانيد؛ كمسند أبي داود، التي جمعت الأحاديث نسبةً إلى كل راوٍ على حدة؛ أي أن لكل صحابي مسنداً خاصاً بالأحاديث التي رواها[٣].

واستمر التدوين إلى أن جاء القرن الثالث الهجري الذي يعدُّ العصر الذهبي لتدوين السنة، بل كان أزهى عصور الإسلام في العلوم شتى؛ إذ ظهر الأفذاذ والعمالقة الذين وقفوا حياتهم لطلب الحديث والرحلة من أجله؛ مثل: أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابُورِيّ، ومحمد بن عيسى الترمذي، ومحمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه[٤].

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٥١.

(٢) أحمد أمين، ضُحى الإسلام، ط٨، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م)، ج٢، ص١٠٧، ١٠٨. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٦٠. الصباغ، الحديث النبوي، ص٣٨.

(٣) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/ ١٠٨، ١٠٩. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٦٠. الصباغ، الحديث النبوي، ص٣٩.

(٤) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/ ١٠٩. الصباغ، الحديث النبوي، ص٣٩. إبراهيم النعمة، الواضح، ص١٦، ١٧.

وخلال هذا القرن أيضاً نشطت حركة الجمع والنقد وتمييز الصحيح من الضعيف، وأُلِّفت فيه أهم كتب الحديث[1].

وقد تتبَّع العديد من الباحثين المُحْدَثين مراحل تدوين الحديث، وخلصوا إلى أن المنع في بداية الأمر كان بسبب الخوف من اختلاط السنة بالقرآن والانشغال بغير القرآن. وعندما زالت الموانع أُبيحت الكتابة، فليس هناك تعارض بين أحاديث النهي والإباحة. كما أنهم ذكروا أن تدوين الحديث مرَّ بعدة مراحل: فكان في بداية الأمر في كراريس صغيرة سُمِّيت باسم صحيفة، وهذا في عصر الصحابة وأوائل التابعين خلال القرن الأول الهجري، ثم ظهرت المُصنَّفات المُرتَّبة على طريقة الفقهاء أبواباً وفصولاً في القرن الثاني الهجري، ثم ظهرت كتب المسانيد وكتب الصِّحاح في بداية القرن الثالث الهجري، ثم ظهرت كتب المنهجية والأصول في الحديث[2].

ثالثاً: علم أصول الحديث

تطورت كتابة الحديث خلال العصور الإسلامية وتميَّزت بميزات عديدة أسهمت في ظهور مصنَّفات مختلفة، وأصبح للحديث عدة علوم لها قواعدها وأُسسها. وظهر ما يُعرف بعلم أصول الحديث أو علم المصطلح، وهو علم يهتم بأصول وقواعد تُعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد[3]، أو هو العلم الذي يبحث في تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، ويبيِّن الشروط المطلوبة في الراوي والمروي[4].

---

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/١٠٩.

(٢) انظر: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي تعريب: محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل، د. ط، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د. ت)، ج١، ص٨٨-٩٠. صالح أحمد العلي، دراسات في تطوُّر الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٨٠-٨٦. محمد عجاج الخطيب، السُّنَّة قبل التدوين، ص٣٤٠-٣٤٢.

(٣) محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، د. ط، (د. م: دار التراث العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص١٣.

(٤) محمد بكار، أسباب ردّ الحديث وما ينتج عنها من أنواع، ط٢، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص١٣٩.

ويمكن عدُّ القرن الرابع الهجري مرحلةَ استقلاليةِ هذا العلم؛ إذ أفرد له علماء المصطلح الكتب المستقلَّة(١)، وكان أول مَن أفرده بالتصنيف القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرَّامَهُرْمُزِيّ (ت ٣٦٠هـ)، ثم ظهرت عدة مؤلَّفات في علم المصطلح، أشهرها: (الكفاية في علم الدراية) للخطيب البغدادي، و(علوم الحديث) المشهور بـ(مقدمة ابن الصلاح) لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرُزُورِيّ(٢).

ومنذ القرن الخامس تقريباً استقرَّ منهج المحدِّثين في كتب مصطلح الحديث على يد الخطيب البغدادي؛ إذ لم تلحق به إضافات أساسية، ولم يتعرَّض المنهج لتعديل جوهري سوى إضافات في جزئيات القواعد العامة على يد الإمام شمس الدين محمد الذهبي، والحافظ إسماعيل بن كثير، والحافظ أحمد بن حجر العسقلاني(٣).

وينقسم علم الحديث إلى قسمين:

أ- علم الحديث رواية: ويتعلَّق بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته من حيث نقل كل حديث وضبطه وتحرير ألفاظه.

ب- علم الحديث دراية (علم أصول الحديث): ويُطلق على التمحيص والنقد لمعرفة شروط الرواية وأنواعها وحال الرُّواة(٤).

والفرق بينهما أن الرواية تتعلَّق بدقة نقل الحديث وضبطه، والدراية تهدف إلى معرفة القواعد التي يُحكم بها على السند بالصحة أو الضعف، وإلى فهم متن الحديث فهماً سليماً(٥).

---

(١) محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص٩.

(٢) للاستزادة عن أشهر المُصنَّفات في علم المصطلح انظر: ابن حجر العسقلاني، شرح النخبة (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)، تحقيق: نور الدين عتر، ط٢، (بيروت: دار الخير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٣٣-٣٦.

(٣) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ط٢، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج١، ص١٣، ١٤.

(٤) السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢١.

(٥) أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٣٦٣. إبراهيم النعمة، الواضح، ص٢٨، ٢٩. الصباغ، الحديث النبوي، ص١٥٠، ١٥١.

ومن أشهر علوم الحديث:

– علم الجرح والتعديل: ويبحث في جرح الرواة وتعديلهم؛ أي الطعن في الراوي أو تعديله بالتوثيق[١]. (دراية)

– علم تاريخ رجال الحديث: ويتعلَّق برواة الحديث وتاريخهم ونشأتهم وتلامذتهم ورحلاتهم[٢]. (دراية)

– علم مُخْتَلِف الحديث (مُشْكِل الحديث): ويبحث في الأحاديث التي ظاهرها التعارُض من حيث إمكانية الجمع بينها، أو تقييد مطلقها، أو تخصيص عامِّها. ولا يقوم بهذا العلم إلا الأئمة الغوَّاصون في المعاني والبيان[٣]. (رواية)

– علم الناسخ والمنسوخ من الحديث: ويبحث في الأحاديث المتعارضة في الأحكام التي تقرِّرها ليُميِّز الناسخ من المنسوخ[٤]. (رواية)

– علم عِلَل الحديث: ويبحث في الأسباب الخفيَّة الغامضة التي يمكن أن تقدح في صحة الحديث[٥]. (رواية)

– علم غريب الحديث: ويبحث في الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وتفسير في الحديث بسبب غرابةٍ أو غموضٍ[٦].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص٨٤-٩٥. الطيبي، الخلاصة، ص٨٥، ٨٦. للاستزادة انظر: الصباغ، الحديث النبوي، ص١٥٢. الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص٩. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٣٦٤.

(٢) للاستزادة عن تفاصيل هذا العلم انظر: الطيبي، الخلاصة، ص٩٧-١١٩. مقدمة ابن الصلاح، ص٩٦-١١٦. وانظر أيضاً: الصباغ، الحديث النبوي، ص١٥٨، ١٥٩. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٣٦٨.

(٣) مقدمة ابن الصلاح، ص١٧٢، ١٧٣. الطيبي، الخلاصة، ص٥٩. وانظر أيضاً: أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٣٧٢.

(٤) مقدمة ابن الصلاح، ص١٦٦-١٦٨. الطيبي، الخلاصة، ص٦٠.

(٥) الطيبي، الخلاصة، ص٦٩. للاستزادة انظر: الصباغ، الحديث النبوي، ص ١٦٢. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٣٧٥.

(٦) مقدمة ابن الصلاح، ص١٦٤، ١٦٥. الطيبي، الخلاصة، ص٦٢. الصباغ، الحديث النبوي، ص١٦٣. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٣٧٣.

رابعاً: العلاقة بين التاريخ والحديث

الارتباط بين علم الحديث وعلم التاريخ لا يخفى على الدارسين والباحثين؛ فالعِلْمان يتشابهان من حيث النشأة والتكوين واشتراك المادة العلمية بينهما؛ كالسيرة النبوية والمغازي والفتوح الإسلامية والتراجم، ومن حيث طريقة الكتابة والتأليف، ومن حيث المنهجية في قبول الخبر ونقده وشروط الراوي، وغير ذلك مما سيأتي توضيحه.

ومن تأمَّل أعلام الكتابة التاريخية على مرِّ العصور الإسلامية يجد أن العديد منهم كان رأساً وعَلَماً في الحديث، وقد ارتكزت كتاباتهم التاريخية على الإسناد كما هو في علم الحديث، ومن هؤلاء: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ)، ومحمد بن جرير الطبري، والخطيب البغدادي، وابن عساكر الدمشقي، والإمام الذهبي، والحافظ ابن كثير، وغيرهم.

وتأكيداً لهذه العلاقة بين التاريخ والحديث عدَّ السخاوي (ت ٩٠٢هـ) التاريخ فناً من فنون الحديث(١). وقال سفيان الثوري: «لما استعمل الرُّواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»(٢).

فالعِلْمان من حيث النشأة يعتمدان على الرواية (الإسناد) والدِّراية (المتن)؛ فطبيعة علم التاريخ لا تختلف عن طبيعة علم الحديث. كما أن بدايات التأليف التاريخي عند المسلمين كانت وثيقة الصلة بالحديث والسُّنَّة؛ إذ يشتركان في السيرة النبوية والمغازي والجهاد وأخبار الفتوحات، بل إن أقدم الكتب التي تجمع بين التاريخ والحديث هي كتب المغازي والسِّيَر، وكان من أبرز دوافع التدوين التاريخي سيرة المصطفى ﷺ(٣).

---

(١) شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، د. ط، (الرياض: مكتبة الساعي، د. ت)، ص٦١.

(٢) السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ، د. ط، (الكويت: الدار السلفية، د. ت)، ص٢٧.

(٣) سيدة كاشف، التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٦م)، ص٢٤-٢٦. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط١،=

وبذلك يمكن القول: إن التدوين الحقيقي للتاريخ بدأ مُلازماً للحديث من القرن الثاني الهجري(١)؛ فقد بدأ التاريخ الإسلامي على شكل حديث، كما في كتب الحديث من مغازٍ وسِيَر، ثم تطوَّر إلى أن صار كتباً قائمة بنفسها، ومما يدلُّ على ذلك أن كتب التاريخ الأُولى؛ كسيرة ابن هشام وما يرويه ابن جرير الطبري في تاريخه، تكاد تكون على نمط أهل الحديث وأسلوبهم(٢). وقد أكَّد العديد من الباحثين أن الأَخْبَارِيِّين الأوائل اقتفوا أثر علماء الحديث في تدوين الأخبار موثَّقة بالأسانيد(٣).

ومن أوجه التقارب بين الحديث والتاريخ أن أسباب الوَضْع والكذب في العِلْمَيْن تتشابه إلى حدٍّ بعيد. ومن تلك الأسباب: العامل السياسي، والعامل المذهبي، ودور القُصَّاص، والتقرُّب إلى الحكام(٤). وسيأتي توضيح ذلك بإسهاب في مبحث أسباب الوضع(٥).

= (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص١٤٩، ١٦٨، ٢٧٧-٢٧٩. عبد العليم خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، ط٢، (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص ٣٨-٨٥.

(١) سيدة كاشف، التاريخ الإسلامي، ص٢٥.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، ط١٦، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ص٢٢٣.

(٣) محمد بن صامل، منهج نقد الروايات التاريخية، ط١، (الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٦. عبد العليم خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، ص٨٤. عثمان موافي، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، ط٢، (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٦م)، ص١٩٨، ١٩٩. محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطوُّر الفكر التاريخي، مجلة المؤرِّخ، ع٢٣، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٧٨. بشار عواد معروف، أصالة الفكر التاريخي عند العرب، المؤتمر الدولي للتاريخ ١٩٧٣م، (بغداد: منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ص٩١٣.

(٤) انظر أسباب الوضْع والكذب في الحديث النبوي والروايات التاريخية في: ابن حجر، لسان الميزان، ١/ ١٠-١٣. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط١، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ج١، ص٣٦-٤٤. وانظر أيضاً: أسباب الكذب عند المؤرِّخين، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، د. ط، (بيروت: دار إحياء التراث، د. ت)، ص٣٥-٣٦.

(٥) انظر: الفصل الأول من الرسالة، ص ٩١-٩٥.

خامساً: نقد النص بين المُحدِّثين والمؤرِّخين

يتشابه نقد النص عند المؤرخين تشابهاً كبيراً مع نقد النص عند المحدثين؛ فالروايات التاريخية تشبه الأحاديث من حيث وجود الأسانيد التي تتقدَّم المتون؛ فالمعلومات المتوفِّرة عن الرُّواة تُستمدُّ من كتب علم الجرح والتعديل التي وضعها علماء الحديث[١].

ويرى أحد الباحثين «أن دراسة علم الرجال بصورة دقيقة وعميقة من الأمور الضرورية لنجاح البحوث التاريخية»[٢]؛ فالقواعد التي حرَّرها علماء الحديث في نقد الروايات يمكن الاستفادة منها في التعاطي مع تاريخ صدر الإسلام، ويمكن تطبيقها إلى حدٍّ كبير على الروايات التاريخية مع الأخذ في الحسبان طبيعة علم التاريخ ومادَّته[٣].

والأسئلة التي يُمكن طرحها هنا هي:

- هل يمكن تطبيق قواعد المحدِّثين على نقد الروايات التاريخية؟
- هل يتطلَّب قبول الرواية التاريخية الشروط نفسها المطلوبة لقبول الرواية الحديثية؟[٤].

يرى بعض الباحثين أنه لا يمكن تطبيق قواعد المحدِّثين على الروايات التاريخية؛

---

(١) العمري، السيرة النبوية، ١/ ٣٩.

(٢) بشار معروف، أصالة الفكر التاريخي عند العرب، ص٩١٢.

(٣) محمد بن صامل، منهج نقد الروايات التاريخية، ص٦، ٢١، ٢٢.

(٤) ذكر الكافِيَجيّ أن ما يُشترط في المؤرِّخ يُشترط في راوي الحديث، وهو أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة. انظر: محمد بن سليمان الكَافِيَجِيّ، المختصر في علم التاريخ، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٧٠. للاستزادة عن شروط المؤرِّخ انظر: تاج الدين السُّبْكِيّ، قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرِّخين، جمع وتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (حلب: دار الوعي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص٧١-٧٣. لمعرفة صفة مَن تُقبل روايتُهُ انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص٨٤-٨٦. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص٨٠-٩٠.

لأن في ذلك إجحافاً بالتاريخ، بل يجب أن تكون هناك مرونة؛ لأن المحدِّثين يتساهلون في الأخبار التاريخية[١]؛ فثقات المؤرِّخين أمثال ابن إسحاق وابن خياط والطبري يكثرون من الأخبار الضعيفة[٢]، ومن ثَمَّ فاشتراط الصحة التي عند المحدثين في كل رواية تاريخية نريد قبولها فيه تعسُّف؛ لأن ما تنطبق عليه هذه الشروط لا يكفي لتغطية العصور المختلفة للتاريخ الإسلامي؛ مما يولِّد فجوات في تاريخنا؛ لذلك يكفي في العصور اللاحقة التأكُّد من عدالة المؤرِّخ وضبطه لقبول ما يسجِّله، مع استخدام قواعد النقد التي هي عند المحدِّثين في الترجيح عند التعارُض بين المؤرخين[٣].

والمُلاحَظ أن تطبيق منهج النقد على الخبر التاريخي خلال القرون الثلاثة الأولى بدأت حدَّتُها تقلُّ عند مؤرِّخي ما بعد السِّيرة[٤]. كما أن استعمال السَّنَد في كتب التاريخ لم يكن بالدقَّة نفسها التي استُعمل بها في كتب الحديث، كما أن اهتمام المسلمين بالتاريخ لم يكن مثل الحديث الذي يُعدُّ من أُسُس التشريع؛ مما أدَّى إلى التساهل في استعمال الأسانيد[٥].

ولا ريب أن للحديث أهمية خاصَّة تترتَّب عليها الأحكام الشرعية ذات المساس

---

(١) العمري، دراسات تاريخية، ط١، (المدينة المنورة: المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٦، ٢٧. يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهَّدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص٣٦، ٣٧. محمد بن صامل، منهج كتابة التاريخ، ص٢٤٥، ٢٤٦. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، ص٩٤، ٩٥.

(٢) العمري، السيرة الصحيحة، ١/ ٣٩.

(٣) العمري، دراسات تاريخية، ص٢٧. العمري، السيرة الصحيحة، ١/ ٤٥.

(٤) عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، ص٢٦٦.

(٥) بشار معروف، أصالة الفكر التاريخي، ص٩١٤، ٩١٥. محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين، ص٢٧٩.

بمصالح الناس، أما الخبر التاريخي فيغلب عليه البُعد عن الغرض الديني والتشريعي؛ مما أضعف الدقَّة في النقد[١]؛ لذا فقد أجاز الكافِيَجيُّ (ت ٨٧٩هـ) رواية المؤرِّخ للضعيف بقوله: «يجوز له ذلك في باب الترغيب والترهيب والاعتبار مع التنبيه على ضعفه، ولكن لا يجوز له ذلك في ذات الباري عز وجل وفي صفاته ولا في الأحكام»[٢]. فالأخبار التاريخية إذا كانت تتعلَّق بموضوع عَقَدي أو شرعي؛ كالحلال والحرام أو ما يدخل في سبِّ المسلم أو تنقصِّه، فلا بد من التثبُّت من رُواتها ومعرفة نَقَلَتِها[٣].

ومما سبق يتَّضح أن الروايات التاريخية لم يتمّ لها النقد نفسه في روايات الحديث، بل حدث تساهل في ميدان التاريخ[٤]؛ فتطبيق قواعد الحديث في التاريخ أمر نسبيٌّ تحدِّده طبيعة الروايات[٥] وما يترتب عليها من أحكام شرعية[٦].

وبذلك يمكن القول: إن خطوات نقد النص عند المؤرخين تتشابه إلى حدٍّ كبير مع خطوات نقد النص عند المحدثين، والفارق في ذلك الدقة العلمية والمطلب الديني والشرعي عند علماء الحديث؛ لأن الحديث تشريع ودين فلا بد من العناية به عناية فائقة.

---

(١) عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، ص٢٦٦. بشار معروف، أصالة الفكر التاريخي، ص٩١٦. محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين، ص٢٧٩.

(٢) الكافيجي، المختصر، ص ٧٠، ٧١.

(٣) محمد بن صامل، منهج كتابة التاريخ، ص٢٤٦. العمري، السيرة الصحيحة، ١/ ٤٠.

(٤) محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين، ص٢٨١.

(٥) انظر مبحث منهج كتابة التاريخ الإسلامي في: محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ١/ ٩٥.

(٦) عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف وحُكْم الاحتجاج به، ط١، (الرياض: دار المسلم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص٣٢٣.

سادساً: أهمية الحديث في الدراسات التاريخية

ما من شكٍّ في أثر المؤرخين في منهج المحدثين وتأثُّرهم به؛ مما أكسب التاريخ أهمية. ومن دلائل هذا التأثير أن الكتابة التاريخية منذ البداية اهتمَّت بالأسانيد؛ كمغازي الواقدي، وسيرة ابن إسحاق، وطبقات ابن سعد، وغيرها. وقد استفاد المؤرخون من الشروط التي وضعها المحدثون لقبول الرواية الحديثية، وحاولوا تطبيقها على الرواية التاريخية(١). كما أن المؤرخين استخدموا بعض صيغ الجرح والتعديل(٢) التي استخدمها المحدثون لتقييم الرواة(٣)، وهذا نلمسه في كتابات ابن عساكر وابن كثير والذهبي.

ويقرِّر أحد الباحثين (النصارى) المُنصفين أن علماء الحديث أتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال في أُسُسها وجوهرها مُحترمةً في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا(٤).

وقد حاول بعض العلماء تطبيق منهج المحدثين على الروايات التاريخية، ونجحوا إلى حدٍّ كبير في الحُكْم على كثير من الروايات التاريخية بالضعف أو الوضع؛ مثل اجتهادات القاضي أبي بكر ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (العواصم من القواصم).

---

(١) محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين، ص٢٨٠. عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، ص١٩٩.

(٢) مراتب التعديل: ثِقَة أو مُتْقِن، ثَبْت أو حُجَّة، ثِقَة حَافِظ، شَيْخ أو مُقَارِب، يُكْتَب حديثُهُ، يُنْظَر فيه. ومراتب الجرح: أكْذَب الناس، دجَّال، وضَّاع، كذَّاب، ليِّن، سيِّئ الحِفْظ، فيه مَقَال، متروك، ليس بالقويّ ضعيف الحديث، متروك الحديث. انظر تفصيل ذلك في: مقدِّمة ابن الصلاح، ص٩٤-٩٦. ابن حجر، شرح النخبة، ص١٣٣-١٤٤.

(٣) بشار معروف، أصالة الفكر التاريخي، ص٩١٤. محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين، ص٢٨٠.

(٤) انظر: أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط١، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١١، ٤٢، ٤٣، ٨٠.

فالحافظ ابن كثير مثلاً جمع في تاريخه (البداية والنهاية) الكثير من أخبار وتاريخ القرن الأول الهجري من دواوين وكتب المحدثين، وقدَّم فيها دراسة نقدية جيدة؛ مما سهَّل على الباحثين مشقَّة التنقيب عن المواد التاريخية الموجودة في كتب المحدثين(١)؛ لذا لا يُستغرب تحذير بعض العلماء من كتابات بعض المؤرخين ووصفهم بالجهالة والتعصُّب وأنهم يعتمدون على النقل دون التوثيق(٢).

كما أن علم الحديث قدَّم مادة تاريخية مهمة تتعلق بالمناقب والمعجزات(٣) والدلائل(٤) والخلافة والفتن(٥) والملاحم(٦) من خلال كتب الصِّحاح والسنن؛

---

(١) انظر: مسعود الرحمن الندوي، الإمام ابن كثير: سيرته ومؤلَّفاته ومنهجه في كتاب التاريخ، ط١، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٢٣١.

(٢) انظر: أبا بكر ابن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، تخريج وعناية: محمود الإستانبولي ومحمد جميل غازي، ط٢، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٢٦٠. ابن السبكي، قاعدة في المؤرخين، ص٦٩.

(٣) المعجزة: من الإعجاز؛ أي أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، وهي على ضربين: ضرب هو من نوع قدرة البشر لكنهم عجزوا عن الإتيان بمثله؛ كتعجيزهم أن يأتوا بمثل القرآن، وضرب آخر خارج عن قدرة البشر كإحياء الموتى، وهو خاص ببعض الأنبياء. انظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د. ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) الدَّلالة: بفتح الدَّال وكسرها، والمراد بها: الإرشاد. والدلالة من النبي ﷺ تعني بيان الرأي المحمود الذي ثبت من أقواله وأفعاله بطريق التنصيص (نصاً) أو بطريق الإشارة. ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٣٤٢.

(٥) الفتن: من الفتنة، وهي الامتحان والاختبار، وكثر استعمالها في المكروه، واستُعملت بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق. انظر: مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: صلاح عويضة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص٣٦٨، مادة (فتن).

(٦) المَلاحِم: بفتح الميم وكسر الحاء، جمع مَلْحَمَة، وهي الوَقْعَة العظيمة. انظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، د. ط، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢م)، ص٢٤٨، مادة (لحم). وفي النهاية: هي الحرب وموضع القتال، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمَة الثوب بالسَّدَى. وقيل: هو من اللَّحْم لكثرة لُحوم القتلى فيها. ابن الأثير، النهاية، ٤/ ٢٠٦، ٢٠٧، مادة (لحم).

كصحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي والنسائي، ومسند أحمد بن حنبل، وغيرها. وقد لَقِيَتْ كتب الصحاح والسنن الشرح والتعليق من قِبل العلماء والفقهاء والمحدِّثين؛ مما أسهم في إلقاء الضوء على بعض الأحداث التاريخية وتحليلها وتحقيق رواياتها(١).

وفي الآونة الأخيرة ظهرت عدَّة دراسات تاريخية استفادت من كتب الحديث وأسهمت في تقديم صورة تاريخية منقَّحة عن أحداث الصدر الأول في العهدَيْن الراشدي والأموي(٢). ونظراً إلى الشبه الكبير بينهما روايةً ودرايةً فقد قدَّمت كتب الحديث مادة تاريخية متميِّزة، خصوصاً في الجرح والتعديل، فأسهمت في تمحيص كثير من الأخبار الصادقة من الكاذبة.

وخلاصة ما سبق فإن لعلم الحديث فضلاً كبيراً على الدراسات التاريخية، وذلك من خلال المنهجية والأُسُس العلمية التي وضعها العلماء في قبول الأخبار وروايتها ونقدها وتحقيقها وَفْق قواعد محكمة؛ مما يؤكِّد العلاقة الوطيدة بين التاريخ والحديث.

---

(١) على سبيل المثال: انظر ما كتبه ابن حجر عن موقف ابن عمر رضي الله عنهما من ثورة أهل المدينة على يزيد وثورة عبد الله بن الزبير على بني أمية في: فتح الباري، ١٢/ ٢٨٧. وانظر أيضاً: فتح الباري، ١٣/ ٧٧.

(٢) على سبيل المثال: يحيى اليحيى، الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري لابن حجر العسقلاني، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤١٢هـ). موسى الموسى، النصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن فترة الخلفاء الراشدين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤١٦هـ).

المبحث الثاني

بنو أمية: نسبهم ومكانتهم في عهد النبوة والراشدين

أولاً: نسبهم ومكانتهم

يرجع نسب بني أمية(١) إلى قُرَيْش(٢)، ويشتركون مع بني هاشم في عبد مَنَاف(٣) بن قُصَيّ بن كِلاب(٤)، وينتسبون لأمية الأكبر الجد الأعلى للأمويين ابن عبد شمس أكبر أبناء عبد مناف(٥). وعبد شمس كان تاجراً من سادات قريش،

---

(١) انظر: شجرة النسب الأموي وخلفاء الدولة الأموية ضمن ملاحق الرسالة، ملحق (١)، ص ٤٦٥.

(٢) قُرَيْش من التقرُّش؛ أي التجمُّع، وسُمِّيَتْ بذلك لتجمُّعها على يَدَيْ قُصَيّ بن كِلاب. انظر: عبد الملك المَعَافِرِيّ، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، تحقيق: محمد علي القطب ومحمد الدالي بلطة، ط١، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج١، ص٩٤-٩٦. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٤٢. محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج١، ص٥٧. أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ج٣، ص٢٦٦. وقيل: إن اسم قريش من القَرْش؛ لأنها تَتَّجِرُ. وقيل: نسبةً إلى حوت في البحر. انظر: محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي صالح ملحس، ط٦، (مكة: دار الثقافة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، ص١٠٨.

(٣) عبد مَنَاف بن قُصَيّ: المغيرة، ويُدْعَى القمر لجماله، جعلته أُمُّه حُبَّى بنت حُلَيْل خادماً لمناف أعظم أصنامهم تديُّناً وتبرُّكاً، فسُمِّيَ عبد مناف، وهو الذي اختطَّ مكَّة رباعاً. انظر: أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج١، ص٥٩. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/ ٦٠، ٦١.

(٤) قُصَيّ بن كِلاب: كان يُسمَّى زيداً، ويُسمَّى مجمعاً لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبنى لها دار النَّدوة. اهتم بالسِّقاية والرِّفادة والحجابة واللواء وجعلها بيده إلى أن مات. انظر: ابن سعد، الطبقات، ١/ ٥٥-٦٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٥٥-٥٩. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٢. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرُّسُل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ج٢، ص٢٥٤-٢٦٠. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/ ٢٦٦.

(٥) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٧. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/ ٢٧٠.

وقد ترأس وفداً إلى الحبشة لإبرام اتفاقية تجارية كما فعل إخوته هاشم ونوفل والمطلب في إبرام اتفاقية الإيلاف، وهي كتاب أمان بين قريش والدول المجاورة؛ كالدولة البيزنطية في الشام، والفارسية في العراق، وبلاد اليمن(١).

وأعقب عبد شمس ثمانية أبناء وثلاث بنات، هم: أمية الأكبر، وأمية الأصغر، وحبيب، وربيعة، وعبد أمية، ونوفل، وعبد العزى، وعبد الله الأعرج. والبنات: أميمة، وسبيعة، ورقية(٢).

ويعدُّ أمية الأكبر من سادات قريش، أُسندت إليه قيادة الحرب بعد أبيه، وتميَّز بكثرة المال(٣)، وكان ضمن وفد قريش الذي قدم إلى ملك اليمن سيف بن ذي يزن لتهنئته بإخراج الأحباش من بلاد اليمن(٤).

وينقسم أبناء أمية الأكبر إلى قسمين:

القسم الأول: الأعياص، وهم العاص وأبو العاص وأبو العيص والعويص أبناء أمية بن عبد شمس(٥). وأشهر مَن برز من هذا البطن عفان والحكم ابنا أبي

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٦٦، ٦٧. ابن سعد، الطبقات، ٣/٦١. للاستزادة عن اتفاقية الإيلاف انظر: محمد بن حبيب البغدادي، المنمّق في أخبار قريش، تعليق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٤٣، ٤٤. أبو هلال العسكري، الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، ط١، (طنطا: دار البشير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٢٦.

(٢) انظر: أبا عبد الله المصعب الزبيري، كتاب نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفينسال، ط٣، (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ص٩٧، ٩٨. البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/٧، ٨. ابن قتيبة، ص٤٣، ٤٤. علي بن أحمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٧٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٦٨.

(٤) وكان الوفد مكوَّناً من: عبد المطلب بن هاشم، وعبد الله بن جُدْعان، ورياح بن عبد الله. انظر: ابن حبيب، المنمّق، ص٤٢٧.

(٥) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٧٨. البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/٨. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٣. ابن عبد ربه، العقد، ص٢٧٠.

العاص. وعفان هذا كان من الشخصيات المرموقة في قريش، وليس له عقب سوى عثمان رضي الله عنه[١]. أما الحكم بن أبي العاص أبو مروان فقد عُرف بعدائه للرسول ﷺ، لكنه أسلم بعد فتح مكة، وهو جدُّ الفرع المرواني في الأسرة الأموية[٢].

القسم الثاني: العنابس، وسُمُّوا بذلك لأنهم عقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً في حرب الفجار[٣] وكانوا كالأسود في القتال، فأُطلق عليهم العنابس[٤]. وهم: عنبسة أبو سفيان أكبر أبناء أمية، وإخوانه: سفيان، وأبو حرب، وحرب، وعمرو، وأبو عمرو. وبرز منهم حرب بن أمية الذي ترأس قريشاً بعد وفاة عبد المطلب، وكان قائدها في حرب الفجار الأخيرة[٥]. وبعد حرب جاء ابنه أبو سفيان صخر بن حرب الذي قاد قريشاً في حروبها ضد الرسول ﷺ، وورث القيادة الحربية والتجارية؛ فقد كان عظيم المال شديد المحبة في قومه، وكان من دُهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم[٦].

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٣.

(٢) ابن حبيب، المنمّق، ص٣٨٦. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٧. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤.

(٣) حرب الفِجَار: حرب قامت بين قريش وكنانة من ناحية وقيس عيلان من ناحية أخرى، وسُمِّيت بذلك بسبب تعدٍّ بالقتل في الشهر الحرام، واستمرَّت أياماً. وقد حضر رسول الله ﷺ الفِجَار الرابع مع أعمامه وعمره عشرون عاماً. انظر: ابن حبيب، المنمّق، ص١٦٤-١٧١. سيرة ابن هشام، ١/١٣٧-١٣٩. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٢. ابن سعد، الطبقات، ١/١٠٢، ١٠٣.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/٩. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٢٧٠. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٧٩.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١١٥. سيرة ابن هشام، ١/١٣٨.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١١، ١٢. وانظر أيضاً كتاب الكُنَى: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي معوض وعادل عبد المقصود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٤، ص٢٤٠. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٨٠.

ثانياً: دور الأسرة الأموية في عهد النبوة والراشدين

وقفت الأسرة الأموية من الدعوة الإسلامية في بدايتها مواقف متباينة شأنها شأن الأُسَر الأخرى من قريش؛ كبني مخزوم وبني زهرة وغيرهما.

ووُجِدَ من بني أمية المؤيِّد والمبارك لهذه الدعوة والداعم بماله ونفسه؛ كعثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما أم حبيبة زوج النبي ﷺ، ومنهم المعارض والمعادي لها والصَّادُّ عنها كأبي سفيان في بداية الأمر.

ولا شك أن قريشاً عارضت دعوة الرسول ﷺ لأنها تخالف معتقداتهم التي تلاشت أمام الحُجَج الدامغة والآيات المعجزة، ولأنها ستسلب منهم أيضاً ـ كما يعتقدون ـ الحُكْم والسلطان، وستضعف قوَّتهم الاقتصادية بمكة وتُنزِل من مكانتهم؛ لأنهم سيجلسون مع الرقيق، وهو أمر لم يألفوه من قبلُ[1].

ولأن زعامة قريش آلت إلى أبي سفيان في عهد النبوة كان لا بد من توجُّه الأنظار إليه بوصفه زعيم أقوى وأشرف وأهم قبيلة عربية ليقف في وجه الدعوة.

وعلى رغم عداء أبي سفيان للدعوة الإسلامية إلا أن بعض المصادر أشارت إلى مواقفه الإيجابية من النبي ﷺ، ومن ذلك ما ذكره البلاذري من أن أبا سفيان عندما عاد من الشام ـ قُبيل إسلامه ـ ومعه ابنه معاوية وزوجته هند بنت عتبة التقى في الطريق مع النبي ﷺ، فطلب أبو سفيان من ابنه معاوية أن ينزل عن حماره ليركب محمد ﷺ، فغضبت لذلك زوجته هند وقالت: «أينزل ابني لهذا الصابئ؟!»، فقال لها: «نعم، إنه خير منك ومني ومن ابنك»[2]. وعندما لطم أبو جهل فاطمة

---

(١) انظر ما دار بين رؤساء قريش والنبي ﷺ وعرضهم عليه المال والحُكْم في: سيرة ابن هشام، ١/٢١٤-٢٢٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/١٥٨، ١٥٩. للاستزادة عن أسباب معارضة قريش للدعوة انظر: عبد الرحمن السنيدي، المواجهة الاقتصادية بين المسلمين وقريش في العهد النبوي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٢١، (١٤١٩هـ)، ص٣٧٤-٣٧٦.

(٢) انظر الخبر عن طريق المدائني في: البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣، ١٤. كما أورد ابن عساكر هذا الخبر بلفظ مختلف قليلاً، انظر: علي بن الحسين بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،=

بنت النبي ﷺ استنجدت بأبي سفيان، فرجع معها وأمرها بلطمه قائلاً: «الطميه قبّحه الله»، فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: «اللَّهُمَّ لا تَنْسَهَا لأَبِي سُفْيَانَ»[1]. كذلك وصف أبو سفيان النبي ﷺ بخير الصفات، فقدَّم صورةً صادقةً عن صدقه وأمانته وشرفه عندما كان في مجلس قيصر الروم[2]. ومن ذلك أيضاً أن النبي ﷺ كان إذا اشتدَّ عليه الأذى دخل دار أبي سفيان لطلب الأمان[3]. كما أن حادثة سماع أبي سفيان القرآن خُفْيةً مع بعض رؤساء مكة عدَّة مرات فيها إشارة لمواقفه الإيجابية في بداية الدعوة[4]. كذلك كان النبي ﷺ يُهديه تمر العجوة من المدينة، ويطلب منه الأُدْم[5]، فيرسله له أبو سفيان[6].

ويؤكِّد بعض الباحثين[7] أن المصادر لم تُشِرْ إلى عداء سافر أو مباشر من أبي سفيان تجاه النبي ﷺ، إلا أن أبا سفيان تغيَّرت مواقفه من الدعوة الإسلامية،

= تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢٣، ص٤٤٠.

(١) تعالى الله عن النِّسيان، لكنَّ الباحث أوردها كما هي في رواية المدائني: البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ١٤.

(٢) انظر الحادثة بأكملها في كتاب بدء الوحي من طريق حديث أبي اليمان: ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٤٢، ٤٣.

(٣) صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١٦، ص١٦٥. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٣، ص٣٣٣.

(٤) انظر القصة في: سيرة ابن هشام، ١/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٥) الأُدْم: بالضم، وهو ما يُؤكَل مع الخبز أيَّ شيء كان، وهو الإدَام بالكسر، قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ». انظر: ابن الأثير، النهاية، ١/ ٣٥، مادة (أدم).

(٦) ذكرها ابن حجر عن ابن سعد، ولم يَقف الباحث عليها عند ابن سعد. انظر: الإصابة، ٣/ ٣٣٣.

(٧) حسين مؤنس، تاريخ قريش، ط١، (جدة: الدار السعودية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٣٥٤. إحسان العمد، الجذور التاريخية للأسرة الأموية، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، م١٧، ع١١٣، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص٤٨، ٤٩.

وبخاصة بعد أن ازدادت قوة المسلمين وأصبحوا يهدِّدون قريشاً في تجارتها بعد هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، فأصبحت قريش تخاف على تجارتها. ويرجع سبب تغيُّر مواقف أبي سفيان إلى خوفه من ضعف مركزه(١).

وقد شارك أبو سفيان في عدَّة مواقف ضد الدعوة الإسلامية؛ منها: قيادته مئتي راكب من قريش للأخذ بثأر قتلى قريش في غزوة بدر الكبرى (٢هـ)، وهو ما يُعرف عند المسلمين بغزوة السَّويق(٢)، وقيادته قريشاً في غزوة أحد (٣هـ)، ودوره في جمع القبائل (الأحزاب) ضد المسلمين بالمدينة في غزوة الخندق (٥هـ)(٣).

وحينما تغيَّر ميزان القوى لصالح المسلمين بعد فشل الأحزاب تغيَّرت مواقف أبي سفيان؛ إذ جنح للسَّلْم ومسالمة المسلمين، ومما يؤكد ذلك موقفه من صلح الحديبية (٦هـ) عندما نقضَتْه قريش، ومحاولته تجديد الصلح، والذهاب إلى النبي ﷺ لتخفيف وقْع ذلك عليه باعتذاره منه، فرفض النبي ﷺ عُذْرَه(٤). كما كان له موقف جيِّد من جيش فتح مكة (٨هـ) عندما نصح أهل مكة بعدم المقاومة بعد أن أرضاه النبي ﷺ بالمقولة المشهورة: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»(٥).

وقد أسلم أبو سفيان يوم الفتح وحَسُن إسلامه، فهو من المُؤلَّفة قلوبُهم، وقد شارك مع المسلمين في غزوة حنين وغزوة الطائف التي فقد فيها إحدى عينيه،

(١) انظر ما دار بينه وبين النبي ﷺ من حوار أورده البلاذري عن المدائني في: أنساب الأشراف، ٥/١٦.

(٢) غزوة السَّويق: غزوة أرسلها النبي ﷺ لملاحقة أبي سفيان ومَن معه بعد أن أغار على أطراف المدينة وقتل أحد الأنصار وحرق بعض البيوت ثم فرَّ، ولم يدركهم الصحابة ووجدوا السَّويق الذي تركه أبو سفيان ومن معه، فأحضروه إلى النبي ﷺ، فسُمِّيت بذلك. انظر: سيرة ابن هشام، ٣/٤٠، ٤١. ابن سعد، الطبقات، ٢/٢٢، ٢٣.

(٣) عن دوره انظر: ابن سعد، الطبقات، ٢/٢٨ وما بعدها، و٥٠ وما بعدها. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٢/١٠٥، ١٠٦.

(٤) انظر تفصيل ذلك في: ابن سعد، الطبقات، ٢/١٠٢.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ٢/١٠٣. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/٢٤٠، ٢٤١.

وشارك في معركة اليرموك (١٥هـ) ومعه زوجته هند، فكانا يحرِّضان المسلمين على الجهاد، فذهبت عينه الثانية فيها، وكان تحت راية ابنه يزيد، وكان يقول: «يا نصر الله اقترب»[١].

كما حرص أبو سفيان على مشاركة بنيه في الجهاد ونصرة الدين قائلاً لهم: «إن هؤلاء الرَّهط من المهاجرين سبقونا فرفعهم سَبْقُهم وقَصُر بنا تخلُّفنا»[٢].

وبعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ومنهم كثير من بني أمية، ظهرت مواهبهم الإدارية والقيادية فشاركوا في الفتوح والإدارة والكتابة وغير ذلك، فقد كان رسول الله ﷺ أوَّل مَن عقد لهم الولاية، فولَّى عتَّاب بن أَسِيد ابن أبي العيص بن أمية على مكة بعد فتحها وهو فتى حديث السن، واستكتب معاوية بن أبي سفيان أميناً على الوحي[٣]. كما أن هناك الكثير من بني أمية استكتبهم رسول الله ﷺ؛ مثل: عثمان بن عفان، وعبد الله بن أبي السَّرْح[٤]، وخالد بن سعيد بن العاص[٥]، وأَبَان بن سعيد بن العاص[٦] رضي الله عنهم أجمعين.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٤-١٧. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٥. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ٢٤٠، ٢٤١. عز الدين ابن الأثير، أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ٢/ ٤٤٢، ٤/ ٤٧٣. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٢/ ١٠٥، ١٠٦. ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٧.

(٣) ابن العربي، العواصم، ص٢٤٨.

(٤) عبد الله بن سعد بن أبي السَّرْح: له صُحْبة، وهو أخو عثمان من الرَّضاعة، أسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام، غزا إفريقية، وغزا الروم في ذات الصَّواري، تُوفِّي في خلافة عليّ. ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٣٤٤، ٣٤٥. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٣/ ٣٣-٣٥.

(٥) خالد بن سعيد بن العاص: أبو سعيد الأموي، أسلم مبكراً وهاجر إلى الحبشة، استعمله النبي ﷺ على صنعاء باليمن، استشهد في أجنادين. انظر: ابن سعد، الطبقات، ٤/ ٧٠-٧٥. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٢٦٠.

(٦) أَبَان بن سعيد بن العاص: أبو الوليد الأموي، أسلم متأخراً، استعمله النبي ﷺ على البحرين، واستشهد في أجنادين. انظر: ابن الأثير، أُسْد الغابة، ١/ ٤١-٤٣. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٢٦١.

ومن الناحية الإدارية، فقد ولّى رسول الله ﷺ بعضهم على الصدقات وعلى بعض الحواضر؛ فقد استعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات اليمن(١)، وولّى عمرو بن سعيد بن العاص(٢) على وادي القرى بين المدينة والشام(٣)، وولّى أَبَان بن سعيد بن العاص على البحرين(٤).

وفي عهد الخلفاء الراشدين تولّى الأمويون عدة مناصب قيادية وجهادية تدلُّ على مدى عبقرية وسُؤدَد هذه الأسرة، ومن هؤلاء: يزيد بن أبي سفيان الذي شارك في فتوح الشام وولي دمشق في عهد أبي بكر وعمر، ثم مات وخلفه أخوه معاوية الذي أقرَّه عمر، ثم ولي معاوية الشام كلَّه مدة عشرين عاماً في عهد عثمان(٥)، وخالد بن سعيد بن العاص الذي حمل لواءً عقده له الصِّدِّيق إلى مشارف الشام، واستشهد في موقعة مَرْج الصُّفَّر (١٥هـ)(٦).

كما أن العديد من بني أمية استشهدوا في الفتوح؛ مثل: سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص استشهد في اليرموك(٧)، وأَبَان بن سعيد استشهد في أجنادين

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٧٢. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٠. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٢٦٠.

(٢) عمرو بن سعيد بن العاص الأموي: صاحب الهجرتين، شهد مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً والطائف، واستشهد في اليرموك، ويُقال: في أجنادين. ابن سعد، الطبقات، ٤/ ٧٥، ٧٦. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٢٦١.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨١.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨١. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ١/ ٤٣.

(٥) الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٦) مَرْج الصُّفَّر: معركة حدثت في الشام بين الروم والمسلمين، وانتصر فيها المسلمون، واستشهد فيها عدد كبير من المسلمين، منهم خالد بن سعيد بن العاص. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٢-١٦٤. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٠، ٨١. وقد اختلف المؤرِّخون في تحديد وقتها، فقيل: ١٣هـ، وقيل: ١٤هـ، وقيل: ١٥هـ. انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص١٢٠. الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٣/ ٥٩٨.

(٧) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨١. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٢/ ٣٢٧.

(١٣هـ)[١]، وسعيد بن سعيد بن العاص استشهد في الطائف[٢].

إلا أن أمر بني أمية زاد وارتفع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قرَّبهم إليه وولَّى كثيراً منهم على الأقاليم، فكان مروان بن الحكم كاتبه، ومعاوية بن أبي سفيان واليه على الشام كلِّه، وعبد الله بن أبي السَّرْح أخوه من الرضاعة واليه على مصر والمغرب[٣]، وعيَّن عثمان على الكوفة أخاه من أُمِّه الوليد بن عقبة[٤] ثم عزله وولَّى بعده سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحَة[٥]، كما ولَّى عثمان رضي الله عنه على البصرة ابن خاله عبد الله بن عامر بن كُرَيْز[٦]. وقد اتُّهم عثمان رضي الله عنه بتولية أقاربه من بني أمية وإعطائهم أكثر من حقِّهم، فدافع عن نفسه ودافع عنه الكثير من المُنصِفين[٧].

من خلال هذا العرض المُوجَز لهذه المناصب والمكانة التي تولَّتها الأسرة الأموية

(١) أجنادين: وقعة حدثت بين المسلمين والروم عام ١٣هـ في عهد الصِّدِّيق رضي الله عنه، وانتصر فيها المسلمون، واستشهد فيها أَبَان بن سعيد. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٦، ١٥٧. الذهبي، سِيَر اعلام النبلاء، ١/ ٢٦١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٣٤٤، ٣٤٥.

(٤) الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط: أبو وهب الأموي، أخو عثمان لأُمِّه، أسلم يوم الفتح، بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المُصْطَلِق، وولاَّه عثمان على الكوفة. انظر: ابن سعد، الطبقات، ٢/ ١٢٢. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٣/ ٤١٢-٤١٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٢١-٢٣.

(٦) للاستزادة عن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز انظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٣٢-٣٦. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٣/ ١٨-٢١.

(٧) انظر تفاصيل تلك التُّهم وردّ عثمان عليها في: الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٤/ ٣٤٦-٣٤٨. وانظر أيضاً ما كتبه القاضي ابن العربي وشيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن عثمان في: ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٩٥ وما بعدها. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، (الرياض: د. ن، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج٦، ص٢٥٠، ٢٥١.

منذ الجاهلية وفي عصر النبوة والراشدين يتَّضح ذكاء هذه الأسرة ونجابتها؛ فقد توارثوا ذلك جيلاً بعد جيل. وقد أكد أحد الباحثين ذلك بقوله: «لو لم يكن بنو أمية على جانب من النبوغ ومعرفة ثاقبة بحُكْم الناس ما وَسَّد إليهم رسول الله ﷺ الولايات والأعمال العظيمة؛ فالوظائف الكبرى تُوسَّد في الدول لمَن يُوثَق بهم»[١].

وأما ما قيل من وجود عداء وتباغُض قديم بين الهاشميين والأمويين[٢] فهو مُبالَغات[٣]، ولا يعدو الأمر أن يكون من قبيل المنافسات التي كانت بين البيوت العربية في الجاهلية[٤].

وقد تتبَّع بعض الباحثين ما قيل عن العداء بين البيت الأموي والهاشمي منذ

---

(١) محمد كرد علي، مميزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م١٦، ع٧١، (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، ص٤١٣، ٤٥٣.

(٢) صَوَّرت المصادر العداء بين بني أمية وبني هاشم بشكل أسطوري خرافي حين أشارت إلى أن هاشماً وعبد شمس وُلِدَا توامين ملتصقين ففُرِّق بينهما بالسيف، فصار بينهما دم؛ أي عداء مُسْتَحْكِم. انظر: الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٢/ ٢٥٢. تقي الله المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم، تعليق: صالح الورداني، د. ط، (د. م، الهدف للإعلام، د. ت)، ص٣٨. ويُلاحظ أن الطبري والمقريزي في إسنادهما للخبر أورداه بلفظ (قيل)؛ مما يدلُّ على تضعيفه، ناهيك من أنه أسطوري خرافي.

(٣) أشار العديد من الدارسين إلى أن ما يُقال عن العداء القديم بين البيتين الأموي والهاشمي مُبالَغ فيه، بل يصل إلى درجة الوضْع. انظر: الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج٢، ص٩٧. إحسان العمد، الجذور التاريخية، ص٤٤. حمدي شاهين، الدولة الأموية المُفْتَرَى عليها، د. ط، (القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م)، ص١٠. محمد الصادق عرجون، الخليفة المُفْتَرَى عليه عثمان بن عفان، د. ط، (د. م: د. ن، د. ت)، ص١٥.

(٤) انظر: الخضري بك، الدولة الأموية، ٢/ ٩٧. عبد الشافي عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط٣، (القاهرة: دار الاتحاد التعاوني، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص٣، ٥٨٥. إحسان العمد، الجذور التاريخية، ص٤٤.

الجاهلية فوجد أن الشيعة وراء هذه الأساطير[1]، وأثبت وجود علاقات قوية ومُحترَمة بين البيتين منذ الجاهلية تدعمها الحقائق التاريخية، وأكبر مثال على ذلك تلك المصاهرات التي تمَّت بين البيتين منذ وقت مبكر واستمرت إلى وقت متأخر، ذاكراً تزويج النبي ﷺ ثلاثاً من بناته لبني أمية[2]. كما أشارت المصادر إلى وجود مودَّة قديمة بين العباس زعيم بني هاشم وأبي سفيان زعيم بني أُمية[3].

ولا شك أن لبني أمية مواقف إيجابية وأخرى سلبية مع بني هاشم في عهد الدولة الأموية، لكن أهل الأهواء من المؤرِّخين استغلُّوا المواقف السلبية وحوَّلوها إلى صراع وعداء أسطوري، بل أصبح مادة دسمة للطعن في الأمويين وسبِّهم والنَّيْل منهم وتصويرهم بأنهم حاقدون على الهاشميين[4]، وتعدَّى الأمر إلى درجة الانتقاص من مقدرتهم الإدارية[5] التي أثبت التاريخ تميُّزها من خلال اختيار النبي ﷺ

(1) الأساطير: الأباطيل أو الأقاويل الكاذبة، يُقال: سَطَّر فلان على فلان؛ إذا زخرف له الأقاويل ونمَّقها. انظر: الرازي، مختار الصِّحاح، ص١٢٥، ١٢٦، مادة (سطر). ابن الأثير، النهاية، ٢/٣٢٩.

(2) زوَّج النبي ﷺ ابنته زينب لأبي العاص بن ربيعة وهو أموي، وزوَّج ابنتيه أم كلثوم ثم رقية لعثمان بن عفان. إحسان إلهي ظهير، الشيعة وأهل البيت، ط٦، (لاهور: إدارة تُرجمان السُّنَّة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص١٤٠-١٤٤.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/٢٤٠. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٤/٤٧٢.

(4) انظر ما كتبتْهُ بعض المصادر عن العداء بين الهاشميين والأمويين. وقد أورد الجاحظ رسالةً عن (فضل هاشم على بني عبد شمس) انتقص فيها من قَدْر الأمويين وبالغ في ذمِّهم، وعقد مقارنات بينهم في الجاهلية والإسلام، وصَوَّر العداء بين الفريقين دون أي إنصاف. انظر: رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، تبويب وشرح وتقديم: علي أبو ملحم، ط١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م)، ص٤١٧-٤٢٤. وأبشع المصادر التي صوَّرت النزاع الهاشمي الأموي كتاب (شرح نهج البلاغة)؛ إذ وردت فيه قصص غريبة في الجاهلية والإسلام تناولت العلاقات بين البيتين بأسلوب خرافي لا يمكن تصديقه. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة للإمام عليّ رضي الله عنه، د. ط، (د. م، د. ن، د. ت)، مج٣، ج١٥، ص٤٦٧-٤٨٥. كما أشار المقريزي إلى ذلك العداء، انظر: النزاع والتخاصم، ص٣١، ٥٨.

(5) ذكر المسعودي عدة مطاعن في بني أمية، خصوصاً الفرع السفياني، منها: أنه لا يرى أهليَّتهم=

وخلفائه الراشدين لهم.

وهذه الدراسة لا تتبنَّى الدفاع عن الأمويين بمقدار ما سَتُورِدُه من مُبالَغات وتحامُلات على الأسرة الأموية خرجت عن مسار النقد التاريخي البنَّاء ودخلت في نطاق الحِزْبِيَّة والعصبيَّة التي دأبت هذه الدراسة على توضيحها وتبيين أثرها في الكذب على الأمويين.

فهذا حسين مؤنس يعقد فصلاً بعنوان: «مؤرِّخونا القدامى وموقفهم من بني أمية»، فبيَّن فيه أن الكثير من المؤرخين لم يُنصفوا بني أمية وصوَّروهم بأنهم ظَلَمَة وجبابرة، بل يذهب بعضهم في وصفهم إلى حدٍّ الكفر[1]. كما ذكر عبد الشافي عبداللطيف أن العديد من المؤرخين شوَّهوا تاريخ بني أمية وسوَّدوا صفحاتهم بسبب المُيُول والتعصُّب[2].

= الحُكْم، أو مقدرتهم على إدارة؛ فهم ليسوا لها أهلاً. انظر: أبا الحسن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج٣، ص٨٣. كما ذكر ابن أبي الحديد ما ذكره المسعودي، انظر: شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٦٨. كما طعن المقريزي في أهليَّتهم للخلافة، وأنه ليس لهم سابقة تؤهِّلهم لذلك، انظر: النزاع والتخاصم، ص٣١، ٣٢.

(١) انظر: حسين مؤنس، تنقية أصول التاريخ الإسلامي، ط٢، (القاهرة: دار الرشاد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٥٣.

(٢) عبد الشافي عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، المقدمة، أ-ج.

الفصل الأول: أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأسرة الأموية في الكتابات التاريخية

الفصل الأول

أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأسرة الأموية في الكتابات التاريخية

توطئة:

سبقت الإشارة إلى أن الحديث هو ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وهو مرادف للسُّنَّة[1]. ومن أقسامه: الحديث المرفوع، والحديث المقطوع، والحديث الموقوف. فالحديث المرفوع هو ما أُضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً عنه، سواء أكان سنده متَّصلاً أم منقطعاً أم مُرْسَلاً[2]، ويُسمَّى الحديث المرفوع أحياناً (الخَبَر)[3]. والحديث الموقوف هو ما جاء عن الصحابي قولاً أو فعلاً. وعند المحدِّثين يُطلق على المرفوع والموقوف اسم (الأَثَر)[4]. أما الحديث المقطوع فهو ما جاء عن التابعين موقوفاً عليهم من أقوالهم أو أفعالهم، ويُسمَّى أيضاً (الأَثَر)[5].

وهذه الدراسة ستقتصر على الأحاديث المرفوعة فقط الواردة عن النبي ﷺ، أما الأقوال والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في بني أمية فلا تدخل في إطار

---

(١) انظر: التمهيد، ص٥٣.

(٢) مقدمة ابن الصلاح، ص٤٢. ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، شرح: أحمد شاكر، عُني به: بديع السيد اللحام، ط١، (دمشق: دار الفيحاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص٥٤. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٤٩.

(٣) هناك خلاف في إطلاق لفظ الخبر على الحديث المرفوع؛ فأهل الفن عندهم الخبر مرادف للحديث، وقيل: إن الحديث ما جاء عن النبي ﷺ، والخبر ما جاء عن غيره؛ فالخبر أشمل من الحديث. انظر: ابن حجر، شرح النخبة، ص٣٧.

(٤) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٤٣، ٤٤. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٥٥. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٤٩، ١٥٠.

(٥) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٤٤، ٤٥. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٥٥، ٥٦. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٥٩.

الدراسة[١]، ويمكن الإشارة إليها عندما تكون مُدْرَجَة[٢] ضمن الأحاديث المرفوعة، كما يمكن الاستشهاد بها عند الحاجة إليها من باب التعضيد أو المتابعة أو بيان العلاقة.

وهذا الفصل سيتعرَّض لثلاثة مباحث: الأول منها عن أسباب الوضع في بني أمية، والثاني في الأحاديث الضعيفة الواردة فيهم، والثالث عن أثر هذه الأحاديث في الكتابات التاريخية.

(١) لأن في ذلك خروجاً عن أهداف الدراسة وزيادةً في حجمها، فعلى سبيل المثال: شخصية معاوية سيقت فيها عشرات الأقوال، كذلك عمر بن عبد العزيز، كما أن هذه الأقوال قد تحرِّكها طبيعة المواقف؛ فهناك أقوال مع بني أمية وأقوال ضدّهم.

(٢) الإدراج في اللغة: لفّ الشيء في الشيء، ويقال: درجْتُه وأدرجْتُه. ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢٦٩، مادة (درج). والحديث المُدْرَج: الذي يقع في متنه كلام ليس منه؛ أي زيادة من كلام الراوي. ويكون المدرج في أول المتن أحياناً أو في وسطه أو في آخره. والمدرج قسمان: مدرج الإسناد، ومدرج المتن. انظر: ابن حجر، شرح النخبة، ص٩٠، ٩١. للاستزادة انظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث: علومه ومصطلحه، ط٤، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٣٧٠، ٣٧١.

المبحث الأول

أسباب وضع الأحاديث في بني أمية

أولاً: الأحاديث الضعيفة وحُكم العمل بها

إن التطرُّق إلى أسباب وضع الأحاديث في بني أمية يعدُّ مدخلاً مهماً لهذا الفصل. ويحسُن قبل الخوض فيها التعريف بأقسام الأحاديث من حيث الصحة وحُكْم العمل بها.

فالحديث ينقسم من حيث الصحة، كما استقرَّ عند المتأخرين، إلى ثلاثة أقسام: صحيح، وحَسَن، وضعيف[1]. وقد كان ينقسم قبل ذلك إلى قسمين: صحيح وضعيف؛ لأن البعض كان يُدرج الحسن في الصحيح، إلى أن جاء الترمذي فقسَّم الحديث إلى ثلاثة أقسام[2].

١- الحديث الصحيح: كلُّ حديث استوفى الشروط الخمسة التالية: اتِّصال السَّنَد، وعدالة الرُّواة، وتمام ضَبْطِهم، وعدم الشُّذوذ، وعدم العلَّة[3]. والحديث الصحيح قسمان: صحيح لذاته، وصحيح لغيره. وحكمه: وجوب العمل به عند أهل الحديث والفقهاء[4].

٢- الحديث الحَسَن: كل حديث استوفى خمسة شروط: اتِّصال السند، وعدالة الرَّاوي، والسلامة من العلة، والسلامة من الشذوذ، وخِفَّة الضبط[5].

---

(١) مقدِّمة ابن الصلاح، ص١٥. مقدِّمة الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، ١/ ٣١. الطيبي، الخلاصة، ص٣٦. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٤٢.

(٢) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد بن قاسم، د. ط، (د. م، د. ن، د. ت)، ج١٨، ص٢٣- ٢٥. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٣٢. مقدِّمة ابن الصلاح، ص٣٩. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٤٣.

(٣) انظر تعريفات الصحيح في: مقدِّمة ابن الصلاح، ص١٦. الطيبي، الخلاصة، ص٣٩. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٣٢، ٣٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٤٣.

(٤) مقدِّمة ابن الصلاح، ص١٦.

(٥) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٤٢، ٤٣. الطيبي، الخلاصة، ص٣١-٣٣. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٤٧-٤٩.

والحسن قسمان: حسن لذاته وحسن لغيره. وحكمه كالصحيح وإن كان دونه في القوة، ويُحتجُّ به عند الجمهور[١].

٣- الحديث الضعيف: هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن المذكورة آنفاً[٢]، أو هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات القَبُول[٣]. ويتفاوت في الضعف حسب شدَّة ضعف راويه وخِفَّته؛ أي خِفَّة ضبطه. والضعيف أنواع عديدة جداً[٤]، سنعرض أشهرها مع التأكيد على أن هذه التعريفات المتعلقة بالأحاديث الضعيفة هي محل خلاف بين المحدِّثين قديماً وحديثاً، نذكر منها ما أوردته كتب المصطلح وما اشتهر واستقرَّ العمل به:

أ- الحديث المُرْسَل[٥]: ما رواه التابعي عن رسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً؛ أي ما سقط منه الصحابيُّ[٦]. وقد اختلف العلماء في قبول الحديث المرسل؛ فذهب جمهور العلماء والمحدِّثين وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول كالشافعي إلى أنه ضعيف لا تقوم به حُجَّة، ويرى مالك وأبو حنيفة أنه صحيح تقوم به الحُجَّة، وهو قول عند أحمد[٧].

---

(١) ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٤٦. السيوطي، تدريب الراوي ١/١٢٦.

(٢) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٣٩، ٤٠. الطيبي، الخلاصة، ص٤٨. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٥٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/١٤٤.

(٣) عن تعريفات الحديث الضعيف انظر: عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٥٥، ٥٦. محمد بكار، أسباب ردّ الحديث، ص٨، ٩.

(٤) انظر: مقدِّمة ابن الصلاح، ص٤٠. السيوطي، تدريب الراوي، ١/١٤٤، ١٤٥. عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٥٦، ٥٧.

(٥) المُرْسَل لغةً: اسم مفعول من أرسل بمعنى أطلق. انظر: محمد صديق المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، د. ط، (القاهرة: دار الفضيلة، د. ت)، ص١٠٩.

(٦) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٤٨-٥٠. السيوطي، تدريب الراوي، ١/١٥٩، ١٦٠. لزيادة التوضيح بالأمثلة انظر: محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٣٧، ٣٣٨. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٠٨.

(٧) انظر: مقدِّمة النووي لشرح صحيح مسلم، ١/٣٤. السيوطي، تدريب الراوي، ١/١٦٢. هناك خلاف في قبول المراسيل؛ فهناك مَن يرى قبول مراسيل الصحابة، وآخرون لا يحتجُّون بمراسيل الصحابة. للاستزادة انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ٧/٤٣٥.

ب- الحديث المُنْقَطِع[١]: ما لم يتَّصل إسناده؛ أي ما يسقط من إسناده رجل، أو يُذكر فيه رجل مُبْهَم. وأكثر ما يُستعمل في رواية مَن دون التابعي عن الصحابي[٢].

ج- الحديث المُعْضَل[٣]: ما سقط من إسناده اثنان فأكثر بشرط توالي السقوط[٤].

د- الحديث المُدَلَّس[٥]: الذي أُخفي فيه شيء من متمِّمات وضوح صحَّة روايته، ويُروى بألفاظ تحتمل السماع؛ مثل: (روى، قال، عن). وهو قسمان: تدليس الإسناد، وتدليس الشيوخ.

● تدليس الإسناد: هو أن يروي عمَّن لَقِيَهُ ما لم يسمعه منه مُوهِماً أنه سمعه منه، أو عمَّن عاصره ولم يَلْقَهُ مُوهِماً أنه قد لَقِيَهُ وسمعه منه[٦].

● تدليس الشيوخ: أن يأتي الراوي باسم الشيخ أو كُنيته على خلاف المشهور به تعميةً لأمره، وتوعيراً للوقوف على حاله[٧]. ويختلف الحكم على التدليس

---

(١) المنقطع لغةً: اسم فاعل من الانقطاع ضد الاتِّصال. انظر: المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١٣٥.

(٢) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٥٠، ٥١. الطيبي، الخلاصة، ص٦٦، ٦٧. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٧١، ١٧٢.

(٣) المُعْضَل بفتح الضاد لغةً: أمر عضيل؛ أي مستغلق شديد. مقدِّمة ابن الصلاح، ص٥٢.

(٤) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٥١-٥٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٧٤. للاستزادة عن ذلك بالأمثلة انظر: إبراهيم النعمة، الواضح، ص١٣٧. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢١٣.

(٥) المُدَلَّس لغةً: اسم فاعل من دلَّس. انظر: المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١٠٩.

(٦) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٥٨. الطيبي، الخلاصة، ص٧١. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٨٦-١٨٨. لتوضيح ذلك انظر: محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٤١. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢١٣.

(٧) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٥٩. الطيبي، الخلاصة، ص٧٢، ٧٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ١٩٠-١٩٢. للاستزادة انظر: محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٤٢. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢١٤.

حسب المقاصد، فإذا كان من غير قصد وجاء من إمام ثَبْت ثِقَة فتُقبل روايته، أما إذا جاء بقصد التعمية فيُكره، وقيل: يحرم(١).

هـ- الحديث المُعلَّل(٢): الذي اكتُشفت فيه علَّة تقدح في صحته وإن كان يبدو في الظاهر سليماً، وهو من أغمض علوم الحديث؛ إذ لا يقوم به إلا أهل الخبرة الطويلة والدُّربة المستمرة في الحديث. وتكون العلة تارة في المتن، وتارة في الإسناد(٣).

و- الحديث المُضْطَرِب(٤): الحديث الذي رواه الثقة أو الثقات على أوجه مختلفة في المتن أو السند، بشرط ألا يترجَّح بعضها على بعض. والاضطراب قد يكون في الإسناد، أو في المتن، أو فيهما معاً(٥).

ز- الحديث المقلوب(٦): الحديث الذي انقلب فيه على راوٍ بعضُ مَتْنِه، أو ما حدث فيه تقديم أو تأخير أو تغيير أو تبديل وهماً. ويكون القلب في المتن كأن تُوضع كلمة مكان أخرى، أو في السند كالخطأ في اسم راوٍ أو نَسَبِه(٧).

(١) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٥٩، ٦٠. للاستزادة انظر: إبراهيم النعمة، الواضح، ص١٤٤. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢١٤.

(٢) المُعلَّل لغةً: مفعول علَّل؛ بمعنى ألهاه بالشيء وشغله. انظر: المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١٢٢.

(٣) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٠-٧٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢١٠. الطيبي، الخلاصة، ص٦٩، ٧٠.

(٤) المُضْطَرِب بكسر الراء لغةً: اسم فاعل من الاضطراب، وهو اختلاف الأمر وفساده. المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١١٩.

(٥) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٣، ٧٤. الطيبي، الخلاصة، ص٧٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢٢٠-٢٢٥. للاستزادة عن ذلك انظر: محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٤٤، ٣٤٥. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢١٨.

(٦) المقلوب لغةً: اسم مفعول من القلب، وهو تحويل الشيء عن وجهه. انظر: المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١٢٧.

(٧) السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢٤٦-٢٤٩. محمد عجاج، أصول الحديث، ص٤٤٥، ٤٤٦. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢١٨، ٢١٩.

ح- الحديث الشاذّ[١]: الحديث الذي يرويه الثقة أو المقبول مخالفاً لمن هو أَوْلَى منه، أو هو ما رواه الثقة مخالفاً لما رواه غيره؛ بمعنى أن الشذوذ لا يتحقَّق إلا بالتفرُّد والمخالفة، ولكن إذا تفرَّد بالحديث العدل الضابط ولم يخالف غيره فهو مقبول، ومثال ذلك تفرُّد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٢].

ط- الحديث المُنْكَر[٣]: الذي يرويه الضعيف مخالفاً رواية الثقة. والفرق بينه وبين الشاذّ أن راوي الشاذ ثقة، وراوي المُنْكَر ضعيف، وبذلك يكون المنكر شديد الضعف[٤].

ي- الحديث المتروك[٥]: هو الذي يرويه راوٍ واحد مُتَّهم بالكذب في الحديث، أو ظاهر الفسق بفعلٍ أو قولٍ، أو كثير الغفلة، أو كثير الوهم. ويُسمَّى المتروك أحياناً (المطروح)[٦].

ك- الحديث الموضوع[٧]: المُختلَق المصنوع، وهو شرُّ أنواع الضعيف

---

(١) الشاذّ لغةً: اسم فاعل من شذَّ؛ أي المنفرد أو ما خالف القاعدة والقياس. المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص٦٨.

(٢) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٦١-٦٣. الطيبي، الخلاصة، ص٦٨. السيوطي، تدريب الراوي، ١/١٩٣-١٩٥. للاستزادة انظر: محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٤٧. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٢٠، ٢٢١. إبراهيم النعمة، الواضح، ص١٥٦-١٥٨.

(٣) المُنْكَر لغةً: اسم مفعول من الإنكار ضد الإقرار. انظر: المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١٣٥.

(٤) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٦٣، ٦٤. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٦٧. محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٤٨. إبراهيم النعمة، الواضح، ص١٥٩، ١٦٠. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٢١.

(٥) المتروك: من تَرَكَ؛ تَرَكَهُ يَتْرُكُهُ وَاتَّرَكَهُ، وَتَرَكْتُ الشيء؛ خلَّيته. ابن منظور، لسان العرب، ١٠/٤٠٥، مادة (ترك).

(٦) الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٢١. محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٤٨. إبراهيم النعمة، الواضح، ص١٦١، ١٦٢.

(٧) الموضوع لغةً: اسم مفعول من وَضَع الشيء؛ أي حطَّه. انظر: المنشاوي، قاموس مصطلحات الحديث النبوي، ص١٣٦.

وأقبحه(١). وهو ليس بحديث اصطلاحاً، بل هو بزعم واضعه(٢). ويُعرف الوضع بإقرار واضعه أو ما في معنى إقراره، أو قرينة في الراوي أو المرويّ، أو ركاكة في اللفظ أو المعنى، أو مخالفة لما ثبت في الكتاب والسُّنة الصحيحة(٣). وتحرم روايته مع العلم به في أي معنى كان إلا للتبيين(٤).

حكم العمل بالحديث الضعيف:

للعلماء في العمل بالحديث الضعيف مذاهب بين مجوِّزٍ ومانعٍ ومُتساهلٍ(٥). والذي عليه جمهور العلماء جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب، ولا تثبت به الأحكام كالحلال والحرام(٦)، بالضوابط التالية:

١- ألاَّ يكون شديد الضعف.

٢- أن يكون له أصل شاهد يندرج تحته.

٣- ألاَّ يُعتقد بثبوت ما فيه، وإنما يُعمل به للاحتياط.

---

(١) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٧. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٨٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢٣١.

(٢) السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٤٢، ٤٣. وانظر أيضاً: عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص١٣٠، ١٣١.

(٣) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٨. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٨٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢٣٢.

(٤) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٧. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٨٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢٣١.

(٥) للاستزادة عن مذاهب العلماء في العمل بالحديث الضعيف انظر: عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٢٥٠-٢٧٤. محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص٣٥١. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص١٤٣، ١٤٤. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٢١-٢٢٥.

(٦) أبو بكر الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد هاشم، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص١٦٢. الطيبي، الخلاصة، ص٤٨. ابن تيمية، الفتاوى، ١٨/ ٦٥. شمس الدين محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، د. ط، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د. ت)، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٥. السيوطي، تدريب الراوي، ١/ ٢٥٢.

٤- ألاَّ يكون في الأحكام والعقائد[١].

فقد روى الخطيب البغدادي بسنده أن الإمام أحمد بن حنبل قال: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشدَّدنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»[٢].

ومما سبق يتَّضح أن هناك أحاديث مقبولة يُحتجُّ بها، وهي الصحيحة والحسنة، وأحاديث غير مقبولة؛ أي مردودة، لا يُحتجُّ بها إلا بضوابط معيَّنة، وهي الأحاديث الضعيفة.

ثانياً: أسباب الوضع في الأحاديث

اختلف الباحثون في الاتفاق على واقعة معيَّنة لبدء الوضع في الحديث النبوي[٣]، لكن العديد منهم يرى أن بداية الوضع كانت زمن الفتنة الكبرى[٤] التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وهو الأقرب إلى الصواب[٥].

---

(١) انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ١٨/٦٦. السيوطي، تدريب الراوي، ١/٢٥٢. للاستزادة عن هذه الشروط انظر: محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٥١. الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص٤٧، ٤٨. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٢١، ٢٢٢. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص١٤٤.

(٢) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص١٦٢، ١٦٣. وانظر أيضاً: السيوطي، تدريب الراوي، ١/٢٥٢.

(٣) ناقش عمر فلاتة هذه القضية بإسهاب، وأشار إلى اختلاف الباحثين في تحديد بداية أو حادثة تدلّ على بدء الوضع؛ فالبعض يرى أن الوضع بدأ من فتنة مقتل عثمان، وآخرون يربطون ذلك بالخلاف بين عليّ ومعاوية. ويرى فلاتة أن الوضع بدأ متأخراً عما سبق من أقوال، وحدَّده بالثلث الأخير من القرن الأول. انظر: الوضع في الحديث، د. ط، (دمشق: مكتبة الغزالي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج١، ص١٨٢-٢٠٢.

(٤) مفهوم الفتنة غير واضح عند العديد من الباحثين، فهل تُطلق على مقتل عثمان أم صراع عليّ ومعاوية أم غير ذلك؟ انظر: صالح العلي، دراسات في تطوُّر الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ص٢٩، ٣٠.

(٥) أورد الإمام مسلم في باب (بيان أن الإسناد من الدِّين) بسنده عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا=

وأوَّل مَن بدأ الوضع كما يقول علماء السُّنَّة هم الشيعة، ثم جاراهم في ذلك الجُهَّال من أهل السُّنَّة، وبخاصة في الفضائل(1). وقد أقرَّ بذلك المؤرِّخ الشيعي الغالي ابن أبي الحديد الذي قال: «واعلمْ أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مُختلَقة في صاحبهم (علي رضي الله عنه)، حملهم على وضعها عداوة خصومهم»(2). وذكر ابن حجر أن الفضائل هي أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فكم وضع الرافضة(3) في فضل أهل البيت، وعارضهم جَهَلَة أهل السُّنة بفضائل معاوية وفضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(4).

وأما من حيث المكان الذي بدأ فيه الوضع فيمكن القول: إن وضع الحديث بدأ

= يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم. فيُنظر أهل السُّنَّة فيُؤخذ حديثهم، ويُنظر أهل البِدَع فلا يُؤخذ حديثهم». انظر: شرح النووي مقدِّمة صحيح مسلم، ١/ ٧٨. كما أكَّد بعض الباحثين أن الوضع في الحديث حدث زمن الفتنة. انظر: محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤، (القاهرة: مكتبة السُّنَّة، ١٤٠٨هـ)، ص٢٣. محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٠، ١٩٥، ٢٢١. الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٤٧. أحمد هاشم، السنة النبوية، ص٨١.

(1) انظر: الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٤٣٣. شمس الدين ابن قيِّم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: أحمد عبد الشافي، د. ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٠٨، ١٠٩. محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٧-٢٠١. عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ١/ ٢٥٠، ٢٥١.

(2) شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١١، ص١٧.

(3) الرافضة: فرقة من الشيعة، وسُمُّوا رافضة لأنهم رفضوا الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عندما علموا بمقالته في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ إذ لم يتبرأ منهما كما طلبوا منه. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٥٦.

(4) ابن حجر، لسان الميزان، ١/ ١٣. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/ ١٥. ابن القيم، المنار المنيف، ص١٠٧-١٠٩. محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٥-١٩٩. عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ص٢٥١، ٢٥٢.

من جهة العراق حيث مقرّ الفتن[١]، وقد أكَّد العديد من الباحثين ذلك[٢].

أما أسباب الوضع والكذب في الحديث النبوي فهي عديدة، وقد ذكر ابن الجوزي في مقدِّمة كتابه (الموضوعات) سبعة أصناف أسهموا عمداً في الكذب الصريح على رسول الله ﷺ، وهم: الزنادقة[٣]، والمتعصِّبون للمذاهب، والوُعَّاظ الذين يحثُّون الناس على الخير فوضعوا الأحاديث في الفضائل والترغيب والترهيب، وقوم استجازوا وضع الأحاديث لكلٍّ كلام حسن، كذلك رغبة بعض الناس في التقرُّب إلى السلاطين والتزلُّف إليهم، وآخرون أرادوا الشهرة فوضعوا أحاديث لِيُسْمَعَ منهم، وآخر هذه الأصناف القُصَّاص، وكان معظم البلاء منهم[٤]. وكذلك ساق أصحاب الحِرَف والمهن موضوعات لترويج بضاعتهم.

---

(١) ذكر البغدادي بسنده: «ما كُنَّا نتَّهم أحداً يكذب على رسول الله ﷺ حتى جاءنا قوم من أهل المشرق»، ثم بيَّن أن هؤلاء هم أهل العراق. انظر: الكفاية، ص٤٣٣. وقد اشتهر عند المحدِّثين أن رواية الكوفي أو أهل الكوفة فيها دَغَل، وهي قليلة السلامة من العلل. انظر: البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: صلاح عويضة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص٤٢٠.

(٢) أشار محمد عجاج إلى شهرة العراق بالوضع، فذكر أنها سُمِّيت دار الضرب؛ إذ إن الأحاديث تُضرب فيها كما تُضرب الدنانير. انظر: السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٤. وذكر محمد بكار أن العراق كانت مقرّ الوضع. انظر: أسباب ردّ الحديث، ص١٢٢.

(٣) الزَّنادقة: جمع زِنْديق، والزَّنْدَقَة لفظ فارسي معرَّب، وهو: زند كرَايْ؛ لمن قال ببقاء الدهر. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط٧، (بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج١٠، ص١٤٧، مادة (زندق). والزنادقة هم المنافقون الذين يطعنون في القرآن والرسول ودين الإسلام، فهم فاسدو الاعتقاد ملاحدة. انظر: ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ٧/ ٩. وقد فصل أحمد أمين القول في معنى الزندقة مبيِّناً آراء العلماء وأقوالهم في معناها، وخرج بخلاصة تؤكِّد أن الزندقة يُقصد بها الإلحاد. انظر: فجر الإسلام، ص١٠٧-١٠٩.

(٤) ابن الجوزي، الموضوعات، ١/ ٣٦-٤٤. وقد أشار الإمام الحاكم النَّيسابوري إلى هذه الأصناف تقريباً ضمن طبقات المجروحين. للاستزادة انظر: المدخل في أصول الحديث، د. ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٦٠-١٧٢.

ومن أصناف الواضعين للحديث الجُهَّال والزُّهَّاد الذين وضعوا الحديث احتساباً[1].
وذكر ابن حجر أن الفساد دخل إلى الحديث من قِبَل الزنادقة والقُصَّاص[2].

وقد جوَّزت بعض الفرق الكذب على رسول الله ﷺ[3]؛ فقد حكى عبد الله ابن عيسى بن لَهِيعَة (ت ١٧٤هـ)[4] عن شيخٍ من الخوارج أنه سمعه يقول بعدما تاب: «إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم؛ فإنا كنا إذا هَوِينا أمراً صيَّرْناه حديثاً»[5]. وقال حماد بن سلمة (ت ٢٦٧هـ)[6]: حدثني شيخ من الرافضة قال: «كنا إذا اجتمعنا فاستحسنَّا شيئاً جعلناه حديثاً»[7]. كما ذكر حماد ابن سلمة أن الزنادقة وضعوا اثني عشر ألف حديث على رسول الله ﷺ[8].

(١) مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٩، ٨٠. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٨٣، ٨٤. السيوطي، تدريب الراوي، ١/٢٣٨.

(٢) ابن حجر، لسان الميزان، ١/١٣. للاستزادة عن أسباب الوضع انظر: محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٥-٢١٨.

(٣) ذهبت فرقة الكَرَّاميَّة المنسوبة إلى محمد بن كَرَّام السجستاني إلى جواز الكذب على رسول الله ﷺ في باب الترغيب والترهيب، وهم مُبتدعة، وقولهم يخالف إجماع المسلمين. انظر: مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧٩. ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص٨٣. السيوطي، تدريب الراوي، ١/٢٣٩.

(٤) عبد الله ابن لهيعة، أبو عبد الرحمن الحضرمي: القاضي الإمام العلاَّمة، محدِّث ديار مصر، مُختلَف في حديثه، له مناكير، تُوفِّي عام ١٧٤هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/٤٧٥-٤٨٣.

(٥) انظر: الإمام الحاكم، المدخل في أصول الحديث، ص١٦١. ابن حجر، لسان الميزان، ١/١٠. ويرى بعض الباحثين أن الخوارج لا يُعرف عنهم الكذب، مستنداً إلى أقوال العديد من العلماء كابن تيمية والذهبي، وأكَّد أن رواية ابن لهيعة هذه وردت بلفظ آخر أكثر قوَّة من لفظ الخوارج، وهي: «حدَّثني شيخ من أهل البدع». للاستزادة انظر: عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ١/٢٣١-٢٣٨.

(٦) حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري: إمام علَم ثقة، مات عام ٢٦٧هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/٥٩٠-٥٩٥.

(٧) ابن حجر، لسان الميزان، ١/١١.

(٨) انظر: الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٤٧١.

وقد تصدَّى علماء الإسلام لهذه الأحاديث الموضوعة فكشفوا عَوَارَها، وفضحوا مَن وضعها، وبيَّنوا الوعيد الشديد لمَن يتعمَّد الكذب على رسول الله ﷺ في ضوء قوله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١). بل تشدَّد بعض العلماء في عدم قبول توبة مَن يكذب على رسول الله ﷺ، إلا أن الإمام النَّوَوِي رجَّح توبته بعد أن استعرض آراء العلماء في ذلك(٢).

والأحاديث الموضوعة عليها ظُلمة وركاكة، وقد نبَّه ابن القيم (ت ٧٥١هـ) إلى ذلك فبيَّن قواعد يُعرف منها الحديث الموضوع، منها: اشتماله على مجازفات ومناقضات لما جاءت به السُّنَّة الصريحة وصريح القرآن وتقوم الشواهد الصحيحة ببطلانه(٣).

كما اجتهد علماء الحديث في وضع مصنفات عديدة لتبيين عِلَل الأحاديث الضعيفة والموضوعة وبيان مظانِّها، ووفَّروا لغير المختصين في الحديث عناء البحث في الكتب المتناثرة(٤).

---

(١) الحديث عن أبي هريرة. وانظر شرحه في: النووي، شرح صحيح مسلم، ١/٦٥. ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٤٤.

(١) انظر: مقدِّمة صحيح مسلم بشرح النووي، ١/٦٦، ٦٧. للاستزادة انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٤٤. وقد ساق ابن الجوزي فصلاً عن الكذب وفصل القول في حديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً». انظر: الموضوعات، ١/٥٣-٩٨.

(٣) ابن القيم، المنار المنيف، ص٤٦، ٤٧، ٥٣، ٧٤، ٧٨، ٩١، ٩٤. عن القرائن التي تبيِّن الوضع انظر: فلاتة، الوضع في الحديث، ١/٢٨٤-٣٠٦.

(٤) ومن هذه المصنَّفات: (العِلَل المتناهية والأحاديث الموضوعة) لابن الجوزي، و(اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للإمام السيوطي، و(تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لعلي بن محمد بن عراق (ت ٩٦٣هـ)، و(الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة) لملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، و(الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ). وللاستزادة عنها انظر: الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٧٨. عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣٦٦-٣٧٠.

ثالثاً: أسباب وضع الأحاديث في بني أمية

تأثرت الرواية التاريخية عامة بعدة عوامل أسهمت الميول في تشكيلها. ويمكن القول: إن أسباب وضع الحديث في بني أمية تتشابه مع العوامل التي أدَّت إلى الكذب في الرواية التاريخية؛ مثل: العامل السياسي، والعامل المذهبي، والعامل القصصي، ودور الزنادقة، والشعوبية[1]، والتعصُّب القبلي[2]. فقد لقي التاريخ الأموي الطعن والتحريف من عدة جهات: من الخصوم السياسيين من بني العباس[3]، ومن الشيعة[4]، ومن الخوارج[5].

---

(١) الشعوبية: حركة فكرية متعصِّبة للفرس وجَّهت جهودها لتشويه سمعة العرب وتاريخهم حتى دينهم، وركَّزت في الأدب والتاريخ، ونسبوا إلى دول الفرس القديمة ما لا يُقرُّه التاريخ من مدنية وآثار. انظر: عبد العزيز الدوري، مقدِّمة في تاريخ صدر الإسلام، ط٣، ص١١.

(٢) للاستزادة في ذلك انظر أسباب الكذب في التاريخ: ابن خلدون، المقدِّمة، ص٣٥، ٣٦. أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرِّخين، ص٣-٥. يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهَّدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص٧، ٨. محمد عبد الهادي الشيباني، مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، د. ط، (د. م: دار البيارق، د. ت)، ص٧-٩. عبد العزيز الدوري، مقدِّمة في تاريخ صدر الإسلام، ص١١-١٣.

(٣) عن دور العباسيين في تشويه سيرة الأمويين انظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/٢٥-٢٧، ٣٠. عبد الشافي عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، المقدمة، ب، ج. العمد، الجذور التاريخية، ص١٥، ٢١. صلاح الدين المنجد، معجم بني أمية من تاريخ دمشق، صفحة هـ من التمهيد. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١١٣-١١٩. حمدي شاهين، الدولة الأموية، ص٣٥-٤٠. محمود شاكر، الأمويون والتاريخ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، م٤، ع٦، ١٤٠٢هـ، ص٤٣.

(٤) انظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٧٥. عبد الشافي عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، المقدمة، ب، ج. صلاح الدين المنجد، مأساة سقوط دمشق ونهاية الأمويين، ص٤٨. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ج٤، ص٦. حمدي شاهين، الدولة الأموية المُفترَى عليها، ص٣٠، ٣١. العمد، الجذور التاريخية، ص١٥. للاستزادة عن أثر التشيُّع في روايات بعض أحداث الخلافة الأموية انظر: عبد العزيز محمد نور ولي، أثر التشيُّع على الروايات التاريخية في القرن الأول، ص٣٦٦ وما بعدها.

(٥) عن دور الخوارج في تشويه التاريخ الأموي انظر: إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص٤٤. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ٤/٦.

ولا شك أن هناك أحداثاً أسهمت في نشر الأحاديث الموضوعة ضدّ بني أمية وقبولها؛ مثل: مقتل الحسين رضي الله عنه، ووقعة الحَرَّة، ومقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ووجود ولاة اشتهروا بالظلم كالحجَّاج بن يوسف الثَّقفي(١). بالإضافة إلى أن مواقف بعض الأمويين من الدعوة الإسلامية وعداءهم لها أوَّل الأمر، وتأخُّر بعضهم في دخول الإسلام، وصدامهم مع العلويين؛ كان كل ذلك من أسباب بغض الناس لهم، خصوصاً في الحجاز والعراق.

رابعاً: دور العباسيين في وضع الأحاديث في بني أمية

من المعلوم أن تاريخ بني أمية لم يُدوَّن إلا بعد زوال ملكهم؛ أي في عهد العباسيين. وقبل الوقوف على ما أوردته المصادر من شواهد عن دور العباسيين في وضْع الأحاديث في الأمويين فهذه أقوال العديد من الباحثين المُحْدَثِين الذين أكَّدوا قيام العباسيين بوضع الأحاديث للنَّيْل من بني أمية:

ذكر أحمد أمين في باب (الحركة العلمية في عصر العباسيين) أن العلم تأثر بالدولة العباسية تأثراً كبيراً، وأكثر العلوم التي تأثرت بالعباسيين التاريخ والحديث(٢). ثم ذكر أن علماء السوء جدُّوا في وضع عدة أحاديث للحطِّ من شأن بني أمية، وإعلاء شأن العباسيين(٣). وكذلك الحال بالنسبة للأمويين؛ إذ وُضعت لهم أحاديث لتُعْلِي شأنهم(٤).

كما ذكر محمد أبو شهبة أن أنصار العباسيين وضعوا روايات وأحاديث كثيرة في مثالب الأمويين، وقابلهم أنصار الأمويين بالمثل(٥).

---

(١) انظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ٤/١٢-١٥. الأمويون والتاريخ (مقال)، ص٤٤-٤٩، ٥٠-٥٤.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/٢٥-٢٧.

(٣) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/٣٠.

(٤) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/١٢٣، ١٢٤.

(٥) أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٨٦.

وأشار صلاح الدين المنجد إلى أن العباسيين قاموا بحملة إعلامية ضد بني أمية ليُؤثِّروا في نفوس العامة، ومن ذلك وضع الأحاديث في بني أمية[١]. كما حرصوا على طَمْس كل حديث صحيح عن بني أمية، وإبادة السجلاَّت القديمة لهم حسب قوله[٢].

ويرى إحسان العمد أن من أسباب انتشار الأحاديث الموضوعة في بني أمية (وكالة الأنباء العباسية)[٣].

ويؤكد بندلي جوزي أنه لم تكد تنتقل الخلافة إلى العباسيين حتى اندفعوا في تشويه سمعة الأمويين، فاصطنعوا الشعراء والمؤرخين وبعض الفقهاء والمحدِّثين لطمس هوية الأمويين والطعن فيهم، وأسهموا في ترويج التفاسير والأحاديث الموضوعة ضدهم[٤].

ويرى حسين عطوان أن العباسيين قاموا بالتشهير بمفاسد الأمويين، مستغلِّين الأحاديث الموضوعة لتأكيد أحقيَّتهم بالخلافة[٥].

ويؤكد العديد من الباحثين أن العباسيين سوَّدوا تاريخ الأمويين، وطمسوا العديد من آثارهم، وأجَّجوا البُغض في نفوس الناس عليهم[٦].

---

(١) المنجد، مأساة سقوط دمشق، ص٤٤.

(٢) وإن كان ذلك القول لا يخلو من المبالغة. المنجد، مأساة سقوط دمشق، ص٥٤، ٥٥.

(٣) العمد، الجذور التاريخية، ص٢١، ٢٢. نقل العمد هذا الاسم كما هو عن: حسين مؤنس، نسب قريش، ص١٥، ٤٥٤.

(٤) جوزي، حنين العرب إلى بني أمية، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٧٨، ج٦، ١٩٣١م، ص٦٧٣.

(٥) عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١١٣، ١٦٣، ١٦٤.

(٦) انظر: محمد كرد علي، مميِّزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج١٦، ج١-٢، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، ص٤٥٥. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ط٣، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٠. سليمان الرحيلي، النابتة الأموية في الحكم العباسي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ١٨، ذو القعدة ١٤١٧هـ، ص٣٦٢-٣٦٤. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ٤/ ٥٠. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/ ٢٠-٢٥.

والحقيقة أن المصادر التاريخية أوجدت عدة شواهد تدلُّ على وضع العباسيين الحديث ضد بني أمية. ومن أبرز هذه الشواهد والدلائل وأهمها عزْم الخليفة العباسي المعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ) عام ٢٨٤هـ على إصدار مرسوم للناس يوم الجمعة يلعن فيه معاوية وبني أمية على المنابر يشمل أحاديث موضوعة تلعن بني أمية وتحطُّ من شأنهم، إلا أنه نُصح بترك ذلك حتى لا تثور العامة ببغداد، فتراجع عن ذلك[١]. وإن كانت بعض المصادر أشارت إلى أن الخليفة العباسي المأمون (ت ٢١٨هـ) حاول قبل المعتضد نشر مرسوم يقضي بلعن معاوية، لكنه تراجع[٢]. ومن الشواهد أيضاً ما ذكرته المصادر من أن الخليفة العباسي المهدي (ت ١٦٩هـ) قام بفصل نسب آل زياد عن الأمويين، وأمر بإخراجهم من قريش ومن العرب ومن دواوينهم، منتقصاً وذاماً معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لاستلحاقه زياد بن أبيه[٣]. كما ذكرت المصادر أن المأمون رأى موضعاً جميلاً بالشام فيه العيون،

(١) انظر نصّ مرسوم الخليفة المعتضد في: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٤-٦٣. وقد أشار إلى هذه الحادثة بعض المؤرِّخين؛ مثل: أحمد بن طاهر بن طيفور، تاريخ ابن طيفور (كتاب بغداد)، تحقيق: السيد عزت العطار، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص٥٤. علي بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨٥-٨٧. ابن الجوزي، المنتظم، ١٢/ ٣٧١، ٣٧٢. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، د. ط، (بغداد: نشر جامعة بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، الجزء الرابع، القسم الأول، ص١٥١-١٥٣. ابن كثير، البداية ١١/ ٨١. زين الدين ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط٢، (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ج١، ص٣٣٧.

(٢) الزبير بن بكار، الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، د. ط، (بغداد: نشر رئاسة ديوان الأوقاف، ١٩٧٢م)، ص٤١، ٤٢. ابن طيفور، كتاب بغداد، ص٥٤. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٤، ٥٥. المسعودي، مروج الذهب، ٤/٤٠، ٤١.

(٣) أورد الطبري نسخة كتاب المهدي إلى والي البصرة في ردّ آل زياد إلى نسبهم سنة ١٦٠هـ. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ٨/١٢٩، ١٣٠. كما أوردها ضمن أحداث سنة ١٦٠هـ ابن الأثير في: الكامل، ٥/٥٥-٥٧. وابن كثير في: البداية، ١٠/١٣٥. أما ابن الوردي فذكرها ضمن أحداث ١٥٩هـ في: تاريخ ابن الوردي، ١/٢٧٢. للاستزادة عن أقوال الفقهاء في استلحاق معاوية زياداً انظر: ابن كثير، البداية، ٨/٢٩. ابن حجر، فتح الباري، ١٢/٥٥.

فسأل عنه، فقيل له: إنه كان لبني أمية، فوضع منهم وتنقَّصهم[1]، بل كان يلعنهم[2].

والمستقرئ خطب الخلفاء العباسيين وولاتهم حين تولَّوا الحكم يلمح أنهم يرون أحقيَّتهم بالخلافة وكأنها لهم بنصٍّ شرعي، وأن بني أمية اغتصبوها منهم[3].

ومما جعل بعض العباسيين يعتقد أحقيَّتهم بالخلافة وجود أخبار وأحاديث يروونها فيما بينهم تتحدث عن خلافتهم؛ فقد ذكر المسعودي أن هناك كتباً أو رسائل متداولة بين العباسيين فيها أحاديث تقضي بأن الحُكْم لهم والخلافة فيهم[4]. ويؤكد صحة ما ذهب إليه المسعودي أن الخليفة العباسي المعتصم بن الرشيد (ت ٢٢٧هـ) كان يروي حديثاً عن أجداده العباسيين فيه أن الأمويين هم الشجرة الملعونة في القرآن[5].

إضافةً إلى ذلك فإن المتأمِّل كتاب (أخبار الدولة العباسية)[6] يجد فيه أخباراً

---

(١) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص١٥٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/٦٥٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٧، ص٢١٠.

(٢) انظر ما دار بين المدائني (ت ٢٢٥هـ) والمأمون في: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب)، الطبعة الأخيرة، (القاهرة: دار المأمون، د. ت)، ج١٤، ص١٢٨، ١٢٩.

(٣) انظر خطب السفَّاح وداود بن عليّ عندما تولَّيا الحكم في: البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/١٨٧، ١٨٨. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٧/٤٢٥-٤٢٨. كما ذكر الطبري خطباً للمنصور بمكة وخراسان توضِّح أن الخلافة هي ميراث لهم. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ٨/٩١-٩٣. ابن الأثير، الكامل، ٤/٣٢٤، ٣٢٥. ابن كثير، البداية، ١٠/٤٢.

(٤) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) أسند الخطيب البغدادي إلى المعتصم حديث الشجرة الملعونة دون تعليق أو تضعيف. انظر: تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٤، ص١١٣ وذكر ابن كثير أن الحديث الذي أسنده الخطيب منكر. انظر: البداية، ١٠/٣٠٨. كما ذكر السيوطي أن الحديث الذي رواه المعتصم في أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية موضوع. انظر: تاريخ الخلفاء، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٦) مؤلِّف الكتاب مجهول، ويرجِّح محقِّقا الكتاب أنه أُلِّف في منتصف القرن الثالث الهجري.=

وأحاديث تُروى عن أحقية العباسيين بالإمامة وتطلُّعهم إليها، وأنهم أصحاب الرايات السود القادمة من المشرق(١). وقد ذكر محقِّقا هذا الكتاب أنه أقرب إلى الوثيقة السِّرية(٢)؛ فهو يمثِّل النظرة العباسية في المرحلة الأولى لدعوتهم(٣)، ويكشف عن جذور الغلوِّ فيها(٤).

وقد أشار العديد من الباحثين(٥) إلى أن غلوّ العباسيين كان في أول دعوتهم، لكن لما قامت دولتهم وتمكَّنوا من الإمساك بزمام الأمور أعلنوا أن مبدأهم الكتاب والسنة، وأن منهجهم هو منهج أهل السنة والجماعة، ومن دلائل ذلك أنهم حاربوا الفِرَق الغالية التي كانت معهم في أول دعوتهم؛ كالكَيْسَانِيَّة(٦) والرَّاوندِيَّة(٧) وغيرهما.

= وللكتاب عنوان آخر هو: (أخبار العباس وولده). انظر: مؤلِّف مجهول، الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، ط٢، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٧م)، ص١٦ (مقدِّمة المحقِّقَيْن).

(١) للاستزادة عن تلك النبوءات والأخبار الواردة في أن الخلافة في العباس وولده وأنهم أصحاب الرايات السود انظر: أخبار الدولة العباسية لمؤلِّف مجهول، ص١٣٠، ١٣٨، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٧، ٢٠٧، ٢٩٤.

(٢) انظر تعليق المحقِّقَيْن في: أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول، ص١٣.

(٣) أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول، ص١٥.

(٤) أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول، ص١٣.

(٥) انظر: فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ص١١٧، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٢٧، ٢٢٢-٢٢٤، ٣٢٢-٣٢٤. حقي إسماعيل إبراهيم، الوصية السياسية في العصر العباسي، ص٨٤، ٨٥.

(٦) الكَيْسَانِيَّة: نسبة إلى كَيْسَان. وقد اختُلف فيه: هل هو مولى عليّ رضي الله عنه أم هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ادَّعى النبوة؟ وهم القائلون بإمامة محمد ابن الحنفية، وأنه المهدي المنتظر، وأنه يعيش في جبل رضوى بينبع حياً يُرزق. ولهم معتقدات باطلة وفرق شتّى. للاستزادة انظر: البغدادي، الفِرَق، ص٢٧-٣٠. الشهرستاني، الملل، ١/١٤٧، ١٥٠-١٥٤. عليّ بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد نصر وعبد الرحمن عميرة، ط٢، (جدة: دار عكاظ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج٥، ص٤١-٤٣.

(٧) الرَّاوندِيَّة: نسبة إلى أبي الحسين الرَّاوندِيّ، وهي من الفرق الغالية في الشيعة، وهم القائلون=

وأما أحاديث الرايات السُّود القادمة من قِبل المشرق أو من قِبل خراسان على يد العباسيين المنتشرة في بعض مصادر التاريخ[1] والحديث[2] فيغلب عليها الوضع[3].

= بالوهية أبي جعفر المنصور الذي خرج عليهم وقتلهم، ويرى بعضهم أن أحقّ الناس بالإمامة العباس بن عبد المطلب. انظر: أبا الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، ص١٩٦. ابن حزم، الفصل، ٤/ ١٥٤، ٥/ ٤٩. ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ١/ ٥٠٠.

(١) ومن هذه المصادر التاريخية: أورد المقدسي أحاديث الرايات السُّود القادمة من خراسان، وقال: «وفي هذا أخبار كثيرة أحسنها وأولاها إن صحَّت ما رُوي فيه عن ابن عباس أنه قال: إذا أقبلت الرايات السُّود من المشرق توطئون للمهدي». مطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، د. ط، (بيروت: مكتبة خياط، د. ت)، ج٢، ص١٧٤، ١٧٥. كما أشار الخطيب البغدادي في تاريخه إلى عدة أحاديث؛ منها: الرايات السُّود القادمة من المشرق، ٣/ ٣٣٦، ١٠/ ٤٤٥. كما أشار إلى أحاديث تتعلَّق بملك بني العباس، انظر: ١/ ٢٨، ٨٤، ٨٥، ٣/ ١٠، ٤/ ٩٣، ١١٨، ٦/ ٦٩، ١٠/ ٥٠. وذكر ابن كثير أحاديث الرايات السُّود القادمة من المشرق أو من خراسان وفيها الخليفة المهدي بعدَّة روايات، كما ذكر أحاديث المهدي من ولد العباس وعلَّق عليها بالضعف والانقطاع، وقال: «وقد ورد عن جماعة من السلف في ذكر الرايات السُّود التي تخرج من خراسان بما يطول ذكره». انظر: البداية، ٦/ ٢٥٠-٢٥٢.

(٢) من مصادر الحديث التي أوردت أخبار الرايات السود: أورد أحمد بن حنبل حديث أبي هريرة عن العباس: «إذا أقبلت الرايات السُّود فاكرموا الفرس؛ فإن دولتنا معهم». قال محقِّق الكتاب: موضوع. انظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصيّ الله بن محمد عباس، ج٢، ص١٢٠٠-١٢٠٢. كما ذكر ابن ماجه في سننه حديث الرايات السود، وقال عنه محقِّق الكتاب: ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبي زياد الكوفي. انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢، ص١٣٦٦. كما ذكر الإمام الذهبي رواة أحاديث الرايات السود وضعَّفهم ذاكراً أقوال أهل الجرح والتعديل فيهم. انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٤٤٩، ٢/ ١٠، ٣/ ٢٨٤.

(٣) وردت أحاديث الرايات السُّود القادمة من خراسان في كتب الموضوعات. انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/ ٣٣. السيوطي، الآلئ المصنوعة، ١/ ٤٣٦-٤٣٨. محمد بن علي الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ص٤١١. كما ذكر الشيخ الألباني حديث الرايات السُّود القادمة من المشرق أو من خراسان وفيها المهدي مبيِّناً أنها مُنكَرة. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمة، ج١، ص١١٩.

لكن يجب التفريق بين ما ورد من أحاديث موضوعة في رايات العباسيين وما صحَّ من أحاديث في الرايات السُّود القادمة من المشرق لنصرة المهدي الذي يخرج آخر الزمان(١).

كما أن الأحاديث التي كانت متداولةً بين بني العباس وتنصُّ على خلافتهم وأوردتها بعض المصادر التاريخية(٢) وبعض مصادر الحديث(٣) ذكر المحقِّقون من

(١) انظر: ابن القيِّم، المنار المنيف، ص١١٠-١١٢. ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: أحمد عبد الشافي، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص٢٥، ٢٦. عبد المحسن العباد، الردّ على مَن كذَّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ويليه عقيدة أهل السُّنَّة والأثر في المهدي المُنتظَر، ط١، (المدينة المنورة: مطابع الرشيد، د. ت)، ص١٩٧.

(٢) أورد الفاكهي بسنده عن ابن عباس، عن أُمِّه أُمِّ الفضل، رضي الله عنهم، قالت: حملتُ وأنا في الشِّعب، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أُمَّ الفَضْلِ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلاماً يَكُونُ فِي وَلَدِهِ آخِرَ الزَّمَانِ خِلافَةٌ وَمُلْكٌ». وهو ضعيف. انظر: الفاكهي، أخبار مكة، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط٣، (بيروت: دار خضر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٣، ص٢٦٤، ٢٦٥. كما أورد أبو نعيم في الحلية عدَّة أحاديث، منها أن المُلك والخلافة لبني العباس، بإسناد ضعيف عن أبي هريرة. انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د. ط، (بيروت: دار الفكر، د. ت)، ج١، ص٣١٥، ٣١٦. وقد عُرف عن أبي نعيم نقل الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الخلفاء. انظر: ابن تيمية، منهاج السُّنة، ٧/ ٣٤. كما أشار المسعودي إلى حديث عبد الله بن عباس: «وَاللَّهِ لَيَمْلِكَنَّ بَنُو العَبَّاسِ ضِعْفَ مَا مَلَكَتْهُ بَنُو أُمَيَّةَ: بِاليَوْمِ يَوْمَيْنِ، وَبِالشَّهْرِ شَهْرَيْنِ». مروج الذهب، ٣/ ٢٥٠. كما ذكر البيهقي: (باب ما جاء في الإخبار عن مُلك بني العباس بن عبد المطلب). البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٥١٣-٥١٨. وقد أورد الخطيب في تاريخه عدة أحاديث في ملك بني العباس؛ مثل: «منَّا السفاح، ومنَّا المنصور والمهديّ» بعدة ألفاظ. وذكر خلدون الأحدب أنها موضوعة، والضعيف فيها سنده فيه نكارة. انظر: خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، ١/ ١٦٤-١٧١. وذكر ابن كثير عدة أحاديث في ابتداء بني العباس ووصفها بالضعف والنكارة. انظر: البداية، ١٠/ ٥٠-٥٣. كما ذكر السيوطي عنواناً (فصل في الأحاديث المبشِّرة بخلافة بني العباس). انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢١-٢٣.

(٣) أخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: «منَّا أهل البيت أربعة: منَّا السفَّاح، ومنَّا المنذر، ومنَّا المنصور، ومنَّا المهديُّ». وعلَّق عليه الذهبي بأنه ضعيف. انظر: مُستدرَك الحاكم، ٥/ ٧١٩. كما ضعَّفه ابن كثير وذكر أن إسناده منقطع؛ لأن الضحَّاك لم يسمع من ابن عباس.=

أهل العلم أنها موضوعة(١). وقد ردَّ ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) على القائلين: إن الخلافة لا تجوز إلا في ولد العباس(٢). كما قرَّر ابن القيِّم أن كل حديث في ذكر الخلافة في ولد العباس كذب(٣).

وعوداً على بدء، فإن دور العباسيين في نشر الأحاديث الموضوعة ضد الأمويين

= البداية، ٦/ ٢٥١. وذكر الهيثمي عدة أحاديث واردة في إمرة بني العباس، مبيِّناً مصادر الحديث التي ذكرتها. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ٥/ ١٨٩-١٩١.

(١) أورد الجوزقاني أحاديث الخلافة في ولد العباس. انظر: الأباطيل والمناكير والصِّحاح والمشاهير، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط٤، (الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج١، ص٤٣٥، ٤٣٦. وأشار ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٠-٣٧) إلى الأحاديث الواردة في أن العباس وصيُّ رسول الله ووارثه، وأحاديث منَّا السفاح والمنصور. وانظر أيضاً: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، د. ط، (لاهور: إدارة ترجمان السُّنة، د. ت)، ج١، ص٢٨٨-٢٩٢. وحديث «العَبَّاسُ وَصِيِّي وَوَارِثِي» موضوع. انظر تعليق الذهبي في: أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط١، (المدينة المنوَّرة: مكتبة الدار، ١٤٠٤هـ)، ص٦٥، ٦٦. السيوطي، الآلئ المصنوعة، ١/ ٤٢٠. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٢. وقد وصف الألباني هذا الحديث بالوضع. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط١، (أسيوط: لجنة إحياء السُّنَّة، ١٣٩٩هـ)، ج٢، ص٢٠٤. أما حديث ابن عباس «يأتي من ولدي السفاح ثم المنصور ثم المهديّ» فقال عنه الذهبي: إسناده فيه ظلمات. انظر: تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق: ياسر محمد، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٣٦٢. أما حديث «يَلِي وَلَدُ العَبَّاسِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَلِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ يَوْمَيْنِ، وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ شَهْرَيْنِ» فقال عنه الذهبي: باطل. انظر: ميزان الاعتدال، ٢/ ٦٢٤. كما ذكره السيوطي في: الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١/ ٤٣٥. وحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لابن عباس: «فِيكُمُ النُّبُوَّةُ وَالمَمْلَكَةُ» علَّق عليه الذهبي بأن فيه عبد الله بن شبيب، وهو ذاهب الحديث ويقلب الأحاديث ويسرقها. انظر: ميزان الاعتدال، ٢/ ٤٣٨. كما ذكر الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ١٠٨-١١٠) أن حديث «المَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ» موضوع، ويعارضه الحديث الصحيح: «المَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ». انظر الحديث في: سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٦٨.

(٢) انظر: الفصل، ٤/ ١٥٤، ١٥٥.

(٣) انظر: المنار المنيف، ص١١١.

أمر تدعمه المصادر التاريخية والمراجع المعاصرة، ولكن ما أسباب ذلك ودوافعه؟ وما دلائله؟

اجتهد الباحث في ذكر العوامل التي دفعت العباسيين إلى الوضع على الأمويين، وحاول تلمُّس دلائل ذلك بعدة شواهد وآراء يمكن حصرها في العوامل التالية:

١- الصراع على السلطة:

أشارت المصادر إلى دور العامل السياسي المتمثِّل في الصراع على السلطة وأثره في وضع الأحاديث بين الأحزاب السياسية[١]. فالصراع الطويل والمرير والتنافس على الحُكْم بين الأمويين والعباسيين أظهر مواقف عدائية نتج عنها سفك للدماء؛ فالثورات التي قام بها آل البيت (الفرع العلوي) في عهد بني أمية وقيام الأمويين بسحقها ولَّد الرغبة عند العباسيين أبناء عمومة العلويين في الانتقام من الأمويين، وشاهد ذلك ما قام به القائد العباسي عبد الله بن علي عمّ الخليفة العباسي أبي العباس السفاح من قتلٍ للأمويين ونبش قبور خلفائهم وصلبهم وحرقهم بعد أحداث دمشق[٢] وقيامه بمذبحة نهر أبي فطرس - قرب الرملة بفلسطين - وما قيل من أن العباسيين قتلوا فيها بني أمية وبسطوا عليهم الأنطاع وهم جثث هامدة

---

(١) انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ١/ ٤٢. مقدمة ابن خلدون، ص٣٥. محمد عجاج الخطيب، السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٥. عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ١/ ٢٢٦. عبد اللطيف الصباغ، الحديث النبوي، ص٢٥٢.

(٢) أشارت العديد من المصادر إلى حادثة نبش قبور بني أمية وحرقهم على يد العباسيين. انظر: أبا زكريا الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، د. ط، (القاهرة: نشر لجنة التراث الإسلامي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص١٣٨. أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، مج٤، ص٣٦٨. المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٢١٩. ابن الأثير، الكامل، ٤/ ٣٣٣. ابن كثير، البداية، ١٠/ ٤٧. للاستزادة حول مناقشة هذه الحادثة انظر: محمد سالم العوفي، العباسيون ومواجهة المقاومة الأموية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٣، رجب ١٤١٠هـ، ص٢٩٩-٣١٩. إبراهيم الأقصم، الدولة الأموية في كتابات المسعودي، ص٩٣، ٩٤.

متناولين عليها الطعام(١). وعلى رغم مبالغات بعض المؤرخين في تصوير طريقة القتل بشكل مستهجن(٢) إلا أن الإسراف في سفك الدماء وعنف الجيوش العباسية أمرٌ لا تنكره المصادر التاريخية، كما أن شخصية عبد الله بن علي الذي تولّى أمر الأمويين وتتبَّعهم في الشام عُرفت بسفك الدماء، بل هو الملقَّب بالسفاح في بعض المصادر(٣). ويمكن فهم شخصية عبد الله بن علي الدموية من خلال اللقاء الذي تمّ بينه وبين الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام (ت ١٥٧هـ)(٤)؛ إذ سأل الأوزاعي عن رأيه في دماء بني أمية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ». واستمرّ الحوار بينهما حتى انصرف الأوزاعي وقال: وانتظرتُ رأسي أن يسقط بين يديّ(٥).

---

(١) الأزدي، تاريخ الموصل، ص١٣٩. ابن أعثم، الفتوح، ٤/٣٧٢-٣٧٤. ابن الأثير، الكامل، ٤/٣٣٣، ٣٣٤. وذكر ابن كثير أن مكان المذبحة هو نهر الرملة. البداية، ١٠/٤٧. ابن الوردي، التاريخ، ١/٢٦٠. للاستزادة في تحقيق الحادثة ومدى المبالغات التي قيلت فيها انظر: محمد العوفي، العباسيون ومواجهة المقاومة الأموية، ص٣١٩-٣٢٦.

(٢) أشارت إحدى الدراسات إلى الصراع الأموي العباسي وأثبتت أن هناك مبالغات استغلّها المؤرّخون أصحاب النزعة العلوية؛ كاليعقوبي والمسعودي وابن أبي الحديد، بل أظهرت الدراسة أن هناك مواقف متسامحة من العباسيين لم يُشِرْ إليها العديد من المؤرخين. حول ذلك انظر: عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ): دراسة في مصير الأسرة الأموية بعد سقوط دولتها، ط١، (إربد - الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر، ٢٠٠٢م)، ص٣٠-٤٤، ٧٩-٩١.

(٣) انظر: محمد بن عبد الله بن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب)، د. ط، (مصر: المكتبة التجارية، د. ت)، ج٢، ص١٣٢. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٦/١٦١.

(٤) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، من أوزاع؛ وهي من قرى دمشق، كان إمام أهل زمانه في الفقه والحديث والمغازي، مات ببيروت مُرابطاً سنة ١٥٧هـ على الأرجح. انظر ترجمته في: ابن كثير، البداية، ١٠/١١٨-١٢٤.

(٥) للاستزادة عما دار بين الأوزاعي وعبد الله بن علي انظر: ابن كثير، البداية، ١٠/١٢٠، ١٢١.

كما قام العباسيون بمصادرة أموال الأمويين وممتلكاتهم ظلماً وعدواناً، ومما يؤكّد ذلك إنكار الإمام الأوزاعي على العباسيين حين صادروا ممتلكات الأمويين[1].

فالصراع العسكري والسياسي بين الأمويين والعباسيين أسهم بشكل كبير في وضع الأحاديث ونشرها بينهما، إلا أن العباسيين كانوا أكثر اهتماماً بذلك بحُكْم موقعهم الزماني والمكاني آنذاك؛ فحركة التدوين للعلوم عامة وللتاريخ خاصة كانت في عهدهم.

٢- العامل المذهبي (التشيُّع):

أشارت المصادر المتقدِّمة والمراجع الحديثة إلى دور العامل المذهبي في وضع الأحاديث عامة، ودور التشيُّع خاصة في وضع الأحاديث في بني أمية[2].

والمتأمل لتاريخ الدولة العباسية منذ بداية دعوتها السرِّية إلى قيامها يجد أنها اعتمدت في أول الأمر على العناصر الساخطة على بني أمية، ومن هذه العناصر شيعة آل البيت من العرب والعجم. وحتى يتمكّن العباسيون من كسب الأنصار وتوحيد الصف ضد بني أمية قبلوا جميع المعارضين للحكم الأموي بما فيهم الشيعة الغالية؛ كالكيسانية وغيرهم من أصحاب المذاهب الهدّامة، غاضِّين الطرف عن بعض ما عندهم من المبادئ المتطرِّفة[3]؛ مما كان له أثر سيئ في مستقبل الدولة

---

(١) ابن كثير، البداية، ١٠/ ١٢٠، ١٢١. للاستزادة عن مصادرات العباسيين لأملاك الأمويين انظر: عصام عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص٤٤-٥٣؛ إذ قدَّم المؤلِّف قائمةً بأسماء القطائع الأموية المُصادَرة من قرى وضِيَاع وعيون وأنهر وقنوات وبِرَك وأراضٍ وحمَّامات. كما اشار الباحث إلى أن بعض العباسيين أعادوا بعض ممتلكات بني أمية.

(٢) انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ١/ ٣٨. مقدِّمة ابن خلدون، ص٣٥. محمد أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرِّخين، ص٣. محمد عجاج الخطيب، السُنَّة قبل التدوين، ص١٩٥-٢٠٣. عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ١/ ٢٥٠. عبد اللطيف الصباغ، ص٢٥٥.

(٣) انظر: فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ص١١٧، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص٣١٢-٣٢٤. حقي إسماعيل إبراهيم، الوصية السياسية في العصر العباسي، ص٨٤، ٨٥.

العباسية المذهبي والاجتماعي. فعلى الرغم من قضاء العباسيين على الكثير من الفرق المتطرِّفة وإعلانهم منهج أهل السُّنة والجماعة إلا أن أمر الشيعة ازداد وارتفع حتى أصبح ذا قوة وسلطان، وبخاصة في عهد البويهيين (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ) الغالين في التشيُّع[١]؛ فقد كان واقع الخلافة العباسية سيئاً في عهد بني بويه؛ إذ ذهبت هيبة الخلافة وضعف دور الخلفاء، وتدخَّل الجند في أمر الدولة، وعلا شأن العوام والغوغاء، وظهرت الدويلات المستقلة صاحبة الاتجاهات الشيعية[٢]، فلم يعُدْ للعباسيين تأثير أو دور يُذكر. وقد وصف ابن كثير هذا الوضع بأدق تعبير فقال: «امتلأت البلاد ـ بغداد ـ رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه... وغيرهم... فكثر السبّ والتكفير منهم للصحابة»[٣]. وقد أُظهرت وأُعلنت مآتم الشيعة على الحسين واحتفالاتهم بأعيادهم عام ٣٥٢هـ[٤].

والمتأمل أوضاع المسلمين خلال منتصف القرن الرابع الهجري يجد تسلُّط الفكر الشيعي على الدول الإسلامية آنذاك؛ فالبويهيون والفاطميون والإسماعيليون

(١) بنو بويه: أسرة من أصل فارسي من بلاد الديلم استطاعوا أن يحكموا بلاد فارس والري وهمدان وأصبهان وبلاد الجبل. ودخلوا بغداد بعد أن استدعاهم الخليفة العباسي المستكفي عام ٣٣٤هـ عندما ساءت الأحوال بها. ولما دخل أحمد بن بويه بغداد لقَّبه المستكفي بمعز الدولة ومنحه لقب إمرة الأمراء. انظر: ابن الأثير، الكامل، ٦/٣١٥. ابن كثير، البداية، ١١/٢٢٥-٢٢٧.

(٢) تحدَّثت المصادر والمراجع عن هذه المدة بإسهاب. للاستزادة انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، د. ط، (بيروت: دار الهلال، ١٩٩٣م)، ص٣٦٢، ٣٦٣. يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، مراجعة: محمد أبو الفرج العش، ط١، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١١٦، ١٧١. وانظر مقدِّمة محمود شاكر في: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، ط٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج١، ص١٣-٤٠.

(٣) ابن كثير، البداية، ص٢٤٧، ٢٤٨ (أحداث سنة ٣٤٧هـ).

(٤) أمر معزّ الدولة ابن بويه في يوم عاشوراء عام ٣٥٢هـ بإقامة المآتم على الحسين. وفي عشر ذي الحجة منها أمر بإظهار الزينة وإشعال النيران فرحاً بعيد غدير خم. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٣٥١-٣٨٠هـ)، ص١١، ١٢. ابن كثير، البداية، ١١/٢٥٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٧.

كانت لهم اليد العليا.

ونظراً إلى انتشار التشيُّع وتأثيره وظهور دول شيعية تنافح عنه وتتبنَّاه تبلور على يد هذه الدول الشيعية آنذاك وكُوِّن نظام حكم ودعوة يتوافق مع أصول الشيعة[1]. فلا غرابة حينئذٍ أن تظهر وتنتشر الأحاديث التي تسبُّ الأمويين وتلعنهم؛ لأن مَن هم أفضل منهم ـ الصحابة ـ لقوا من السبّ الكثير، ووُضعت عليهم أحاديث كثيرة تذمّهم، وبخاصة معاوية رضي الله عنه. وقد يتساءل سائل: أين دور علماء أهل السُّنة آنذاك؟

لقد كان دور العلماء آنذاك ضعيفاً؛ إذ يكاد ينحصر في الناحية العلمية، فقد تصدَّى علماء السُّنة لتوضيح خطر الشيعة والردّ على كتبهم ومؤلَّفاتهم[2].

٣- تأثُّر العديد من المؤرخين بالتغيُّرات السياسية والمذهبية التي حدثت في عهد العباسيين:

مرّت الخلافة العباسية بأربعة أدوار أو عصور:

الدور الأول: دور الخلفاء الأقوياء (العصر الذهبي) (١٣٢ - ٢٣٢هـ).

الدور الثاني: دور النفوذ التُّركي (٢٣٢ - ٣٣٤هـ).

الدور الثالث: دور النفوذ البويهي (٣٣٤ - ٤٤٧هـ).

الدور الرابع: دور النفوذ السلجوقي (٤٤٧ - ٦٥٦هـ)[3].

فكان لكلّ دور تأثيره الثقافي والعلمي والمذهبي والاجتماعي. والمؤرِّخ بطبيعته يتأثر بما يحيط به من تغيُّرات سياسية أو مذهبية، فلا غرابة في أن يتأثر المؤرخ

---

(١) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط٧، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٩٩م)، ص٨٨.

(٢) انظر مبحث (موقف أهل السُّنة من المدّ الشيعي) في: يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٢٣١-٢٣٣.

(٣) انظر: شاكر مصطفى، دولة بني العباس، د. ط، (الكويت: وكالة المطبوعات، د. ت)، ص١٧٨. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، ط٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج٢، ص٤٤، ٤٥.

بطبيعة عصره[١]. فعلى سبيل المثال، تباينت آراء المؤرخين في الدعوة العباسية، ويرجع سبب ذلك التباين إلى تأثُّرهم بالعهد العباسي آنذاك[٢]. كما ذكر بعض الباحثين أن أحاديث لعن بني أمية وذمّهم كان وراءها أهداف سياسية صرفة[٣]. كما أن الدول تسعى دائماً إلى اجتذاب مؤرخين ينشرون فضائلها ويدافعون عنها، والعباسيون كغيرهم سعوا إلى إيجاد رواة ومؤرخين اتخذوهم نُدماء فأسهموا في نشر فضائلهم وذمّ أعدائهم من بني أمية؛ مثل: الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ)[٤]، والصُّولي (ت ٣٣٥هـ)[٥].

(١) انظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م)، ص١٠، ١١. كما أشارت بعض الدراسات إلى تأثُّر المؤرخين في العهد العباسي بالتغيُّرات السياسية والمذهبية. انظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرِّخون، ١/٣٤٨، ٣٤٩. محمد الصادق عرجون، الخليفة المُفترَى عليه عثمان، ص١٥٢. إحسان العمد، الجذور التاريخية للأسرة الأموية، ص١٨، ١٩. حمدي شاهين، الدولة الأموية المُفترَى عليها، ص٣٨-٤٠.

(٢) انظر: فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ص٦٠-٦٢. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص٢٧٥ وما بعدها.

(٣) ما قيل عن نزول لية القدر في بني أمية دافعُهُ العصبية السياسية. انظر: محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٤) الهيثم بن عديّ الطائي الكوفي: أخباريٌّ ومؤرِّخ وشاعر، له عدة مصنَّفات؛ مثل: بيوتات العرب، والمثالب. للاستزادة عن مصنَّفاته انظر: ابن النديم، الفهرست، ضبط وتعليق: يوسف طويل، ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٥٩، ١٦٠. جالَس المنصور والمهدي والهادي والرشيد. انظر: شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د. ط، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج٦، ص١٠٦-١١٣. قال عنه ابن معين: كذاب، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب. انظر: الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١٠/١٠٣، ١٠٤. ميزان الاعتدال، ٤/٣٢٤. علي بن عمر الدارقطني، كتاب الضُّعفاء والمتروكين، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبد القادر، ط١، (الرياض: المعارف، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص٣٤٢.

(٥) محمد بن يحيى بن العباس الصولي: أديب ومؤرِّخ صاحب فنون وتصانيف. أشهر كتبه: (كتاب الأوراق)، وفيه أخبار آل بني العباس، إلا أنه لم يتمّه. نادم الخليفة المكتفي ثم المقتدر=

كما أن هناك العديد من الرواة والمؤرخين الغالين في التشيُّع ممن وجدوا في العصر العباسي[1] وعرفوا بعدائهم لبني أمية وأسهموا في نشر الأكاذيب عنهم، ومن هؤلاء الرُّواة: محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ)[2]، وابنه هشام الكلبي (ت ٢٠٦هـ)[3]، وأبو مِخْنَف (ت ١٥٧هـ)[4]، ومن هؤلاء المؤرخين: اليعقوبي (توفِّي بعد ٢٩٢هـ)[5]، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)[6]،

= ثم الراضي. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٤٢، ٢٤٣. قال عنه الذهبي: مقبول القول، حسن المعتقَد. سِيَر أعلام النبلاء، ١٥/ ٣٠١.

(١) عن الرواة والأخباريين والمؤرخين الذين غالوا في التشيع انظر: عبد العزيز وليّ، أثر التشيُّع على الروايات التاريخية، ص٣٧-١٣٠.

(٢) محمد بن السائب الكلبي؛ أبو النضر: من علماء التفسير والأنساب. ابن النديم، الفهرست، ص١٥٢. وهو عند أهل الجرح: مُتَّهم بالكذب، ورُميَ بالرَّفْض، ومن المتروكين. انظر: الدارقطني، كتاب الضُّعفاء والمتروكين، ص٣٤٢، ٣٨٧. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٢٠٦.

(٣) هشام بن محمد بن السائب الكلبي: عالم بأنساب العرب وأخبارها، له عدَّة مصنفات. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٥٣. وهو عند أهل الجرح: رافضيٌّ، متروك، غير ثقة. انظر: الدارقطني، كتاب الضعفاء والمتروكين، ص٣٨٧. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٢٠٦.

(٤) أبو مخنف؛ لوط بن يحيى الأزدي: له عدَّة مصنَّفات في بني أمية والأحداث التي جرت في عهدهم؛ مثل: الحرَّة ومقتل حجر. للاستزادة انظر: الفهرست، ص١٤٤-١٤٨. وصفه أهل الجرح بأنه: أخباريٌّ تالف، لا يُوثق به، شيعيٌّ محترق. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٤١٩، ٤٢٠. ابن حجر، لسان الميزان، ٤/ ٤٩٢.

(٥) أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق العباسي: شيعي إمامي، أجمعت المراجع والدراسات الحديثة على تشيُّعه وغلوِّه؛ فهو لا يعترف بخلافة الراشدين سوى عليّ وابنه الحسن. تأثَّر بمذهبه في كتاباته التاريخية. انظر: محمد السهلي، عصر الخلفاء الراشدين في كتابات اليعقوبي: دراسة نقدية مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، (قسم التاريخ، كلية الآداب)، جدة، ١٤٢١هـ، ص١٣، ١٤.

(٦) أحمد بن أعثم الكوفي الأخباريّ: كان شيعياً، وعند أصحاب الحديث كان ضعيفاً. ابن حجر، لسان الميزان، ١/ ١٣٨. قال عنه شاكر مصطفى: صاحب كتاب (الفتوح)، تغلب على رواياته وجهة النظر الشيعية. انظر: التاريخ العربي والمؤرِّخون، ٢/ ٤٢، ٤٣.

والمسعودي(١)، والأصفهاني صاحب الأغاني (ت ٣٥٦هـ)(٢) الذي كان منقطعاً للوزير المهلّبي(٣) وزير معزّ الدولة ابن بويه؛ فقد كان الأصفهاني نديمه(٤)، كما كان كاتباً لدى ركن الدولة البويهي (٣٣٥ - ٣٦٦هـ) ونال عنده مكانة عالية(٥).

وعلى رغم بُعد المدة الزمنية بين سقوط الأمويين وبعض المؤرخين إلا أن شعور الكراهية الذي غُذِّي في عصور سالفة من قِبَل الرواة والقُصَّاص وغيرهم تأصَّل في النفوس، وزاد ذلك الشعور اتجاهات التشيُّع التي نمت بقوة آنذاك؛ أي في عصر البويهيين(٦).

---

(١) ذكر ابن حجر أن المسعودي صاحب (مروج الذهب) وغيره من التواريخ كان شيعياً معتزلياً، وكتبه طافحة بذلك. انظر: لسان الميزان، ٤/٢٢٤، ٢٢٥. للاستزادة عن دور المسعودي في تشويه سمعة بني أمية وعن مدى تأثُّر المسعودي بمذهبه عند كتابته تاريخ الأمويين انظر: الأقصم، الدولة الأموية في كتابات المسعودي، ص٢٢٩-٢٣٤.

(٢) الأصفهاني؛ علي بن الحسين أبو الفرج: صاحب الأغاني، أموي، لكنه شيعي. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/١٢٣، ١٢٤. ابن حجر، لسان الميزان، ٤/٢٢١، ٢٢٢. قال عنه ابن كثير: شيعيّ شنيع مغالٍ لآل البيت، وقد وهم الذهبي في ذكره أنه ثقة. انظر: البداية ١٠/٢٢. كما وصفه ابن خلكان بالتشيُّع. انظر: وفيات الأعيان، ٣/٣-٧، ٣٠٩. للاستزادة عن شناعات الأصفهاني على التاريخ الأموي انظر دراسة الشيخ وليد الأعظمي التي وضَّح فيها أقوال العلماء قديماً وحديثاً في تشيُّعه مبيناً أقوله الخطيرة والمنحرفة: السيف اليماني في نحر الأصفهاني، ط٣، (المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٢٠-٢٤، ١٣٨، ١٦٨، ١٧٢.

(٣) المهلَّبي؛ أبو محمد الحسن بن محمد: وزير معزّ الدولة البويهي، مات سنة ٣٥٠هـ. انظر: محمد بن علي بن طولون، أنباء الأمراء بإنباء الوزراء، تحقيق: مهنا حمد مهنا، ط١، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ص٥٤.

(٤) انظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ٢/٥٤، ٥٥. وليد الأعظمي، السيف اليماني، ص١٨.

(٥) وليد الأعظمي، السيف اليماني، ص١٨.

(٦) انظر: حمدي شاهين، الدولة الأموية المُفترَى عليها، ص٣٨.

٤- ظهور عدة ولاءات سياسية وفكرية للأمويين ابتداءً من أواخر العصر العباسي الأول:

عندما سقطت الدولة الأموية على يد العباسيين عام ١٣٢هـ ظهرت عدة ثورات أموية ضد العباسيين، لكنها فشلت لأن العباسيين كانوا في بداية حكمهم وقوة مجدهم آنذاك، كما أن هذه الثورات لم تكن تحمل علامات النجاح بسبب سوء التخطيط والإعداد، ولم تستغل الأوقات المناسبة لها، ولم تكن مجهَّزة تجهيزاً مناسباً[١].

وعلى رغم فشل الثورات الأموية ضد العباسيين إلا أنه مع أواخر العصر العباسي الأول ظهرت ولاءات سياسية وفكرية لهم ضدّ العباسيين، ويعدّ الجاحظ أول مَن رصد المعارضة الأموية الجديدة، وسمَّاها (النابتة)[٢]، وفي ذلك إشارة إلى اتجاه جديد أو فرقة جديدة تمجِّد الأمويين. وقد انبرى الجاحظ للردّ على آراء النابتة، فراح يذمُّ الأمويين ويلعن مَن لا يلعنهم، وهاله ميل الناس إليهم فألَّف عدة مؤلفات تطعن في إمامتهم[٣] وتتَّهمهم بالمجون[٤]. ولا يُستغرب على الجاحظ ذمُّ

---

(١) للاستزادة عن هذه الثورات وأسباب فشلها انظر: عصام عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٢٠-١٣٠.

(٢) النابتة: النَّبْت هو الزرع، ونبتت نابتة؛ أي ظهرت أحداث أو نشء صغار من الأحداث. لسان العرب، ٢/٩٦، مادة (نبت). ورسالة (النابتة) للجاحظ وجَّهها إلى القاضي ابن أبي دؤاد المعتزلي، وتحتوي على عدَّة آراء كلامية، منها نقاط مهمَّة تتعلَّق بالأمويين؛ مثل: ذمّ الجاحظ معاوية بل تكفيره، ولعن يزيد ابنه، وذمّ بني أمية، وغير ذلك. انظر: رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، تقديم وتبويب وشرح: علي أبو ملحم، ص٢٣٩-٢٤٨.

(٣) علَّق بعض الباحثين على رسائل الجاحظ. للاستزادة انظر: حسين مؤنس، تنقية أصول التاريخ الإسلامي، ص١١٠، ١١١. الرحيلي، النابتة الأموية في الحكم العباسي، ص٣٤١، ٣٥٢. عصام عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٥.

(٤) وصف الجاحظ خلفاء بني أمية، باستثناء عمر بن عبد العزيز، بأنهم يُنادمون الشعراء والمغنِّين، ويشربون الشراب، ويرقصون حتى يخلعون ثيابهم فيتجرَّدون ويظهرون للندماء، لكنه استثنى بعضهم من الظهور للندماء. انظر: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: الأستاذ أحمد زكي باشا، ط١، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، ص٣٢.

الأمويين؛ فهو عبَّاسي الهوى[1]، وقد وصفته المصادر بأنه من أئمة البدع، وكان رديء المعتقد، وهو من كبار المعتزلة، صاحب مجون وهوى[2].

كما ظهرت ميول أموية في العهد العباسي تمثَّلت في تلك المعارضة الفكرية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ إذ ظهرت مؤلَّفات عديدة في ذكر فضائل الأمويين وإبراز محاسنهم وتأييد إمامتهم[3]. وقد أكّد المسعودي ذلك إذ قال: «ورأيت في سنة ٣٢٤هـ بمدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشام عند بعض موالي بني أمية ممّن ينتحل العلم والأدب ويتحيَّز إلى العثمانية[4] كتاباً فيه نحو من ثلاثمائة ورقة... مترجم بكتاب: (البراهين في إمامة الأمويين) ونشر ما طُوي من فضائلهم»[5].

---

(١) دافع الجاحظ عن العباسيين وبرَّر نظريتهم في الخلافة. انظر: فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ص٤٧. عطوان، الدعوة العباسية، ص٣١٥.

(٢) انظر: الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١١/٥٢٦-٥٣٠. ميزان الاعتدال، ٣/٢٤٧. ابن كثير، البداية، ١١/٢٢.

(٣) للاستزادة انظر: عصام عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٢-١٣٦. ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام عقلة ويوسف ياسين، ط١، (إربد: حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٠م)، ص٧-٩. سليمان الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٥٦-٣٦٠.

(٤) العُثمانيَّة: نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهم من أنصار عثمان والمُطالبين بدمه. وقد ألَّف الجاحظ في (العثمانية) عدَّة رسائل؛ منها: اسم العثمانية، ونقض العثمانية، والردّ على العثمانية. ويُطلق الجاحظ أحياناً لفظ (العثمانية) على السُّفيانية والمَرْوانية والنابتة الذين أيَّدوا معاوية رضي الله عنه. للاستزادة عن ذلك انظر: رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، ص٦، ١٢٩ وما بعدها. وقد أطلق المؤرِّخ المسعودي على بعض الصحابة لقب (العثمانية)، ومن هؤلاء النعمان بن بشير رضي الله عنه. انظر: مروج الذهب، ٢/٣٦٢. ويرى أحمد الشريف أن (العثمانية) ظهرت أول الأمر تحت اسم (الحزب الأموي)، وهو أول حزب سياسي ظهر في الدولة الإسلامية، وقد أخذ يطالب بدم عثمان والثأر له. انظر: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط١، (د. م: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م)، ص٣٩٨.

(٥) التنبيه والإشراف، ص٣٠٧.

ويمكن القول: إن أبرز العوامل التي أسهمت في ظهور هذا الولاء الجديد للأمويين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين هو تشويه العباسيين لسمعة الأمويين[١]، كذلك تلك المبالغة في التشيُّع لعلي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم أجمعين والمغالاة فيه وتقديمه على الخلفاء الراشدين؛ مما أسهم في زيادة الثناء والمدح للأمويين، وبخاصة معاوية رضي الله عنه، وكذلك ما قام به الخلفاء العباسيون من تأييد لمذهب المعتزلة؛ كالمأمون والمعتصم، وتبنِّيهم مسألة خلْق القرآن وما نجم عنها من زيادة السخط عليهم من قِبَل علماء أهل السُّنة وعامة الناس، كما أن تغلغل غير العرب؛ كالتُّرك والبويهيين، وسيطرتهم على مقاليد الأمور جعل الكثير من الناس يذمُّون الحكم العباسي ويترحَّمون على الحكم الأموي الذي كان العرب فيه هم أهل الرأي والكلمة[٢].

لذا لا يُستغرب أن يقوم الخليفة المعتضد بمنع القُصّاص من الحديث في المجالس والطرقات والمساجد، كما لا تُستغرب رغبته في نشر مرسوم على أهل بغداد فيه ذمّ بني أمية ولعنهم[٣]؛ فالعباسيون الذين شاهدوا بعد مدّة وجيزة من حكمهم وجود ولاءات أموية قد تُسهم في إضعافهم أو إسقاط حكمهم قاموا بتشويه سمعة الأمويين بنشر أحاديث باطلة ضدهم.

وعلى الرغم مما قيل عن علاقة العباسيين بالأمويين إلا أنه من الإنصاف الإشارة إلى بعض المواقف المتسامحة من بعض العباسيين تجاه بني أمية، خصوصاً من قِبَل بعض الخلفاء الأوائل؛ فقد أشارت بعض الدراسات الحديثة[٤] إلى أن العباسيين

(١) انظر مقدِّمة المحقِّقَيْن لكتاب: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، ص٧.

(٢) سليمان الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٤٢-٣٤٥.

(٣) أشار إلى هذه الحادثة بعض المؤرِّخين؛ مثل: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/ ٥٤، ٥٥. ابن الأثير، الكامل، ٦/ ٨٥-٨٧. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٢/ ٣٧١، ٣٧٢. ابن كثير، البداية، ١١/ ٨١.

(٤) للاستزادة انظر فصل (المواقف العباسية المتسامحة تجاه بني أمية): عصام عقلة، الأمويون في=

أشركوا الأمويين في بعض المناصب المتعلِّقة بالقضاء والإشراف على المنشآت الخاصة والدواوين وإمارة بعض المدن، كما أن بعض العباسيين أعادوا بعض الأموال إلى الأمويين من قبيل إعادة الحقوق إلى أصحابها. كما أشارت بعض المصادر إلى وجود مصاهرة بين بعض العباسيين والأمويين(١)، كما أشارت مصادر تاريخية أخرى إلى أن بعض الخلفاء العباسيين كانوا يتشبَّهون ببعض خلفاء بني أمية ويثنون على بعضهم، ومن ذلك أن الخليفة العباسي المنصور كان في أكثر أموره وتدبيره وسياسته متَّبعاً لهشام بن عبد الملك في أفعاله؛ لكثرة ما كشفه من أخبار هشام وسيرته(٢)، وقوله عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية: «لله درّه! ما كان أحزمه وأسوسه وأعفّه عن الفيء»(٣)، وقد سُئل المنصور: مَن أكفاؤنا؟ قال: أعداؤنا من بني أمية(٤). كما أن رجلاً اتَّهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالزندقة عند الخليفة العباسي المهدي، فقال: «مَهْ! خلافة الله أجلُّ من أن يجعلها في زنديق»(٥). وقد سأل الرشيد (ت ١٩٣هـ) أحد جلسائه: «مَن خير الخلفاء: نحن أو بنو أمية؟ فقال: هم كانوا أنفع للناس، وأنتم أقوم للصلاة. فأعطاه ستة آلاف»(٦). كما أن الخليفة المهتدي بالله (ت ٢٥٦هـ) كان يتشبَّه ويقتدي بعمر بن عبد العزيز(٧)،

= العصر العباسي، ص٧٩-٩٠. كما أشار عمر العقيلي إلى أن هناك مبالغةً في دور الخلفاء العباسيين في تشويه سمعة الأمويين، وأكَّد أن بعضهم كان يُشيد ببني أمية. انظر: تاريخ الدولة الأموية، ط١، (الرياض: نشر المؤلِّف، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٩.

(١) ذكر الطبري أن المنصور زوَّج العالية؛ امرأة من بني أمية، من إسحاق بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ٨/١٠٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/٧٨، ٧٩. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٢٣.

(٣) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٦/٧٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/١٠٢.

(٥) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٥/٣٧٢. ابن كثير، البداية، ١٠/٩.

(٦) ابن كثير، البداية، ١٠/٤٩.

(٧) ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (تاريخ الدول الإسلامية)، د. ط، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص٢٤٦. ابن كثير، البداية، ١١/٢٦.

وكان يقول: «إني أستحي أن يكون في بني أمية مثله ولا يكون مثله في بني العباس»[١].

والحقيقة التي لا يغفل عنها الباحثون المتجرِّدون هي أن طبيعة الملك تخلق التنافس والصراع، وأن سقوط دول وقيام أخرى مكانها يؤدِّي إلى المبالغة والإسراف في الذمّ، كما أن الميل والهوى والتعصُّب أسهم في قبول الروايات دون تنقيح أو تحقيق. فعلى سبيل المثال، هناك روايات تقول: إن المأمون أزال اسم الخليفة عبدالملك بن مروان المكتوب في مسجد قبة الصخرة، فأمر بحكِّه ووضع اسمه مكان عبد الملك، إلا أنه لم يبدِّل التاريخ الذي كان مكتوباً عليه، وهو عام ٧٢هـ[٢]. ويبدو أن هذا مما أُدخل على المأمون[٣]، فهل يُعقل ألا يفطن المأمون إلى ذلك، فيزيل الاسم ولا يزيل التاريخ؟! ناهيك من أن بعض المصادر التاريخية ذكرت أن الذي بنى مسجد قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك وليس والده عبد الملك[٤].

وهكذا يخلص هذا المبحث إلى أن أسباب وضع الأحاديث في بني أمية كانت سياسية ومذهبية وحزبية تمثَّلت بشكل أكبر في دور الدولة العباسية التي أسهمت بشكل واضح في نشر الأحاديث الموضوعة في بني أمية لعوامل مختلفة ومتنوِّعة. ويأتي المبحث الثاني ليوضِّح هذه الأحاديث وألفاظها ومدى انتشارها وصحتها.

---

(١) ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٤٦.

(٢) ذكر المنجد هذا الخبر وأحال القارئ إلى كتابه: (دراسات في تاريخ الخط العربي)، حيث أورد فيه صورة النقش الذي فيه: «ابتنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبّل منه». كما اعتمد المنجد في نقل الخبر على ما أورده حبيب الزيات في كتابه: (الخزانة الشرقية)، لكن الزيات قال: إن المأمون اتُّهم بذلك. انظر: مأساة سقوط دمشق، ص٥٣، ٥٤.

(٣) ذكر محمد عجاج الخطيب نقلاً عن المستشرق (ذي فوجي) أن اسم المأمون أُدخل على الحجر من قِبَل المصحِّحين الذين نسوا أن يُصحِّحوا التاريخ القديم، وهو تاريخ البناء في عام ٧٢هـ. انظر: السُّنَّة قبل التدوين، ص٥٠٧.

(٤) ابن كثير، البداية، ٩ / ١٧٢. للاستزادة انظر: محمد عجاج، السُّنة قبل التدوين، ص٥٠٥-٥٠٨.

المبحث الثاني

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأسرة الأموية

أولاً: أحاديث بني أمية ومصادر الحديث

أوردت كتب الحديث عدة أحاديث في بني أمية تحت عناوين مختلفة، فتارةً تأتي تحت اسم: ما ورد في بني أمية، وتارةً أخرى تحمل اسم بني الحكم أو بني العاص. كما أدرجتها المصادر ضمن أبواب مختلفة؛ مثل: المناقب والمثالب، أو الخلافة، أو الفتن، أو أشراط الساعة، أو ما جاء في أئمة الجور. كما أوردت كتب الحديث عدة أحاديث في بني أمية من دون عنوان مستقلّ لها كما هو في مسند الإمام أحمد.

على سبيل المثال، أوردت المصادر المتقدمة عدة أحاديث في بني أمية، فأورد نعيم بن حماد أحاديث ضعيفة وموضوعة في بني أمية تحت عناوين تحمل اسمهم(١) من خلال كتابه (الفتن)، كما أورد الإمام الحاكم في كتابه (المستدرك على الصحيحين) في باب الفتن مجموعةً من الأحاديث الضعيفة والمنكرة التي تذمُّ بني أمية(٢).

ومن المتأخرين الذين جمعوا عدة أحاديث في بني أمية الحافظ نور الدين الهيثمي؛ إذ أورد أكثر من عشرين حديثاً في كتابه (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) تحت اسم: (باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة)(٣). كما جمع ابن حجر الهيتمي عدة أحاديث في بني أمية عند حديثه عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما(٤). كما جمع العلامة المتّقي الهندي ما ورد من أحاديث في بني أمية

(١) مثل ما ورد في مُلك بني أمية. انظر: الفتن، ص٧٨، ٨١، ١٢٤.

(٢) انظر كتاب الفتن في: مستدرك الحاكم، ٥/ ٦٧٥- ٦٧٩.

(٣) انظر: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٣٨.

(٤) انظر: ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٧٠، ٨٥، ٨٨.

في كتابه (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)(١). وذكر السيد البَرْزَنْجِي (ت ١١٠٣هـ)(٢) عدة أحاديث في بني أمية في كتابه (الإشاعة لأشراط الساعة)(٣).

ومن المعاصرين الذين جمعوا عدة أحاديث في بني أمية الشيخ حمود بن عبدالله التويجري (ت ١٤١٣هـ) في كتابه (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة)؛ إذ وضع باباً بعنوان: (ما جاء في بني أمية وما في زمانهم)(٤).

ويُلاحظ أن جُلَّ المصادر التي ذكرت أحاديث بني أمية اعتمدت على مصدرين متقدِّمين، هما: (الفتن) لنعيم بن حماد، و(المستدرك على الصحيحين) للإمام الحاكم. لكن هناك أمر ينبغي التنبيه إليه، وهو أن وجود الأحاديث في هذه المصادر لا يعني صحّتها؛ لأن العلماء لهم منهج في رواية الضعيف والموضوع، فمن الضروري معرفة الأحكام التي تتعلّق بهذا المنهج وأسباب اختلافهم في رواية الحديث قبل الخوض في ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة الواردة في ذمّ بني أمية. ومن هذه المنهجيّة:

---

(١) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط: بكري حياتي، تصحيح: صفوة السقا، د. ط، (حلب: مكتبة التراث الإسلامي، د. ت)، أحاديث عن بني أمية: ١٤/ ٨٧، ١٩٩، وعن بني العاص: ١١/ ١١٧-١١٩، ١١/ ٣٥٧-٣٦٥.

(٢) السيد محمد البرزنجي بن عبد الرسول بن عبد السيد الشافعي البرزنجي: ولد بشهروزور عام ١٠٤٠هـ، ثم استوطن المدينة وتصدّى للتدريس وألّف عدّة مصنّفات؛ منها: الإشاعة لأشراط الساعة، وكتاب النواقض للروافض. توفّي بالمدينة ١١٠٣هـ. انظر: محمد المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٤، ص٨٠، ٨١.

(٣) البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة، تحقيق: محمود الدمياطي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٢٣، ٢٤.

(٤) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ط٢، (الرياض: دار الصميعي، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٢٢٨-٢٣٨.

أولاً: أورد المتقدمون من العلماء أحاديث ضعيفة ولم يبيِّنوا حكمها من حيث الضعف والقوة، وحتى يخرجوا من العهدة اكتفوا بذكر أسانيدها؛ لأن معرفة الأسانيد كان أمراً شائعاً في ذلك الزمان عند طلبة العلم وكان منهجاً في التلقِّي(١). أما إذا رُوِي الحديث بغير إسناد فيبيِّن الراوي ضعفه أو يذكره بصيغة التمريض لا بصيغة الجزم كأن يقول: رُوي أو روى(٢).

ثانياً: إيراد العلماء للروايات كما هي كان من الأمانة العلمية؛ إذ تركوا عملية النقد لمن جاء بعدهم، فلا تعني رواية العلماء للضعيف توثيقاً أو تعديلاً(٣).

ثالثاً: كان بعض العلماء يرى كتابة الحديث الضعيف وروايته من باب المتابعات؛ ليُعتبَر به ويُستشهد به أحياناً(٤).

رابعاً: يُلاحظ أن أكثر علماء الحديث تساهلوا في رواية الأحاديث الضعيفة المتعلِّقة بالفضائل والزُّهد ومكارم الأخلاق والقصص والتاريخ ونحو ذلك، ما عدا الأحكام والعقائد(٥).

خامساً: يرجع اختلاف آراء العلماء في قبول الحديث الضعيف وروايته إلى اختلاف مفهوم الحديث الضعيف بين المتقدمين والمتأخرين؛ فالضعيف عند المتقدمين كالإمام أحمد والترمذي كالحديث الحسن، والضعيف عند المتأخرين غير الحسن(٦).

---

(١) انظر: ابن حجر، لسان الميزان، ٣/ ٧٥، ضمن ترجمة الطبراني. السيوطي، تحذير الخواصّ من أكاذيب القُصَّاص، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، ط٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص٢٤ من مقدِّمة الكتاب للمحقِّق. انظر أيضاً ما نقله الشيخ أبو شهبة عن سبب إيراد المحدِّثين للروايات الموضوعة في: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٢٣، ١٢٤.

(٢) عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ١/ ٧٥. محمد بكار، أسباب ردّ الحديث، ص١٤، ١٥.

(٣) عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣٤٦. محمد بكار، أسباب ردّ الحديث، ص١٩. علي الصالح، رواية الأئمة عن الضعفاء: أحكامها وأسبابها، مجلة الحكمة، ع٢٥، جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، ٤١٥-٤٤١.

(٤) عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣٤٨. محمد بكار، أسباب ردّ الحديث، ص١٩.

(٥) عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣٤٩. محمد بكار، أسباب ردّ الحديث، ص٢٠.

(٦) للاستزادة عن ذلك انظر: عمر فلاتة، الوضع في الحديث، ١/ ٦٦. عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٢٨٨-٢٩٠. محمد بكار، أسباب ردّ الحديث، ص١٦.

سادساً: اختلف المحدِّثون في الحُكْم على صحة بعض الأحاديث، ومردُّ ذلك إلى أمور بسط العلماء القول فيها؛ مثل: اختلافهم في عدالة الراوي، واختلافهم في ثبوت الجرح والتعديل بقول واحد[1]، إلا أن اختلافهم هو خلاف منضبط بأُسس وقواعد علمية راسخة أُحيط بسياج من التقوى وخلوص النية[2].

سابعاً: ذِكْر المتقدمين للحديث لا يعني رجحانه، فالأمر ليس بالأسبقية؛ فقد يطَّلع المتأخِّر على علّة قادحة في الحديث لا يدركها المتقدم فتمنع صحة الحديث، فالعبرة ليست بالأقدمية أو بكثرة مَن روى الحديث[3].

ثامناً: هناك عبارات يمكن من خلالها التأكد من صحة الحديث؛ فالحديث الصحيح مثلاً جعله العلماء على سبع مراتب: أقواها المتَّفق عليه، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما كان على شرطَيْهما، ثم ما كان على شرط البخاري، ثم ما كان على شرط مسلم، ثم ما صحّحه الأئمة المعتمدون[4].

تاسعاً: هناك مصطلحات حديثية قد تُوهم بصحة الحديث وهي على غير ذلك؛ مثل: (رجاله رجال الصحيح)، أو (رجاله ثقات)، أو (صحيح على شرط الشيخين)، أو نحو ذلك من هذه العبارات التي لا يُعنى بها لزوم صحة الحديث[5].

إذنْ، فرواية الضعيف أو الموضوع كانت منهجاً في التلقِّي عند بعض العلماء؛ إذ إن ذِكْر الرواية بسندها من غير تمييز لصحيحها من ضعيفها يخلي المؤلف من

(1) ذكر خلدون الأحدب أن مردّ ذلك هو الاختلاف في الفهم والاجتهاد في تقعيد قواعد علم الحديث وأصوله، وأن ذلك مفتاح لفهم الاختلاف بين المحدِّثين. انظر: أسباب اختلاف المحدِّثين، 1/57 وما بعدها.

(2) انظر: خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدِّثين، 2/719.

(3) خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدِّثين، 2/591.

(4) انظر: مقدّمة ابن الصلاح، ص29، 30. السيوطي، تدريب الراوي، 1/95، 96.

(5) قدَّم الشيخ الألباني دراسة وافية عن هذه المصطلحات ومدى انتشارها في مقدّمته لـ(صحيح الترغيب والترهيب) للإمام المنذري. راجع: المنذري، صحيح الترغيب والترهيب، 1/43-50.

التَّبعة؛ لذا لا يُستغرب وجود العديد من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ضمن مصادر الحديث. لكن الذي يجب التأكيد عليه أن الأحاديث الضعيفة الواردة في ذكر المثالب لا يعتدُّ بها، وليست حجة، ولا تدخل ضمن الشروط التي وضعها العلماء في قبول الحديث الضعيف(١)، فالأحاديث الضعيفة ظنِّية الثبوت؛ أي ليست قطعيَّة(٢)، فكيف يترتَّب عليها إصدار حكم، أو اتِّهام شخص، أو جرح آخر؟!

ومن هنا يمكن القول: إن كل حديث ضعيف ورد في ذمّ بني أمية هو مردود ليس بحجة، فإذا كان الخبر التاريخي الذي يأتي فيه سبُّ المسلم أو تنقُّصه يجب التثبُّت من رواته ومعرفة نقلته(٣) فكيف بالحديث النبوي؟!

ثانياً: لعن بني أمية وذمّهم في كتب التفسير

أوردت تفاسير عديدة وصْف الأسرة الأموية بأنها الشجرة الملعونة، وأنهم شرّ الناس وأبغضهم، وأن أيامهم أيام مَطْل وظلم، وأن رسول الله ﷺ لعنهم ومات غاضباً عليهم، معتمدةً في ذلك على أحاديث منكرة مما سيأتي تفصيله وبيانه. فقد أشار العديد من التفاسير إلى أنهم الشجرة الملعونة المذكورة في القرآن ضمن الأقوال التي وردت في معناها دون تعليق(٤) من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ

---

(١) راجع شروط قبول الحديث الضعيف في الفصل نفسه، ص ٩٠، ٩١.

(٢) عن حجيَّة الحديث الضعيف انظر: عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣٠٣.

(٣) انظر ما كتبه الباحثون في ذلك في: محمد بن صامل، منهج كتابة التاريخ، ص٢٤٦. العمري، السيرة الصحيحة، ١/ ٤٠.

(٤) انظر: محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص١٧٤. السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، د. ط، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، د. ت)، ج٤، ص٢١١. كما نقل العيني قول ابن أبي حاتم في أن الشجرة الملعونة هي الحكم بن أبي العاص وولده، لكن العيني ذكرها على سبيل التضعيف بلفظ (قيل) أو (رُوي). انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط١، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م)، ج١٥، ص٢٧٧.

إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]. كما أشارت بعض التفاسير إلى أن سبب نزول هذه الآية هو رؤيا النبي ﷺ بني أمية ـ وفي رواية: (بني الحكم)، وفي رواية: (بني مروان)، وفي رواية: (بني فلان) ـ يَنْزُونَ[١] على منبره نَزْوَ القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ـ وفي رواية: (فما رُئِيَ) ـ ضاحكاً حتى مات[٢]. إلا أن بعض المفسِّرين ذكروا هذه الرواية على وجه التضعيف[٣].

وقد استنكر جمعٌ من المفسِّرين[٤] ما قيل من أن الشجرة الملعونة يُقصد بها بنو

---

(١) يَنْزُون: يُقالُ: نزوتُ على الشيء أنزو نزواً؛ إذا وثبت عليه. ابن الأثير، النهاية، ٥/ ٣٧، ٣٨، مادة (نزا).

(٢) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج٣، ص٥٢٨. ناصر الدين عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج٣، ص٢٦٠. ابن جُزيّ، التسهيل، ٢/ ١٧٤. السيوطي، الدرّ المأثور، ٤/ ٢١١. وقد أوردها الطبري ضمن عدة أقوال لكنه ضعَّفها. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صدقي العطار، د. ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، مج٩، ج١٥، ص١٤١.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، مج٩، ج١٥، ص١٤١. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج١٠، ص٢٤٦. كما أوردها الكرماني عن سعيد بن المسيب. انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، تحقيق: شمران العجلي، ط١، (جدة: دار القبلة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٦٣١، ٦٣٢. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، (بيروت: دار الخير، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج٣، ص٥٥. العيني، عمدة القاري، ١٥/ ٢٧٧. محمد الشوكاني، فتح القدير، د. ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٣، ص٢٣٨.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، مج٩، ج ١٥، ص١٤١. تفسير القرطبي، ١٠/ ٢٤٠. ابن كثير، تفسير القرآن، ٣/ ٥٥. ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٢٥٠، ٢٥١. الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٢٣٩. كما أشار بعض المفسِّرين إلى أن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم دون الإشارة إلى بني أمية. انظر: أبا الحسن الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: مصطفى ديب البغا،=

أمية أو بنو الحكم أو بنو مروان، وأوضحوا أن ما ورد في ذلك من أقوال ضعيف ومنكر، والصحيح هو أن الشجرة الملعونة المذكورة في القرآن يُقصد بها شجرة الزقُّوم(١).

أما المقصود بالرؤيا التي رآها النبي ﷺ، وهل هي رؤيا منام أم رؤية حقيقية، فقد اختلف المفسِّرون فيها؛ فالطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم رجَّحوا أنها رؤية عين حقيقية وليست مناماً، وكانت ليلة الإسراء، وهو قول الجمهور وأكثر المفسرين(٢). وبذلك يصبح معنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ** ﴾: إن الله منعك وعصمك من الناس؛ أي كفّار مكة، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة أسرَيْنا بك من مكة إلى بيت المقدس والشجرة الملعونة (شجرة الزقوم) ـ عطفاً عليها ـ إلا بلاءً للناس؛ فالكفار ازدادوا كفراً إلى كفرهم، والمسلمون بان صدق إيمانهم، فارتدّ بعضهم عن الإسلام(٣).

ومن التفاسير الذامّة لبني أمية ما قيل من أن سبب نزول سورة الكوثر هو تعويض اللهِ النبيَّ ﷺ بنهر الكوثر في الجنة وبليلة القدر عن أيام بني أمية؛ فقد

= ط١، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٢٤٣، ٢٤٤. الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٢٧، ٥٢٨. تفسير البيضاوي، ٣/ ٢٦٠.

(١) الزقُّوم: شجرة في النار طلعها كأنه رؤوس الشياطين. وزقُّوم: فعُّول من الزَّقْم؛ اللَّقْم الشديد والشُّرب المُفرط. ابن الأثير، النهاية، ٢/ ٢٧٧، مادة (زقم). وهي شجرة غَبْرَاء تنبت في السَّهْل صغيرة الورق مُدوَّرته لا شوك لها، وهي زُفْرَة مُرَّة، ولها نور أبيض ضعيف تجرسه النحل، ورؤوسها قباح. ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٢٥١.

(٢) الطبري، جامع البيان، مج٩، ج١٥، ص١٤٤. تفسير القرطبي، ١٠/ ٢٥٤، ٢٥٥. وذكر الكرماني أن الجمهور من العلماء يرون أنها رؤية يقظة. غرائب التفسير، ١/ ٦٣١. ابن كثير، تفسير القرآن، ٣/ ٥٥. ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٢٥٠. الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٢٠٧.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، مج٩، ج١٥، ص١٤١، ١٤٤. تفسير القرطبي، ١٠/ ٢٤٧. ابن كثير، تفسير القرآن، ٣/ ٥٥.

أوردت كتب التفسير[١] أن رجلاً قام إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية فقال: يا مسوِّد وجوه المؤمنين، فقال له الحسن: لا تؤنِّبني رحمك الله؛ فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ - ٣]، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال راوي الحديث: فعددنا فإذا هي كما قال لا تزيد يوماً ولا تنقص[٢].

لكن بعض مصادر التفسير أوردت هذا الحديث ونصَّت على أنه باطل أو منكر جداً[٣]، ثم دعمت أقوالها بإيراد أسباب نزول الآيات الصحيحة؛ فقد ذكر المفسِّرون أن سبب نزول سورة الكوثر هو أن أحد كفّار مكة[٤] كان يعيِّر النبي ﷺ بأنه أبتر لا عقب له من الذكور، فأنزل الله هذه السورة وعوَّضه بنهر الكوثر، وهو نهر بالجنة طوله شهر وعرضه شهر وعدد آنيته كعدد نجوم السماء[٥]، وأن سبب

---

(١) انظر: ابن جُزيّ، التسهيل، ٤/٢١١. محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، د. ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج٤، ص٤٢٩. تفسير القرطبي، ٢٠/١٢٣. السيوطي، الدر المنثور، ٦/٤١٥.

(٢) سيأتي التفصيل عن أيام بني أمية ومدَّتهم هل هي ألف شهر وأقوال العلماء والمؤرخين فيها. انظر: الفصل الثاني من الكتاب، ص ٢٥١-٢٥٤.

(٣) ذكر الطبري أن هذا القول باطل ولا دلالة عليه من خبر أو عقل. جامع البيان، مج١٥، ج٣٠، ص٣٣٠. وذكر ابن كثير أن هذا القول منكر جداً. تفسير القرآن، ٤/٥٦٥. وذهب الشوكاني إلى قول ابن كثير. فتح القدير، ٥/٤٧٣.

(٤) ذكر الطبري والقرطبي وابن حجر أن المفسِّرين اختلفوا في الذي عيَّر النبي ﷺ هل هو العاص بن وائل السهمي أم أبو جهل أم عقبة بن أبي مُعيط؟. انظر: جامع البيان، مج١٥، ج٣٠، ص٤٢٦، ٤٢٧. تفسير القرطبي، ٢٠/٢٠٤، ٢٠٥. فتح الباري، ٨/٦٠٣، ٦٠٤.

(٥) اختلف المفسِّرون في تفسير معنى الكوثر على عدة أقوال، أقواها أنه نهر بالجنة. انظر: الطبري، جامع البيان، مج١٥، ج٣٠، ص٤١٤، ٤١٥. تفسير القرطبي، ٢٠/١٩٨-٢٠٠. الواحدي، أسباب النزول، ص٣٧٧. تفسير البيضاوي، ٥/٣٤٢. ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/٥٩٢-٥٩٥. ابن حجر، فتح الباري، ٨/٦٠٣، ٦٠٤. الشوكاني، فتح القدير، ٥/٥٠٢-٥٠٥.

نزول سورة القدر هو تعجُّب الصحابة من طول مدة عبادة بعض بني إسرائيل الذي لبس السلاح وخرج يقاتل في سبيل الله ألف شهر، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ تعويضاً للمسلمين بليلةٍ مَن قام فيها بالعبادة خير من ألف شهر، فَسرَّ النبي ﷺ والناس معه بذلك(١).

ومن التفاسير الموضوعة التي قيلت في بني أمية تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [الشمس: ١ - ٤]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسْمِي فِي القُرْآنِ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَاسْمُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: وَالقَمَرِ إِذَا تَلاهَا، وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ: وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا، وَاسْمُ بَنِي أُمَيَّةَ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا». ثم قال: «.... لِوَاءُ اللَّهِ فِي بَنِي هَاشِمٍ، وَلِوَاءُ إِبْلِيسَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَهُمْ أَعْدَاءٌ لَنَا، وَشِيعَتُهُمْ أَعْدَاءٌ لِشِيعَتِنَا». وهذا الحديث منكر جداً، بل موضوع، وفي إسناده مجهولون، ولا يصحّ بوجه من الوجوه(٢).

ومن التفاسير الذامّة لبني أمية ما قيل عنهم من أنهم المعنيُّون في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؛ فقد ذكر ابن جرير الطبري وغيره من المفسِّرين عدة أقوال في المعنيّ في هذه الآية، منها أنهم الأفجران؛ أي بنو أمية وبنو مخزوم، وقيل: بنو أمية وبنو المغيرة، وقيل: بنو أسد وبنو مخزوم، وقيل: قريش، وقيل: كفار قريش، وقيل: كفار قريش في بدر، وقيل: منافقو قريش، وقيل: المشركون من أهل بدر، وقيل: أهل مكة(٣). والقول

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص٣٧٣، ٣٧٤. تفسير البيضاوي، ٥/٣٢٧. ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/٥٦٢-٥٦٤. الشوكاني، فتح القدير، ٥/٤٧٢.

(٢) أورده ابن عساكر عن الخطيب. تاريخ دمشق، ٥٧/٢٧٢، ٢٧٣. كما أورده ابن حجر في ترجمة محمد بن عمرو الحوضي وقال: أورده ابن الجوزي نقلاً عن الخطيب، وهو موضوع؛ لأن فيه ثلاثة مجاهيل: الحوضي، وموسى، وأبوه. لسان الميزان، ٥/٣٢٩.

(٣) انظر: جامع البيان، مج٨، ج١٣، ص٢٨٧-٢٨٩. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩/٣١١. =

الصحيح الذي رجّحه جمهور أهل التفسير أن المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ هم كفار أهل مكة من قريش[1]. وبذلك فإن الروايات الواردة في أن بني أمية هم المعنيُّون في الآية ضعيفة[2]. ومقصود الآية أن كفّار مكة بدّلوا نعمة الله عليهم، وهو محمد ﷺ، بتكفيره وصدّه فأحلوا قومهم دار البوار؛ أي الهلاك[3].

كما ذكرت بعض كتب التفسير أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان ومعه زعماء من أهل مكة عقب غزوة أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فأسلموا وتاب الله عليهم

= ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٥٩١، ٥٩٢. كما نقل ابن حجر أقوال الطبري وعلّق عليها. انظر: فتح الباري، ٨/٢٢٩. كذلك نقل السيوطي ما أورده الطبري وغيره في أكثر من عشرة أقوال. انظر: الدر المنثور، ٤/٩٥. وانظر أيضاً: الشوكاني، فتح القدير، ٣/١٠٨، ١٠٩.

(١) ذكر البخاري عن ابن عباس أنهم كفّار أهل مكة. انظر: كتاب التفسير، باب (ألم تَرَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله)، ابن حجر، فتح الباري، ٢/٢٢٩. العيني، عمدة القاري، ١٥/٢٥١. كما ذكر النسائي في كتاب التفسير عن ابن عباس أنهم كفار مكة. انظر: أحمد بن شعيب، كتاب السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ج٦، ص٣٧٢. وقد رجّح ابن جرير الطبري أنهم من مشركي قريش. انظر: جامع البيان، مج٨، ج١٣، ص٢٨٧. كما رجّح ابن كثير ما ذكره البخاري عن ابن عباس أنهم كفار مكة، ثم قال: «وإن كان المعنى يعمُّ جميع الكفار». انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/٥٩٢. كما أورد السيوطي أقوال البخاري والنسائي عن ابن عباس أنهم كفار أهل مكة. انظر: الدر المنثور، ٤/٩٥. وذكر الشوكاني أن جمهور المفسِّرين ذكروا أنهم كفار مكة. انظر: فتح القدير، ٣/١٠٨.

(٢) للاستزادة انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٥٩٢. انظر أيضاً: كتاب التفسير في البخاري، ابن حجر، فتح الباري، ٨/٢٢٩. وانظر أيضاً: كتاب المغازي في البخاري، ٧/٤٢٢-٤٢٤. الشوكاني، فتح القدير، ٣/١٠٨.

(٣) انظر تفسير الآية وشرح معانيها في: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٥٩١، ٥٩٢. الشوكاني، فتح القدير، ٣/١٠٨.

وحسن إسلامهم(١). لكن الروايات الصحيحة لم تذكر أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان بالاسم(٢)، وعلى فرض صحة ذلك فإن الإسلام يجبُّ ما قبله، وأبو سفيان ممَّن حسن إسلامه. وسيأتي الحديث عن لعنه ضمن الأحاديث الموضوعة الواردة في لعن معاوية(٣).

ومن الأقاويل الغريبة في التفسير عن بني أمية ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ - ٢] من أنها رموز لفتن؛ فالحاء: حرب علي ومعاوية، والميم: ولاية المروانية ـ الأموية، والعين: ولاية العباسية، والسين: ولاية السفيانية، والقاف: قدرة مهدي(٤).

والحقيقة أن كتب التفسير تأثَّرت بثقافة مؤلِّفيها ومذاهبهم، فظهرت آراء وتفاسير باطلة ضالَّة كتفاسير الباطنية والزنادقة والرافضة، كما تأثَّرت بما وضعه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير بلفظ: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ». قال: فنزلت الآية.. الحديث. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب يُستغرب من حديث عمر بن حمزة، وعرفه من حديث الزهري. لكن الألباني يرى صحة الحديث. انظر: سنن الترمذي، تحقيق: الألباني، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف، د. ت)، ص٦٧٢. كما أورده الذهبي، لكن المحقِّق (الأرناؤوط) يرى أنه ضعيف بهذا اللفظ. انظر: سِيَر أعلام النبلاء، ٢/ ٥٦٤، حاشية رقم ٣. كما أورده السيوطي كما عند الترمذي: الدر المنثور، ٢/ ٧٩.

(٢) أورد البخاري سبب نزول هذه الآية على نحو ما ذكر الترمذي، لكنه لم يُسَمِّ مَن لعنه رسول الله ﷺ. انظر تعليق ابن حجر في: فتح الباري، ٨/ ٧٣، ٧٤. وانظر أيضاً: العيني، عمدة القاري، ١٤/ ١٥٤، ٢٠/ ٢٤٥. كما أوردت بعض كتب التفسير سبب نزول هذه الآية دون ذكر لعن الرسول ﷺ أبا سفيان. انظر: ابن جُزيّ، التسهيل، ١/ ١١٨. الزمخشري، الكشاف، ١/ ٦٢٤. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٤٣٣-٤٣٥. تفسير البيضاوي، ١/ ١٧٩.

(٣) انظر: الفصل الثالث عند تناول الأحاديث الموضوعة في لعن معاوية، ص ٣٠٨.

(٤) الكرماني، غرائب التفسير، ٢/ ١٠٤٧، نقلاً عن الثعالبي. وذكره السيوطي عن الكرماني. انظر: الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: محمد سكر، مراجعة: مصطفى قصاص، ط٢، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢، ص٥٢٧.

الزنادقة والقُصَّاص والمتصوِّفة من أحاديث[1]، كما تأثرت كتب التفسير بالخلافات السياسية[2] وبالإسرائيليات[3] المتعلِّقة بالفتن والملاحم وغيرها[4].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن روايات أهل الكتاب في بداية الأمر فقال: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ»[5]. ثم سمح بالتحديث عنهم فقال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ»[6]. فالرسول ﷺ نهى عن الأخذ من أهل الكتاب في بداية الأمر، وعندما استقرّت الأحكام والقواعد الدينية جاز التحديث مما لم يشتمل الكذب[7]؛ فالأخبار الموافقة لشرعنا لا تدخل في النهي[8].

وترجع كثرة الإسرائيليات في كتب التفسير إلى اختلاف منهج العلماء في قبولها وردّها[9]؛ فالأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وتنقسم

(١) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/٥٣٨، ٥٣٩. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٣٢، ٣٣. محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٧٤-٧٧، ٨٦-٩٠.

(٢) محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٨٦.

(٣) إسرائيل هو لقب يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام، وبنو إسرائيل ذُرِّيَّته. ابن حجر، فتح الباري، ٦/٣٧٢. وسُمِّيت أقاويلهم بالإسرائيليات لأن الغالب عليها والكثير منها هو من ثقافة بني إسرائيل أو من كتبهم أو من أساطيرهم؛ فالإسرائيليات غالباً ترجع إلى أصل يهودي أو نصراني. انظر: أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص١٢-١٤. عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣١٧.

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/٣٢. محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٩١-٩٣.

(٥) انظر: البخاري، باب (قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)، ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٣٤٥.

(٦) انظر الحديث في البخاري، باب (ما ذُكر عن بني إسرائيل)، وتعليق ابن حجر عليه. فتح الباري، ٦/٥٧٢.

(٧) ابن حجر، فتح الباري، ٦/٥٧٢-٥٧٥، ضمن باب (ما ذُكر عن بني إسرائيل).

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٣٤٥، ٣٤٦، ضمن باب (قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء).

(٩) للاستزادة عن ذلك انظر: عبد الكريم الخضير، الحديث الضعيف، ص٣١٦، ٣١٧.

إلى ثلاثة أقسام(١):

القسم الأول: ما علمنا صحَّته مما بأيدينا ما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا ما يخالفه، فذاك كذب.

القسم الثالث: مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، لا نؤمن به ولا نكذّبه.

كما يُعاب على كتب التفسير كثرة المراسيل الضعيفة بها، ولهذا قال الإمام أحمد: «ثلاثة علوم لا إسناد لها، وفي لفظ: لا أصل: التفسير، والمغازي، والملاحم»(٢). قال ابن تيمية معلِّقاً: «يعني أن أحاديثها مرسلة»(٣). وهذا ما لمسته الدراسة فيما يخصُّ بني أمية.

كما تأثر بعض المفسرين بالتصوُّف، فكان لبني أمية نصيب من هذه التفاسير. فعلى سبيل المثال تأثر البعض بالتفسير الإشاري الصوفي(٤)؛ كابن جُزَي (ت ٧٤١هـ) الإمام المفسّر صاحب كتاب (التسهيل في علوم التنزيل)، ولكن بصورة محدودة(٥). والمهم منها تلك التفسيرات الخاطئة التي أوردها ابن جُزي عن بني

---

(١) قسَّم ابن كثير الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام. انظر: تفسير القرآن العظيم، ١/٥.

(٢) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ٧/٤٣٥. ابن حجر، لسان الميزان، ١/١٣.

(٣) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ٧/٤٣٥. ومراد الإمام أحمد المبالغة تنبيهاً للأذهان، فليس مراده عموم النفي، وإلا فهناك تفاسير صحيحة. انظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/١٤، حاشية رقم ١. وانظر أيضاً: محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٨٥.

(٤) التفسير الإشاري: تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفيَّة تظهر لأرباب السلوك والتصوُّف، وقد منعه كثير من العلماء. انظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/٧٨. ويرى السيوطي أن تفسير الصوفية لا يُعتمد عليه؛ لأنه يتقارب مع مسلك الباطنية القائلين بأن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معانٍ باطنية لا يعرفها إلا المعلم. انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/٥٢٠.

(٥) عن موقف ابن جزيّ من التفسير الصوفي انظر: عليّ الزبيري، ابن جزيّ ومنهجه في التفسير، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج٢، ص٦٠٦-٦١٩.

أمية؛ مثل قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢]: وفي ذلك إشارة إلى بني أمية الذين استطالوا على الناس(١). كذلك قوله عند ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]: أي صبْر آل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضرّ والذل طول مدة بني أمية(٢). وإشارات ابن جُزي هذه حول بني أمية واهية وموضوعة(٣). كما أن ابن جُزي ممن أشار في تفسيره إلى أن المقصود بالألف شهر أيام بني أمية ضمن تفسير سورة القدر(٤). كما ذكر ابن جُزي أن النبي ﷺ رأى بني أمية في ليلة الإسراء يَنْزُون على منبره فاستاء من ذلك(٥). وهو من دلائل تحامله على بني أمية(٦).

وتجدر الإشارة إلى أن إيراد المفسِّرين للموضوعات والأباطيل في كتبهم لا يعني قبولهم لها، وإنما كان ذلك منهجاً في التلقِّي عند بعض علماء السلف؛ إذ إن ذكر الرواية بسندها من غير بيان أو تمييز لصحيحها من ضعيفها يخلي المؤلف من العهدة والتَّبعة(٧).

وهكذا نجد أن بعض كتب التفسير أشارت إلى أقوال ذامَّة لبني أمية حين وصفتهم بالشجرة الملعونة، وحين ذكرت أن رسول الله ﷺ رآهم على منبره فمات

---

(١) ابن جزيّ، التسهيل، ٤/ ٢٣. وانظر أيضاً: عليّ الزبيري، ابن جزيّ ومنهجه في التفسير، ٢/ ٦١٧.

(٢) ابن جزيّ، التسهيل، ٤/ ٢٣. وانظر أيضاً: عليّ الزبيري، ابن جزيّ ومنهجه في التفسير، ٢/ ٦١٧.

(٣) انظر تعليق المؤلِّف عليّ الزبيري على ذلك في: ابن جزي ومنهجه في التفسير، ٢/ ٦١٨.

(٤) ابن جزيّ، التسهيل، ٤/ ٢١١.

(٥) ابن جزيّ، التسهيل، ٢/ ١٧٤.

(٦) أشار عليّ الزبيري إلى ذلك في: ابن جزيّ ومنهجه في التفسير، ١/ ٥٩١، ٥٩٢، ٢/ ٦١٨، ٦١٩.

(٧) محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص١٢٣، ١٢٤.

وهو غاضب عليهم، فعوّضه الله بليلة القدر ونهر الكوثر، وأن أيامهم هي الألف شهر المقصودة في سورة القدر، وأنهم هم الذين أحلُّوا قومهم دار البوار.

ويخلُص هذا المبحث إلى ضعف الأقوال والتفاسير الذامَّة أو اللاعنة لبني أمية الواردة في كتب التفسير ونكارتها. ولأنه لا يمكن للدراسة تقصِّي ما ورد عن بني أمية في كل كتب التفسير اكتفت بذكر نماذج مشهورة فبسطت فيها القول؛ ليعلم المتأمِّل أنه إذا كانت التفاسير مليئة بالأحاديث الموضوعة عن بني أمية فمن غير المُستغرَب أن تنتشر في المصادر التاريخية.

ثالثاً: لعن بني أمية وذمّهم في الأحاديث النبوية

وردت عدة أحاديث تلعن بني أمية وتذمّهم، لكنها تأتي تارةً مبهمة؛ مثل: بنو فلان، وتارة تصرِّح باسمهم، أو باسم بني مروان، أو بني العاص، أو بني الحكم وولده. والأحاديث التي سنذكرها في ذمّ بني أمية نوردها في المتن ونحيل إلى من خرَّجها في الحاشية، ثم نبيّن مرتبتها وضعفها حسب أقوال المحقِّقين من العلماء، وذلك كما يلي:

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه(١) قال: «مات النبي ﷺ وهو يكره ثلاثة أحياء: ثقيفاً، وبني حنيفة، وبني أمية»(٢). (ضعيف)(٣).

(١) عمران بن حصين الكعبي: يُكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، من فقهاء الصحابة، سكن البصرة ومات بها سنة ٥٢هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد بسنده. انظر: الفتن، ص٨٣. كما ذكره الترمذي في باب المناقب وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»؛ يعني: ضعيف. انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج١٠، ص٣٠٧. كما أخرجه المتقي الهندي نقلاً عن نعيم. انظر: كنز العمال، ١١/٢٤٧.

(٣) يرى الجوزقاني وابن الجوزي أن الحديث منكر؛ لأن في سنده مجهولاً. انظر: الأباطيل، ١/٤٠١، ٤٠٢. العلل المتناهية، ١/٢٩٣. كما ضعَّفه الذهبي لأن فيه راوياً واهياً. انظر: تلخيص كتاب العلل المتناهية لابن الجوزي، تحقيق: ياسر محمد، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص١٠١. وضعَّفه الألباني في هامش المشكاة. انظر: محمد=

وعن أبي بَرْزَةَ الأسلمي رضي الله عنه[1] قال: «كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف»[2]. (منكر)[3].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ كَذَّاباً، مِنْهُمْ: مُسَيْلِمَةُ ـ الكذاب، وَالعَنْسِيُّ ـ أبو الأسود، وَالمُخْتَارُ ـ ابن أبي عُبيد الثقفيّ. وَشَرُّ قَبَائِلِ العَرَبِ: بَنُو أُمَيَّةَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ، وَثَقِيفٌ»[4]. الجزء

= التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٣، ص١٦٨٩.

(١) أبو بَرْزَةَ الأسلميّ: اختُلف في اسمه واسم أبيه، والصحيح أن اسمه نضلة بن عبيد، صحابي جليل نزل البصرة، مات سنة ٦٤هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/١٧٣، ١٧٤.

(٢) أخرجه أحمد دون لفظ (بنو أمية). انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٣٣، ص١٩. كما أخرجه الحاكم بسنده وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انظر: المستدرك على الصحيحين، ٥/٦٧٨. وذكره الهيثمي وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى وزاد، إلا أنه قال: بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة. وكذلك الطبراني. ورجالهم رجال الصحيح غير عبد الله بن مُطرِّف ابن الشِّخِّير، وهو ثقة». مجمع الزوائد، ١٠/٧٤. كما ذكره البوصيري وقال: رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بن حنبل. انظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ١٠/٢٢٥. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٥.

(٣) انظر: الجوزقاني، الأباطيل، ١/٤٠٢، ٤٠٣. وقال ابن الجوزي في العلل (١/٢٩٣): منكر، على نحو ما ذكره الجوزقاني؛ لأن فيه محمد بن أبي يعقوب: مجهول. قال محقِّق كتاب الجوزقاني: محمد بن أبي يعقوب ثقة ومن رجال الجماعة، وهو محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب: مجهول، وقد ذكره ابن حجر في (لسان الميزان). وأما محمد بن أبي يعقوب الذي جهله الجوزقاني وابن الجوزي فهو أبو عبد الله الكرماني محمد بن أبي يعقوب، وليس هو راوي الحديث. انظر حاشية ٢ من كتاب: الأباطيل ١/٤٠٢. وعلى كلِّ حال فالحديث ورد بروايتين: رواية عن عمران بن الحصين وهي ضعيفة، ورواية عن أبي بَرْزَة وهي منكرة.

(٤) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٤٨٠، ٤٨١. ابن كثير، شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط٢، (القاهرة: المكتبة الأدبية العربية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج٢، ص٢٥٠. كما ذكره الهيثمي في مجمعه وقال: رواه أبو يعلى، وفيه=

الأخير من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما (منكر)(١).

كما ذكر الجوزقاني بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «وَيْلٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ» ثلاث مرات. وقال: «هذا حديث باطل»(٢). وفي رواية: «وَيْلٌ لَهُمْ مِنْ فُلانٍ»(٣). كما

= محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد، ١٠/٧٥. كما ذكره ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية عن أبي يعلى. انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ١٠/١٠٩. كما ذكره البوصيري وقال: رواه أبو يعلى الموصلي بإسناد حسن. إتحاف المهرة، ١٠/٢٢٥. ابن حجر، تطهير الجنان، ص٨٥. كما نقله المتقي الهندي عن ابن عدي في الكامل. انظر: كنز العمال، ١٤/١٩٩.

(١) الجزء الأول من الحديث إلى (ثَلاثُونَ كَذَّاباً) أخرجه البخاري في باب المناقب، ومسلم في باب الفتن، والترمذي في باب الفتن أيضاً، عن أبي هريرة ﷺ. انظر: شرح مسلم، ١٨/٣٦. فتح الباري، ٦/٧١٢، ٧١٣. تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، ٦/٣٨٣. كما أخرجه ابن أبي شيبة إلى لفظ (المختار). عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار، ترتيب وضبط: محمد عبد السلام شاهين، ج٦، ص١٩٢. والحديث بهذا السياق الذي ذُكر في المتن أورده ابن عدي في الضعفاء. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: سهيل زكار، مراجعة: يحيى عزاوي، ط٣، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج٦، ص١٧٤. وهو منكر؛ لأن فيه الأسدي، قال يحيى بن معين: ليس بشيء. انظر: الجوزقاني، الأباطيل ١/٤٠٠. ابن الجوزي، العلل المتناهية، ١/٢٩٢، ٢٩٣. ووافقه الذهبي في: تلخيص العلل المتناهية، ص١٠١. كما ذكر الذهبي أن عبارة «وشر قبائل العرب» لعلها من زيادات راوي الحديث محمد بن الحسن بن التل الأسدي الكوفي، قال أبو حاتم: شيخ، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو داود: صالح يكتب حديثه، وقال الفسوي: ضعيف. ميزان الاعتدال: ٣/٥١٢، ٥١٣. قال البيهقي: الحسن الأسدي له إفرادات، وقد حدَّث عنه الثقات، وحديثه في (المختار) له شواهد. دلائل النبوة، ٦/٤٨١. ونقل ابن كثير كلام البيهقي. انظر: البداية، ٦/٢٤١. شمائل النبوة، ٢/٢٥٠. والحديث ليس فيه محمد بن الحسن بن زبالة كما ذكر الهيثمي في مجمعه، ولكن فيه محمد بن الحسن الأسدي، وهو صدوق ثقة، بل فيه شريك؛ شيعي ومختلط. انظر تعليق محقّق العلل المتناهية: ١/٢٩٣.

(٢) الجوزقاني، الأباطيل، ١/٤٠٣. والحديث أورده ابن الأثير وابن حجر في ترجمة حمران بن جابر الحنفي اليمامي من رواية ابن منده. انظر: أُسْد الغابة، ٢/٤٩. الإصابة، ٢/١٠٤. كما أورده المتقي الهندي عن ابن منده وأبي نعيم. انظر: كنز العمال، ١١/٣٦٣.

(٣) إسناده ضعيف ومضطرب. انظر: الجوزقاني، الأباطيل، ١/٤٠٣.

أورد الجوزقاني بسنده[١] أن رسول الله ﷺ تكلَّم عن الجور، فسأله الصحابة: ومَن أهل الجور؟ قال: «هَؤُلاءِ بَنُو عَمِّنَا - يعني بني أُمية - الَّذِينَ بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا». قيل يا رسول الله: ومَن هم أهل العدل؟ قال: «نَحْنُ أَهْلَ البَيْتِ». وقال: «حديث منكر»[٢].

ومن الأحاديث الذامَّة لبني أمية: عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه[٣] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا بَلَغَتْ بَنُو أُمَيَّةَ أَرْبَعِينَ - أي في الحُكْم - اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً[٤]، وَمَالَ اللَّهِ نُحْلاً[٥]، وَكِتَابَ اللَّهِ دَغَلاً»[٦، ٧]. وهو ضعيف؛ لأن إسناده منقطع[٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَرْعَفَنَّ - وفي رواية:

(١) عن نافع بن أبي نافع قال: سمعت معقل بن يسار يقول: قال رسول الله ﷺ... انظر: الأباطيل، ١/٤٠٩.

(٢) لتفرُّد خالد بن طهمان بالحديث، وهو ضعيف. انظر: الجوزقاني، الأباطيل، ١/٤٠٩، ٤١٠. للاستزادة عن خالد بن طهمان انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/٦٣٢.

(٣) أبو ذرٍّ الغفاري: جُنْدَب بن جُنَادَة، وهو المشهور في اسمه. قديم في إسلامه، روى عدة أحاديث عن ابن عباس. مات بالربذة سنة ٣٢هـ، وقيل: سنة ٣٣هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/٢١٦-٢١٨.

(٤) خَوَلاً: الخَوَل أي العبيد. ابن الأثير، النهاية، ٢/٨٣، مادة (خول).

(٥) نُحْلاً: النِّحْلَة بالكسر أي العطيَّة؛ أي يُعطي المال دون استحقاق على الإيثار والتخصيص. ابن الأثير، النهاية، ٥/٢٤، مادة (نحل).

(٦) دَغَلاً: مفسدة؛ أي أنهم يفسدون بالدين بين الناس ويخدعونهم. ابن الأثير، النهاية، ٢/١١٥، مادة (دغل).

(٧) نعيم بن حماد، الفتن، ص٨٢. كما أخرجه الحاكم بسنده في: المستدرك، ٥/٦٧٥، ٦٧٦. وبلفظ آخر: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ ثَلاثِينَ»، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه: ٥/٦٧٧. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥٠٧. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/٢٦٤. وذكره السيوطي عن طريق الحاكم. انظر: الخصائص الكبرى، ٢/٢٠٠.

(٨) إسناده منقطع؛ لأن راشداً راوي الحديث لم يُدرك أبا ذرٍّ. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٢٥٤. ابن كثير، البداية، ٦/٢٤٧. شمائل الرسول، ٢/٢٦٤. الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٢، ٢٣٣.

لَيَنْعِقَنَّ، وفي رواية: لَيَرْعَفَنَّ - عَلَى مِنْبَرِي جَبَّارٌ مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ يَسِيلُ رُعَافُهُ». قال: فحدَّثني مَن رأى عمرو بن سعيد بن أبي العاص - والي المدينة - يَرْعَف على منبر رسول الله ﷺ(١). (منكر)(٢).

وعن ثَوْبَان رضي الله عنه(٣) مرفوعاً: «أُرِيتُ بَنِي مَرْوَانَ - وفي رواية: بَنِي أُمَيَّةَ - يَتَعَاوَرُونَ(٤) مِنْبَرِي فَسَاءَنِي ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ بَنِي العَبَّاسِ يَتَعَاوَرُونَ مِنْبَرِي فَسَرَّنِي ذَلِكَ»(٥). (ضعيف جداً)(٦).

كما أشارت المصادر(٧) إلى أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) مسند أحمد (١٤/٥٤٧) بلفظ: «لَيَرْتَقِيَنَّ». مسند أحمد (١٦/٤٤٤) بلفظ: «لَيَرْعَفَنَّ». كما أورده ابن حجر في المطالب العالية (١٠/١٠٩)، من طريق مسند الحارث. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/٢٠١. الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٤.

(٢) ذكر ابن عساكر والذهبي أن في سنده عليّ بن زيد بن جدعان. تاريخ دمشق، ٤٦/٣٦. تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٠٤. ذكر ابن كثير أن هذا الحديث فيه غرابة ونكارة، كما أن فيه عليّ بن زيد بن جدعان، وفيه تشيُّع. البداية، ٦/٢٤٠. الشمائل، ٢/٢٤٧. وقال الهيثمي: فيه راوٍ لم يُسَمَّ. مجمع الزوائد، ٥/٢٤١. وضعفه البوصيري في الإتحاف (١٠/٢٣٢)، وقال: في إسناده مَن لم يُسَمَّ.

(٣) ثَوْبَان مولى رسول الله ﷺ؛ أبو عبد الله: هو ثوبان بن بُجْدُد من أهل السَّراة؛ موضع بين مكة واليمن، وقيل: من حمير. تُوفِّي بحمص سنة ٥٤هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٢٩٠، ٢٩١.

(٤) يَتَعَاوَرُونَ: يختلفون ويتناوبون. ابن الأثير، النهاية، ٣/٢٨٨، ٢٨٩، مادة (عور).

(٥) أخرجه الطبراني بلفظ: (بَنِي مَرْوَانَ). انظر: أبا القاسم سليمان الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ج٢، ص٩٦.

(٦) قال ابن العربي: حديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية يَنْزُون على منبره كالقردة لا أصل له. العواصم من القواصم، ص٢٤٨. وذكره الجوزقاني في الأباطيل (١/٤١٠) عن سعيد بن المسيب، وقال عنه: باطل. وكذلك أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٢٩٤) بالمعنى نفسه، ولكن بلفظ مختلف، وقال: لا يصحُّ؛ لأن أكثر رجال الأسانيد مجاهيل. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٤٧)، وقال: رواه الطبراني، وفيه زيد بن معاوية وهو متروك. وعلَّق الألباني على حديث ثوبان بقوله: ضعيف جداً، أخرجه الطبراني. سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج٦، ص٢٦٨.

(٧) أخرج البيهقي بسنده عن سعيد بن المسيب قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه=

أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ هو رؤيا النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك. وكلّ ما ورد في ذلك من روايات إما ضعيفة وإما منكرة(١). ويرى الشيخ الألباني وغيره من المعاصرين أن ما ورد من أحاديث في أن بني أمية هم الشجرة الملعونة باطل وموضوع(٢)، وهو ما سبق بيانه في تفسير معنى هذه الآية.

كما أشارت بعض مصادر الحديث إلى ما سبق ذكره من أن سبب نزول سورة القدر وسورة الكوثر هو تعويض اللهِ النبيَّ ﷺ عن أيام بني أمية بنهر الكوثر في الجنة وبليلة القدر عندما رأى في منامه أن بني أمية يَرْقَوْنَ منبره(٣)؛ فقد قام رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما يؤنِّبه لتنازله عن الخلافة لمعاوية قائلاً: يا مسوِّد وجوه المؤمنين، فقال له الحسن: لا تؤنِّبْني رحمك الله؛ فإن رسول الله ﷺ

= ذلك، فأُوحيَ إليه: «إنَّمَا هِيَ دُنْيَا أُعْطُوهَا»، فقرَّت عينه. وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ يعني: بلاءً للناس. انظر: دلائل النبوة ٦/ ٥٠٩. كما أورده ابن كثير وقال: مُرسَل، وسنده إلى سعيد ضعيف. شمائل الرسول، ٢/ ٢٦٧. البداية، ٨/ ٢٦١. كما أورده الحاكم بلفظ: (بَنِي الحَكَم). انظر: المُستدرَك على الصحيحين، ٥/ ٦٧٧، ٦٧٨. كما ذكره الهيثمي وقال: فيه زيد بن معاوية؛ متروك. مجمع الزوائد ٥/ ٢٤٦، ٢٤٧. وذكره ابن حجر في المطالب العالية بلفظ: (بني الحكم)، ١٠/ ١٠٧. المتقي الهندي، كنز العمال، ١٤/ ٨٧.

(١) ضعفها الذهبي. انظر تعليقه على المستدرك، ٥/ ٦٧٧، ٦٧٨. كما ذكر الجوزقاني الحديث بلفظ آخر وقال: حديث باطل؛ لأن فيه عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي، وهو منكر الحديث، ١/ ٤١٤. وعلَّق عليها ابن الجوزي في العلل المتناهية بعدم الصحة، ١/ ٢٩٤. وقال ابن كثير: كل ما ورد في هذا المعنى أحاديث ضعيفة ومُرسَلة وموضوعة. انظر: البداية، ٦/ ٢٤٨، ٨/ ٢٦١، ٢٦٢. وذكر ابن حجر أن كل أسانيد هذه الرواية ضعيفة. انظر: فتح الباري، ٨/ ٢٥٠.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط١، (أسيوط: لجنة إحياء السُّنَّة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج٣، ص١٩٥، ١٩٦. خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ٣/ ١٥٢، ١٥٣.

(٣) انظر ما سبق ذكره في لعن بني أمية وذمِّهم في كتب التفسير، ص ١٢٢-١٣٢.

رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك[١]. (منكر)[٢].

كما أشارت بعض مصادر الحديث إلى أن بني أمية هم المقصودون في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[٣]، وهو قول ضعيف سبق بيانه[٤].

ومن الأحاديث الضعيفة الذَّامَّة لبني أمية أيضاً: أخرج نعيم بن حماد بسنده عن عبدالله بن مسعود: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً تُفْسِدُهُ، وَآفَةُ هَذَا الدِّينِ بَنُو أُمَيَّةَ»[٥].

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. انظر: تحفة الأحوذي، ٩/١٩٦، ١٩٧. الطبراني، المعجم الكبير، ص٣/٨٩، ٩٠. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥٠٩، ٥١٠.

(٢) حديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية على منبره قال عنه ابن الجوزي: لا يصح. العلل المتناهية، ١/٢٩٣، ٢٩٤. وقال الذهبي في تلخيص العلل لابن الجوزي (ص١٠٢): حديث فيه ظلمات، فلا أدري مَن افتراه. وقال ابن كثير: حديث منكر سِيقَ لذمّ دولة بني أمية. انظر: شمائل الرسول، ٢/٢٦٨. وذكر خلدون الأحدب أنه منكر جداً. انظر: زوائد تاريخ بغداد، ٦/٥٣٩. كما علَّق الشيخ الألباني على هذا الحديث بقوله: «ضعيف الإسناد مضطرب، ومتنه منكر». انظر: سنن الترمذي، ص٧٦٠، ٧٦١. الألباني، ضعيف سنن الترمذي، ص٣٦٤. للاستزادة عن ذلك راجع ما سبق ذكره، ص ١٢٢-١٢٤.

(٣) ذكر الحاكم أن الذين أحلُّوا قومهم دار البوار هم الأفجران من قريش؛ بنو أمية وبنو المغيرة. فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمُتِّعُوا إلى حين. انظر: المستدرك، ٣/٩٥. كما أورده الهيثمي وضعفه وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه (عمر ذو مر) لم يَرْوِ عنه غير أبي إسحاق، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد، ٧/٤٧.

(٤) انظر ما سبق ذكره عن لعن بني أمية وذمّهم في كتب التفسير، ص ١٢٢-١٣٢.

(٥) انظر: الفتن، ص٨١. وذكره البوصيري في الإتحاف (١٠/٢٣١) عن إسحاق بن راهويه، وقال: سنده ضعيف؛ لضعف علي بن علقمة. كما أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١٠/١٠٦) عن عبد الله بن مسعود ولم يعلّق عليه. وذكره ابن حجر الهيتمي وقال: بسند فيه ضعف. انظر: تطهير الجنان، ص٨٦. والحديث في سنده علي بن علقمة الأنماري، قال عنه البخاري: كوفي في حديثه نظر. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/١٤٦. قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص٤٠٤): مقبول. كما ورد الحديث بلفظ: «لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ، وَآفَةُ الدِّينِ وُلَاةُ السُّوءِ». البوصيري، الإتحاف، ٦/١٩٧، وهو ضعيف جداً. انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ط١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٢هـ)، ج٩، ص٣٠٨.

كما أخرج نعيم بن حماد والحاكم بسندهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَإِنَّ أَشَدَّ قَوْمِنَا لَنَا بُغْضاً بَنُو أُمَيَّةَ»(١).

وبعد أن بيَّنَّا التفاسير والأحاديث الضعيفة والموضوعة الواردة في ذمّ بني أمية هل توجد أحاديث صحيحة تذمّ بني أمية؟ وهل اتَّفق العلماء على أنها واردة في بني أمية؟ كما أن هناك أحاديث اختلف العلماء في ضعفها، فهل يمكن الاستشهاد بها في ذمّ بني أمية؟ كما توجد أحاديث عامة (صحيحة) استشهد بها بعض العلماء في ذمّ زمان بني أمية، فما مدى صحّة ذلك؟

وللإجابة عن ذلك ستُورد الدراسة هذه الأحاديث ثم تبيِّن أقوال العلماء فيها وما ترجَّح منها فيما يلي:

* **أحاديث مختلَف في ضعفها وردت في ذمّ بني أمية:**

هناك أحاديث مُختلَف في ضعفها عدّها بعض المحدثين شواهد للطعن في بني أمية، ومن ذلك: حديث أبي العالية(٢) قال: كنَّا مع أبي ذرٍّ رضي الله عنه بالشام، فقال أبو ذرٍّ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ ـ وفي رواية: يُغَيِّرُ ـ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»(٣). وفي رواية ضعيفة: «يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»(٤).

(١) الفتن، ص٨٣. والحديث أخرجه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «وَإِنَّ أَشَدَّ قَوْمِنَا لَنَا بُغْضاً بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْمُغِيرَةِ وَبَنُو مَخْزُومٍ». قال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقَّبه الذهبي قائلاً: «لا والله ليس بصحيح، كيف وإسماعيل متروك، ثم لم يصحّ السند إليه؟!». انظر قول الذهبي في: المستدرك، ٥/٦٨٦.

(٢) أبو العالية: رفيع بن مهران المقرئ الحافظ المفسِّر الرياحي البصري، أسلم في عهد أبي بكر الصديق، من جلّة التابعين، ثقة، إلا أنه كثير الإرسال. مات سنة ٩٠هـ، وقيل: سنة ٩٣هـ. انظر: الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٤/٢٠٧-٢١٣. ميزان الاعتدال، ٢/٥٤، ٤/٥٤٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/٢٥٩. ابن كثير، الشمائل ٢/٢٣٣. البداية، ٦/٢٣٤، ٨/٢٣٤. ابن حجر، المطالب العالية، ١٠/١٠٦، ١٠٧. محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٣، ص٩٤. كما ذكره البوصيري في الإتحاف (١٠/٢٣٢) عن طريق ابي شيبة وابي يعلى. كما ذكره المتقي الهندي في: كنز العمال، ١٤/١٩٨.

(٤) سيأتي تخريجها والحديث عنها في الفصل الثالث عند الكلام على أحاديث يزيد بن معاوية، ص ٣٥٦.

والشطر الأول من الحديث «أَوَّلُ مَنْ يُغَيِّرُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ» مُختلَف في ضعفه، وقد أورده الشيخ الألباني ضمن السلسلة الصحيحة، ويرى أن إسناده حسن، وأن الحديث لا ينزل عن مرتبة الحسن[1]. كما ورد هذا الحديث بلفظ آخر عن أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ مُعْتَدِلاً قَائِماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ[2] رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»[3]. وفي رواية ضعيفة: «يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»[4].

ويرى بعض العلماء أن المقصود بسُنَّتي في الحديث: طريقتي وسيرتي القويمة[5]. ويرى البعض أن المراد منه تغيير نظام الخلافة وجعله وراثةً[6]، وهو الأقرب إلى الواقع.

*** أحاديث صحيحة عامَّة اتَّخذها بعض العلماء دلائل على ذمّ بني أمية:**

عن سفينة رضي الله عنه[7] قال: قال رسول الله ﷺ: «الخِلافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً ثُمَّ

---

(١) الألباني، السلسلة الصحيحة، ج٤، ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) الثَّلْم: كسر الحافة أو الشفة، ثلم السيف أو الإناء أي انكسر من شفته. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٣٦، مادة (ثلم).

(٣) أورده البزار في مسنده. وعلَّق عليه ابن حجر بأنه منقطع. انظر: ابن حجر العسقلاني، مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، تحقيق وتقديم: صبري عبد الخالق أبو ذرّ، ط٣، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص٦٨٥. نعيم بن حماد، الفتن، ص١٩٠. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٦٧. الهيثمي، مجمع الزوائد، ٥/ ٢٤٤. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/ ٢٣٢. كما أورده ابن حجر وقال: رجاله ثقات، إلا أنه منقطع. انظر: المطالب العالية، ١٠/ ١٠٨.

(٤) سيأتي تخريجها والحديث عنها في الفصل الثالث عند الكلام على أحاديث يزيد بن معاوية، ص ٣٥٦.

(٥) المناوي، فيض القدير، ٣/ ٩٤.

(٦) الألباني، السلسلة الصحيحة، ٤/ ٣٣٠.

(٧) سفينة: مولى رسول الله ﷺ، وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهي أعتقته. واختلف في اسمه، فقيل: مهران، وقيل: رومان، وكنيته أبو عبد الرحمن. سمَّاه رسول الله ﷺ سفينة لأنه كان يحمل المتاع الكثير. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٢/ ٣٤٣، ٣٤٤.

مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ»[١]. وعند الترمذي: «خِلافَةُ أُمَّتِي ...» الحديث. قال سعيد بن جهمان (الراوي): فقلتُ له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنو الزرقاء[٢]، بل هم ملوك شرّ الملوك[٣]. وفي رواية عند أبي داود: كذبت أسْتاه[٤] بني الزرقاء؛ يعني بني مروان[٥]. وحديث سفينة «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ» حديث صحيح على الرغم من قول البعض بعدم صحته[٦]. أما رواية

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي بزيادة: «قلتُ: فمعاوية؟ قال: كان أول الملوك». انظر: أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي، منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، ج٢، ص١٦٢، ١٦٣. أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ١/٥٩٦، ٥٩٧. المسند، ٣٦/٢٤٨. كما أخرجه النسائي في كتاب المناقب. انظر: السنن الكبرى، ٦/٤٧. كما أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/١٢٣، ١٢٤)، ووافقه الذهبي. كما أخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، وَسَائِرُهُمْ مُلُوكٌ». انظر: علاء الدين ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، ج٨، ص٢٢٦، ٢٢٧. أبو محمد الحسين البغوي، شرح السنة، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، ج٧، ص١٧٥، ١٧٦. كما أخرجه البيهقي بسنده في: دلائل النبوة، ٦/٣٤٢.

(٢) الزرقاء: من أمهات بني أمية في الجاهلية. انظر: تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، ٦/٣٩٥.

(٣) أخرجه الترمذي في باب الفتن (ما جاء في الخلافة)، وقال: حديث حسن. انظر: تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، ٦/٣٩٥، ٣٩٦.

(٤) أسْتاه: جمع اسْت، وهي العجيزة، وتطلق على حلقة الدبر. وأصل الكلمة سَتَه بفتحتين، والجمع أسْتاه. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٢/٣٠٨، مادة (سته). والمراد أنها كلمة كاذبة كالضَّرْطَة التي تخرج من أدبارهم، فلا قيمة لها. محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود للحافظ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية، ج١٢، ص٢٦٠.

(٥) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، ١٢/٢٦٠. كما أخرجه البيهقي بسنده على نحو رواية أبي داود. دلائل النبوة، ٦/٣٤١.

(٦) أورد الحديث ابن عدي في الضعفاء؛ لأن في رواته مجهولاً. انظر: الكامل في الضعفاء ٧/٢٤٨، ٢٤٩. ويرى ابن العربي أن حديث سفينة لا يصحّ؛ لأن راويه عن سفينة سعيد بن جُمهان اختلفوا فيه، ولو صحّ الحديث فهو معارض للصُّلح بين الحسن ومعاوية. ووافقه محبّ الدين الخطيب محقّق الكتاب؛ لأنه يتعارض مع أحاديث صحيحة، وهي أحاديث الاثني عشر خليفة. انظر: العواصم من القواصم، ص٢٠٨، ٢٠٩. كما ذكر ابن خلدون أن حديث سفينة=

« كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك شرّ الملوك » فزيادة من الراوي، وهي ضعيفة[١]، كما أنها ليست حديثاً، وهي تعبِّر عن موقف.

*** أحاديث عامَّة أشارت إلى ذمّ مُدَّة حكم بني أمية أو ما ورد في زمنهم:**

اتَّخذ بعض العلماء من الأحاديث العامة شواهد على ذمّ النبي ﷺ بني أمية. ومن هذه الأحاديث: أخرج البخاري في كتاب (الفتن) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ الصادق المصدوق يقول: « هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ »، فقال مروان الذي كان موجوداً بالمسجد النبوي آنذاك: « لعنة الله عليهم غلمةً »، فقال أبو هريرة: « لو شئتُ أن أقول بني فلان بني فلان لفعلتُ ». يقول الراوي (عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو القرشي الأموي): كنتُ أخرج مع جدِّي (سعيد بن عمرو) إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً (شُبَّاناً) قال لنا: عسى هؤلاء يكونوا منهم. قلنا: أنت أعلم[٢].

وهذا الحديث يحمل جملة فوائد وفرائد مهمة، منها: أن المقصود بهلاك الأمة هنا هم أهل ذلك العصر ومَن قاربهم لا جميع الأمة إلى يوم القيامة[٣]، وأن الهلاك

= لا يصحّ. تاريخ ابن خلدون، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج٢، ص٥٢٨. واصل الحديث ثابت، وقد ردّ الشيخ الألباني على تضعيف محبّ الدين للحديث، وذكر أسماء من صحَّح الحديث من العلماء؛ كابن تيمية والذهبي وابن حجر العسقلاني. انظر: السلسلة الصحيحة ١/ ٧٤٢، ٧٤٣.

(١) ذكر الألباني أن هذه الزيادة تفرَّد بها حَشْرَج بن نُبَاتَة عن سعيد بن جُمهان، فهي ضعيفة؛ لأن حشرجاً هذا ضعيف أورده الذهبي في الضعفاء وقال: قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يهم. للاستزادة انظر: السلسلة الصحيحة ١/ ٧٤٢، ٧٤٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٩. وقد أورد هذا الحديث بعدَّة ألفاظ. كما أخرجه الطيالسي عن أبي هريرة في فصل (إمارة السُّفهاء): « هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدِ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ ». الساعاتي، منحة المعبود، ٢/ ١٦٥. كما أخرجه نعيم بن حماد في: الفتن، ص٨٢. مسند أحمد، ١٤/ ٥٧، ٥٨. وأخرجه الحاكم في: المستدرك، ٥/ ٦٦٥. وأخرجه البيهقي بسنده في: دلائل النبوة، ٦/ ٤٦٤-٤٦٧.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ١٢. العيني، عمدة القاري، ٢٠/ ٦٢، ٦٣.

كما يقول ابن حجر جاء مُبيَّناً في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْني سَنَةَ السِّتِّينَ وَلَا إِمَارَةَ الصِّبْيَانِ»[١]، قالوا: وما إمارة الصِّبيان؟ قال: «إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ هَلَكْتُمْ»؛ أي في دينكم، «وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ أَهْلَكُوكُمْ»؛ أي في دنياكم بإزهاق النفس أو إذهاب المال أو بهما[٢]. كما أن في هذا الحديث بيان أن أوّل الغلْمَة كان في سنة الستين، وهي عهد تولِّي يزيد بن معاوية الخلافة ومن بعده ابنه معاوية[٣]. والأُغَيْلِمَة ـ كما يقول شُرَّاح الحديث ـ تصغير غِلْمَة جمع غُلام، وواحد الجمع المُصغَّر غُلَيِّم، والمراد بهم في الحديث الفتيان أو الصبيان، وقد يُطلق اللفظ على الرجل المستحكم القوة كالغلام، وقد يُطلق على ضعيف العقل والتدبير والدين[٤].

وأما عدم ذكر أبي هريرة أسماءهم فيفسِّره حديث أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم: قال أبو هريرة: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين ـ ظرفين: فأما أحدهما فبثثْتُهُ، وأما الآخر فلو بثثْتُهُ قُطع هذا البلعوم»[٥]، يقصد قطع أهل الجور رأسه، وقد استجاب الله لدعوة أبي هريرة ومات قبل سنة الستين[٦].

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في: دلائل النبوة، ٦/٤٦٦. كما أشار السيوطي إلى عدة أحاديث تتعلَّق بإمارة الصِّبيان ورأس السِّتِّين عن طريق البيهقي في: الخصائص الكبرى، ٢/٢٣٦. كما ورد الحديث بلفظ (السبعين). انظر الحديث في: مصنَّف ابن أبي شيبة، ٧/٤٦١. مسند أحمد، ١٤/٦٨، ٢٩٤، وقال المحقِّق: إسناده ضعيف؛ لجهالة أبي صالح مولى ضُباعة. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/٢٢٣، وقال: رواه أحمد والبزار. كما أخرجه المتقي الهندي بلفظ (الستين) عن طريق أحمد وأبي يعلى في: كنز العمال، ١١/١١٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/١٢. وقد أورده ابن حجر عن عليّ بن معبد.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/١٢. العيني، عمدة القاري، ٢٠/٦٣.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/١٢. العيني، عمدة القاري، ٢٠/٦٢.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٦١، ١٣/١٢.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٦١. وسيأتي ذكر الحديث عند الكلام عن يزيد بن معاوية في الفصل الثالث، ص ٣٥٧.

ويعلِّق ابن حجر على قول مروان: «لعنة الله عليهم غلمةً» قائلاً: «يُتعجَّب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده، فكأن الله أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحُجَّة عليهم لعلهم يتَّعظون»(١).

ومن هذه الأحاديث العامة ما أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب (تُبَلُّ الرَّحِمُ بِبِلالِهَا)(٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب (موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم): عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ جهاراً غير سرٍّ يقول: «إنَّ آلَ أَبِي فُلانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». وفي رواية زيادة: «وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»؛ يعني: أصلها بصلتها(٣). والمراد بـ(جهاراً غير سرٍّ) أن النبي ﷺ لم يقُلْ ذلك خفيةً، بل جهر به وأشاعه(٤). وأما قوله: (آل أبي فلان) فهو كناية عن اسم عَلَم(٥)، وعدم ذكر التسمية لئلاً يتأذَّى بعض الرواة للحديث فتحدث لهم مفسدة أو لغيرهم أو لأبناء المسلمين(٦).

واختلف المحدثون في أمرهم: هل هم آل أبي العاص، أم بنو أمية، أم آل أبي طالب؟ فقد ذكر النووي عن القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) أن المقصود بـ(آل أبي فلان) هو الحكم بن أبي العاص(٧). وذكر ابن حجر أن من حمل الحديث على بني

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ١٣. ذكر العيني هذه العبارة لكنه لم يُشِرْ إلى قائلها. انظر: عمدة القاري، ٢٠/ ٦٣.

(٢) البِلال: جمع بَلَل، وهو الصلة. وقيل: هو كلُّ ما بلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره. ابن الأثير، النهاية، ١/ ١٥٢، مادة (بلل).

(٣) النووي، شرح مسلم، ٣/ ٧٤. ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٢، ٤٣٣.

(٤) النووي، شرح مسلم، ٣/ ٧٤. ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٣.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٣.

(٦) النووي، شرح مسلم، ٣/ ٧٤. ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٤.

(٧) النووي، شرح مسلم، ٣/ ٧٤. كما نقل العيني هذا القول عن القاضي عياض. انظر: عمدة القاري، ١٨/ ١٣١.

أمية لا يستقيم مع قوله: (آل أبي)، فلو كان (آل بني) لأمكن، وحمْل الحديث على آل أبي العاص لا يصحّ تقديراً؛ لأنهم أخصّ من بني أمية، والعام لا يُفسَّر بالخاص[١]. وذهب العيني بدر الدين (ت ٨٥٥هـ) في (عمدة القاري) إلى أن الحديث لم يُخصَّص باسم معيَّن، لكن سياق الحديث يُشعر بأنهم من قبيلة قريش، بل من أخصّها قُرْباً لرسول الله ﷺ؛ لقوله: «إنَّ لَهُمْ لَرَحماً»[٢].

وناقش ابن حجر بعض الآراء التي ترى أن المقصود بـ(آل أبي فلان) هم آل أبي طالب، وهو قول القاضي ابن العربي وغيره، ثم بيَّن أن الرواية التي اعتمد عليها ابن العربي في تقرير ذلك أوردها أبو نعيم ونقلها البخاري عنه بسنده عن عمرو بن العاص مرفوعاً: «إنَّ لِبَنِي أَبِي طَالِبٍ رَحِماً أَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»[٣].

وقد استنكر ابن حجر على مَن قال من العلماء: إن رواة هذا الحديث هم النَّواصب[٤] الذين يبغضون علياً رضي الله عنه وآل بيته[٥].

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/٤٣٤.

(٢) انظر: عمدة القاري، ١٨/١٣١.

(٣) لم يُبيِّن ابن حجر صحَّة هذه الرواية. انظر: فتح الباري، ١٠/٤٣٤.

(٤) النَّصَب؛ بالفتح: التعب. والنَّصْب؛ بالسكون: إقامة الشيء ورفعه. والنَّواصب: قوم يتديَّنون ببِغْضَة عليٍّ رضي الله عنه. ابن منظور، لسان العرب، ١/٧٥٨- ٧٦٢، مادة (نصب). وأهل السُّنَّة يتبرَّؤون منهم. انظر: ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ٢/٧٢. فالنَّواصب يُنكرون خلافة عليّ رضي الله عنه. انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ٣٥/١٩. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/١٥٧. والنَّاصبيُّ عند الرافضة مَن يتولَّى أبا بكر وعمر ويعتقد إمامتهما. انظر تعليق محبّ الدين الخطيب في: المُنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتدال (مختصر منهاج السُّنَّة لابن تيمية)، تلخيص: الذهبي، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، ص٦٩.

(٥) يرى ابن الوزير اليماني أن (آل أبي فلان) هم آل الحكم بن أبي العاص. واستنكر على مَن قال: إن (آل أبي فلان) هم آل أبي طالب، وقال: إن هذا القول من فعل النواصب. انظر: محمد بن إبراهيم الوزير، العواصم والقواصم في الذَّبِّ عن سُنَّة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج٣، ص٢١٨. ويرى ابن حجر أنه لا ينبغي التشنيع على ابن العربي ووصفه بالمتحامل على آل أبي طالب؛ لأن هناك رواية في مستخرج أبي نعيم تسند قوله. فتح الباري، ١٠/٤٣٤.

ويرى ابن حجر أن ذكْر آل أبي طالب ليس نقصاً فيهم كما يظنّ البعض؛ فالمراد من النفي في قوله ﷺ: «لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي» مَن لم يُسْلِم منهم؛ أي هو من إطلاق الكلّ وإرادة البعض، فإن من جملة آل أبي طالب علياً وجعفراً رضي الله عنهما، وهما من أخصّ الناس بالنبي ﷺ؛ لما لهما من السابقة والقدم في الإسلام ونصرة الدين[١].

كما أن العلماء اختلفوا في المقصود بصالح المؤمنين: هل هو أبو بكر، أم عمر، أم عثمان، أم علي رضي الله عنهم أجمعين؟[٢].

وعموم الحديث فيه التبرُّؤ من المخالفين وغير المسلمين وموالاة الصالحين، فولاية الدين تقطع بين المسلم والكافر مهما كانت القرابة[٣].

وبذلك فإنه لا توجد أدلّة قوية تسند القول: إن (آل أبي فلان) هم بنو أمية أو بنو الحكم أو بنو العاص أو آل أبي طالب.

رابعاً: الأحاديث الواردة في الحكم بن أبي العاص وولده

نالت شخصية الحكم بن أبي العاص وولده ذماً ولعناً متنوِّعاً؛ فقد أفردته المصادر بعناوين مختلفة بين اللعن والذم؛ مثل: باب ما جاء في ذمّ الحكم بن أبي العاص وبنيه[٤].

لذا لا بدَّ من تسليط الضوء عليها؛ فلو اقتصر الطعن عليها فلا غضاضة في

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٤. العيني، عمدة القاري، ١٨/ ١٣١.

(٢) هناك عدَّة أقوال. للاستزادة انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٥. العيني، عمدة القاري، ١٨/ ١٣١.

(٣) للاستزادة عن شرح الحديث ومعناه انظر: النووي، شرح مسلم، ٣/ ٧٤. ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٣٥.

(٤) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٥٠٧، ٥٠٨. ابن حجر، المطالب العالية، ١٠/ ١٠٤-١٠٧. البوصيري، إتحاف المهرة، ١٠/ ٢٢٦-٢٢٩. ويعدُّ الهيثمي من أكثر المحدِّثين الذين ذكروا عدَّة أحاديث في ذمّ الحكم وبنيه؛ إذ بلغت أحاديثه أكثر من ١٥ حديثاً. انظر: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٤٣-٢٤٧. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/ ١٣٢.

ذلك، ولا يلحق بني أمية نقص، لكن أكثر الأحاديث الواردة في ذمّ بني أمية تشير إلى أن النبي ﷺ لعن الحكم ولعن ولده من صلبه وعقبه؛ مثل مروان وغيره من خلفاء بني أمية. وقد ذكرت بعض مصادر الحديث أن رسول الله ﷺ نفاه إلى الطائف لأنه كان يحاكيه في مشيته ويفشي أسراره، فقد أخرج الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في حجرته فإذا هو إنسان يطَّلع عليه، فقال النبي ﷺ: «الوَزَغُ ابْنُ الوَزَغِ»، فنظر فإذا هو الحكم، فقال النبي ﷺ: «اخْرُجْ، لا تُسَاكِنِّي بِالْمَدِينَةِ مَا بَقِيتُ». فنفاه إلى الطائف[1]. (ضعيف)[2]. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن ما قيل من أن الحكم هو الذي اطَّلع على حُجَر رسول الله ﷺ ليس صحيحاً[3]، والأحاديث الصحيحة الواردة في الرجل الذي اطَّلع على حُجَر نساء النبي ﷺ وردت باسم فلان مجهول، ولم تصرِّح باسم الحكم بن أبي العاص[4].

كما أخرج الحاكم بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما[5] قال: كان فلان - وفي رواية أنه الحكم - إذا تكلَّم رسول الله ﷺ بشيء

(١) انظر: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، (نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالجمهورية العراقية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج١٢، ص١٤٨. كما أورده الهيثمي بلفظ (الوَرَع) - بالرَّاء المُهملة - عن الطبراني، وقال: فيه ملك بن سليمان ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد، ٨/ ٤٦.

(٢) قال الشيخ حمدي السلفي محقِّق (المعجم الكبير): فيه أبو صالح؛ هو باذام مولى أم هانئ، ضعيف. وفيه عبادة بن زياد الأسدي غالٍ في التشيُّع. انظر حاشية المحقِّق للحديث في: المعجم الكبير، ١٢/ ١٤٨. ثم نقل تعليق الهيثمي حول الراوي ملك، وقال: لعله مدرك.

(٣) انظر كتاب الديات في البخاري وتعليق ابن حجر على ذلك: فتح الباري، ١٢/ ٢٥٤.

(٤) انظر كتاب الآداب، باب الاستئذان: مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٤/ ١١٤-١١٦. العيني، عمدة القاري، ١٨/ ٢٩٤.

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: شقيق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، كان ممن حارب المسلمين في غزوتي بدر وأحد، أسلم قبل الفتح، توفِّي بمكة سنة ٥٣هـ، وقيل: سنة ٥٥هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٣٦٨-٣٧٠.

اختلج بوجهه[١]، فقال له النبي ﷺ: «كُنْ كَذَلِكَ». فلم يزل يختلج - يرتعش - حتى مات[٢]. (ضعيف)[٣].

كما أخرج البيهقي بسنده أن النبي ﷺ مرَّ بأبي الحكم - وفي رواية عند البغوي: الحكم أبي مروان - فجعل يغمز بالنبي ﷺ، فالتفت النبي ﷺ فرآه، فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِهِ وَزَغاً»، فرجف في مكانه. والوزغ ارتعاش، كذا في كتابي[٤]. هكذا عند البيهقي، ولعله يقصد كتاباً من كتبه التي ألَّفها، أو كتاباً من كتب شيخه. والمعروف أن من معاني الوزغ: الرِّعْشَة، والرجل الحارِض الفَشِل[٥].

---

(١) أي يُحرِّك شفتيه وذقنه استهزاءً بالنبي ﷺ. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٢/٥٦-٥٨، مادة (خلج).

(٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. مستدرك الحاكم، ٣/٥٢٥. كما أخرجه البيهقي عن الحاكم ولم يُعلِّق عليه في: الدلائل، ٦/٢٣٩. كما ذكره القاضي عياض في: الشفا، ١/٣٢٩. وأخرجه ابن عساكر ولم يُعلِّق عليه في: تاريخ دمشق، ٥٧/٢٧٠. كما أخرجه الهيثمي في مجمعه (٥/٢٤٦)، وقال: فيه ضِرار بن صُرَد، وهو ضعيف. كما أخرجه السيوطي عن البيهقي والحاكم ولم يُعلِّق عليه في: الخصائص الكبرى، ٢/١٣٢.

(٣) قال الذهبي في تعليقه على المستدرك: إن في الحديث ضِرار بن صُرَد؛ واهٍ، ٣/٥٢٥. قال ابن حجر في الإصابة: في إسناده نظر، وفي إسناده ضِرار بن صُرَد؛ منسوب إلى الرفض، ٢/٩١.

(٤) أخرجه البيهقي عن مالك بن دينار في: دلائل النبوة، ٦/٢٤٠. كما أخرجه السيوطي عن البيهقي في: الخصائص الكبرى، ٢/١٣٢. وذكره ابن حجر عن البيهقي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ وَرِعاً» بالراء المهملة. انظر: الإصابة، ٢/٩٠. كما أخرجه ابن حجر بلفظ (وَزَغاً) عن طريق ابن أبي حاتم الرازي وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زيادات الزهد، وقال: إن الرواية مُرْسَلَة؛ لأن مالك ابن دينار لم يُدرك هند بن أبي هالة. انظر: الإصابة، ٦/٤٣٧، ترجمة: هند بن هند بن أبي هالة.

(٥) الوَزَغَة؛ مُحرَّكة: سامّ أبرص، سُمِّيت بذلك لخفَّتها وسرعة حركتها. والوَزَغ أيضاً: الرِّعْشَة، والرَّجُل الحارِض الفَشِل. والأوزاغ: الضُّعفاء. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣)، ص١٠٢٠، مادة (وزغ).

وقد ذكرت المصادر التاريخية وغيرها ما أشارت إليه مصادر الحديث من أن النبي ﷺ نفاه إلى الطائف؛ لأنه كان يُحاكيه في مشيته، أو لأنه كان يفشي سرَّه[(١)].

وعلى الرغم من إشارة المصادر إلى نفي النبي ﷺ الحكم بن أبي العاص إلى الطائف إلا أن ابن تيمية يرى أن قصة طرده من المدينة ونفيه إلى الطائف ليست في الصحاح، وليس لها سند يُعرف به أمرها، وأن الكثير من أهل العلم طعن في نفي النبي ﷺ له وقالوا: إنه ذهب باختياره. ويؤكّد ابن تيمية ضعف خبر النفي بأن الناس اختلفوا في سبب النفي، فقال: «ومن الناس من يروي أنه حاكى النبي في مشيته فنفاه إلى الطائف، ومنهم من يقول غير ذلك»[(٢)].

وقد ذكر الذهبي وابن حجر أن خبر محاكاة الحكم للنبي ﷺ في مشيته واختلاجه بوجهه فيه ضعف[(٣)]. ثم يضيف ابن تيمية: إذا كان منفياً إلى الطائف تعزيراً لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان؛ فإن هذا لا يُعرف في شيء من الذنوب، ولم تأتِ الشريعة بذنب يُبقي صاحبه منفياً دائماً، بل غاية النفي المقدَّرة سنة[(٤)].

والحقيقة أن العديد من المصادر أشارت إلى نفي النبي ﷺ الحكمَ، وأن

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/٢٥٥، ٢٥٦. ابن قتيبة، المعارف، ص١١٩. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥/٥٦. ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٤١٤، ٤١٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٢٣٦، ٢٧٠. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٢/٣٧، ٣٨. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: علي البجاوي، د. ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ج٢١، ص٨١. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٢/١٠٧، ١٠٨. ابن كثير، البداية، ٨/٢٦٢.

(٢) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ٦/٢٦٥.

(٣) قال الذهبي في تعليقه على المستدرك: إن في الحديث ضِرار بن صُرَد؛ واهٍ. المستدرك، ٣/٥٢٥. قال ابن حجر: في إسناده نظر، وفيه ضِرار بن صُرَد؛ منسوب إلى الرفض. الإصابة، ٢/٩١، ٦/٤٣٧.

(٤) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة، ٦/٢٦٦، ٢٦٧.

عثمان رضي الله عنه استأذنه في إرجاعه قبيل وفاته فأذن له، وعندما طلب عثمان رضي الله عنه من الصدِّيق رضي الله عنه السماح له بالعودة رفض، كذلك كان موقف عمر رضي الله عنه، وسبب رفضهما أن عثمان لم يكن معه شاهد يثبت به صحة ما يقول. وعندما تولَّى عثمان الخلافة أعاده حسب اجتهاده، وله ذلك؛ لأنه الخليفة والإمام وله حق الاجتهاد. وهذا مما نُقِمَ به عليه(١). وحادثة نفي الحكم لقيت اهتمامات الدارسين(٢).

لكن المهم هنا هو: ما مدى صحة الأحاديث التي قيلت في لعنه ولعن بنيه؟ وما مدى صحة ما قيل عن ظلم بني الحكم أو بني العاص؟ وما مدى تأثيرها في المصادر التاريخية؟

وردت عدة أحاديث في ظلم بني الحكم أو بني العاص بروايات عديدة؛ فقد أورد البيهقي بسنده أن مروان بن الحكم دخل على معاوية ليقضي له حاجته، وكان ابن عباس جالساً عنده، فقال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَمِ ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ دُوَلاً(٣)، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً ـ عبيداً، وَكِتَابَ اللَّهِ دَغَلاً ـ مفسدة، فَإِذَا بَلَغُوا سَبْعَةً

(١) انظر: عمر بن شبَّة النميري، تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، تحقيق: فهيم شلتوت، ط١، (بيروت: دار التراث، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج٣، ص١٠٩٢، ١٠٩٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٤٦، ٣٤٧. ابن العربي، العواصم، ص٨٩. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٢/ ٣٨. ابن كثير، البداية، ٧/ ١٧٨. ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٩٢.

(٢) ذكر العديد من الباحثين في معرض دفاعهم عن عثمان رضي الله عنه أن المصادر لها في نفي الحكم رأيان: رأي يُنكر الحادثة، ورأي يُثبتها ويُبيِّن فقهها. انظر: محمد الصادق عرجون، الخليفة المفترَى عليه عثمان، ص٨٤، ٨٥. سليمان العودة، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ط٣، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ)، ص١٢٧، ١٢٨. محمد أمحزون، ١/ ٤٣٣، ٤٣٤.

(٣) دُوَلاً: جمع دُولَة، وهو ما يُتداول من المال فيكون لقوم دون قوم. ابن الأثير، النهاية، ٢/ ١٣٠، مادة (دول).

وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعَمائَةٍ كَانَ هَلاكُهُمْ أَسْرَعَ مِنْ لَوْكِ[1] تَمْرَةٍ»؟ قال ابن عباس: اللهم نعم[2]. (منكر)[3].

والحقيقة أن هذه الأحاديث وردت بألفاظ مختلفة قليلاً، ومن طرق أربعة: عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخُدْري، وأبي ذرٍّ الغفاري، ومعاوية رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وَدِينَ اللَّهِ دَغَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً»، وفي لفظ: «إِذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَمِ ثَلاثِينَ»، وفي لفظ: «إِذَا بَلَغَ بَنُو فُلانٍ أَوْ بَنُو أُمَيَّةَ»[4].

---

(١) لَوْك: اللَّوْك إدارة الشيء في الفم، وقد لاكه يلوكه لوكاً؛ أي مضغه. ابن الأثير، النهاية، ٤/ ٢٣٨، مادة (لوك).

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٥٠٧، ٥٠٨. نعيم بن حماد، الفتن، ص١٢٦. شمائل الرسول، ٢/ ٢٦٥. قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وحديثه حسن. مجمع الزوائد، ٥/ ٢٤٦. وذكره السيوطي عن البيهقي ولم يُعلِّق عليه في: الخصائص الكبرى، ٢/ ٢٠٠.

(٣) قال ابن كثير: «وفي الحديث غرابة ونكارة شديدة، وابن لهيعة ضعيف». الشمائل، ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥. البداية، ٦/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) أخرجه أحمد عن أبي سعيد بلفظ: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي فُلانٍ» في: المسند، ١٨/ ٢٨٠. ونعيم بن حماد في الفتن، ص٨٢. كما أخرجه الحاكم بسنده عن أبي سعيد الخدري، وبلفظٍ آخر عن أبي ذرّ. انظر: المستدرك، ٥/ ٦٧٧. الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله وعبدالمحسن بن إبرهيم، ٢/ ١٤٤، ٧/ ١٦٠، ٨/ ٦. كما أورده البيهقي بعدَّة روايات عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة وعن معاوية رضي الله عنهم في: دلائل النبوة، ٦/ ٥٠٧، ٥٠٨. كما أورده ابن كثير عن طريق أبي هريرة وأبي سعيد وأبي ذرّ ومعاوية رضي الله عنهم. انظر: البداية، ٨/ ٢٦١. شمائل الرسول، ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥. كما ذكره الهيثمي عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة بعدَّة ألفاظ وروايات: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي فُلانٍ ثَلاثِينَ»، وقال: رواه أحمد والبزَّار والطبراني في الأوسط وأبو يعلى من رواية إسماعيل، ولم أعرف إسماعيل، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٤٤. كما أورده ابن حجر في المطالب العالية عن أبي هريرة: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ ثَلاثِينَ»، ١٠/ ١٠٨. وذكره البوصيري في الإتحاف (١٠/ ٢٢٩) عن أبي سعيد الخدري، وقال: رواه أبو يعلى وأحمد بن حنبل، ومَدَار إسنادَيْهما على عطية العوفي، وهو ضعيف. أما رواية أبي هريرة فقد أوردها أبو يعلى بسند صحيح. وذكره السيوطي=

وقد وصف ابن عساكر وابن كثير والذهبي هذه الأحاديث بأنها ضعيفة؛ لأن في أسانيدها عطية العوفي(١)، وهو ضعيف. وقد ذكر ابن عساكر والذهبي أنه من غلاة التشيُّع(٢). ويرى الشيخ الألباني أن حديث أبي هريرة: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ ثَلاثِينَ رَجُلاً» إسناده صحيح على شرط مسلم، وله شاهدان جيِّدان من حديث أبي سعيد الخدري وحديث أبي ذرّ(٣). وقد ناقش الألباني طرق الحديث الأربعة، ثم قال: «وبالجملة، فالعمدة في إثبات صحة الحديث إنما هو الطريق الأولى؛ طريق أبي هريرة، والثانية والثالثة شاهدان جيِّدان له، والله أعلم»(٤).

لكن صحَّة الإسناد لا تعني صحة الحديث؛ فقد تكون هناك علة خفيَّة تقدح في صحَّته(٥)؛ لذا ترى الدراسة أن أقوال ابن عساكر والذهبي وابن كثير في ضعف

= أيضاً عن طريق أبي هريرة وأبي سعيد وأبي ذرّ ومعاوية رضي الله عنهم في: الخصائص الكبرى، ٢/ ٢٠٠. كما ذكر المتَّقي الهندي حديث أبي سعيد عن طريق أحمد والحاكم، وحديث أبي ذرّ عن طريق الحاكم. انظر: كنز العمال، ١١/ ١١٧.

(١) عطية بن سعد العوفي الكوفي: تابعي شهير. قال أبو حاتم: يُكتب حديثه، ضعيف. وقال المرادي: كان عطية يتشيَّع. وقال ابن معين: صالح. وقال أحمد: ضعيف الحديث. وقال النسائي وجماعة: ضعيف. وكان عطية يتكنَّى بأبي سعيد حتى يُوهم الناس أنه الخُدْري. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٧٩، ٨٠. قال عنه ابن حجر: «صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلِّساً». انظر: تقريب التهذيب، ص٣٩٣.

(٢) أورده ابن عساكر بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إِذَا بَلَغَ بَنُو فُلانٍ»، وفي رواية: «إِذَا بَلَغَ بَنُو العَاصِ» أو «إِذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَمِ»، وقال: فيه عطية من غُلاة الشيعة. تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٥٣، ٢٥٤. وعلَّق الذهبي عليها بالضعف؛ لأن مَدَار أسانيدها على عطية العوفي، وهو ضعيف. انظر التعليق على المستدرك، ٥/ ٦٧٧. انظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٢، ٢٣٣. ويرى ابن كثير أن كل طرق الحديث ضعيفة. البداية، ٨/ ٢٦١.

(٣) انظر: السلسلة الصحيحة، ٢/ ٣٧٩-٣٨١.

(٤) السلسلة الصحيحة، ٢/ ٣٨١.

(٥) انظر ما ذكره العلماء حول علل الحديث الخفيَّة التي لا يعرفها إلا الجهابذة من العلماء. مقدِّمة ابن الصلاح، ص٧١، ٧٢. ابن كثير، الباحث الحثيث، ص٧٢، ٧٣. وانظر أيضاً: الخضير، الحديث الضعيف، ص٣٢٧.

الحديث حجَّة. كما أن من شواهد ضعف الحديث تعدُّد ألفاظه وتناقضُها، فتارةً (بني الحكم)، وأخرى (بني العاص)، وثالثة (بني أمية). كذلك تناقض الروايات في العدد، فتارةً (أربعين)، وأخرى (ثلاثين). كما أن بعض المصادر التاريخية ذكرت أن عدد أبناء الحكم بن أبي العاص أقلّ مما ورد بكثير(١).

ومن هذه الأحاديث الذامَّة لبني الحكم أو بني أبي العاص: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ بَنِي الحَكَمِ بْنِ أَبِي العَاصِ يَنْزُونَ عَلَى مِنْبَرِي كَمَا تَنْزُو القِرَدَةُ ـ وفي لفظٍ: يَثِبُونَ، وفي لفظٍ: يَتَعَاوَرُونَ؛ أي يتناوبون»، فما رُؤِي رسول الله مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات(٢). (منكر)(٣).

كما توجد أحاديث لاعنة للحكم وولده، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: وربِّ الكعبة، لقد لعن رسول الله ﷺ فلاناً وما ولد من

---

(١) ذكر المصعب الزبيري أن عدد أبناء الحكم بن أبي العاص واحد وعشرون رجلاً ونسوة. انظر: كتاب نسب قريش، ص١٥٩.

(٢) أخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. المستدرك، ٥/٦٧٧، ٦٧٨. كما أخرجه البيهقي بسنده عن أبي هريرة. انظر: دلائل النبوة، ٦/٥١١. كما ذكره الهيثمي وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير، وهو ثقة. مجمع الزوائد، ٤/٢٤٦، ٢٤٧. كما أورده ابن حجر ونسبه إلى أبي يعلى في: المطالب العالية، ١٠/١٠٧. وأورده البوصيري وقال: رواه أبو يعلى، ورواته ثقات. إتحاف المهرة، ١٠/٢٢٩. كما أورده السيوطي عن طريق أبي يعلى والحاكم والبيهقي في: الخصائص الكبرى، ٢/٢٠٠. كما أخرجه المتقي الهندي عن طريق الحاكم عن أبي هريرة في: كنز العمال، ١١/١١٧.

(٣) ذكره الجوزقاني في الأباطيل (١/٤١٠-٤١٢)؛ لأن فيه مسلم بن خالد الزنجي منكر الحديث. وابن الجوزي في العلل المتناهية، ٢/٧٠٢. وضعَّفه الذهبي؛ لأن سنده ضعيف، وفيه عطية العوفي شيعي غالٍ. انظر تعليقه على مستدرك الحاكم: ٥/٦٧٧، ٦٧٨. كما ذكره الذهبي في الأحاديث المختارة وضعَّف طرقه. انظر: ص١١٨، ١١٩. وذكر ابن كثير روايات الحديث بعدَّة ألفاظ عن أبي يعلى والطبراني: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أُمَيَّةَ»، وهذا منقطع. البداية، ٨/٢٦١. وذكر ابن حجر الهيتمي أن في سنده متروكاً. تطهير الجنان، ص٨٧.

صلبه[١]. (ضعيف)[٢].

وعن عمرو بن مرَّة الجهني رضي الله عنه[٣]، أن الحكم بن أبي العاص استأذن على النبي ﷺ، فعرف النبي صوته وكلامه فقال: «ائْذَنُوا لَهُ، عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَعَلَى مَنْ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ إِلاَّ الْمُؤْمِنُ مِنْهُمْ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، يَشْرُفُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُونَ فِي الآخِرَةِ، ذَوُو مَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ، يُعْطَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ»[٤]. (ضعيف)[٥].

---

(١) مسند أحمد، ٢٦ / ٥١. أخرجه الحاكم بلفظ آخر عن عبد الله بن الزبير. المستدرك ٥ / ٦٧٩. وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، إلا أنه قال: «لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيِّه ﷺ». مجمع الزوائد ٥ / ٢٤٤. كما أورده ابن حجر في الإصابة، ٢ / ٩٢، وفي المطالب العالية، ١٠ / ١٠٦. وانظر: ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٤.

(٢) علَّق الذهبي على الحديث بالضعف؛ لأن فيه رشدين المصري؛ ضعيف. انظر تعليقه في: المستدرك، ٥ / ٦٧٩. وذكره ابن حجر في المطالب العالية مُرْسَلاً عن الشعبي، ٤ / ٣٣٠. كما رواه البوصيري في الإتحاف (١٠ / ٢٢٨) عن إسحاق مُرْسَلاً، وقال: رواته ثقات.

(٣) عمرو بن مرَّة الجهني: من بني غطفان، يُكنى أبا مريم. أسلم قديماً، ومات في خلافة معاوية. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣ / ٢٧٨.

(٤) أخرجه الحاكم في: المستدرك (٥ / ٦٧٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث عبدالله بن الزبير «أن رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده». كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦ / ٥١٢)، وقال: قال الدارمي: أبو الحسن - راوي الحديث - حِمْصيٌّ. انظر: ابن كثير، الشمائل، ٢ / ٢٦٦. كما أخرجه الهيثمي وقال: رواه الطبراني هكذا، وفي غيره: «إلاَّ الصَّالِحُونَ مِنْهُمْ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ»، وفيه أبو الحسن الجزري، وهو مستور، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد، ٤ / ٢٤٥، ٢٤٦. كما أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية، ١٠ / ١٠٨. تطهير الجنان، ص٨٦. وذكره السيوطي عن أبي يعلى والحاكم والبيهقي في: الخصائص الكبرى، ٢ / ٢٠١.

(٥) قال الذهبي معلِّقاً على قول الحاكم في المستدرك إنه صحيح: «لا والله ليس بصحيح، وأبو الحسن من المجاهيل». ٥ / ٦٧٩. كما ذكر ابن عساكر الحديث وقال: في إسناده من يجهل حاله، كما أن أحد رواته جعفر بن سليمان من الغلاة في التشيُّع. انظر: تاريخ دمشق، ٥٧ / ٢٦٨، ٢٦٩.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه[1] قال: بينما أنا جالس مع النبي ﷺ في الحِجْر، فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: «وَيْلٌ لأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا»[2]. (منكر)[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ لَعِينٌ»؛ يعني الحكم[4]. (إسناده صحيح)[5]. لكن صحَّة السند هنا لا تعني صحة الحديث؛ لما سبق ذكره من ضعف أحاديث لعْن الحكم، كما أن في الحديث لعناً للحكم فقط وليس لبنيه أو لبني أمية.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لعن الحكم ثلاثاً ثم قال: «إِنَّ هَذَا شَيْخاً لَفَّ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ مَنْ فِتْنَتُهُ يَبْلُغُ

---

(١) جبير بن مطعم القرشي النوفلي: يُكنى أبا محمد، وقيل: أبا عدي. كان من حلماء قريش وساداتها ونسابتها، أسلم يوم الفتح، وقيل: عام خيبر. مات بالمدينة سنة ٥٧هـ، وقيل: سنة ٥٩هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٣٠٣-٣٠٥.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط، ٢/١٤٤. كما أخرجه الهيثمي وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مَن لم أعرفه. انظر: مجمع الزوائد، ٥/٢٤٤. كما أورده ابن حجر الهيتمي عن الهيثمي بنصِّه. انظر: تطهير الجنان، ص٨٥. ورواه ابن حجر والسيوطي وعزواه إلى جزء ابن نجيب. انظر: ابن حجر، الإصابة، ٢/٩٢. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/١١٨.

(٣) قال ابن أبي حاتم: منكر. انظر: علل الحديث، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٢، ص٤١٥. وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٤. كما نقل ابن حجر الهيتمي قول الهيثمي في الحديث. انظر: تطهير الجنان، ص٨٥.

(٤) مسند أحمد، ١١/٧١، ٧٢. الطبراني، المعجم الأوسط، ٧/١٦٠. ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٤١٥. وقال الهيثمي: أورده أحمد والبزار، ورواه الطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٤. ذكره البوصيري في الإتحاف (١٠/٢٢٨، ٢٢٩)، وقال: رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسند الصحيح. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٥.

(٥) إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير عثمان بن حكيم. انظر: مسند أحمد، ١١/٧٢. وقال الهيثمي: أورده أحمد، ورجال أحمد رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٥/٢٤٤.

دُخَانُهَا السَّمَاءَ». فقال رجل من المسلمين: صدق الله ورسوله، هو أقلُّ وأذلُّ من أن يكون منه ذلك. قال: «بَلَى، وَبَعْضُكُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَتْبَعُهُ»(١). (ضعيف)(٢).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان لا يُولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: «هُوَ الوَزَغُ ابْنُ الوَزَغِ، المَلْعُونُ ابْنُ المَلْعُونِ»(٣). (موضوع)(٤).

عن عطاء بن السائب(٥)، عن أبي يحيى قال: كنتُ بين الحسن والحسين ومروان، والحسين يُسابّ مروان، فنهاه الحسن، فقال مروان: أنتم أهل بيت ملعونون، فقال الحسن: ويلك! قلت هذا! والله لقد لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صُلبه؛ يعني قبل أن يُسلم(٦). والحديث علَّق عليه الذهبي قائلاً:

(١) أخرجه ابن عساكر في: تاريخ دمشق، ٥٧/٢٦٧. كما أخرجه الهيثمي وقال: رواه الطبراني، وفيه حسين بن قيس الرحبي، وهو ضعيف. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٥. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٦.

(٢) لأن فيه حسين بن قيس الرحبي، وهو ضعيف. قال الدارقطني: تفرَّد به حنش ـ وهو حسين بن قيس ـ عن عطاء عن ابن عمر، وتفرَّد به سليمان التيمي عنه، وتفرَّد به معتمر عن أبيه. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٢٦٧. وقال الهيثمي: فيه حسين بن قيس الرحبي، وهو ضعيف. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٥. والرحبي هذا قال عنه أحمد: متروك، وقال عنه أبو زرعة وابن معين: ضعيف، وقال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال مرة: متروك، وقال الدارقطني: متروك. الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/٥٤٦.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد بسنده في: الفتن، ص٨٢، ٨٣. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر: المستدرك، ٥/٦٧٦.

(٤) قال الذهبي: في الحديث ميناء، كذَّبه أبو حاتم وليس له صحبة. انظر تعليقه في: المستدرك، ٥/٦٧٦. كما عدَّ الألباني هذا الحديث من الموضوعات. انظر: السلسلة الضعيفة، ١/٣٥٤.

(٥) عطاء بن السائب الثقفي؛ أبو زيد الكوفي: أحد علماء التابعين، تغيَّر في آخر عمره وساء حفظه. قال أحمد: مَن سمع منه قديماً فهو صحيح، ومَن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء. قال يحيى: لا يُحتجُّ به. وقال النسائي: ثقة في حديثه القديم، لكنه تغيَّر. تُوفِّي سنة ١٣٦هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/٧٠-٧٢.

(٦) الطبراني، المعجم الأوسط، ١٠/٧٥. كما أورده الهيثمي وقال: رواه أبو يعلى واللفظ له، وفيه=

«أبو يحيى هذا نخعي لا أعرفه»[1]؛ أي مجهول. كما أن في سند الحديث عطاء بن السائب، وقد تغيَّر واختلط[2].

وأخرج البخاري في كتاب التفسير بسنده: «كان مروان بن الحكم على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبَايَعَ له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه. فدخل بيت عائشة رضي الله عنها، فلم يقدروا عليه. فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أنَّ الله أنزل عُذْري[3]. وقد أوردت مصادر الحديث هذه القصة بعدة روايات؛ ففي رواية: «فردَّ عليه عبد الرحمن: ألستَ اللعين ابن اللعين الذي لعنه رسول الله ﷺ؟»، وفي رواية: «فقالت عائشة من وراء حجاب: كذب مروان، والله ما أُنزلت إلا في فلان ابن فلان، ولو شئتُ أن أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروان في صلبه»، وفي رواية: «قالت عائشة: فمروان قصصٌ»، وفي رواية: «فَضَضٌ[4] من لعنة الله»[5].

= عطاء بن السائب وقد تغيَّر. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٣، ٢٤٤. كما أورده الحافظ في المطالب العالية ونسبه إلى أبي يعلى، ١٠/١٠٤. انظر: ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٤. كما أورده البوصيري عن إسحاق بن راهويه وأبي يعلى في: الإتحاف، ١٠/٢٢٦.

(١) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٣/٤٧٨.

(٢) ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٤.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٨/٤٣٩، ٤٤٠. ذكر ابن حجر رواية البخاري ثم أوردها بعدة ألفاظ كما في كتب الحديث.

(٤) فَضَضٌ: أي قطعة وطائفة منها. انظر: أبا سليمان الخطابي، غريب الحديث، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، خرَّج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، د. ط، (دمشق: دار الفكر، منشورات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج٢، ص٥١٧، ٥١٨. ابن الأثير، النهاية، ٣/٤٠٦، مادة (فضض).

(٥) أخرجه البزَّار بلفظ: «إن مروان قال لعبد الرحمن: أنت الذي نزلت فيك ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾، فقال عبد الرحمن: كذبْتَ، ولكن رسول الله ﷺ لعن أباك. وقال: لا نعلمه عن=

وقد ذكر ابن كثير حادثة مروان مع عبد الرحمن بن أبي بكر دون إيراد لعن عائشة لمروان وأبيه، ثم قال معلِّقاً: «ويُروى أنها ـ عائشة ـ بعثت إلى مروان تعتبه وتؤنِّبه وتخبره بخبر فيه ذمٌ له ولأبيه لا يصحُ عنها»[1]. كما ذكر الذهبي أن رواية لعن عائشة لمروان منقطعة[2]. وذكر الشوكاني ما أورده البخاري حول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾، وذكر أن الروايات الواردة في لعن عائشة لمروان لا تصح[3]. والذي أورده البخاري فيه غنًى عن الروايات الضعيفة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقد اختلف المفسِّرون فيمن نزلت؛ فذكر الطبري: قيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وقيل: نزلت في كافر عاقٍّ لوالديه[4]. وذكر القرطبي: قيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وقيل: نزلت في كافر عاقٍّ لوالديه[5]. ويرى ابن كثير بعد أن ناقش جميع الأقوال الواردة حول تفسير هذه الآية أنها نزلت في كل عاقٍّ لوالديه، وهو عام، وأما مَن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف[6]. واستغرب ابن حجر قول الطبري:

= عبدالرحمن إلا من هذا الوجه. انظر: مختصر زوائد البزار لابن حجر العسقلاني، ١/٦٨٥، ٦٨٦. كما أخرجه النسائي في: السنن الكبرى، ٦/٤٥٩. كما أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ونقله ابن عبد البر عن أبي خيثمة في: الاستيعاب، ١/٤١٥. وذكره الخطابي في: غريب الحديث، ٢/٥١٧. وذكر ابن حجر قول عائشة لمروان: «إن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صُلْبِه». قال ابن حجر: «وأصل القصة عند البخاري بدون هذه الزيادة». انظر: الإصابة، ٢/٩٢. وذكره الهيثمي وقال: رواه البزار، وإسناده حسن. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٤. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٨٥.

(١) البداية، ٨/٩٢.

(٢) قال الذهبي: محمد بن زياد (من رواة الحديث) لم يسمع من عائشة؛ ففيه انقطاع. انظر تعليقه في: المستدرك، ٥/٦٧٨.

(٣) فتح القدير، ٥/٢١.

(٤) جامع البيان، مج١٣، ج٢٥، ص٢٥، ٢٦.

(٥) تفسير القرطبي، ١٦/١٦٩.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/١٦٧، ١٦٨.

نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر، وقال: «والصحيح أنها نزلت في الكافر العاقّ، وإلاّ عبدالرحمن قد أسلم فحسن إسلامه وصار من خيار المسلمين»[١].

وقد جزم بعض أهل التفسير[٢] بأن هذه الآية نزلت في العاقّ الكافر؛ للآية التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨].

وخلاصةً لما سبق فإن ما ورد من أحاديث في لعن الحكم وبنيه لا يصحّ ولا يثبت، وأما ما ورد في لعن الحكم فقط ـ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ـ فهو محلّ خلاف، والأرجح ضعفه.

خامساً: الأحاديث الواردة في الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط

اشتهرت شخصية الوليد بالفسق وشرب الخمر في العديد من مصادر المحدِّثين والمؤرخين[٣]؛ فذكر ابن عبد البر أن أهل العلم ذكروا بلا خلاف أن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] نزل في الوليد[٤]. لكن كلام ابن عبد البر في إجماع أهل العلم فيه نظر؛ لأن بعض المصادر دافعت عنه وضعّفت ما قيل من أن الآية

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ٨/٤٤١.

(٢) الكرماني، غرائب التفسير، ٢/١٠٩٤، ١٠٩٥. تفسير البيضاوي، ٥/١١٤. ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/١٦٧، ١٦٨. ابن حجر، فتح الباري، ٨/٤٤١. العيني، عمدة القاري، ١٦/١١.

(٣) ذكر ابن حجر أن قصة شرب الوليد الخمر مشهورة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مخرجة في الصحيحين. انظر: الإصابة، ٦/٤٨٢. وقد أشارت العديد من المصادر والتراجم إلى فسق الوليد وشربه الخمر. انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ٣/٩٧٢، ٩٧٣. البلاذري، أنساب الأشراف، ٩/٣٤٣. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٣٩٨. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/١١٤-١١٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٣/٢٢٣. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٤/٣١٥-٣١٧. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٣/٤١٢-٤١٤. ابن كثير، البداية، ٨/٢١٦. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/٢٤٦.

(٤) الاستيعاب، ٤/١١٤.

نصَّت على فسقه(١). فقد أشارت جُلُّ التفاسير إلى أن سبب نزول هذه الآية هو أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المُصْطَلِق(٢) لجمع الصدقات، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فهابهم ورجع من الطريق، وأخبر الرسول ﷺ أنهم امتنعوا عن دفع الصدقات وأرادوا قتله وارتدوا، فغضب النبي ﷺ وهمَّ أن يغزوهم، لكنه أرسل خالد بن الوليد ليتأكَّد من ذلك، فعندما ذهب خالد رآهم يُصلُّون، فأخبر الرسول ﷺ بغير ما أخبر به الوليد(٣).

كما أن بعض مصادر الحديث بالغت في ذمّ شخصية الوليد حين ذكرت أنه سيق إلى النبي ﷺ في جملة الصبيان في فتح مكة، فمسح رؤوسهم وبرَّك عليهم، أما الوليد فلم يدْعُ له ولم يمسح على رأسه وهو صغير؛ لسابق علمه فيه، أو لأنه كان

---

(١) ذكر ابن حجر قول ابن عبد البر بان أهل العلم أجمعوا على نزول هذه الآية في الوليد، لكنه ذكر ان قصة بعث الوليد إلى بني المصطلق.. إلخ أوردها عبد الرزاق في تفسيره عن معمر وقتادة، وعن طريق آخر هو مجاهد، وفي أسانيدها مَن لا يُعرف، ويعارض ذلك ما أخرجه أبو داود في السنن من أن الوليد جِيءَ به إلى رسول الله ﷺ في جملة الصِّبيان ليمسح على رأسه. لكن ابن حجر شكَّك في رواية أبي داود؛ لأن الوليد حين فُتحت مكة كان رجلاً. انظر: الإصابة، ٦/ ٤٨١، ٤٨٢. كما علَّق الشيخ محبّ الدين الخطيب على أن ما ورد في الوليد من أنه فاسق بنص الآية قول ضعيف؛ لأن هذه الأقوال موقوفة على مجاهد أو قتادة، وأن رواة هذه الأخبار مجهولون من علماء الجرح والتعديل، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة. ويتعجَّب الخطيب: كيف يكون فاسقاً بنصّ الآية وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يولِّيانه الكثير من الاعمال الحربية والمهامّ الجليلة؟! انظر تعليق محبّ الدين الخطيب في: ابن العربي، العواصم، ص١٠٢–١٠٤، حاشية ١١٥.

(٢) المُصْطَلِق: بضمّ الميم وسكون الصاد؛ قوم من خزاعة من حلفاء بني مدلج، كانوا ينزلون على بئر يُقال لها: المريسيع، بينها وبين الفُرْع ـ جنوب المدينة ـ نحوٌ من يوم، وبين الفُرْع والمدينة ثلاثة برد، وقد غزاهم النبي ﷺ في غزوة المريسيع أو بني المصطلق. انظر: ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٤٨.

(٣) انظر: الواحدي، أسباب النزول، ص٣٢٢، ٣٢٣. ابن جزيّ، التسهيل، ٤/ ٥٨، ٥٩. القرطبي، ١٦/ ٢٦٤، ٢٦٥. ابن العربي، احكام القرآن، ٤/ ١٤٦، ١٤٧. ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/ ٢٢١، ونقل القول عن ابن جرير وعن مجاهد وقتادة.

في رأسه خلوق؛ أي طيب[١]. وهذا الأمر لا يصحّ، بل هو منكر ومضطرب؛ لأنه كيف يكون الوليد صبياً في فتح مكة وهو الذي أرسله النبي ﷺ ساعياً إلى بني المصطلق؟![٢].

كما أشارت بعض المصادر إلى أن الوليد هو المقصود في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة: ١٨]؛ إذ إنه دخل على عليّ بن أبي طالب فقال له: ألستُ أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأملأ منك حشواً؟! فأنزل الله هذه الآية[٣]. والقصة ضعيفة ومُرسَلة وإسنادها تالف[٤]. كما أن هذه الآية نزلت في عقبة بن أبي مُعيط وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وليست في الوليد[٥]، كما أن سياقها يدلّ على أنها نزلت في أهل النار[٦].

---

(١) هذه الرواية ذكرها أبو داود في: باب في الخَلُوق للرجال، عون المعبود، ١١/١٥٨. كما ذكرها البيهقي في الدلائل بروايتين، ٦/٣٩٧، ٣٩٨. وانظر أيضاً: سنن أبي داود، تحقيق: الالباني، ص٦٢٣. وقد علّق الشيخ الألباني على رواية أبي داود بأنها مُنكرة.

(٢) حقّق العلامة العظيم آبادي في هذه الرواية وذكر أقوال العلماء في اضطرابها ونكارتها. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/١٥٨. ابن العربي، العواصم، ص١٠٣، ١٠٤. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/١١٤. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٤/٣١٦. وذكر ابن الوزير أن النُّقَّاد من علماء الأثر قدحوا في صحَّة الحديث لوجوه. انظر: العواصم والقواصم، ٣/٢٦٨-٢٧٨. كما شكَّك ابن حجر في رواية أبي داود؛ لأن الوليد حين فُتحت مكة (سنة ٨هـ) كان رجلاً. انظر: الإصابة، ٦/٤٨١، ٤٨٢. والمعروف أن النبي ﷺ أرسل الوليد إلى بني المصطلق في سنة ٩هـ كما أورده ابن سعد. انظر: الطبقات، ٢/١٢٢.

(٣) انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/١١٥. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد، ج١٥، ص٤٤١. وقد أورده البلاذري بلفظ قال فيه الوليد لعليٍّ: «لأنا بالكتيبة وأَضْرَبُ لهامة البطل المُشيح منك». انظر: أنساب الأشراف، ٩/٣٤٤.

(٤) لأنَّ فيها محمد بن السائب الكلبي؛ رافضي متَّهم بالكذب. انظر تعليق بشار عواد محقّق كتاب (تاريخ مدينة السلام)، ١٥/٤٤١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٥٠٩. وقد ذكر الذهبي غير جازمٍ أن الحادثة كانت بين عليّ وعقبة والد الوليد. انظر: سيَر أعلام النبلاء، ٣/٤١٥.

(٦) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٣/٤١٥. للاستزادة انظر شرح الآية وتفسيرها في: الشوكاني، فتح القدير، ٤/٢٥٢.

وعلى كلٍّ فإن شرب الوليدِ الخمرَ وفسقه لا يعيبان بني أمية ولا يدلأن على ذمّهم، لكن هذه الأخبار الواردة في الوليد زادت النقمة والتسخُّط على بني أمية، خصوصاً أن أباه عقبة بن أبي مُعيط كان ممَّن بالغ في أذيَّة رسول الله ﷺ.

سادساً: خلاصة أقوال العلماء في الأحاديث اللاعنة والذامَّة لبني أمية

*** الرأي الأول:**

هناك جمع من العلماء المحقِّقين من المحدثين والمؤرخين استنكر الأحاديث الواردة في لعن بني أمية وذمّهم، واستغرب ورودها في مصادر الحديث وعند بعض العلماء. فهذا القاضي ابن العربي يرى أن الأحاديث الواردة في ذمّ بني أمية لا أصل لها[1]. وذكر ابن قيِّم الجوزية أن «كل حديث في ذمّ بني أمية كذب»[2]؛ أي لا يوجد تنصيص في ذمّ بني أمية. ويقول الإمام الذهبي: إن الأحاديث التي رُويت في الحكم بن أبي العاص لا تصحّ[3]. كما علّق ابن كثير على الأحاديث التي تذمّ بني العاص وبني أمية وتلعنهم بالضعف والنكارة، فقال: «وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة، ولهذا أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحَّتها»[4]. وذكر الإمام الشوكاني أن ما قيل في لعن الحكم وابنه مروان في صُلبه لا يصحّ[5].

*** الرأي الثاني:**

يُلاحظ من كتابات بعض العلماء أنهم يرون أن ذمّ بني أمية جاء مصرَّحاً به في بعض الأحاديث ومستتراً في أحاديث أخرى، وتدعمه شواهد من أقوال بعض الصحابة فيهم. وللوقوف موقف الحياد يجدُر هنا استعراض أقوال هؤلاء العلماء ومناقشتها.

---

(١) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٢٤٨.

(٢) ابن القيم، المنار المنيف، ص١١٠، ١١٢.

(٣) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٢/١٠٨.

(٤) ابن كثير، البداية، ٨/٢٦٢.

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ٥/٢١.

ذكر النووي عن القاضي عياض أن المقصود بـ(آل أبي فلان ليسوا بأوليائي) في حديث عمرو بن العاص في البخاري هو الحكم بن أبي العاص[١]. ويرجِّح ابن الوزير اليماني (ت ٨٤٠هـ)[٢] أن المقصود بهم آل الحكم بن أبي العاص[٣]، وهو قول ضعيف. كما ذكر ابن حجر في فتح الباري أن هناك عدة أحاديث وردت في لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبراني وغيره، غالبها فيه مقال، وبعضها جيِّد[٤].

لكن لا يعني قول ابن حجر (جيِّد) الدلالة على صحة الحديث؛ فاستعمالات النُّقَّاد لكلمة (جيِّد) لا يقصدون منها المساواة ولا حتى المقاربة مع الصحيح، وإنما لفظ (جيِّد) يُراد به ما كان قابلاً للتحسين من الحديث الضعيف ضعفاً مُحتمَلاً وجاء معضِّدٌ صالحٌ يُعضِّدُهُ[٥].

ويُستشفُّ من كلام ابن حجر وجود أحاديث تذمّ بني أمية لكنها على سبيل التلميح لا التصريح، يدعم ذلك قوله عند شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمةً: «يُتعجَّب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده، فكأن الله أجرى ذلك على لسانه ليكون أشدَّ في الحُجَّة عليهم لعلهم يتَّعظون»[٦]. كما أن ابن حجر

(١) النووي، شرح مسلم، ٣/ ٧٤.

(٢) ابن الوزير اليماني: محمد بن إبراهيم بن علي، اشتهر بابن الوزير اليماني. وُلد سنة ٧٧٥هـ باليمن، واشتهر بالعلم الغزير، وبلغ درجة الاجتهاد. كان من أئمة الزيدية ثم تنصَّل عنهم وردّ على كثير من علمائهم وحرص على اتباع السُّنَّة ونبذ التقليد، ومات سنة ٨٤٠هـ. له عدَّة مؤلَّفات، أشهرها: العواصم والقواصم. انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ٢/ ١٩-٢٧.

(٣) العواصم والقواصم، ٣/ ٢٠٧-٢١١.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ١٣.

(٥) لخلدون الأحدب تعليقات نفيسة على معنى (إسناده جيّد) عند ابن حجر العسقلاني. انظر: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في البيوع المنهيّ عنها، ط١، (جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص٣٠، ٣١.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ١٣.

ذكر رأياً مخالفاً لما أورده في (الفتح) عندما ذكر في (الإصابة) عدة أحاديث تلعن الحكم ناقلاً قول ابن السكن (ت ٣٥٣هـ)[١]، فقال: «لم يثبت دعاء النبي ﷺ على الحكم»[٢]. ولعل هذا القول هو الأرجح؛ لأن تأليف (الإصابة) جاء بعد (الفتح)، وهو من أواخر مصنَّفاته، وفيه استدرك ابن حجر الكثير من المبهمات والأخطاء التي وقعت فيما سبق من مؤلَّفاته[٣]. كما أن ابن حجر ضعَّف العديد من الأحاديث التي وردت في ذمّ بني أمية ولعنهم، وهذا ما تبيَّن من خلال التعليق على العديد من الأحاديث السابقة.

ويرى ابن الوزير أن «ذمّ بني أمية مصرَّح غير مستَّر ولا مؤوَّل» في صحيح البخاري وشرحه[٤]، وقد استشهد بقول ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري أيضاً عندما سُئل عن رغبته في مقاتلة عبد الله بن الزبير: «معاذ الله، إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية مُحلِّين، وإني والله لا أُحِلُّهُ»[٥].

ويُردُّ على قول ابن الوزير بأن مراد ابن عباس من ذلك هو عدم إباحة القتال في الحرم وإن قُوتل، وهذا مذهبه وفقهه. أما ابن الزبير وبنو أمية فكانوا يُبيحون القتال في الحرم؛ لذا يراهم ابن عباس مُحلِّين[٦]. لكن ذِكْر ابن عباس أن بني أمية أحلُّوا

(١) ابن السكن: سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز، أصله من بغداد، ولد سنة ٢٩٤هـ، ومات سنة ٣٥٣هـ. له عدة مُصنَّفات، أشهرها: المنتقى الصحيح في الحديث. انظر: الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ١٦/١١٧-١١٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٢/٩١.

(٣) ذكر محقِّقا الإصابة أن كتاب الإصابة استمرّ تأليفه أربعين سنة تقريباً (من ٨٠٩ إلى ٨٤٧هـ)، كتبه على طريقة المسوَّدات، واستدرك فيه العديد من الأخطاء التي وردت في الكتب السابقة. انظر ما قاله المحقِّقان في مقدّمة كتاب الإصابة، ١/١٢٣، ١٢٤.

(٤) ابن الوزير، العواصم والقواصم، ٢/٢١٣.

(٥) العواصم والقواصم، ٣/٢١٣. انظر الحديث في كتاب التفسير عند: ابن حجر، فتح الباري، ٨/١٧٨، ١٧٩.

(٦) للاستزادة عن الحديث انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٨/١٧٩.

القتال في الحرم لا يعني سبَّهم وذمَّهم، والتاريخ يشهد أن لابن عباس مواقف جيدة مع بعض خلفاء بني أمية[1]، كما أنه أيَّد خلافة عبد الملك بن مروان وبايعه ورفض بيعة ابن الزبير[2].

كما يقول ابن الوزير: «كُتُب المحدِّثين مشحونة بالتصريح بذمٍّ بني أمية من دون تستُّر في ذلك ولا تقيَّة»[3]. وهذا صحيح لا مراء فيه، لكن لا يعني ذلك التسليم بكل ما ورد فيها؛ لأن ضعف هذه الأحاديث التي أوردتها المصادر ونكارتها أمر واضح لا يخفى على النُّقَّاد.

وحتى يقوِّي ابن الوزير رأيه ساق عدة أحاديث ضعيفة يؤكِّد بها صحة قوله؛ مثل ما قيل من أن الألف شهر هي أيام بني أمية، وقول سفينة رضي الله عنه: «كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك شرّ الملوك» في حديث: «الخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً»[4].

ومما سبق من أقوالٍ فإنه يمكن القول: إن ما جاء من أحاديث تنصُّ على لعن بني أمية وذمّهم أو بني مروان أو بني الحكم أو بني العاص على لسان رسول الله ﷺ لا يصحّ ولا يثبت على التحقيق، وهو ما قرَّره ابن القيم والذهبي وابن كثير والشوكاني.

والسؤال: لماذا يذمُّ النبي ﷺ ويلعن الأمويين وقد عُرف عنه أنه لم يكن لعَّاناً أو صخَّاباً، بل كان ينهى عن لعن الحيوان أو سبِّه، وكان دائماً واضحاً وصريحاً في كل حياته؟! وهل يُعقل أن يتصاهر معهم ويكلِّفهم بأعمال إدارية وحربية وهو مستاءٌ منهم؟! وهل يُظنُّ أن النبي ﷺ يعلم أنهم شجرة خبيثة ملعونة وأنهم ملعونون ويسكت عن ذلك؟!

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية، ٨/ ١٤٠.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٧٤، ٧٥. ابن كثير، البداية، ٨/ ٣٠٨، ٣٠٩. ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ١٧٨.

(٣) العواصم والقواصم، ٣/ ٢١٤.

(٤) العواصم والقواصم، ٣/ ٢١٤-٢١٦.

ولو أن النبي ﷺ ذمّ بني أمية أو لعنهم فمعنى ذلك أن كل صحابي وكل صالح منهم يدخل في ذلك اللعن، وهذا غير مقبول؛ لأن التاريخ يشهد بمكانة بني أمية وعلاقتهم بالنبي ﷺ، كما أن أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم أجمعين - استعملوهم من بعده في كثير من الأمصار(١). كما صحَّ عن النبي ﷺ أنه مدح قريشاً وقدَّمها على جميع القبائل(٢)، وبنو أمية من صَليبة قريش وأصحاب السُّؤدد والشرف فيها، فهل يُعقل أن يذمَّهم النبي ﷺ ويسبَّهم؟!

قد يقول قائل: هناك أقوال لبعض الصحابة والتابعين في ذمّ بني أمية(٣). ويُردّ عليه أنه لا يمكن أن نجعل هذه الأقوال حجة في ذمِّهم؛ لأنها قد تكون ناشئة عن مواقف سلبية وتصرُّفات فردية من قِبَل بعض بني أمية، فنتج عنها ردود فعل قوية من بعض الصحابة والتابعين، وبخاصة تلك الأحداث المشينة التي حدثت في عهدهم؛ كمقتل الحسين ووقعة الحرة وغيرهما. كما أن هذه الأقوال التي وردت عن الصحابة في ذمّ بني أمية لها ما يبرِّرها بالنسبة إلى قائليها؛ لأنهم عاشوا عصري النبوة والخلافة الراشدة ورأوا الإسلام في سماحته وعدله وعزَّته، ثم تبدَّل عليهم الحال فرأوا الفتن العاصفة، فعزَّ عليهم ذلك الزمان، وتغيَّر عليهم الحال، فأنكروا حالهم في عهد بني أمية؛ لذا كانت عباراتهم شديدة جداً.

---

(١) للاستزادة عن مكانة بني أمية انظر ما كتبناه عنهم في التمهيد من هذه الرسالة، ص ٦٨-٨٠.

(٢) أفاضت كتب الحديث في ذكر فضائل قريش، وأن الناس تبعٌ لها لفضلها ومكانتها، وأن القرآن نزل بلُغتها. انظر باب (مناقب قريش) في: البخاري، فتح الباري، ٦/٦١٦-٦٢١. وباب (الناس تبعٌ لقريش والخلافة لقريش) في: مسلم، شرح النووي، ١٢/١٦٨.

(٣) هناك مواقف ضد بني أمية لبعض الصحابة ممن كانوا في صفّ عليّ رضي الله عنه، وبخاصة بعد معركة صفِّين. هذه المواقف تُرجمت إلى أقوال عدائية ضد الأمويين لا يمكن عدُّها حُجَّةً في إثبات اللعن والذم لبني أمية. كما أن هناك مواقف سلبية لبعض التابعين من العلماء الأفاضل ضد بني أمية؛ كسعيد بن المسيِّب والحسن البصري والإمام الشعبي، ويقابلها مواقف إيجابية من قِبَل بعض السلف تُثني على بني أمية وترى فيهم نُصرةً للدين، ومن هؤلاء: الزهري، ورجاء بن حَيْوَة، وغيرهما.

كما أن الدراسة لو أخذت هذا الجانب من أقوال الصحابة والتابعين ضد بني أمية فبإمكانها ردّه بالجانب الآخر من أقوال بعض الصحابة والتابعين في مدحهم والدفاع عنهم، مع عدم إغفال الأحاديث الخاصة التي وردت في ذمّ سنة الستين (خلال حكم يزيد بن معاوية)، وسيأتي بسط القول عنها عند الحديث عن يزيد ابن معاوية وغيره من بني أمية.

ومما يدعم ما ذهبت إليه الدراسة من ضعف هذه الأحاديث الذامّة لبني أمية ونكارتها إشادة بعض العلماء المتأخرين ببني أمية؛ إذ كانوا بعيدين عن تأثير الزمان آنذاك، فعرفوا قدرهم ودورهم الجهادي والتاريخي؛ فقد ذكر ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) أن بني أمية لم يستعبدوا الناس، ولم يكثروا من بناء القصور كغيرهم[١]. وذكر ابن تيمية أنه لم يكن أحد من أهل العلم ينسب إلى خلفاء بني أمية زندقة أو نفاقاً[٢]، كما ذكر أن الإسلام كان في عهد بني أمية أعزّ مكانة؛ فهم غلبوا على مدائن الإسلام من مشرق الأرض إلى مغربها[٣]، وأن أحوال المسلمين في عهدهم كانت أحسن حالاً وأفضل زماناً؛ فهم في خير القرون[٤]. كما مدح ابن كثير بني أمية عند حديثه عن فتوحاتهم، فقال: «فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، وقد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرّها وبحرها، وقد أذلُّوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً... وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين»[٥].

---

(١) انظر: جوامع السِّيرة، تحقيق: إحسان عباس وناصر الأسد، مراجعة: أحمد شاكر، (باكستان: دار إحياء السنة، د. ت)، ص٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) انظر: الفتاوى، ٤/٤٧٧.

(٣) منهاج السُّنَّة، ٦/٤١٩.

(٤) منهاج السُّنَّة، ٧/٤٥٨.

(٥) البداية، ٩/٩٣.

وثناء هؤلاء العلماء على بني أمية لا يعني نفيهم الظلم عن بعضهم أو تجاهلهم بعض أعمالهم السيئة أو نحو ذلك، لكن ذلك كان من باب الإنصاف، ولنا أن نقارن بين هذه الأقوال وقول ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) في دولة بني أمية: «وكانت دولة بني أمية مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة، ثقيلة الوطأة مستهترة بالمعاصي والقبائح»[١].

وهناك أحداث وحوادث استدلّ منها بعض المحدثين والمؤرخين على وجود أحاديث تذمّ بني أمية، لكن الرواة أخفوا بعض العبارات المصرِّحة بلعنهم؛ خوفاً من بطش بني أمية.

ومن هذه الأحداث ما ذكره البلاذري من أن الوليد بن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز أن يضرب خُبيب بن عبد الله بن الزبير[٢]؛ لأنه بلغه أن خبيباً كان يقول: مُلْك بني أمية زائل، وكانت عنده أحاديث، فضربه فمات[٣]. وقد ساق نحوه ابن الجوزي وبيَّن أن سبب الضرب أن خبيباً كان يروي أحاديث في ذمّ بني أمية، منها حديث: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً، وَمَالَ اللَّهِ دُوَلاً»، فضربه عمر وصبّ على رأسه قربة ماء بارد في يوم بارد، إلا أن عمر ندم وتأسَّف وبكى؛ لأن خبيباً مات بعدها من شدة الألم[٤].

وهذه الرواية ذكرها الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)[٥]، لكنه لم يُشِرْ إلى سبب

---

(١) انظر: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٤٣.

(٢) خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي المدني: من تابعي المدينة، كان من النُسَّاك، وكان لديه علم بالنجوم. تُوفي عام ٩٣هـ متأثراً بضرب عمر بن عبد العزيز له. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠هـ)، ص٣٤٥، ٣٤٦. السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص٣١٦، ٣١٧.

(٣) انظر: أنساب الأشراف، ٨/ ٨٥.

(٤) أبو الفرج ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، شرح وتعليق: نعيم زرزور، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص٤٢، ٤٣.

(٥) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام المدني المكي=

الضرب[1]. كما ذكرها ابن سعد، إلا أنه لم يذكر نصّ الحديث الذي ذكره ابن الجوزي، فاكتفى بقوله: إن الوليد أمر عامله على المدينة أن يضربه مائة سوط، دون ذكر لعمر بن عبد العزيز[2]. كما ذكرها الجاحظ دون ذكر أسباب الضرب[3]. وأشار الطبري إليها ضمن أحداث سنة ٩٣هـ دون أن يبيِّن سبب الضرب[4]. ونقل الذهبي ما أورده الطبري[5]. أما ابن كثير فلم يبيِّن سبب أمر الوليد بن عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز بضرب خبيب، واكتفى بقوله: «وكانت تلك هفوة منه وزلة، ولكن حصل له بسببها خير كثير»[6].

وعلى كل حال، فالحادثة أجمعت المصادر السابقة على ذكرها، لكنها اختلفت حول سبب الضرب. وهناك احتمال آخر لعملية الضرب ذكره البلاذري أيضاً مع نقضه له؛ إذ قال: «وقال بعضهم: لما قُتل عبد الله بن الزبير بايع عبد الله بن خازم السُّلمي صاحب خُراسان لخُبيب بن عبد الله بن الزبير، فكان ذلك في نفس عبدالملك والوليد، فلما ولي الوليد أراد فضيحة خبيب، فكتب إلى عمر بن عبدالعزيز بضرب خبيب، فضربه. قال المدائني: وهذا غلط؛ لأن ابن خازم قُتل قبل مقتل ابن الزبير»[7].

= الأسدي الزبيري: ولد بمكة سنة ١٧٢هـ، قاضي مكة، وروى أحاديث. كان عالماً ثبتاً ثقة، وكان عارفاً بأخبار المتقدِّمين وآثار الماضين. له الكتاب المصنَّف في نسب قريش وأخبارها. مات سنة ٢٥٦هـ. ابن النديم، الفهرست، ص١٧٧. ابن كثير، البداية، ١١/٢٧. الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ١٢/٣١١-٣١٥. تاريخ الإسلام (٢٥١-٢٦٠هـ)، ص١٣٧-١٣٩. السخاوي، التحفة اللطيفة، ١/٣٥٢، ٣٥٣.

(١) جمهرة أنساب قريش وأخبارها، ج١، ص٣٧، ٣٨.

(٢) الطبقات، ٥/٣٢٧.

(٣) انظر: رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، ص٤٣٣.

(٤) تاريخ الرُّسل والملوك، ٦/٤٨٢.

(٥) تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠هـ)، ص٣٤٦.

(٦) انظر: البداية، ٩/٩٢. ذكر ابن كثير أن عدد الضربات ٥٠ سوطاً.

(٧) انظر: أنساب الأشراف، ٨/٨٥، ٨٦.

لكن ما أورده البلاذري وابن الجوزي من أن خبيباً روى حديثاً يذمّ بني أمية هو أقرب إلى تفسير حادثة الضرب، وعلى فرض صحة الحادثة فالحديث ثبت ضعفه أيضاً. ثم أين دور المنكرين لهذا العمل؟ ولماذا لم تنقله مصادر الحديث التي اهتمَّت بمثل هذه الجوانب؟ ومن المعلوم أن السلف شدَّدوا على من يروي أحاديث باطلة بالضرب والسجن(١).

كما أن المتأمِّل سيرة خبيب يجد أن المصادر أشارت إلى أنه كان لديه من علم النجوم؛ فقد كان يحدِّث نفسه ويتمتم بأخبار غيبيَّة عن أحداث وقعت بعيدة عن نظره؛ مثل قوله: «قُتل عمرو بن سعيد الساعة». قال الراوي: ذهبت فوجدت ذلك قد وقع(٢)؛ يقصد مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٠هـ(٣). وهذه الأحداث يمكن أن نستلهم منها الأسباب والدوافع التي أدَّت إلى جلد خبيب، وهو ليس تبريراً لما فعله عمر بن عبد العزيز، فيكفي أنه ندم أشدَّ الندم على هذا الخطأ.

كما أشارت بعض الدراسات إلى أن الأمويين كرهوا رواية السِّيَر في القرن الأول الهجري، ونهوا أهل الشام عن معرفتها وتداولها في أول الأمر، وذلك لعدة أسباب؛ منها: عجز الأمويين عن متابعة الخلفاء الراشدين فتصغُر قيمتهم بين الناس، كما أنها تبيِّن عداوتهم للإسلام قبل فتح مكة فتثير أحقاد الناس عليهم، فخافوا من

(١) عقد الإمام السيوطي فصلاً عنوانه: (في بيان أنَّ مَن أقدم على رواية الأحاديث الباطلة يستحقّ الضرب بالسِّياط، ويُهدَّد بما هو أكثر من ذلك، ويُزجَر ويُهجَر، ولا يُسلَّم عليه، ويُغتاب في الله، ويُستعدى عليه عند الحاكم، ويُحكم عليه بالمنع من رواية ذلك، ويُشهد عليه). انظر: السيوطي، تحذير الخواص، ص١٦٧-١٩٠.

(٢) انظر هذه العبارة وغيرها من العبارات التي كانت تخرج من خبيب تعبِّر عن تأثُّره بعلم النجوم في: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص٤٤. الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠هـ)، ص٣٤٦. السخاوي، التحفة اللطيفة، ١/٣١٧.

(٣) للاستزادة عن هذه الحادثة انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٦. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦/١٤٠. المسعودي، مروج الذهب، ٣/١٠٩.

عداوة الناس لهم[1].

إلا أن الأمويين عدلوا عن ذلك مع بداية القرن الثاني الهجري، وذلك في عهد عمر بن عبد العزيز الذي دعا العلماء إلى روايتها ونشرها، فتغيَّر موقفهم وأصبحوا يهتمون بها ويشجعون على تعلُّمها، حتى ظهر في أهل الشام علماء أجلاَّء كالإمام الأوزاعي[2].

ويبدو أن سبب كراهة الأمويين الأوائل رواية السِّيَر هو كثرة الأحاديث والأخبار الموضوعة؛ فقد أورد ابن سعد بسنده عن محمد بن عمر الواقدي قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول: «يا أهل المدينة، إن أحق الناس أن يلزم الأمر الأول لأنتم، وقد سالت علينا أحاديث من قِبَل هذا المشرق لا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن، فالزموا ما في مصحفكم الذي جمعكم عليه الإمام المظلوم رحمه الله»[3]. وقد أوردها بتمامها ابن عساكر في تاريخه وابن كثير في تاريخه[4]. كما ذكر البلاذري بسنده عن الزهري أن عبد الملك رأى عند بعض ابنه حديث المغازي، فأمر به فأُحرق، وقال: «عليك بكتاب الله فاقرأه، والسُّنَّة فاعرفها واعمل بها»[5].

ما سبق ذكره من أحاديث كان في ذمّ بني أمية، أما بالنسبة إلى الأحاديث المادحة للأسرة الأموية أو لبني أمية نصاً فقد لُوحظ أنها قليلة جداً مقارنةً بما وضع فيهم. لكن هناك عدة أحاديث موضوعة جاءت في فضل معاوية رضي الله عنه، وسيأتي الحديث عنها في الفصل الثالث بمشيئة الله.

(١) انظر: حسين عطوان، رواية الشاميين للمغازي والسِّيَر في القرنين الأول والثاني الهجريين، ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م)، ص١٣-٢٦. الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م)، ص٦٧-٨٠.

(٢) حسين عطوان، رواية الشاميين للمغازي والسِّيَر، ص٢٧-٣٥. الرواية التاريخية في بلاد الشام، ص٨٠-٨٤.

(٣) انظر: الطبقات، ٥/١٨٠، ١٨١.

(٤) انظر: تاريخ دمشق، ٣٧/١٢٥. البداية، ٩/٦٨.

(٥) انظر: أنساب الأشراف، ٧/٢٠٨.

وأبرز ما وقفت عليه الدراسة في مدح بني أمية ما قيل من أن عثمان بن عفان رضي الله عنه خطب على الناس فقال: «إنكم علمتم أن النبي ﷺ كان يعطي بني هاشم ويؤثرهم، وإني والله لو ملكت مفاتيح الجنة لجعلتها في بني أمية، وقد ملكت مفاتيح الدنيا وسأعطيهم على رغم أنف من رغم»(١). وهو (ضعيف ومنقطع)(٢).

كما أوردت بعض المصادر حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تَزَالُ الخلافَةُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ يَتَلَقَّفُونَهَا تَلَقُّفَ الغِلْمَانِ لِلْكُرَةِ، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُمْ فَلا خَيْرَ فِي عَيْشٍ»(٣). وقد أورده ابن كثير وقال: «منكر جداً»(٤).

وبذلك يمكن القول: إن العديد من مصادر الحديث أسهمت في تشويه سمعة بني أمية من خلال ذكرها عدة أحاديث ضعيفة أو منكرة أو موضوعة لقيت صدًى واسعاً ورواجاً كبيراً لدى المصادر التاريخية. كما أن بعض مصادر الحديث أوردت أحاديث ضعيفة وموضوعة في بني أمية دون نقدٍ نقلها البعض عنهم، فمنهم مَن نقدها وبيَّن عللها وأسباب ضعفها إلى غير ذلك من النقد المتعلِّق بالسند والمتن، ومنهم مَن نقلها بعلاَّتها دون بيان ضعفها، فما بالك بالمصادر التاريخية وقد أثبتت الدراسة ضعفها وعدم صحتها؟!

ومن هنا يكون المدخل للمصادر التاريخية التي أفاضت في سبِّ بني أمية ولعنهم مدلِّلة على ذلك بالأحاديث السابقة، والسؤال هو: ما أثر هذه الأحاديث في الكتابات التاريخية؟ وهو ما سيوضِّحه المبحث القادم بجلاء.

---

(١) أورده العقيلي في: المسند الضعيف، تحقيق: كامل عويضة، ص١٤٥. كما أورده الهيثمي بلفظ مشابه: «لو أن بيدي مفاتيح الجنة أعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم»، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح إلا أنه منقطع. مجمع الزوائد، ٧/ ٢٣٠. كما أورد مثله ابن كثير ولم يعلِّق عليه، البداية، ٧/ ١٧٨.

(٢) قال ابن الجوزي: حديث لا أصل له. انظر: العلل المتناهية، ١/ ١٩٥. وذكره الذهبي في تلخيص العلل لابن الجوزي، ص١٠٢، وقال: فيه عبد الله بن عبد القدوس رافضي متروك.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٣٣١.

(٤) البداية، ١٠/ ٤٩.

المبحث الثالث

أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأسرة الأموية

في الكتابات التاريخية

أولاً: لعن بني أمية وذمّهم في المصادر التاريخية

تأثَّرت المصادر التاريخية إلى حدٍّ كبير بما ورد في مصادر الحديث من روايات تذمُّ بني أمية وتلعنهم، ويظهر ذلك التأثُّر في العديد من المصادر التاريخية المتقدِّمة والمتأخِّرة، وسيتم تقصِّي ذلك قدر الإمكان لتوضيح مدى تأثُّر الكتابات التاريخية بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ذمَّت بني أمية.

وقد أوردت المصادر التاريخية أحاديث عديدة عن بني أمية مع اختلاف في تبويبها؛ فمصادر السيرة مثلاً تُدرج أحاديث بني أمية ضمن أبواب الدلائل النبوية والشمائل المحمَّدية كما هو عند البيهقي في (الدلائل)، وابن كثير في (الشمائل)، والسيوطي في (الخصائص الكبرى). وتارةً تذكر المصادر هذه الأحاديث ضمن التراجم الخاصَّة ببني أمية كما هو عند الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق). وتارةً تُورد هذه الأحاديث حسب الأحداث والوقائع كما هو عند البلاذري في (أنسابه)، والطبري في (تاريخه)، والمسعودي في (مروجه). ومن المؤرِّخين مَن جمع أحاديث بني أمية في فصل مستقل كما هو عند السيوطي في (تاريخ الخلفاء)، وابن كثير في (البداية والنهاية). إضافةً إلى ذلك أشارت بعض كتب التراجم إلى عدة أحاديث تذمّ وتلعن بني أمية أو بني الحكم ضمن تراجم بني أمية؛ مثل ما أورده ابن عبدالبر في (الاستيعاب)، وابن الأثير في (أُسْد الغابة)، والذهبي في (أعلام النبلاء)[١].

---

(١) انظر ترجمة الحكم وابنه مروان؛ إذ أوردت كتب التراجم أحاديث في لعن الحكم وبنيه. ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/ ٤١٤، ٤١٥. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٢/ ٣٨. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٢/ ١٠٧-١٠٩، ٣/ ٤٧٦-٤٧٩.

كما يظهر تأثُّر المصادر التاريخية من خلال التباين في منهجية رواية الأحاديث؛ فمصادر تكتفي بذكر الحديث بالسند واللفظ وتشير إلى مَن أخرجه كما هو حال ابن عساكر مثلاً، ومصادر لا تقف عند ذلك، فهي تهتمّ بنقده ودراسة سنده كما هو عند ابن كثير والذهبي، كما أن هناك مصادر تشير إلى الحديث باللفظ تارة وبالمعنى تارة أخرى دون الاهتمام بالسند ومدى صحة الحديث كما في أغلب المصادر التاريخية العامة.

وفي هذا المبحث سيتم إلقاء الضوء على هذه الأحاديث الواردة في المصادر التاريخية، علماً أن جميع الأحاديث التي سنوردها هنا قد سبق تخريجها وبيان حكمها، وسنلمح إليها ضمن إشارات عابرة خشية التكرار والإطالة.

فمن مظاهر تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث في بني أمية ما يلي:

أوردت هذه المصادر حديث استياء الرسول ﷺ من بني أمية وتعويض الله له بليلة القدر عن أيامهم المقدَّرة بألف شهر وبنهر الكوثر دون تعليق أو نقد[1]. وهذا الحديث هو أن رجلاً قام إلى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية فقال: يا مُسوِّد وجوه المؤمنين، فقال له الحسن: لا تُؤنِّبْني رحمك

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٨. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٢/٢٩٧. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٤٩، ٢٥٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨/٢٧٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٣/٢٧٨، ٢٧٩. مطهر بن طاهر المقدسي، ٥/٢٣٧، ٢٣٨. ابن الأثير، الكامل، ٣/٢٠٤. عماد الدين أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفدا، د. ط، (القاهرة: مكتبة المتنبي، د. ت)، مج١، ص١٨٤. شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد رفعت، ومراجعة: إبراهيم مصطفى، د. ط، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ج٢٠، ص٢٨٩. أبو بكر ابن عبدالله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغُرر (الدرة السّمية في أخبار الدولة الأموية)، تحقيق: جونهلد جراف واريكا جلاسن، د. ط، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ج٤، ص٤٤٦. احمد بن عبد الله القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، د. ط، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ج١، ص١٦٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩.

الله؛ فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. وقد سبق بيانه عند تناول موضوع لعن بني أمية وذمهم في كتب التفسير.

إلاّ أن المصادر التاريخية تباينت في طريقة إيراد هذا الحديث؛ فبعض المصادر تناولته بالنقد والدراسة وبيَّنت نكارته كما فعل الذهبي وابن كثير[١]، وهناك مصادر قدَّمت الحديث على طريقة المحدِّثين ولم تعلِّق عليه كما هو في (تاريخ بغداد) و(تاريخ دمشق) و(تاريخ الخلفاء)[٢]، وهناك مصادر أوردت الحديث ضمن سياق الأحداث التاريخية المتعلِّقة بتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ولم تعلِّق عليه كما هو في (الكامل) لابن الأثير، و(نهاية الأرب) للنويري، و(المختصر) لأبي الفدا[٣]، وهناك مصادر أوردته كخبر تاريخي ضمن سياق الأحداث التاريخية ولم تذكره كحديث، بل أوردته بأساليب مختلفة، ومن أمثلة ذلك: ما أورده المسعودي ضمن فصل (ذِكْر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام)، فقال بعد أن حسب أيام بني أمية بألف شهر: «وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ما ذكرناه من أيامهم»[٤]. كما أورد الطبري بعد أن ذكر قوله عز وجل: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أنها

---

(١) أورده الذهبي وذكر أن فيه انقطاعاً. سِيَر أعلام النبلاء، ٣/ ٢٧٢. وذكر ابن كثير في تاريخه أن ما ورد في ذلك حديث غريب بل منكر جداً. البداية، ٨/ ٢٠، ٦/ ٢٤٨، ٢٤٩. وانظر أيضاً: الشمائل، ٢/ ٢٤٧.

(٢) ومن أمثلة هذه المصادر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨/ ٢٧٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٣/ ٢٧٨، ٢٧٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩.

(٣) ومن أمثلة ذلك: ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٢٠٤. النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٢٨٩. قال النويري: «وقد أخرج الحديث أهل الصحة». أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١/ ١٨٤. القلقشندي، مآثر الإنافة، ١/ ١٦٧.

(٤) مروج الذهب، ٣/ ٢٥٠.

«من مُلْك بني أمية»(١). كما أورده ابن أعثم الكوفي ضمن باب (مسير معاوية إلى العراق لأخذ البيعة لنفسه من الحسن بن علي رحمه الله) فذكر أن رجلاً عاتب الحسن على تنازله عن الخلافة لمعاوية، فردَّ عليه قائلاً: يا هذا، إن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى رُفع له ملك بني أمية، فنظر إليهم يصعدون منبره واحداً بعد واحد، فشقَّ عليه ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، يقول: إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية(٢). كما أورد المقدسي (تُوفِّي بعد ٣٥٥هـ)(٣) أن الحسن خطب بعد أن تنازل عن الخلافة لمعاوية فقال: «ألا، وإنِّي قد اخترتُ العار على النار، ليلة القدر خير من ألف شهر»(٤). وذكر الدواداري (ت ٧٣٧هـ تقريباً)(٥) ضمن فصل (جامع أخبار بني أمية) أن قوماً تأوَّلوا سورة القدر أنها أيام بني أمية(٦).

كما تأثَّرت بعض المصادر التاريخية بأحاديث عديدة تدور حول ما قيل من أن النبي ﷺ رأى بني أمية يَنْزُونَ على منبره نَزْوَ القردة فاستاء منهم وغضب. لكن هذه المصادر تورد ذلك باسم بني الحكم تارةً، وباسم بني العاص أو بني مروان تارةً أخرى. كما أن هذه المصادر تناولت هذه الأحاديث بمنهجيَّة مختلفة؛ فمصادر

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٨. وقد أوردها الطبري ضمن مرسوم الخليفة العباسي المعتضد الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

(٢) الفتوح، ٢/٢٩٧.

(٣) المقدسي: مطهر بن طاهر، صاحب كتاب البدء والتاريخ. انظر: كحالة، معجم المؤلفين، ٣/٨٩١.

(٤) البدء والتاريخ، ٥/٢٣٧، ٢٣٨.

(٥) الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، كان أبوه من مماليك الأيوبيين، له اهتمامات أدبية وتاريخية. ذكر الزركلي أن وفاته بعد ٧٣٦هـ. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٨، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م)، ج٢، ص٦٦. وانظر أيضاً مقدمة محقِّق كتاب: كنز الدرر وجامع الغُرر (الدرة السَّمية في أخبار الدولة العباسية)، تحقيق: دورتيا كرافولسكي، د. ط، (بيروت: المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ج٥.

(٦) كنز الدرر، ٤/٤٤٦.

أوردت هذه الأحاديث وأنكرتها، ومصادر أيَّدتها، ومصادر أوردتها دون تعليق، فعلى سبيل المثال:

أورد الفاكهي (تُوفِّي بين ٢٧٢-٢٧٩هـ) بسنده أن أصحاب رسول الله دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص، فقالوا: يا رسول الله، ما له؟ قال: «دَخَلَ عَلَيَّ شِقَّ الجِدَارِ وَأَنَا مَعَ زَوْجَتِي فَكَلَحَ فِي وَجْهِي»، فقالوا: أفلا نلعنه نحن؟ قال: «لا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَنِيهِ يَصْعَدُونَ مِنْبَرِي وَيَنْزِلُونَهُ»، فقالوا: يا رسول الله، ألا نأخذهم؟ قال: «لا». ونفاه رسول الله ﷺ[١]. كما أورد البلاذري (ت ٢٧٩هـ) عدَّة أحاديث في لعن الحكم وولده في صلبه، وأن أولاده يصعدون منبره؛ كنايةً عن تولِّيهم الحُكْم، ويظلمون الناس، ويأخذون أموالهم، ويتَّخذونهم عبيداً، دون تعليق أو تضعيف[٢]. وأورد الطبري والخطيب البغدادي أحاديث فيما يتعلَّق بنَزْو بني أمية أو بني الحكم على منبره واستيائه منهم ولعْنهم دون تعليق يُذكر[٣]. وذكر ابن عساكر أحاديث نَزْو بني أمية على منبر الرسول ﷺ وسكت عنها[٤]. كما أورد النويري (ت ٧٣٣هـ) أحاديث نبوية في سبِّ بني أمية وذمِّهم، وأشار إلى إخبار عائشة رضي الله عنها بأن مروان ووالده الحكم ملعونان على لسان رسول الله ﷺ، وذلك عندما علمت أن مروان قال لعبد الرحمن أخيها: أنت الذي نزل فيك: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾[٥]. كما أورد السيوطي حديث رؤيا الرسول ﷺ بني الحكم يَنْزُونَ على منبره فاستاء من ذلك، وقال: «إسناده ضعيف،

(١) انظر: أخبار مكة (٥/٢٣٨) ضمن عنوان: (ذكر نفي رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص إلى الطائف).

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/٦٤، ١٢٥، ٦/٢٥٦.

(٣) انظر هذه الأحاديث في: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٨ (مرسوم المعتضد). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤/١١٣، ٩/٤٥.

(٤) انظر: تاريخ دمشق، ١٦/١٧٤-١٧٦، ٥٧/٢٤٤-٢٧٧.

(٥) نهاية الأرب، ٢٠/٣٥١، ٣٥٢، ٢١/٨٢.

لكن له شواهد تقوّيه»[1]. وهذا القول من السيوطي فيه دلالة على تأييده ما ورد من أحاديث في ذمّ بني أمية.

لكن بعض المؤرّخين لم يكتفِ بسرد أحاديث لعن بني أمية أو بني الحكم، بل كانت له مواقف ناقدة لها؛ فقد ذكر ابن الأثير «أن هناك أخباراً كثيرة في لعن الحكم وما في صلبه رواها الحُفَّاظ، وفي أسانيدها كلام»[2]، كما ذكر أن ما ورد من أحاديث في لعن بني أمية «لا يصح»[3]. وذكر ابن الطقطقا أن هناك أحاديث وأخباراً في لعن الحكم بن أبي العاص ومَن في صلبه، لكن ضعَّفها قوم[4]، ولم يورد منها شيئاً. وعلَّق الذهبي على الأحاديث الواردة في ذمّ بني أمية أو بني الحكم أو بني العاص ولعنهم بالضعف[5]. كما ذكر ابن كثير أحاديث نزو بني أمية أو بني مروان أو بني الحكم على منبر رسول الله ﷺ وما قيل في لعنهم، وعلَّق عليها بالنكارة والغرابة والضعف[6].

كما ناقش ابن حجر في (الإصابة) الأحاديث الواردة في لعن الحكم، وأورد ما أوردته بعض المصادر التاريخية من أحاديث، وبيَّن أن العديد منها لم يثبت، كما ناقش أسانيدها وسكت عن بعضها[7].

ومن مظاهر تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث نبوية في ذمّ بني أمية ما أوردته تلك المصادر من أحاديث تصفهم بالشجرة الملعونة؛ فهناك مصادر أوردت

(١) تاريخ الخلفاء، ص١٩.

(٢) الكامل، ٣/٣٤٨.

(٣) أورد ابن الأثير عدة أحاديث في لعن بني أمية كما جاءت في مرسوم الخليفة العباسي المعتضد وأنكرها. الكامل، ٦/٨٥-٨٧.

(٤) انظر: الفخري في الآداب السلطانية، ص١١٩.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٣. وانظر أيضاً: سِيَر أعلام النبلاء، ٢/١٠٨، ٣/٤٧٨.

(٦) البداية، ٦/٢٤٧، ٢٤٨، ٨/٢٦١، ٢٦٢.

(٧) انظر ترجمة الحكم في: ابن حجر، الإصابة، ٢/٩١، ٩٢.

ما قيل من أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية دون تعليق[١]، كما أن هناك مصادر أنكرت ذلك؛ فقد ذكر ابن عساكر أن ذلك لا يصح[٢]، كما أنكره ابن كثير[٣]، وذكر السيوطي أن ذلك موضوع[٤].

ومن مظاهر تأثُّر المصادر التاريخية بقضية لعن بني أمية ما أوردته من أحاديث في لعنهم عند حديثها عن الكتاب أو المرسوم الذي عزم الخليفة العباسي المعتضد بالله على نشره عام ٢٨٤هـ بين الناس في خطبة الجمعة. والحقيقة أن بعض المصادر التاريخية أوردت خبر هذا المرسوم بإيجاز، وبعضها أوردته بإسهاب، كما اختلفت المصادر فيما إذا كان المعتضد قد نفَّذ هذا المرسوم فعلاً أم لم يُنفِّذْه؛ فقد أشار الطبري إلى عزم الخليفة العباسي المعتضد بالله على نشر كتاب يلعن فيه بني أمية ويصفهم بالشجرة الملعونة التي وردت في القرآن، وأن الله ورسوله لعناهم، وخصّ بذلك معاوية ويزيد وبعض بني أمية، ذاكراً عدة أحاديث في ذمِّهم، لكن الطبري أشار إلى تراجع المعتضد عن تنفيذ ذلك بسبب نصح أحد وزرائه له[٥].

واكتفى ابن الجوزي بالإشارة إلى عزم المعتضد بالله على لعن معاوية على المنابر، فحذَّره أحد مستشاريه، لكنه لم يلتفت إلى ذلك وأمر بكتابة النسخ وقراءتها في المساجد[٦]. ولم يُشر ابن الجوزي إلى تراجع المعتضد. ويرى ابن أبي الحديد أن المعتضد جعل هذا المرسوم كتاباً ونشره في الآفاق[٧]. إلا أن العديد من المصادر

---

(١) أورد الطبري ذلك ضمن كتاب الخليفة العباسي المعتضد في ذم بني أمية. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٨-٦٣. تاريخ بغداد، ٤/١١٣. المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٦٦-٦٨.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٧/٢٧٢.

(٣) انظر: البداية، ٦/٢٤٨.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢٩٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٨-٦٣.

(٦) المنتظم، ١٢/٣٧١، ٣٧٢.

(٧) انظر: شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٤٥.

التاريخية أشارت إلى تراجع المعتضد عن نشر هذا المرسوم بعد أن نصحه أحد وزرائه[١]، وهو الأقرب إلى الصحة؛ لأنه لو تم نشره بين الناس لاشتهر أمره بين المؤرخين.

لكن بعض المصادر التاريخية وقفت من أحاديث هذا المرسوم وقفة إنكار؛ فقد أشار ابن الأثير إلى أن ما ورد فيه من أحاديث تلعن بني أمية لا يصح[٢]، كما ذكر ابن كثير أن أحاديث المرسوم باطلة[٣]، لكن ابن الأثير وابن كثير لم يذكرا هذه الأحاديث، كما أن المصادر لم تذكر نص المرسوم أو كتاب المعتضد بالتفصيل كما ذكره الطبري[٤].

وقد أفادنا الطبري بمعلومات مهمة عند ذكره نص مرسوم الخليفة المعتضد بالله[٥]؛ إذ أوضح أن أصل هذا الكتاب وضعه الخليفة المأمون، وأن المعتضد أخرجه من الديوان بسبب ما كان عليه العامة من عصبية لبني أمية، وبخاصة معاوية رضي الله عنه، كما أن المرسوم صوَّر لنا واقع العصبية القبلية والمذهبية التي انتشرت في بغداد آنذاك فاضطرَّت المعتضد إلى منع القصاص ومنع المناظرة والجدل[٦]. وقد احتوى المرسوم على أحاديث عديدة في لعن بني أمية وذمِّهم، ونورد هنا أبرز ما جاء فيه؛ نظراً إلى كثرة عدد صفحاته:

---

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل، ٦/٨٥-٨٧. العيون والحدائق لمؤلِّف مجهول، الجزء الرابع - القسم الأول، ص١٥١-١٥٣. ابن كثير، البداية، ١١/٨١. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد جابر الحيني، د. ط، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٢٢، ص٣٥١. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ص٣٣٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٦/٨٥.

(٣) ابن كثير، البداية، ١١/٨١.

(٤) نقل ابن أبي الحديد نصَّ المرسوم من الطبري. انظر: شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٤٢-٤٤٥.

(٥) للاستزادة انظر: نصّ خطبة المعتضد بالله كما وردت عند الطبري، ملحق ٢، ص ٤٤٦.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠/٥٤، ٥٥.

* تفسير الشجرة الملعونة في القرآن بأنهم بنو أمية، وقوله: إن هذا لا اختلاف فيه.

* لعن أبي سفيان وابنه معاوية ويزيد على لسان رسول الله ﷺ.

* حديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية يَنْزُونَ على منبره واستيائه منهم.

* حديث لعن الحكم بن أبي العاص وابنه مروان.

* حادثة محاكاة الحكم النبيَّ ﷺ، ودعاء النبي ﷺ عليه وطرده.

* أحاديث في لعن معاوية والأمر بقتله وتبشيره بالنار.

* أحاديث وصف أيام بني أمية أو بني الحكم بالظلم وأخذ أموال الناس بالباطل.

كما يحتوي هذا المرسوم على ذمّ بني أمية بشكل مقذع، ومن ذلك:

* ذكر قبائح معاوية وأفعاله السيئة وسبّه وشتمه.

* وصف يزيد بالكفر والمجاهرة بالفسق.

* التبرُّؤ من أفعال بني أمية وسبّهم ووصفهم بأئمة الكفر.

* ذكر مواقف بني أمية من الرسول ﷺ في الدعوة والغزوات.

* المبالغة في مدح آل البيت ووصفهم بأنهم ورثة النبوة، وأن الخلافة حق لهم.

ومن مظاهر تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث في بني أمية ما أوردته بعض كتب التراجم من توعُّد النبي ﷺ بني أمية؛ إذ أوردت حديث: «وَيْلٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ» ثلاث مرات[1]. وقد سبقت الإشارة إلى نكارة هذا الحديث وبطلانه.

وبعد أن سبق إجمال ما أوردته المصادر التاريخية من أحاديث في لعن بني أمية لا بدَّ من إعطاء صورة واضحة عن المصادر التاريخية التي جمعت العديد من الأحاديث الواردة في بني أمية وموقفها من هذه الأحاديث؛ هل هي نقلتها دون نقد أم أخضعتها للنقد؟ وهو ما يعدُّ من صور تأثُّر المصادر التاريخية بما أوردته مصادر الحديث من أحاديث عن بني أمية.

(١) أورد هذا الحديث ابن الأثير وابن حجر ضمن ترجمة حمران بن جابر اليمامي، ولم يُعلِّقا عليه سوى أنهما ذكرا الحديث عن طريق ابن منده. انظر: أُسْد الغابة، ٢/ ٤٩. الإصابة، ٢/ ١٠٤.

وهذه المصادر التي سنُشير إليها هي الأكثر من بين المصادر التاريخية الأخرى اهتماماً بإيراد الأحاديث تحت اسم باب أو فصل وعلى طريقة المحدِّثين في منهجية كتابة الحديث وروايته. وهذه المصادر سنذكرها بالترتيب الزمني؛ أي حسب أقدميتها، ومنها:

(دلائل النبوة) للبيهقي: وهو يعدُّ أكثر المصادر التاريخية المتقدِّمة إيراداً للأحاديث النبوية الواردة في بني أمية، وذلك ضمن عدة أبواب؛ مثل: باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ عن خلفاء يكونون بعده فكانوا[١]، وباب ما جاء في إخباره عن ملوك يكونون بعد الخلفاء فكانوا[٢]، وباب ما جاء في إخباره بصفة بني عبدالحكم بن أبي العاص[٣]، وباب ما جاء في رؤياه في ملك بني أمية[٤].

ويُلاحظ أن الإمام البيهقي اعتمد في كثير من رواياته على الإمام الحاكم صاحب (المستدرك)[٥]. وقد ذكر الذهبي أن البيهقي كان من كبار أصحاب الإمام الحاكم، وقد أخذ البيهقي عنه وِقْر بعير حسب تعبير الذهبي[٦].

وتزداد أهمية كتاب (الدلائل) للبيهقي باعتماد العديد من المصادر التاريخية المتأخرة عليه، بل نقلت عنه أسماء الأبواب التي عنونها. ومن أبرز هذه المصادر كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير الذي أورد العديد من الأحاديث في بني أمية نقلاً عن (دلائل) البيهقي.

ونظراً إلى ما يحتويه كتاب (الدلائل) من أحاديث عديدة عن بني أمية فقد اعتمدت عليه العديد من المصادر التاريخية المتأخرة، بل اعتمدت عليه أيضاً بعض

---

(١) دلائل النبوة، ٦/٣٣٨.

(٢) دلائل النبوة، ٦/٣٣٩.

(٣) دلائل النبوة، ٦/٥٠٧.

(٤) دلائل النبوة، ٦/٥٠٩.

(٥) ومن ذلك ما جاء في تفسير ليلة القدر؛ إذ قال: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم. انظر: دلائل النبوة، ٦/٥٠٩.

(٦) سِيَر أعلام النبلاء، ١٨/١٦٥، ١٦٧.

مصادر الحديث؛ مما جعل الباحث يعتمد عليه في تخريج الأحاديث السابقة.

ونكتفي هنا بإشارات موجزة لما أورده البيهقي، فمما أورده: أحاديث في لعن الحكم وبنيه[1]، وأحاديث في ظلم بني الحكم الناسَ بعدَّة روايات؛ منها: حديث «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ أَرْبَعِينَ اتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ دَغَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً، وَمَالَ اللَّهِ دُوَلاً»[2]. كما أورد أحاديث في استياء النبي ﷺ من بني أمية أو بني العاص عندما رآهم في النوم، فعوَّضه الله بنهر الكوثر وبليلة القدر[3]. وقد اكتفى البيهقي بسرد الأحاديث مُسندةً دون تعليق يُذكر.

(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي: وهو من المؤرِّخين المحدِّثين الذين أوردوا عدة أحاديث منكرة وضعيفة في ذمّ بني أمية ولم يبيِّنوا حالها، ومن أبرزها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أُرِيَ بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾[4]، وحديث أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية، وأن هلاكهم على يدي بني العباس[5]، وحديث رؤيا النبي ﷺ في المنام بني أمية على منبره على شكل القردة والخنازير[6]، وغير ذلك.

وعلى الرغم من مكانة الخطيب العلمية، خصوصاً في علم الحديث، إلا أنه يسوق أحياناً أحاديث ضعيفة وموضوعة دون تعليق منه أو تضعيف، ويكاد يكون تعقُّب الخطيب بعضَ الأحاديث وانتقادها قليلاً جداً[7].

(١) دلائل النبوة، ٦/٥١٢.

(٢) دلائل النبوة، ٦/٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) دلائل النبوة، ٦/٥٠٩، ٥١٠.

(٤) تاريخ بغداد، ٨/٢٧٥. وبرواية سعيد بن المسيب انظر: ٩/٤٥.

(٥) تاريخ بغداد، ٤/١١٣.

(٦) تاريخ بغداد (٩/٤٥) عن سعيد بن المسيب. ذكر الخطيب أن راوي الحديث يحيى بن سعيد أنكر عبارة (القردة والخنازير). ذكر خلدون الأحدب أن الحديث موضوع؛ لأن في رواته مَن هو كذاب ورافضي متروك. انظر: زوائد تاريخ بغداد، ٣/١٥٢، ١٥٣.

(٧) للاستزادة انظر: أكرم العمري، موارد الخطيب، ص٨٩. خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/٨٧-٩٠.

(تاريخ دمشق) للحافظ ابن عساكر: وهو من المؤرِّخين المحدِّثين الذين ذكروا أحاديث في بني أمية وبني الحكم وبني العاص بشكل كبير، وقد علَّق على بعض الأحاديث بالضعف، وهو ما أوردته الدراسة في حينه حسب ورود كل حديث. كما أنه لم يعلِّق على بعض الأحاديث؛ منها حديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك[1]، وأحاديث رؤيا النبي ﷺ بني الحكم أو بني العاص يَنْزُونَ على منبره فساءه ذلك[2]. كما ذكر عدة أحاديث في لعن الحكم بن أبي العاص وبنيه؛ مثل: حديث ابن الزبير: «وَرَبِّ هَذَا البَيْتِ، إنَّ الحَكَمَ بْنَ أَبِي العَاصِ وَوَلَدَهُ مَلْعُونُونَ»، وحديث عبد الله بن عمرو: «لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ لَعِينٌ»، وحديث عائشة أن النبي لعن الحكم وما في صلبه[3]. وهذه الأحاديث ساقها ابن عساكر ضمن ترجمة مروان بن الحكم وغيره من بني أمية. كما ذكر ابن عساكر قصة أسطورية فيها ذمّ لبني أمية منذ الجاهلية تدور حول قدوم رجلٍ معمَّرٍ من حضرموت على الخليفة معاوية بن أبي سفيان اسمه أمد بن أبد الحضرمي وعمره ٣٦٠ عاماً، فسأله معاوية عن أخبار الماضين، ثم سأله عن هاشم جدّ النبي ﷺ، فأثنى عليه خيراً ووصفه بأحسن الصفات، ثم سأله عن جده أمية فذمَّه شرَّ ذمّ، ثم سأله عن محمد فغضب أمد على معاوية؛ لأنه لم يحترم مقام النبي ﷺ ولم يصلِّ عليه كما تقول الرواية[4].

وهذه الرواية أوردتها بعض المصادر الشيعيَّة للتهكُّم ببني أمية، ومما يدلّ على نكارتها ذِكْرها أن هذا المعمّر الحضرمي دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه[5] وليس على معاوية، ومما يدل على نكارتها أيضاً ذلك الاسم المصطنع (أمد بن أبد) الذي

(١) تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٦٧.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٦٦، ٢٦٧.

(٣) انظر: تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٧٠-٢٧٣.

(٤) تاريخ دمشق، ٩/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٥) انظر ذلك في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٧٦.

لم يرد في كتب التراجم، وذلك العمر الخرافي ٣٦٠ سنة.

وعلى جلالة قدر ابن عساكر في علم الحديث ورسوخ قدمه وثناء العلماء عليه فقد استنكر ابن كثير روايته عدة أحاديث موضوعة وقال: «والعجب منه مع حفظه واطِّلاعه كيف لا يُنبِّه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها»[١]. إلا أن ذِكْر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بالسند دون نقد كان معلوماً عند قدامى المحدِّثين حتى تبرأ ذمَّتهم[٢].

(تاريخ الإسلام) للإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ): وهو من المؤرِّخين المحدِّثين المحقِّقين؛ إذ يعوِّل عليه العلماء في التحقيق، وهو من الذين أسهموا في دفع الشُّبهات عن بني أمية وعلَّقوا على الأحاديث الواردة فيهم من خلال كتابيه: (تاريخ الإسلام)، و(سير أعلام النبلاء)، وقد أورد فيهما أحاديث تذمّ بني أمية وبني الحكم، لكنه أخضعها للنقد ووصفها بالضعف والنكارة، ومن أمثلة ذلك: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ ثَلاثِينَ رَجُلاً...»، ووصفه بالضعف، وحديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «إِذَا بَلَغَتْ بَنُو أُمَيَّةَ أَرْبَعِينَ...»، ووصفه بالانقطاع، وذلك ضمن ترجمة مروان بن الحكم[٣]. كما ضعَّف الذهبي ما قيل من أن عائشة رضي الله عنها لعنت مروان وأباه، كما أشار إلى أن الأحاديث اللاعنة للحكم بن أبي العاص لم تصح، وذلك ضمن ترجمته له[٤]. كما ضعَّف حديث رؤيا الرسول ﷺ بني أمية يَثِبُونَ على منبره فعوَّضه الله بليلة القدر ونهر الكوثر[٥]، وذلك ضمن ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

---

(١) البداية، ٨/١٢٣.

(٢) انظر: محمد إسحاق إبراهيم، جهود الحافظ ابن عساكر الحديثية من خلال تاريخ دمشق، ٣/١١١٧.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٢، ٢٣٣. وانظر أيضاً: سِيَر أعلام النبلاء، ٣/٤٧٨.

(٤) سِيَر أعلام النبلاء، ٢/١٠٨.

(٥) سِيَر أعلام النبلاء، ٣/٢٧٢.

(**البداية والنهاية**) للحافظ ابن كثير: وهو من أكثر المؤرخين اهتماماً بالأحاديث النبوية الواردة في بني أمية، ووضع لها عناوين مختلفة؛ مثل: كتاب دلائل النبوة - باب إخباره عن الغيوب المستقبلية[1]؛ إذ ضمّن هذا الباب أبرز ما ورد عن الأسرة الأموية من أحاديث. كما ذكر ابن كثير باباً في ذكر الأخبار عن خلفاء بني أمية جملةً جملةً، وساق تحته عدة أحاديث، منها أحاديث رؤيا النبي ﷺ نَزْوَ بني أمية على منبره واستيائه من ذلك، فعوَّضه الله بالكوثر وليلة القدر، وما قيل من أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية، وقد وصف هذه الأحاديث بالنكارة[2]. كما أورد ابن كثير الأحاديث الواردة في بني العاص وبني الحكم وبني أمية المتعدِّدة الروايات؛ مثل: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أُمَيَّةَ - أو: بَنُو أَبِي العَاصِ، أو: بَنُو الحَكَمِ - أَرْبَعِينَ - وفي رواية: ثَلاثِينَ - رَجُلاً اتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ دَغَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً، وَمَالَ اللَّهِ دُوَلاً»، وعلَّق عليها بالغرابة والنكارة الشديدة[3]، وأن جميع طُرق هذه الأحاديث ضعيفة[4]. كما ذكر ابن كثير عدَّة أحاديث في بني أمية أُدرجت في ثنايا البحث، وقد بيَّن ضعفها فكانت تعليقاته علمية مقنعة بعد أن ذكر المصادر التي أوردتها ونقد سندها، منها على سبيل المثال حديث: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»؛ فقد ذكر ابن كثير أنه منقطع[5]، كما وصف حديث «لَيَرْعَفَنَّ - أو: لَيَزْعَقَنَّ، أو: لَيَنْعِقَنَّ - عَلَى مِنْبَرِي جَبَّارٌ مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ» بأنه غريب ومنكر[6]، كما أنكر ابن كثير ما قيل عن لعن عائشة رضي الله عنها مروان وأباه[7].

---

(١) البداية، ٦/٢٠٧-٢٦٠.

(٢) البداية، ٦/٢٤٨، ٢٤٩، ٨/١٩، ٢٠.

(٣) البداية، ٦/٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) البداية، ٨/٢٦١، ٢٦٢.

(٥) البداية، ٦/٢٣٤، ٨/٢٣٤.

(٦) البداية، ٦/٢٤٠.

(٧) البداية، ٨/٩٢.

(النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم) للمقريزي: وقد أورد فيه المؤلف عدة أحاديث في بني أمية تحت اسم: (فصل فيما ورد في بني أمية)، منها أحاديث: «إِذَا بَلَغَ بَنُو العَاصِ - أو: بَنُو الحَكَمِ - أَرْبَعِينَ...»، ورؤيا النبي ﷺ إيَّاهم في المنام يَنْزُونَ على منبره واستيائه منهم، وأنهم الشجرة الملعونة في القرآن، وأن أيامهم هي ألف شهر كما ورد في سورة القدر[1]. كما أورد المقريزي طرد ولعن النبي ﷺ الحكم بن أبي العاص وبنيه ووصفه بالوزغ[2]، كما ذكر أن الذين أحلُّوا قومهم دار البوار هم بنو أمية وبنو المغيرة كتفسير للآية الكريمة الواردة في ذلك.

وهذه الأحاديث التي أوردها المقريزي في النزاع جاءت أيضاً في كتابه: **(إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع)**[3]. وقد عقد المقريزي في هذا الكتاب فصلاً عن الأحاديث الواردة في بني أمية وبني الحكم أو بني العاص أو بني مروان على نحو ما ذكره في كتابه: (النزاع والتخاصم)[4]، وكان أكثر نقله عن طريق الحاكم والبيهقي، كما أنه لم يُبْدِ نقداً أو يُقدِّم رأياً في هذه الأحاديث.

وبالمقارنة بين الكتابين لُوحظ غرابة الأسلوب في (النزاع والتخاصم) عن (الإمتاع)؛ فكتاب (النزاع) توجد به عبارات الشتم والسبّ والقذف التي يُستبعد أن تصدر من المقريزي؛ إذ لا يتَّفق ذلك ومكانته العلمية؛ فهو معروف

---

(١) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٦٦-٦٨.

(٢) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٢-٤٤.

(٣) أحال المقريزي القارئ إلى كتاب إمتاع الأسماع؛ مما يدلُّ على أن رسالة النزاع أُلِّفت بعد الإمتاع. انظر: النزاع، ص٥١.

(٤) ومن جملة الأحاديث التي ذكرها: حديث «أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية»، وحديث ليلة القدر، وحديث «الوَزَغُ ابْنُ الوَزَغِ»، وأحاديث بني الحكم وبني العاص المتعلّقة بظلمهم ولعنهم هم وبنيهم، وحديث استياء النبي ﷺ من بني أمية في رحلة الإسراء. انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/٢٧٣-٢٧٩.

بعلوّ قدْره وعلمه(١)، وفي المقابل فإن الكتاب يعكس غلواً في مدح الهاشميين، الأمر الذي يثير الشكّ في نسبة الكتاب إلى المقريزي؛ إذ يمكن أن يكون منحولاً عنه(٢).

وعلى الرغم من أن العديد من الباحثين صنَّفوا كتاب (النزاع) ضمن مؤلَّفات المقريزي(٣) إلا أن هذا التشكيك الذي أوردته الدراسة يستند إلى الدلائل والاستنباطات التالية:

١- وجود عبارات مُستهجَنة ومُستغرَبة ومكفِّرة لا تليق بسمعة المقريزي كعالم، ومن ذلك:

* ذكره أن أبا سفيان رضي الله عنه كهف النفاق(٤)، وقد أسلم وحسن إسلامه.

* قوله عن عبد الملك بن مروان: «إنه أعرق الناس في الكفر»(٥)، وعبد الملك

---

(١) وصفه ابن حجر بانه: إمام بارع، متقن، ضابط، ديّن، خيّر، محبّ لأهل السنة، يميل إلى أهل الحديث حتى نُسب إلى أهل الظاهر، وأنه كان شافعي المذهب. انظر: إنباء الغمر، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) أشار بعض الباحثين المُحْدَثين إلى أن كتاب (النزاع والتخاصم) لا تصحّ نسبته للمقريزي؛ لأنه لا يُتصوَّر أن ينزل المقريزي إلى هذا المستوى من إلغاء العقل وإهدار العقيدة والجهل بالأحكام؛ إذ أورد المؤلف عدة عبارات غريبة، كما أن الكتاب يحمل صبغة شيعية صرفة. انظر: إبراهيم شعوط، أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، ص٢٥٠-٢٥٣.

(٣) أصل هذا الكتاب رسالة مخطوطة في فيينا، وأخرى في باريس (مجموع ٤٦٥٧)، وثمة نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق رقمها ٣٧٣١. وتُرجم إلى لألمانية ونُشر في ليدن ١٨٨٨م، وطُبع في القاهرة بمصر ١٩٣٧م، كما طُبع في النجف (المطبعة الحيدرية، ١٩٦٦م). انظر مقدِّمة المحقق، ج١، ص١٤، في: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). كما أشار جمال الدين الشيال إلى أن الكتاب للمقريزي ضمن مبحث: (مؤلَّفات المقريزي الصغيرة). انظر: مجموعة من الباحثين، دراسات عن المقريزي، ص٢٥.

(٤) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٣٤.

(٥) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٩.

من فقهاء التابعين، وقد رضي بحكمه وبايعه الصحابة الكرام كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما(١).

* قوله: إن بني أمية جعلوا منزلة الرسول دون الخليفة(٢)، وهذه الرواية تمجُّها الفطر السليمة؛ لأن في ظاهرها دلالات الكفر والجاهلية، وقد أوردتها مصادر معروفة بعدائها للأمويين(٣). لكن هناك رواية ضعيفة وردت في المصادر مفادها أن الحجَّاج بن يوسف كان يرى عبد الملك بن مروان أفضل من رسول الله ﷺ، وقد ذكرها المقريزي(٤)، وأورد أبو داود بسند ضعيف ومقطوع أن الحجاج خطب فقال: «رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟»(٥)، كما ذكرها البلاذري بلفظها كما هي عند أبي داود(٦). وقد ذكر ابن كثير رواية أبي داود، لكنه علَّق بقوله: «فإن صحّ هذا عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول ﷺ»(٧). ومن دلائل ضعف هذه الرواية أنها قيلت على لسان غير الحجَّاج؛ فقد ذكر الطبري أن قائلها هو خالد بن عبد الله القسري والي مكة؛ إذ خطب على منبر مكة وذكر العبارة السابقة، لكن الطبري شكَّك فيها حين قال: «زعم الواقدي»(٨). كما أورد

(١) سيأتي الحديث عن عبد الملك بن مروان في الفصل الثالث من الدراسة ضمن مبحث الأسرة السفيانية، ص ٣٩١-٣٩٣.

(٢) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٣٦.

(٣) انظر: رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، ص٤٢٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٦٩.

(٤) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٥٩.

(٥) ذكر الشيخ الألباني أن هذه الرواية ضعيفة الإسناد ومقطوعة. انظر: صحيح سنن أبي داود، تحقيق الألباني، ص٦٩٦.

(٦) انظر: أنساب الأشراف، ١٣ / ٣٨١. ذكرها البلاذري بسند أبي داود نفسه ولفظها.

(٧) انظر: البداية، ٩ /١٣٧.

(٨) انظر: تاريخ الطبري، ٦ / ٤٤٠.

ابن الأثير رواية الطبري بلفظ: قيل[١]. كما ذكر البلاذري رواية أخرى على نحوها يذكر فيها أن الحجاج قال: عبد الملك أكرم من محمد ﷺ وغيره من الرُّسُل[٢].

فهل يمكن تصديق هذا آنذاك؟! والباحث عندما يذكر هذا الاستفسار لا يعني الدفاع عن الحجَّاج؛ فالحجاج أجمعت المصادر على ظُلمه، قال ابن كثير: «والحَجَّاج كان ناصبياً يبغض علياً وشيعته، وكان هواه مع بني أمية، لكن الشيعة ألصقوا به بشاعات وشناعات»[٣].

* ذكره ما تردِّده الشيعة حول الوصيَّة والوراثة؛ أي وراثة الخلافة في عليّ رضي الله عنه[٤].

* وصفه بني أمية بأقذع الألفاظ وأبشع التُّهم في الجاهلية والإسلام، ولم يذكر لهم مزيَّة أو حسنة على طريقة الشيعة المُغالين، بل إنه يستغرب تطلُّعهم إلى الخلافة[٥].

* ذكره ألفاظاً ركيكة؛ مثل: «وحياتك ما أدري»[٦]، وهي لهجة عامية مصرية حديثة.

٢- تشابه نهجه وأسلوبه مع أساليب المصادر التاريخية الشيعية التي غالباً ما تُسرف في ذمّ الأمويين وتُغالي في رفع شأن الهاشميين، كما تصوِّر العداء بينهم منذ القدم[٧].

وعند مقارنة بعض كتابات المقريزي ببعض كتابات الجاحظ المعادي لبني أمية وكتابات ابن أبي الحديد الشيعي المُغالِي في كتابه (شرح نهج البلاغة) المنسوب

---

(١) انظر: الكامل، ٤/ ١١٠.

(٢) انظر: أنساب الأشراف، ١٣/ ٣٧٩.

(٣) انظر: البداية، ٩/ ١٣٩. للاستزادة عن التُّهم والشناعات الموجَّهة إلى الحَجَّاج راجع: الأقصم، الدولة الأموية، ص٢١٨-٢٢١.

(٤) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٥٨.

(٥) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٣٨-٤١، ٤٦-٥٠، ٥٨-٦٠.

(٦) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٨٤.

(٧) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٣١، ٣٢.

للإمام علي رضي الله عنه لُوحظ تشابه في كثير من العبارات، وتطابق لبعض الألفاظ والكلمات والأبيات الشعرية التي استشهد بها[1]؛ مما يؤكِّد التشكيك في نسبة الكتاب إلى المقريزي.

٣- يُلاحظ على الكتاب عناية الشيعة به وطبعه وإضافة الشروحات عليه ونشره؛ لما فيه من ترويج لأفكارهم وعقائدهم المتعلِّقة بالوراثة والوصاية[2].

---

(١) للتأكُّد من تشابُه العبارات وتطابق الألفاظ والأساليب انظر: النزاع، ص٣١-٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٠. ورسائل الجاحظ السياسية، ص٤٢٠-٤٢٤، ٤٣١، ٤٣٢. وابن أبي الحديد، مج٣، ج١٥، ص٤٦٨، ٤٦٩، ٤٥٦.

(٢) طُبع كتاب (النزاع) للمقريزي في المطبعة العلمية في النجف عام ١٣٦٨هـ، وعُني بتصحيحه السيد علي الهاشمي عضو جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف. كذلك ممن اهتم بنشره المؤلف الشيعي محمد السيد علي بحر العلوم. كما قام بالتعليق على الكتاب محمد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠هـ) وسمَّاه: (فصل الحاكم في النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم)، وهو ملحق بكتاب (النزاع) الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة. انظر مقدِّمة النزاع، ص٢٧، ٢٨. كما أن كتاب (النزاع) لقي عناية الباحثين المُحْدَثين، ومن هؤلاء حسين مؤنس صاحب الكتابات الغريبة؛ إذ تلمس فيها تهجُّمه على الصحابة واتِّهامهم بعبارات لا تليق بهم، كما أنه يردّ أحاديث صحيحة لأنه لا يعتقد حدوثها؛ ففي كتابه (تنقية أصول التاريخ الإسلامي) يذكر أنه من غير المعقول أن يتزوَّج النبي ﷺ عائشة وعمرها تسع سنوات، مخالفاً بذلك المصادر الحديثية والتاريخية التي أثبتت ذلك، وأن المعقول والمقبول هو سن ١٩ سنة. انظر: ص٥، ٦. كما يتَّهم الإمام الطبري بالسذاجة لإيراده روايات منكرة وباطلة دون فهم منه واستيعاب لمنهج الطبري وغيره آنذاك. انظر: ص٧-١٢. كما أنه يتَّهم نظام الإسلام السياسي بالعجز، وأن المسلمين الأوائل كانوا سُذَّجاً بعيدين عن الفكر السياسي السليم. انظر: ص٤٣، ٥١. كما أنه يُحلِّل الأحداث التاريخية التي وقعت بين الصحابة؛ كالجمل وصفِّين، بأسلوب غريب، فيتَّهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله بأن لهما يداً في قتل عثمان، وأن أصحاب الشورى هم المسؤولون عما وقع لعثمان، وأن الأمة هي التي عزلت عثمان، وأن عثمان زعم أن الله اختاره للخلافة. انظر: ص٦٨. كما ذكر أن الخلافة كانت من اختراع أبي بكر وعمر. انظر: ص٧٠. كما أن حسين مؤنس رفع مكانة الجاحظ في الفكر السياسي وجعله أستاذ العرب الأول وأخذ يمجِّد آراءه السياسية!!.

ومن المحقِّقين لكتاب (النزاع) الدكتور صالح الورداني صاحب الآراء الشيعية التي بدأ منذ مدة=

٤- من خلال ترجمة المقريزي لُوحظ أنه شافعي المذهب، وهو أقرب إلى أهل الحديث، بل نُسب إلى أهل الظاهر الأكثر تشدُّداً؛ فأهل الحديث امتازوا من غيرهم بالتشدُّد في الحديث، وهم أكثر تشدُّداً مع روايات الشيعة.

كل هذه الشواهد والدلائل تؤكِّد استبعاد نسبة هذا الكتاب إلى المقريزي.

(تاريخ الخلفاء) للسيوطي: وهو من المؤرِّخين الذين أشاروا إلى الأحاديث النبوية الواردة في بني أمية في عدَّة مواضع من تاريخه؛ فقد أورد عنواناً مميَّزاً تحت اسم: فصل الأحاديث المُنذِرة بخلافة بني أمية، وساق تحته بعض الأحاديث التي سبق الحديث عنها، ومن ذلك: حديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية على منبره واستيائه من ذلك، وأشار إلى مَن أخرج الحديث وأقوال العلماء في ضعفه. كما ذكر حديث رؤيا النبي ﷺ بني الحكم يَنْزُونَ على منبره واستيائه من ذلك، وعلى رغم نكارة وضعف هذا القول إلا أن السيوطي قال: «إسناده ضعيف، لكن له شواهد»[1]. كما ذكر السيوطي حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً: «رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ يَتَعَاوَرُونَ عَلَى مِنْبَرِي فَسَاءَنِي ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ بَنِي العَبَّاسِ يَتَعَاوَرُونَ عَلَى مِنْبَرِي فَسَرَّنِي ذَلِكَ»، وبيَّن ضعف الحديث[2].

كما عقد السيوطي في كتابه **(الخصائص الكبرى)** عدَّة فصول أورد فيها أحاديث ضعيفة تتعلَّق ببني أمية، أكثرها كان عن طريق الحاكم والبيهقي وابن عساكر[3]،

= قريبة في نشرها ونشرها على مؤلفاته مستغلاً قُربه من أهل السُّنَّة وثقة البعض به. وقد اطلع الباحث على بعض مؤلَّفاته ووجد فيها تحاملاً على الصحابة والحطَّ من مكانتهم واتِّهامهم بوضع الأحاديث لبني أمية، كما ردَّ أحاديث صحيحة في البخاري وغيره. انظر: صالح الورداني، السيف والسياسة: صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي، ص٩٠- ٩٢، ١١٥، ١٦٨.

(١) تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص٢٠.

(٣) أورد السيوطي تحت باب (إخباره بالخلفاء بعده ثم الملوك.. ومعاوية وبني أمية) ما قيل في تفسير ليلة القدر من انها أيام بني أمية نقلاً عن الترمذي والحاكم والبيهقي ولم يُعلِّق عليه، كما أورد أحاديث لعن الحكم وبنيه وظلمه الناس. انظر: الخصائص الكبرى، ٢/١٩٣، ٢٠٠-٢٠٤.

وقد سبق ذكرها وتخريجها وبيان ضعفها، والعجيب منه رحمه الله أنه لم يعلِّق عليها واكتفى بذكر أسانيدها. ويُلاحظ أن السيوطي كان في (الخصائص) مجرَّد ناقل، بينما نجده في (تاريخ الخلفاء) يُورد بعض الأحاديث وينتقدها أحياناً أو يؤيِّدها بإشارته إلى ما يعضدها من شواهد وروايات، وقد أشرنا إلى بعض هذه الآراء ضمن أحاديث الفصل. لكن السيوطي يمتاز بإشارته إلى المصادر الحديثية التي أخرجت الحديث.

والحقيقة أن السيوطي أسهم في تشويه سمعة بني أمية من خلال ذكره أحاديث ضعيفة بل موضوعة فيهم، وهذا لا يُستغرب منه رحمه الله؛ فقد أشار العلماء إلى تساهله في الحديث، وأنه يذكر غرائب وأباطيل لا يُعتدُّ بها. لكن بعض الدراسات حاولت تلمُّس دوافع ذلك وأسبابه، فبيَّنت أن السيوطي كان عميق الصلة بالخليفة العباسي بالقاهرة المتوكِّل على الله (ت ٨٩٣هـ)، وكان قد كتب له رسالة بعنوان: (الأساس في مناقب بني العباس)، جمع فيها أربعين حديثاً نبوياً في فضائل بني العباس بناءً على طلبه، وفيها موضوعات[١].

والغريب أيضاً أن السيوطي يذكر في (تاريخه) عدَّة أحاديث ضعيفة جداً في أن الخلافة لبني العباس من خلال عقده فصلاً تحت عنوان: (فصل في الأحاديث المبشِّرة بخلافة بني العباس»[٢]، علماً أن كل حديث في ذِكْر الخلافة في بني العباس هو كذب[٣].

لكن السيوطي مثله مثل العديد من العلماء الذين كانوا يتساهلون في ذكر

---

(١) نقلاً عن: حمدي شاهين، الدولة الأموية، ص٢١، حاشية ٣. ذكر المؤلف أن الرسالة مخطوطة في المكتبة الأزهرية تحت رقم ٤٠٢٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص١٩، ٢٠. الخصائص الكبرى، ٢/٢٠٢-٢٠٥.

(٣) انظر ما ذكره ابن القيّم حول الأحاديث الواردة في تولّي بني العباس الحكم في: المنار المنيف، ص١١١. للاستزادة عن الأحاديث الموضوعة الواردة في أن الخلافة في بني العباس انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٣٠ وما بعدها.

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتاباتهم التاريخية ويكتفون بذكر مَن خرَّجها من المحدِّثين؛ لأن ذلك كان منهجاً عند بعضهم. ويؤيِّد ذلك القول أن بعض الأحاديث التي ذكرها في تاريخه أشار إلى أنها موضوعة في كتابه: (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)[١].

(سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للإمام محمد الصالحي الشامي: وأورد عدة أحاديث ضمن باب (في إخباره ﷺ بولاية بني أمية)، وقدَّم فيه عدة أحاديث في لعن الحكم وما في صلبه ولعن بنيه من بعده، كما أورد أحاديث في ظلم بني الحكم الناسَ بعدَّة روايات عن طريق الطبراني والبيهقي وابن عساكر، كما ذكر أحاديث رؤيا النبي ﷺ بني الحكم، وفي رواية بني أمية، يَنْزُونَ على منبره واستيائه من ذلك[٢]. وقد اكتفى المؤلِّف بذكْر مَن أخرجها ولم يعلِّق عليها. كما أخرج أحاديث متفرِّقة عن بني أمية وعلَّق عليها؛ مثل حديث عبد الله بن الزبير: «وَشَرُّ قَبَائِلِ العَرَبِ: بَنُو أُمَيَّةَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ، وَثَقِيفٌ»، واكتفى بقوله: رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف[٣]. كما أورد حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «وَإِنَّ أَشَدَّ قَوْمِنَا لَنَا بُغْضاً بَنُو أُمَيَّةَ»، وقال: سنده ضعيف[٤].

وقبل أن نختم الحديث عن المصادر التاريخية تجدر الإشارة إلى بعض المصادر الشيعية التي شاركت المصادر التاريخية في ذكر أحاديث تلعن بني أمية، لكنها بالغت في سرد الأحاديث الموضوعة في ذمِّهم. وحتى لا نخوض في متاهات مصادر الروايات الشيعية وأحاديثهم الموضوعة؛ لأنها خارج إطار الدراسة، سنتعرض لأهم مصادرهم الأدبية والتاريخية، وهو كتاب: (شرح نهج البلاغة)،

---

(١) انظر: اللآلئ المصنوعة، ١/ ٤٣٠-٤٣٨.

(٢) انظر: سُبُل الهدى والرشاد، ١٠/ ٩٠، ٩١. وقد أورده عن طريق الطبراني والحاكم وابن عساكر.

(٣) سُبُل الهدى والرشاد، ١٠/ ١٢٣.

(٤) أورد الشامي هذا الحديث نقلاً عن ابن عساكر بسند ضعيف ونعيم بن حماد والحاكم في: سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ١٥٢.

وهو كتاب جامع لخطب ورسائل وحِكَم أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمؤرِّخ الغالي في التشيُّع ابن أبي الحديد.

وعلى الرغم من أن أغلب كتاب (نهج البلاغة) منسوب للإمام علي رضي الله عنه[١] إلا أنه يحوي عدة أحاديث ضعيفة وموضوعة في بني أمية، ورد بعضها في مصادر الحديث وقد أشرنا إليها سابقاً، وبعضها لم يرد. ومن الأحاديث التي سبق الحديث عنها:

* حديث «إِذَا بَلَغَ بَنُو العَاصِ أَرْبَعِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً»[٢].

* أحاديث لعن النبي ﷺ الحكم بن أبي العاص وطرده؛ لأنه كان يُحاكيه في مشيته ويسترق السمع. وما قيل عن إخبار عائشة رضي الله عنها بلعن مروان وأبيه[٣].

* نقل ابن أبي الحديد من مصادر الحديث عند أهل السُّنَّة عدة أحاديث، وذكر أن كتب المحدِّثين فيها أخبار شائعة مستفيضة في ذمّ بني أمية، ومن ذلك: تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾ بأنها بنو أمية، وأن النبي ﷺ رآهم في المنام يَنْزُونَ على منبره كالقردة، وأن الألف شهر التي وردت في سورة القدر هي أيامهم[٤].

ومن الأحاديث التي ذكرها ابن أبي الحديد ولم تُذكر سابقاً:

---

(١) ذكر الشيخ محمد العربي التباني أن نسبة كتاب (نهج البلاغة) إلى الإمام عليّ رضي الله عنه دعوة باطلة من عشرة أوجه. انظر: تحذير العبقري، ٢/١١١-١١٤. وانظر أيضاً: سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم، ط١، (مصر: دار الكتاب العربي، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، ص٧٤. محمد بن صامل، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص١٥٨، ١٥٩.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٦، ٥٧.

(٣) نقل ابن أبي الحديد هذه الأحاديث من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر. انظر: شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٤، ٥٥.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٩، ص٤٦٦.

* حديث أن أبغض الأسماء إلى الله: الحكم، وهشام، والوليد، ومروان، والمغيرة(١).
* حديث أن النبي ﷺ يبغض بني أمية ويحب بني عبد المطلب(٢).

وهذان الحديثان يتعارضان مع أبسط القواعد الشرعية، فكيف يغيب ذلك عن ابن أبي الحديد الذي أودى به التعصُّب ضد بني أمية إلى ذِكْر أحاديث يرفضها العقل والمنطق والوقائع التاريخية؛ فالإسلام جعل البُعد والقُرب إلى الله حسب التقوى لا بالنسب والقُربى؟!

ولا يُستغرب أن يُورد ابن أبي الحديد أحاديث صحيحة ويزعم أنها موضوعة؛ فهو يرى أن كل حديث في فضل معاوية موضوع، ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يذكر أن أكثر الأحاديث الواردة في عثمان رضي الله عنه موضوعة(٣). كما أنه يتَّهم الصحابة والتابعين بوضع الأخبار في بني أمية، وأن معاوية كان يستخدم الصحابة في وضع الأحاديث، ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه(٤).

والأمر الذي لا جدال فيه أنه لم يثبت أن الصحابة كذبوا أو وضعوا في الحديث النبوي(٥)، وأما ما قيل من أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يضع الحديث لبني أمية ضد

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٩، ص٤٦٧. لم أجد الحديث بنصِّه هذا في مصادر الحديث المتاحة.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٩، ص٤٦٧. لم أجد الحديث بنصِّه هذا في مصادر الحديث المتاحة.

(٣) يرى أن الحديث الوارد في معاوية: «اللَّهُمَّ قِهِ العَذَابَ وَالحِسَابَ، وَعَلِّمْهُ الكِتَابَ» موضوع. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١١، ص١٥، ١٦. وهذا الحديث ذكره ابن كثير بعدَّة روايات، وممَّن أخرجه من المحدِّثين الإمام أحمد. انظر: البداية، ٨/ ١٢١، ١٢٢. كما ذكر ابن أبي الحديد حديثاً موضوعاً في معاوية؛ إذ وصفه النبي ﷺ بأنه «رَأْسُ الحَطْمِ، وَمِفْتَاحُ الظُّلْمِ.. أَجَلُكَ يَسِيرٌ، وَظُلْمُكَ عَظِيمٌ». ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٣، ص ٢٥٤.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٤، ص٣٥٨، ٣٥٩.

(٥) انظر: محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص١٩٠، ٤٤٢. محمد بكار، أسباب ردِّ الحديث، ص١٢٢.

خصومهم لتأييد سياستهم، وأنه صنيعتهم ومتشيِّع لهم(١)، فهو أمر تدحضه الحقائق العلمية التي أثبتت أن أبا هريرة كان محلّ ثقة الصحابة أجمعين، فلم يكونوا يردُّون حديثه أو يكذِّبونه؛ لأنه إمام ثبت في الحديث(٢). ومن الناحية التاريخية فإن أبا هريرة كان من المعارضين للأمويين في كثير من تصرُّفاتهم، خصوصاً مع معاوية رضي الله عنه ومروان بن الحكم عندما كان والياً على المدينة؛ فقد أنكر عليهم العديد من الأمور. وفي المقابل كان أبو هريرة أكثر حباً لعليّ والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، أضفْ إلى ذلك أن أحاديثه في مناقب آل البيت موجودة في صحاح السُّنَّة(٣).

وعلى كل حال، فكتاب (شرح نهج البلاغة) يحمل الفكر الشيعي المغالي جداً(٤)، كما أن الكتاب يذكر أخباراً لا تُصدَّق؛ مثل ذكره أن ابن الزبير مكث

---

(١) الطعن في أبي هريرة رضي الله عنه دعوى قديمة حديثة، فمن الأقدمين الذين طعنوا فيه: النَّظَّام والمريسي والإسكافي وابن أبي الحديد، وهؤلاء من المعتزلة والشيعة. ومن المُحْدَثين: محمود أبو رية صاحب كتاب (أضواء على السُّنَّة المحمَّدية)، وأستاذه أحمد أمين. ومن المستشرقين: (جولد تسيهر) و(شبرنجر). وللردّ على هؤلاء انظر: محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) شهد لأبي هريرة كبار أهل العلم في كل عصر بالصدق وشدَّة الضبط؛ كالبخاري والشافعي وابن خزيمة والذهبي. انظر ما كتبه الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا في: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ج٢٢، ص٤١٣-٤١٥. للاستزادة عن أبي هريرة ومكانته العلمية ومدى توثيق العلماء له انظر أيضاً: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، أبو هريرة في ضوء مروياته، ط١، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٣) تصدَّى العديد من العلماء والباحثين قديماً وحديثاً للدفاع عن أبي هريرة، فمن الأقدمين: الإمام ابن خزيمة، وتلميذه الحاكم، والإمام الذهبي. انظر: محمد عجاج، السُّنَّة قبل التدوين، ص٤٣٧، ٤٦٥-٤٦٨. للاستزادة عن الدفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه انظر: مقدِّمة التحقيق في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر، ١/٦٥-٧٦.

(٤) يروِّج ابن أبي الحديد لفكرة المؤامرة من أبي بكر وعمر وبعض الصحابة لتحويل الخلافة عن عليّ رضي الله عنهم أجمعين، ويُكرِّر وراثة آل بيت النبي ﷺ الخلافة. انظر: مج١، ج١، ص٤٦،=

أربعين جمعة لا يُصلِّي على النبي ﷺ، وأنه يكتم بغض آل بيت النبي ﷺ منذ أربعين سنة[1]. ومن هذه الأخبار أيضاً ذكره أن أهل حرَّان[2] يرون أن الصلاة عندهم لا تصحّ إلا بلعن أبي تراب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

كما يذهب ابن أبي الحديد مذهباً مُبالِغاً في الطعن في بني أمية، ومن ذلك انتقاصهم في الجاهلية، فيروي قصة الرجل الحضرمي المعمّر الذي عاش في الجاهلية فسأله عثمان عن أمية وعن هاشم فتنقَّص أمية وذمَّه، أما هاشم فوصفه بالبركة[4]. كما وصف أمية في رواية أخرى بأنه كان يُسمَّى سارقاً؛ لأنه كان يسرق الحجاج[5]. وأخذ ابن أبي الحديد يتتبَّع معايب بني أمية في الجاهلية والإسلام،

= ٥٢، ٦٥. كما يذكر أن جُلّ الصحابة والتابعين يكرهون ويبغضون علياً وآل بيته عليهم رضوان الله أجمعين، ثم سرد أسماء الصحابة والتابعين الذين يبغضون علياً. انظر: مج١، ج٤، ص٣٧٠-٣٧٣. كما ذكر أن عثمان كان متحاملاً على عليّ لأنه سبّ هند أم معاوية في مجلسه، فتوعَّده بألاّ تصل الخلافة إليه. انظر: مج١، ج١، ص١١٢، ١١٣.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج٤، ص٣٥٧، ٣٥٨. أوردت بعض المصادر التاريخية هذا الخبر. انظر: تاريخ اليعقوبي، د. ط، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج٢، ص٢٦١. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٨٨، ٨٩. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، مج٣، ص٣٦٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥/١٦١.

(٢) حرَّان: مدينة على طريق الموصل والشام فتحت على يد عياض بن غَنْم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، د. ط، (بيروت: دار الفكر، د. ت)، ج٢، ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٧، ص٢٠٥. كما أورد المسعودي هذه الأخبار في: مروج الذهب، ٣/٢٦٠، ٢٦١.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٧٦. أورد ابن عساكر هذا الخبر بالمعنى نفسه مع اختلاف في زمن القصة؛ إذ أوردها ابن عساكر زمن معاوية، وأن هذا الرجل الحضرميّ الذي دخل عليه اسمه أمد، وقد سبقت الإشارة إليه في ص ١٨٤.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٦٧. أورد هذه الرواية عن هشام بن محمد الكلبي المعروف في كتب الجرح والتعديل بأنه متروك رافضي غير ثقة. انظر: الدارقطني، كتاب الضعفاء والمتروكين، ص٣٨٧. الذهبي، لسان الميزان، ٤/٣٠٤، ٣٠٥.

وصوَّر العداء بينهم وبين الهاشميين بطريقة أسطورية، وعقد مقارنات بين خلفاء البيت الأموي والهاشمي من بني العباس[1] على منوال ما ذكره الجاحظ في رسالته التي بعنوان: (فضل هاشم على عبد شمس)[2]. كما بالغ ابن أبي الحديد بوصفه هند بنت عتبة أم معاوية وزوجة أبي سفيان بالعهر والفجور والزنى أيام الجاهلية[3]، والمعروف أن هند من بيت شرف وسؤدد وصاحبة رأي وأَنَفة، أسلمت عام فتح مكة وبايعت النبي ﷺ على الإسلام في بيعة النساء التي أخذها النبي ﷺ عليهن «بِألاَّ يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ...»، فقالت هند: أَوَ تزني الحرة وتسرق يا رسول الله؟[4].

ولنا أن نسأل بعد كلّ ذلك: مثل هذا التعصُّب من ابن أبي الحديد[5] ألا يُسهم في وضع الحديث ضد بني أمية؟!

وكتابات ابن أبي الحديد عن بني أمية تحتاج إلى دراسة وافية؛ فهناك ارتباط فكري ولغوي بين كتابات الجاحظ وابن أبي الحديد من حيث التشابه الشديد بينها، وقد عزا ابن أبي الحديد إلى الجاحظ وبعض شيوخ المعتزلة والرافضة العديد من الروايات.

وبعد هذا السَّرْد للأحاديث اللاعنة والذامَّة للأسرة الأموية تلفت الدراسة انتباه القارئ إلى وجود أسماء لبني أمية ذكرتها المصادر على وجه الذمّ، كما هو في لفظ

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٦٧-٤٧٠، ٤٧٦-٤٨٠، ٤٨١-٤٨٥.

(٢) ذكر فيها الجاحظ خصال بني هاشم في الجاهلية والإسلام، وفي المقابل ذكر مخازي بني عبد شمس وبني أمية في الجاهلية والإسلام، وعقد مقارنةً جائرةً بينهما، ووضع الأمويين في قفص الاتهام ورماهم بأقذع التُّهم دون عدالة في القول، ولم يسلم منه عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا عمر ابن عبد العزيز. انظر: رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، ص٤٠٧-٤٦٠.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص١١١، ١١٢.

(٤) انظر ذلك في: ابن سعد، الطبقات، ٨/١٨٧-١٨٩. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/٤٧٤، ٤٧٥. وقد ذكر ابن كثير والسيوطي قصة اتِّهام هند بالزنى في الجاهلية من قِبَل زوجها الفاكه، وذهابها مع أبيها إلى كاهن اليمن آنذاك، فقام الكاهن فبرَّأها. انظر القصة كاملةً في: البداية، ٨/١٢٠. تاريخ الخلفاء، ص١٧٤، ١٧٥.

(٥) ذكر محمد حمادة أن ابن أبي الحديد متحامل جداً على بني أمية. انظر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص١٩.

(بنو الزرقاء) الذي ورد في حديث سفينة رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً...»، قال الراوي: «كذب بنو الزرقاء»؛ فقد ذكرته بعض المصادر التاريخية على سبيل الذمّ والتعيير؛ فقد أشار البلاذري إلى أن الزرقاء هي مارية بنت موهب الكندي، من أمهات مروان بن الحكم (جَدة)، وهي الزرقاء التي يُعيَّرون بها[1]. وذكر الأصفهاني أن الزرقاء من أمهات عبد الملك بن مروان، وهي من كندة، وكان يُعيَّر بها[2].

كما أشار الطبري إلى أن بني مروان كانوا يُعيَّرون بالزرقاء[3]. ومما يؤكِّد ذلك ورود عدة أحداث تاريخية تضمَّنت هذه التسمية؛ مثل قول الأشدق عمرو بن سعيد لعبد الملك بن مروان: يا ابن الزرقاء، حينما أراد عبد الملك الغدر به وقتله[4]. كما كان يُطلق لقب ابن الزرقاء على مروان؛ فقد ذكر ابن عساكر أن عائشة رضي الله عنها قالت لمروان: «يا ابن الزرقاء، أعلينا تأوَّل القرآن؟!»[5]. وذهب ابن الأثير والنويري وابن الطقطقا إلى أن الزرقاء كانت من ذوات الرايات التي يُستدلُّ بها على بيوت البغاء؛ فلهذا كانوا يُذمُّون بها[6]. لكن ابن الأثير والنويري يتراجعان ويشكِّكان في هذا القول بذكرهما قولاً آخر هو: «ولعل هذا كان منها قبل أن يتزوَّجها أبو العاص بن أمية والد الحكم؛ فإنه كان من أشراف قريش، ولا يكون هذا من امرأة له وهي عنده، والله أعلم»[7].

---

(١) أنساب الأشراف، ٦/ ٣٠١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١/ ٤١.

(٣) ذكر الطبري عن أبي مِخْنَف أن ابن الأشعث خطب الناس بالجماجم يقول: «ألا إن بني مروان يُعَيَّرُون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصحّ منه، إلا أن بني أبي العاص أعلاج من أهل صفوريَّة». انظر: تاريخ الرسل والملوك، ٦/ ٣٤٩.

(٤) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦/ ١٤٤. ابن كثير، البداية، ٨/ ٣١١.

(٥) تاريخ دمشق، ٣٥/ ٣٦، ٥٧/ ٢٣٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٣٤٨. النويري، نهاية الأرب، ٢١/ ٩٧. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١١٩.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٣٤٨، ٣٤٩. النويري، نهاية الأرب، ٢١/ ٩٧.

وبنظرة مُوجَزة إلى ما سبق يُلاحظ أن الأحاديث الذامَّة لبني أمية انتشرت في المصادر الحديثية والتاريخية، وأن المؤرِّخين تعاملوا معها بصور متباينة ومنهجية مختلفة تتراوح بين الجامع فقط والناقد والمدقِّق والمحقِّق للسند والمتن، ويغلب الاتجاه الثاني عند المؤرِّخين المحدِّثين؛ فقد قدَّموا لغيرهم ومَن جاء بعدهم خدمة جليلة ومادة علمية صحيحة.

ثانياً: موقف بعض المراجع التاريخية الحديثة من أحاديث لعن بني أمية وذمِّهم

لن يتتبَّع الباحث مدى انتشار الأحاديث في المراجع الحديثة بقدر ما هو ينقل مواقفها من أحاديث اللعن والذم؛ لتدعيم ما ذهبت إليه الدراسة من تضعيفها ونكارتها. فقد وقفت بعض المراجع الحديثة موقفاً إيجابياً من الأحاديث الواردة في لعن الأسرة الأموية واستنكرت ذلك وعدَّته من الوضع المتعمَّد ضد بني أمية. فقد ذكر أبو اليسر عابدين أحاديث نَزْو بني أمية على منبر النبي ﷺ، وأحاديث لعن الحكم وولده، وتفسير ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ بأنها أيام بني أمية[١]، ثم بيَّن أن هذه الأحاديث والأخبار يغنينا ظاهرها الدالّ على الكذب عن مناقشة سندها، فكم نهى النبي ﷺ عن اللعن، ولم يكن النبي ﷺ يُقابل أحداً بلعن أو بشتم، فمن أين هذه الأحاديث التي لم يرد مثلها في حق أبي جهل وأبي لهب وأُبيّ بن خلف والوليد بن المغيرة وعبد الله بن أُبيّ ابن سلول وغيرهم من رؤساء المشركين مع شدَّة كفرهم وعنادهم؟! فما الداعي إلى كثرة اللعن في بني أمية والإعراض عمَّن هو أشدّ وأقبح فعلاً وعملاً واعتقاداً منهم؟! فلا شكَّ في وضع هذه الأحاديث، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٢]. كما أشار عابدين إلى أن هناك افتراءات على بني أمية مما نُقل عن السلف من أغلاط[٣]، ثم حذَّر من أن الطعن في ملوك بني أمية يؤدِّي إلى الطعن في الدين؛ لأن بعض ملوك بني أمية اعتمد المحدِّثون روايتهم[٤].

---

(١) أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرِّخين، ص١٤٦، ١٤٧.

(٢) أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرِّخين، ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرخين، ص١٧٥.

(٤) أبو اليسر عابدين، أغاليط المؤرخين، ص١٤٥.

ويذكر أحمد أمين أن أحاديث الشجرة الملعونة، وأحاديث نَزْو بني أمية على منبر رسول الله ﷺ، وتفسير ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ بأنها أيام بني أمية؛ باطلة وموضوعة، وإنما سِيقت لتشويه سمعة بني أمية(١).

ويذكر إبراهيم شعوط أن تفسير الشجرة الملعونة التي وردت في القرآن الكريم بأنهم بنو أمية كان من قِبَل أعدائهم الشيعة الذين قاموا بحملات طائشة ضدهم(٢)، كما وضّح أن معظم الدسّ والافتراء على بني أمية كان من قِبَل خصومهم أتباع العباسيين(٣).

وذكر صلاح الدين المنجد أحاديث لعن الحكم وولده ونَزْو بني أمية على منبر رسول الله ﷺ نَزْو القردة، وعلّق عليها قائلاً: «إن آثار الوضع على هذه الأحاديث واضحة من حيث أسلوبها وألفاظها وغرضها ومخالفتها سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه، وهي تكذِّب نفسها بنفسها»(٤).

أما حمدي شاهين فقد بيَّن أن كتب التفسير والحديث أدَّت دوراً كبيراً في تحريف تاريخ الدولة الأموية بأحاديث منكرة؛ مثل حديث تعويض النبي ﷺ بليلة القدر ونهر الكوثر عن الأيام التي حكمها بنو أمية، وحديث نَزْو بني الحكم بن أبي العاص على منبره كالقردة، وأنه لما رآهم في رحلة الإسراء والمعراج ما استجمع ضاحكاً(٥).

ويرى محمود شاكر أن بني أمية ظُلِمُوا في التاريخ بوضع أحاديث نبوية للحطِّ منهم، ومن هذه الأحاديث أحاديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية على منبره يَنْزُون

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢ / ٣٠.

(٢) إبراهيم شعوط، أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، ص٢٤٨.

(٣) إبراهيم شعوط، أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، ص٣٤٣.

(٤) صلاح الدين المنجد، مأساة سقوط دمشق، ص٤٨، ٤٩.

(٥) حمدي شاهين، الدولة الأموية المُفترَى عليها، ص٢١-٢٣.

عليه نَزْو القردة فاستاء من ذلك وغضب، فأرضاه الله بالكوثر وليلة القدر[١]. كما استنكر الأحاديث اللاعنة في الحكم وبنيه، وقد عُرف عن النبي ﷺ كراهيته للَّعْن، بل إنه لم يلعن كبار المشركين والمنافقين المعاندين[٢] إلا في مواقف معينة[٣].

ويذكر إحسان العمد أن الحقد دخل إلى البعض وفسَّر الشجرة الملعونة بأنها بنو أمية[٤].

وهكذا نجد أن بعض المؤرِّخين نقلوا أحاديث ضعيفة ومنكرة وباطلة وموضوعة توافقت مع أهوائهم ومذاهبهم، أو اعتمدوا على بعض مصادر الحديث ثقةً في مؤلِّفيها فنقلوا ما ورد فيها من غير تمحيص أو تدقيق، فشوَّهوا سمعة بني أمية بنشرها، بل امتدّ ذلك الأثر السيئ إلى المصادر غير التاريخية[٥]، فهل أنصف التاريخ بني أمية مقارنةً بما قدَّموه[٦]؟!.

---

(١) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ٤/ ٣١، ٣٢. الأمويون والتاريخ (مقال)، ص٦٣، ٦٤.

(٢) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ٤/ ٣٢. الأمويون والتاريخ (مقال)، ص٦٤.

(٣) كلعنه جبابرة قريش الذين بالغوا في إيذاء المسلمين، ودعائه على قبيلتي رِعْل وذَكْوَان اللذين غدرا بالمسلمين.

(٤) إحسان العمد، الجذور التاريخية، ص١٨.

(٥) ومن شواهد ذلك ما نقله الدميري (ت ٨٠٨هـ) من أحاديث ليلة القدر أنها أيام بني أمية، وأحاديث في لعن الحكم وولده، عن طريق الحاكم صاحب (المستدرك). انظر: محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بج، ج١، ص٩٥، ١١٠. وانظر أيضاً: (باب الواو – لفظ الوزغ)، ٢/ ٤٤٥، ٤٤٦.

(٦) ذكر حسين مؤنس أن مراجعنا القديمة ومؤرِّخينا القدامى لم ينصفوا بني أمية؛ فوصفوهم بالظلم والجبروت والكفر أحياناً. انظر: تنقية أصول التاريخ الإسلامي، ص٥٣. ويرى محمد ماهر حمادة أن العصر الأموي - على أهميته - عصر مظلوم، وأن المؤرِّخين القدامى تحاملوا عليهم. انظر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص٢٠.

الفصل الثاني: الأحاديث الـمُنْذِرة بخلافة بني أمية وسقوطهم وأثرها في الكتابة التاريخية

الفصل الثاني
الأحاديث المُنْذِرة بخلافة بني أمية وسقوطهم
وأثرها في الكتابة التاريخية

توطئة:

خلُص الفصل الأول إلى ضعف الأحاديث والتفاسير الواردة في ذمّ بني أمية ولعنهم ونكارتها، وهو قول المحقِّقين من أهل العلم. كما خلُص إلى أن المصادر والكتابات التاريخية تأثَّرت بهذه الأحاديث بدرجة واضحة لا تخفى على الناقد البصير.

ويتطرَّق هذا الفصل إلى الأحاديث المُنْذِرة بخلافة بني أمية وأثرها في الكتابة التاريخية، وذلك من خلال مباحث ثلاثة: الأول منها يتعلَّق بمفهومَي المُلْك والخلافة والفرق بينهما، ويتطرَّق المبحث الثاني إلى الأحاديث الواردة في تولِّي بني أمية الحكم وسقوطهم، وما مدى صحَّة ما ورد عن النبي ﷺ في ذلك؟ وهل أخبر النبي ﷺ عن مدَّة حكمهم وأيامهم في الخلافة؟ وهل كان ذلك بطريقة جليّة أم خفيّة؟ وكيف تأثرت المصادر التاريخية بذلك؟ أما المبحث الثالث فيَسْتعرِض أخبار السُّفياني عند الأمويين، وما صحة ما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث تتعلَّق به، وما يعتقده بعض الأمويين من خروجه لينصرهم على العباسيين؟ وما أثر ذلك في الكتابات التاريخية؟

وقبل الحديث عن مباحث هذا الفصل لا بدَّ من توضيح مفهوم كلمة (المُنْذِرة).

قال ابن الأثير في النهاية: «وأصل الإنذار: الإعلام. يُقالُ: أَنْذَرْتُهُ أُنْذِرُهُ إِنْذَاراً؛ إذا أعلمتَهُ، فأنا مُنْذِرٌ ونَذيرٌ؛ أيْ: مُعْلِمٌ ومُخَوِّفٌ ومُحَذِّرٌ. فالمُنْذِرُ: المُعْلِمُ الذي يُعرِّف القومَ بما يكون قد دَهَمَهُم من عدوٍّ أو غيرِه. وهو المُخَوِّف»[1]. وفي مختار الصحاح: «الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف»[2].

---

(١) انظر: ابن الأثير، النهاية، ٥/ ٣٣، مادة (نذر).

(٢) انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٧٢، مادة (نذر).

وتأتي كلمة (المُبَشِّرَة)[1] التي هي من البِشَارة والخير عكس المُنْذِرَة، ومما يدلُّ على ذلك إيراد السيوطي فصل «في الأحاديث المُنْذِرَة بخلافة بني أمية» ثم أعقبه بفصل «في الأحاديث المُبَشِّرَة بخلافة بني العباس»[2].

(١) البُشارة: بكسر الباء وضمها، وهي من البِشْر وطلاقة الوجه. والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشرّ إذا كانت مقيّدة به؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٢، مادة (بشر).

(٢) تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩.

المبحث الأول

الخلافة والمُلْك والفرق بينهما

وردت عدَّة أحاديث نبوية صحيحة تحدَّثت عن الخلافة وشروطها وطريقة تولِّيها، وقد أفاضت المصادر في الحديث عنها. والمراد توضيحه في هذا المبحث هو الأحاديث التي وردت بعدَّة ألفاظ عند المُحدِّثين والمُؤرِّخين، فتارةً تحمل مدلول خليفة أو خلافة، وتارةً أخرى تحمل اسم مَلك أو مُلْك(١). لذا يرى الباحث ضرورة توضيح الفرق بين مَدلُولَي الخلافة والمُلْك أو بين اسمي الخليفة والمَلِك بوصفه مدخلاً مهماً جداً لهذا الفصل.

إن مَن يتأمَّل الأحاديث الواردة في الحكم والخلافة يجد أن النبي ﷺ أشار إلى الفرق بين المدلولين؛ مما يؤكِّد التباين بين مفهوم الخلافة الراشدة والحكم الأموي، فهل يدخل حكم بني أمية تحت منزلة الخلافة أم تحت منزلة المُلْك؟ وهل حُكَّام بني أمية ملوك أم خلفاء؟ وهل اختلاف المدلولَيْن فيه دلالات الذمّ لبني أمية؟

لمعرفة ذلك ستتعرَّض الدراسة لثلاثة أحاديث نبوية أشارت إلى مدلولات المُلْك والخلافة، هي:

* الحديث الأول: حديث سفينة رضي الله عنه مرفوعاً: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلكَ»، وفي رواية: «يَكُونُ بَعْدَ ذَلكَ المُلْكُ»، وفي رواية: «ثُمَّ يُؤتِي اللَّهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»، وفي رواية: ثم قال لي سفينة: «أَمْسِكْ عليك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة عليّ ست

(١) ذكر نعيم بن حماد في (الفتن): باب معرفة الخلفاء من الملوك، ص٦٤، وباب ما يُذكر في ملك بني أمية وتسمية أسمائهم، ص٧٨. كما ذكر البيهقي في (الدلائل): ذكر الأخبار عن خلفاء بني أمية، ٦/٤٨، وباب ما جاء في رؤياه في ملك بني أمية، ٦/٥٠٩. وذكر ابن كثير في (الشمائل): باب الإخبار عن خلفاء بني أمية، ٢/٢٦٦. وذكر المقريزي في (إمتاع الأسماع): باب في إخباره بتمليك بني أمية، ١٢/٢٧٣. وذكر السيوطي في (تاريخ الخلفاء): فصل في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية، ص١٨.

سنين»، وفي رواية أن معاوية سمع هذا الحديث فقال: «رضينا بالملك»(١)، وفي رواية: «خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَةً»، وفي زيادة عند الترمذي أن سفينة راوي الحديث سُئِلَ عن بني أمية: هل هم خلفاء؟ قال: «كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك شرّ الملوك»، وفي رواية عند الطيالسي أن سفينة سُئِلَ عن معاوية، قال: «كان أوَّل الملوك»(٢). وسيأتي شرح ذلك وبيانه لاحقاً.

* الحديث الثاني: عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنَّا قعوداً في المسجد، وكان بشيرٌ رجلاً يكفُّ حديثَهُ؛ أي: ما كان جريء اللسان، فجاء أبو ثعلبة الخُشني فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا(٣)، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيًّا(٤)، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ» ثم سكت. قال حبيب(٥) راوي الحديث: فلما قام ـ وفي رواية: قَدِمَ ـ عمر بن عبد العزيز، وكان

---

(١) انظر: ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/١٥٧.

(٢) حديث سفينة سبق تخريجه وبيان أقوال العلماء في صحته. انظر: الفصل الأول من الدراسة، ص ١٤٠، ١٤١.

(٣) العَضُّ: الشدُّ بالأسنان على الشيء، والمُلك العَضُوض: الشديد الذي فيه عسف وعنف وظلم. لسان العرب، ٧/١٨٨، ١٩١، مادة (عض). وفي النهاية: الملك العَضُوض: بالفتح الذي فيه عسف وظلم، وبالضَّمّ جمع عِضٌّ بالكسر وهو الخبيث الشرس، ٣/٢٢٩، مادة (عضض).

(٤) الجبرية والجبروت: أي العتوّ والقهر. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١/٢٢٩، مادة (جبر).

(٥) حبيب: هو حبيب بن أبي سالم الأنصاري مولى النعمان بن بشير وكاتبه. وثّقه أبو حاتم، وقال البخاري: فيه نظر، وقال ابن عديّ: في أسانيده اضطراب. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/٤٥٥. قال عنه ابن حجر: لا بأس به. انظر: تقريب التهذيب، ص١٥١.

يزيد بن النعمان بن بشير في صحبته، فكتبت إليه بهذا الحديث أُذكِّره إياه، فقلتُ له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين - يعني عمر - بعد المُلْك العاضِّ والجبريَّة، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز، فسُرَّ به وأعجبه(١).

وفي الحديث دلالة على مرور الخلافة بأطوار عديدة: النبوَّة، والخلافة، والمُلْك. أما الجزء المتعلِّق بذِكْر الراوي حبيب بن أبي سالم سرور عمر بن عبد العزيز بهذا الحديث فهو بعيد؛ لأن خلافة عمر كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة، ولم تكن بعد مُلْكين: ملك عاضّ، وملك جبريَّة(٢). وسيأتي بيان أن مُلْك معاوية يدخل في مُلْك الرحمة.

ويعدّ بعض المؤرخين حكم بني أمية داخلاً في الملك العضوض الذي فيه عسف(٣)، كما يرى بعض المُحدِّثين أن مدَّة حكم بني أمية تدخل في الحكم العاضّ، واستثنى منهم معاوية وعمر بن عبد العزيز(٤). لكن ذلك بعيد؛ لحديث (الاثني عشر خليفة) الذي يدحض ذلك.

* الحديث الثالث: حديث جابر بن سَمُرَة ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ

(١) انظر: باب ما جاء في أطوار النبوة والخلافة والملك. الساعاتي، منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، ٢/١٦٢. كما أخرجه الإمام أحمد عن الطيالسي، انظر: مسند أحمد، ٣٠/٣٥٥. قال محقِّقو المسند: إسناده حسن. كما أخرجه البيهقي، انظر: دلائل النبوة، ٦/٤٩١. وأخرجه الهيثمي في باب (كيف بدأت الإمامة وما تصير إليه والخلافة والملك)، وقال: رواه أحمد والبزار أتمّ منه، والطبراني ببعضه في الأوسط، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد، ٥/١٩٢، ١٩٣. وحسَّنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، ١/٨.

(٢) انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، ١/٩.

(٣) انظر: المقريزي، السلوك، ١/١٠٩.

(٤) انظر: ابن حجر الهيتمي، الصواعق المُحرِقة في الردّ على أهل البدع والزندقة ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٢٠.

قُرَيْشٍ»(١)؛ أي: ما يزال أمر الخلافة قوياً منيعاً يجتمع عليها الناس(٢).

وهذه الأحاديث الثلاثة السابقة يرتبط بعضها البعض، وسنُحيل إليها كثيراً تحت اسم رُواتها، ويتَّضح منها أن اختلاف المدلولات يؤكِّد مرحلية الخلافة، فهل تدخل مدَّة الحكم الأموي في المُلْك أم الخلافة؟ وهل هناك تفاضل بينهما؟

منذ الوهلة الأولى يُلاحظ وجود تعارُض بين حديث سفينة «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً» وحديث جابر بن سَمُرَة «اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»(٣)، لكن العديد من العلماء أشاروا إلى أنه لا تعارُض بينهما، وأنه يمكن الجمع بينهما؛ فقد نقل الإمام النووي أن القاضي عياض ذكر وجهَيْن للجمع بينهما:

الأول: أن حديث سفينة مُخالف لحديث جابر؛ أي مختلف عنه؛ لأن المقصود بالثلاثين سنة هي خلافة النبوة، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة ومعهم الحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين؛ لوجود روايات أخرى لحديث سفينة تُؤيِّد ذلك، وهي: «خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً»، ولم يُشترط هذا في الاثني عشر(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ١٢/١٦٩-١٧١. والبخاري في كتاب الأحكام، انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٢٢٤. وأبو داود في مسنده، باب الأئمة من قريش. الساعاتي، منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، ٢/١٦٣. كما أخرجه أحمد. انظر: مسند أحمد، ٤٨/٣٧٤-٣٧٦. والترمذي في الفتن، ٦/٣٩١، ٣٩٢. للاستزادة عن الحديث ورواياته وصحّته انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، ١/٦٥١.

(٢) ذكر ابن حجر عدة ألفاظ واردة في الحديث وقدّم شرحاً مستفيضاً فيه. انظر: فتح الباري، ١٣/٢٢٤-٢٢٨.

(٣) أشار ابن العربي ووافقه محبّ الدين الخطيب وابن خلدون إلى أن حديث سفينة ضعيف، وهو مُعارِض لحديث جابر بن سمرة. انظر: ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٢٠٧، ٢٠٨. ابن خلدون، التاريخ، ٢/٥٢٨، ٥٢٩. للاستزادة حول صحّة حديث سفينة والمصادر التي ذكرته وردّ الشيخ الألباني على مَن ضعّف حديث سفينة انظر: الفصل الأول من الدراسة، ص ١٤٠.

(٤) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ١٢/١٦٩.

والوجه الثاني من قول القاضي عياض أنه إذا قيل: قد ولي أكثر من هذا العدد، فهو اعتراض باطل؛ لأنه ﷺ لم يقُلْ: لا يلي إلا اثنا عشر خليفة، وإنما قال: يَلِي، وقد وَلِيَ هذا العدد، ولا يضرُّ كونه وُجِدَ بعدهم غيرهم(١). وقد ذهب ابن حجر إلى قول القاضي عياض في الجمع بين الحديثين(٢).

كما ذكر ابن قيِّم الجوزية أنه لا تعارُض بين الحديثين؛ فالخلافة المُقدَّرة بثلاثين سنة هي خلافة النبوة، وأما حديث جابر (الخلفاء اثنا عشر) فلم تكن خلافتهم خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء، وهو مشترك، واختُصّ الأئمة الراشدون منهم بخصيصة في الخلافة، وهي خلافة النبوة، وهي مُقدَّرة بثلاثين سنة(٣). وإلى هذا ذهب العديد من العلماء والمُحدِّثين(٤).

كما ذكر الشيخ الألباني أن معارضة حديث جابر لحديث سفينة لا تصح؛ لأن من القواعد المُقرَّرة في علم المصطلح أنه لا يجوز ردّ الحديث الصحيح بمعارضته لما هو أصحّ منه، بل يجب الجمع والتوفيق بينهما، وهذا ما صنعه أهل العلم، مشيراً إلى رأي القاضي عياض والحافظ ابن حجر في الجمع بينهما(٥).

والمقصود من حديث سفينة «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً»؛ أي: الخلافة الحقَّة، وهم مَن تمسَّك بسُنَّة المصطفى ﷺ، فإن خالفوا السُّنَّة وبدَّلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وإن كانت أساميهم الخلفاء(٦).

---

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ١٢/ ١٦٩.

(٢) انظر: فتح الباري، ١٣/ ٢٢٥. أشار العيني إلى قول القاضي عياض لكنه لم ينسبه إلى أحد. انظر: عمدة القاري، ٢٠/ ١٧٥.

(٣) انظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٤) انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٢٧. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، ٦/ ٣٩٦.

(٥) الألباني، السلسلة الصحيحة، ١/ ٧٤٨.

(٦) انظر: البغوي، شرح السُّنَّة، ٧/ ١٧٦. وانظر تعليق المباركفوري في: تحفة الأحوذي، ٦/ ٣٩٦.

وقد سُئل الإمام أحمد عن الخلافة، فقال: كل بيعة كانت بالمدينة فهي خلافة نبوة لنا. وظاهر كلام الإمام أحمد أن ما كان بغير المدينة لم يكن خلافة نبوة[1].

وذكر ابن تيمية أن خلافة النبوة كانت في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، ثم ضعفت فصارت ملكاً، فأقامها معاوية رضي الله عنه ملكاً برحمة وحلم؛ فمعاوية أول الملوك لحديث رواه مسلم[2]: «سَتَكُونُ خِلافَةُ نُبُوَّةٍ وَرَحْمَةٍ، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَجَبْرِيَّةٌ، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ عَضُوضٌ»[3]، فكون معاوية ملكاً لا ينافي العدالة[4].

ويرى ابن تيمية أن انقضاء خلافة النبوة ـ كما في حديث سفينة ـ فيه الذمّ للمُلْك والعيب فيه[5]. وفي حديث سفينة دلالة على أن خلافة النبوة مستحبَّة وأفضل[6]. أما في شرع من قبلنا فقد جاءت النبوة كالمُلْك، وقد وهبها الله داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام[7]؛ فملك الأنبياء لا يدخل في الذمّ الوارد للمُلْك.

ويرى ابن كثير أن حديث سفينة «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً» فيه دلالة على أن معاوية هو أول ملوك الإسلام، واستشهد بالحديث السابق الذكر: «ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ»[8].

أما بالنسبة لجواز تسمية مَن بعد الراشدين باسم خليفة فلا بأس بتسمية القائم

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى، ٣٥/٢٦.

(2) لم أجدْه في مسلم، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه يشابهه في اللفظ ويتّفق معه في المعنى (الحديث الثاني في المبحث، ص ٢١٠).

(3) ابن تيمية، منهاج السُّنة النبوية، ٧/٤٥٢، ٤٥٣. الفتاوى، ٣٥/١٩.

(4) الفتاوى، ٣٥/٢٧.

(5) الفتاوى، ٣٥/٢١.

(6) الفتاوى، ٣٥ /٢٧، ٣٣.

(7) الفتاوى، ٣٥/٣٣.

(8) كما استشهد ابن كثير بحديث رواه البيهقي في الدلائل (٦/٤٤٦): «يَا مَعَاوِيَةُ، إِذَا مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ». انظر: البداية، ٨/٢٠، ٢١.

بأمور المسلمين خليفةً وإن كان مُخالفاً لبعض سير أئمة العدل[١]، ويرى البعض جواز إطلاق لقب الخليفة على الملك على سبيل الاضطرار[٢].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يجوز تسمية مَن بعد الخلفاء الراشدين (خلفاء) وإن كانوا ملوكاً، بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحَيْهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ»[٣]. وقد ذهب إلى جواز تسمية الملوك بالخلفاء العديد من العلماء[٤].

ويرى ابن كثير أن حديث سفينة «فيه المنع من تسمية معاوية خليفةً، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنةً، لا مطلقاً بل انقطع تتابُعها، ولا ينفي وجود خلفاء راشدين بعد ذلك كما دلّ عليه حديث جابر بن سمُرة رضي الله عنه»[٥].

ويذكر القلقشندي أن جماعةً من أئمة السلف؛ منهم أحمد بن حنبل، كرهوا إطلاق اسم خليفة على مَن جاء بعد الحسن بن عليّ رضي الله عنهما لحديث سفينة، لكنه قال: «والذي عليه العُرْف المُشاع أن إطلاق اسم خليفة على كل مَن قام بأمر المسلمين القيام العام»[٦].

وقد عقد ابن خلدون فصلاً في مقدِّمته عن انقلاب الخلافة إلى مُلْك ذهب فيه إلى أن الملك لم يذمّه الشارع إذا أقام الحق، وإنما ذمّه عندما يكون فيه الباطل والشهوات، وقد كان الصحابة في أول عهدهم أبعد الأمم عن أحوال الدنيا وزُخرفها، ثم توسّعت عليهم الدنيا في عهد عثمان فاقتنوا الضياع والأموال،

(١) انظر: البغوي، شرح السُّنة، ٧/١٧٦.

(٢) انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/٢٢٧.

(٣) الفتاوى، ٣٥/٢٠. انظر الحديث في اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان، جمع: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ج٢، ص٢٤٧.

(٤) انظر قول ابن قيِّم الجوزية في: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ١١/٢٤٤. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المُحرِقة، ص٣٢٧.

(٥) ابن كثير، الشمائل، ٢/٢٨٢.

(٦) مآثر الخلافة ١/١٢، ١٣.

فدخلت عليهم طبيعة الملك في حب الاستكثار من الأموال، لكنهم لم يخرجوا عن مقاصد الديانة. ثم صار الأمر إلى بني أمية فأصبح الملك فيهم بسبب عصبيّتهم، لكن لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي، إنما كانوا متحرِّين مقاصد الحق ما استطاعوا، فصار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة إلى أن جاء الرشيد وبعض أبنائه من بني العباس. ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبقَ إلا اسمها، وصار الملك بعد ذلك قهراً وباطلاً كما هو عند ملوك العجم، وبخاصة في الشرق[١].

وهكذا نجد ابن خلدون يُقرِّر أن الخلافة قد وجدت من دون المُلْك أولاً، ثم التبست معانيها واختلطت، ثم انفرد المُلْك[٢]؛ لذا فهو يُفرِّق بين الملك والخلافة[٣]، لكنه يعُدُّ معاوية في عداد الخلفاء وليس الملوك، ويعُدُّ حديث سفينة ضعيفاً؛ إذ قال: «وينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم؛ فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة، ولا يُنظر في ذلك إلى حديث «الخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً»؛ فإنه لم يصح»[٤]. ثم وضَّح ابن خلدون أن تأخير المؤرخين معاوية عن مرتبة الخلفاء كان لأمرين:

الأول: أن معاوية أخذ الخلافة بالمُغالَبة، وأما ما كان قبله فكان بالاختيار والاجتماع؛ فهو أول خلفاء المُغالَبة والعصبيَّة.

الثاني: أن معاوية أُلحق بنسب بني أمية وسيق أمره ضمن حديثهم عن الأسرة الأموية[٥].

---

(١) انظر: مقدّمة ابن خلدون، ص ٢٠٢-٢٠٨.

(٢) انظر: مقدّمة ابن خلدون، ص٢٠٨.

(٣) انظر فصل في معنى الخلافة والإمامة؛ إذ يُعرِّف ابن خلدون معناها ومعنى الملك الطبيعي والسياسي. المقدمة، ص١٩٠، ١٩١.

(٤) انظر: تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٢٨، ٥٢٩.

(٥) انظر، تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٢٨، ٥٢٩.

لكن ابن خلدون يرى أن المُلْك الذي ينافي الخلافة هو الجَبَرُوتيَّة المعبَّر عنها بالكِسْرَوِيَّة التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها، وذلك عندما كان معاوية والياً على الشام فقدم المدينة ورآه عمر لابساً لبس الملوك فضربه بالدِّرَّة. وأما المُلْك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة؛ فقد كان سليمان بن داود وأبوه عليهما السلام نبيَّيْن وملكَيْن، ومعاوية لم يطلب المُلْك ولا أُبَّهته للاستكثار من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها[١]. والقانون الذي يرجع إليه ابن خلدون في توضيح الفرق بين الخلافة والملك هو عرض أفعال الحكام على الصحيح من الأخبار، فمن جرت أفعاله على ما صحّ من الأخبار فهو خليفة المسلمين، ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو ملك من ملوك الدنيا[٢].

وقد أفاض ابن خلدون في موضوع الخلافة والملك، لكنه تعصَّب لرأيه؛ إذ وصف من يُسمِّي معاوية ملكاً بأنه من أهل الأهواء مضعِّفاً حديث سفينة[٣]. وهذا فيه طعن على العلماء الذين يعدُّون معاوية ضمن الملوك محتجِّين بحديث سفينة الصحيح.

ونشير هنا إلى لطيفة تتعلَّق بالملك والخلافة تناسب المقام، وهي ما أخرجه ابن سعد بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل سلمان الفارسي رضي الله عنه: أَمَلِكٌ أنا أم خليفة؟ فقال له: إن أنت جَبَيْتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ثم وضعْتَهُ في غير حقّه فأنت ملك غير خليفة. فاستعبر عمر[٤]. وفي رواية أن عمر رضي الله عنه سأل عن الفرق بين الملك والخلافة، فقيل له: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً، ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك. والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٢٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٢٩.

(٣) يرى ابن خلدون أن حديث سفينة لا يصحّ دون بيان السبب، وهو رأي الإمام ابن العربي. انظر: تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٢٨.

(٤) انظر: الطبقات، ٣/٢٣٣. وذكره السيوطي عن ابن سعد. انظر: تاريخ الخلفاء، ص١٢٦.

ويعطي هذا. فسكت عمر(١).

وقد لقيت ألقاب الخلافة والملك والإمامة وما شابهها اهتمام العديد من الباحثين، سواء من الناحية العقدية أو الفقهية أو التاريخية أو السياسية(٢).

أما بالنسبة للثلاثين سنة التي وردت في حديث سفينة فقد اختلف العلماء فيمن يدخل من الخلفاء في هذه المدة، فيرى العديد من العلماء(٣) والمؤرخين(٤) أنها في خلافة الراشدين الأربعة ومعهم الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين، بينما يرى بعض العلماء أنهم الخلفاء الراشدون الأربعة فقط(٥).

---

(١) انظر: الطبقات، ٣/٢٣٣. وذكره السيوطي عن ابن سعد. انظر: تاريخ الخلفاء، ص١٢٦.

(٢) قدّم محمد ضياء الدين الريس مبحثاً جيداً في هذا الجانب يمكن الاطلاع عليه. انظر: الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ط٧، (القاهرة: مكتبة دار التراث، د. ت)، ص١٠٦-١٢٦. كما أن هناك رسالة ماجستير مطبوعة (جامعة أم القرى) تحدّثت عن الإمامة العظمى من الناحية الفقهية والعقدية والتاريخية وضع مؤلّفها مبحثاً عن أسماء الملك والخلافة والإمامة. انظر: عبد الله الديجي، الإمامة العظمى عند أهل السُّنة والجماعة، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٢٧-٤٢.

(٣) انظر رأي القاضي عياض في: النووي، شرح صحيح مسلم، ١٢/١٧١. للاستزادة: انظر شرح ابن تيمية وتعليقه في القتاوى، ٣٥/١٩. انظر: الساعاتي، منحة المعبود، ٢/١٩٤. محمد شمس الدين آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٢/٢٥٩.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٣/٧. النويري، نهاية الأرب، ٢٠/٢٣٢. ابن كثير، البداية، ٨/١٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦.

(٥) ذكر البيهقي أن مدة الثلاثين تنحصر في الأربعة الراشدين على النحو التالي: مدة أبي بكر سنتان وأربعة أشهر إلا عشر ليالٍ، ومدة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، ومدة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً. أما عليّ فذكر قولاً بأن مدّة حكمه خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقولاً آخر بأنها خمس سنين إلا شهرين. انظر: دلائل النبوة، ٦/٣٤١، ٣٤٢. كما ذكر محمد شمس الدين آبادي رأي ابن القيم ووافقه. انظر: عون المعبود، ١١/٢٤٤، ١٢/٢٥٨. كما نقل المباركفوري آراء العلماء في مدة الثلاثين سنة ومَن يدخل فيها. انظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٦/٣٩٥، ٣٩٦.

كما ذكر العلماء والمؤرخون مدة كل خليفة بالسنة والشهر واليوم وحسبوها ثلاثين سنة بالتمام، لكنهم اختلفوا فيمن يدخل ضمن الثلاثين سنة، ونتيجةً لذلك اختلفوا في ذكر مدّة كل خليفة، وبخاصة في عدد الشهور والأيام. ويرجع سبب ذلك الاختلاف إلى عدم الاتفاق في تحديد بداية حكم كل خليفة ونهايته بدقّة، وهو أمر مُعتاد عليه في المصادر التاريخية وغيرها.

وقد اكتفت الدراسة في توضيح مدة الثلاثين سنة موزَّعة بين الخلفاء الراشدين بالإشارة إلى ثلاثة آراء من خلال الجدول المُلْحَق بآخرها(١). وهذه الآراء هي:

الرأي الأول: للإمام ابن القيِّم، ويرى أن الثلاثين سنة تنحصر في الخلفاء الأربعة فقط(٢).

الرأي الثاني: للإمام النووي، ويرى أن خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما تدخل ضمن الثلاثين سنة(٣).

الرأي الثالث: للمؤرِّخ المسعودي، وهو يعضّد الرأي الثاني في إدخال الحسن ضمن الثلاثين سنة. والمسعودي ذكر ذلك بعد اجتهاد منه في عمل حسابات دقيقة، وأفرد لذلك تحقيقاً خاصاً في آخر كتابه (مروج الذهب) قدَّم فيه آراء المؤرخين ثم رجَّح ما رآه.

ومن خلال الجدول الذي يوضِّح هذه الآراء يُلاحظ على حسابات هذه المدة اختلاف واتفاق بين الآراء الثلاثة؛ فابن القيِّم يتَّفق مع النووي في مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كما يتَّفق ابن القيم مع المسعودي في مدة خلافة عمر رضي الله عنه، ويختلفون

---

(١) انظر الجدول الذي يوضح مدة كل خليفة ياليوم والشهر والسنة ضمن ملاحق الرسالة (ملحق ٣)، ص ٤٧٤.

(٢) انظر رأي ابن القيّم في: عون المعبود للآبادي، ١١/ ٢٤٤. المباركفوري، تحفة الاحوذي شرح سنن الترمذي، ٦/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٣) رجَّح النووي هذا الرأي في تهذيب الأسماء، ولم أعثر عليه، فاوردته نقلاً عن: محمد شمس الدين آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٢/ ٢٥٩.

جميعاً في مدة خلافة عثمان رضي الله عنه من ناحية عدد الأيام. أما مدة خلافة عليّ رضي الله عنه فيختلفون فيها من ناحية عدد الأشهر فقط. كما يختلف المسعودي والنووي في مدة خلافة الحسن رضي الله عنه.

والخلاصة أن حديث سفينة رضي الله عنه جاء ضمن سياق تاريخي موافق له، وهذا من دلائل نبوَّته ﷺ؛ إذ إن الخلافة الحقيقية على المنهج النبوي كانت في عهد الخلفاء الراشدين والحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين، ولا يعني ذلك ذمّ حكم الأمويين، وبخاصة أن فيهم خليفةً راشداً أجمعت المصادر عليه، وهو عمر بن عبدالعزيز.

والحديث الثالث الذي اعتمدت عليه الدراسة ضمن هذا الفصل هو حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَي عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقد ذكر فيه العلماء من المحدِّثين والمؤرخين عدة أقوال واختلفوا فيه على آراء عديدة[1] ستحاول الدراسة ذكر أبرزها؛ فالقاضي عياض ذكر عدة آراء في شرحه لحديث جابر:

الرأي الأول: أن عدد الاثني عشر قد وَلِيَ، ولا يضرُّ كونه وُجِدَ بعدهم غيرهم.

الرأي الثاني: قيل إنهم من الخلفاء العادلين المستحقِّين للخلافة، وقد مضى منهم من عُلِمَ، ولا بدَّ من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة.

الرأي الثالث: قيل إن معناه يكونون في عصر واحد يتبع كل واحد منهم طائفة، ولا يبعد أن يكون هذا قد وُجِدَ إذا تتبّعت التواريخ؛ فقد كان بالأندلس وحدها منهم في عصر واحد بعد أربعمائة وثلاثين سنة ثلاثةٌ كلُّهم يدَّعيها ويُلقَّب بها. ويعضِّد هذا التأويل قوله ﷺ: «سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ».

---

(١) ذكر الإمام العيني أن هذا الحديث محلّ خلاف قويّ بين العلماء، حتى إنهم لم يقطعوا له بمعنى. انظر: عمدة القاري، ٢٠/١٧٤.

الرأي الرابع: يحتمل أن يكون المراد من يعزّ الإسلام في زمنه ويجتمع المسلمون عليه، وهذا قد وُجِد قبل اضطراب بني أمية واختلافهم في زمن يزيد بن الوليد.

ثم قال القاضي عياض: «ويحتمل أوجهاً أخرى، والله أعلم بمراد نبيّه ﷺ»[1].

ويرى الإمام البيهقي أن المراد بالاثني عشر خليفة الخلفاء إلى وقت الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك[2]، وذكره ابن حبان في صحيحه[3]. ويرى ابن قيِّم الجوزية أيضاً أن الخلفاء الاثني عشر هم: الخلفاء الأربعة، ثم معاوية، ثم يزيد ابنه، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم عبد الملك بن مروان، ثم الوليد ابن عبدالملك، ثم سليمان بن عبدالملك، ثم عمر بن عبدالعزيز الذي كانت وفاته على رأس المائة، وهي القرن المُفضَّل، وهو خير القرون، وكانت في هذا القرن العزَّة والمَنَعَة[4]. وبذلك لم يعدّ خلافة الحسن بن علي وابن الزبير ضمن الاثني عشر.

وذكر ابن أبي العز علي بن علي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) في شرح العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي (ت ٣١١هـ)[5] أن المقصود بالاثني عشر خليفة هم: «الخلفاء الأربعة، ومعاوية وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال»[6].

---

(١) نقل الإمام النووي آراء القاضي عياض في: شرح صحيح مسلم، ١٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٥٢٠.

(٣) انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) انظر: العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١/ ٢٤٤.

(٥) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي المصري الطحاوي الحنفي: إمام وحافظ كبير، محدِّث الديار المصرية وفقيهها. والطحاوي نسبة إلى طحا. ولد سنة ٢٣٩هـ ومات سنة ٣٢١هـ. له عدة مصنَّفات، منها: اختلاف العلماء، ومعاني الآثار. انظر: الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ١٥/ ٢٧-٣٣.

(٦) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، (دمشق: دار البيان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٤٩٠.

وقد أفاض العلماء في شرح حديث جابر «اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»[١]، لكن ابن حجر كان أكثرهم شرحاً له؛ إذ نقل أقوال العلماء؛ كقول القاضي عياض السابق الذكر وغيره، لكنه توقَّف عند قول ابن الجوزي وناقشه؛ فابن الجوزي يرى أن عدد الخلفاء في الحديث محصور في بني أمية فقط؛ إذ أخرج من الاثني عشر الصحابة من بني أمية كعثمان ومعاوية، وكذلك مروان للاختلاف في صحبته أو لأنه كان منقلباً على ابن الزبير، كما أخرج حُكْم ابن الزبير منها. وبذلك يصبح عدد خلفاء بني أمية اثني عشر كما في الحديث. ويرى ابن الجوزي أن الخلافة عندما خرجت من بني أمية حدثت الفتن العظيمة حتى استقرَّت دولة بني العباس فتغيَّرت الأحوال[٢]. وقد ذكر ابن حجر أن ابن الجوزي اعتمد في رأيه هذا على حديثين:

الأول عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ لِخَمْسٍ وَثَلاثِينَ أَوْ سِتٍّ وَثَلاثِينَ أَوْ سَبْعٍ وَثَلاثِينَ، فَإِنْ هَلَكُوا فَبِسَبِيلِ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ بَقُوا يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ عَاماً». قال: قلتُ: أمِمَّا بقيَ أو ممَّا مضى؟ قال: «مِمَّا مَضَى»[٣]. وله عدة ألفاظ.

---

(١) أشار العيني في شرحه للحديث إلى آراء العلماء واختلافهم فيه، لكنه لم يذكر أسماء معينة، ولم يناقش أو يفصل القول كما فعل ابن حجر العسقلاني. انظر: عمدة القاري، ٢٠/ ١٧٤، ١٧٥.

(٢) نقل ابن حجر أقوال ابن الجوزي من كتابه (كشف المُشْكِل)، ولم يقف الباحث على الكتاب. انظر: فتح الباري، ١٣/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٦/ ٢٣٨. قال محقّقو المسند: حديث حسن، كما أورده بلفظ: «مِمَّا بَقِيَ»، وبلفظ: «بَلْ بِمَا بَقِيَ». انظر: مسند أحمد، ٦/ ٢٧٧، ٣٠٠، ٣٠١. كما أخرجه أبو داود في سننه. انظر: العظيم آبادي، عون المعبود، ١١/ ٢٢٠. كما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والطبراني في معجمه إلى قوله: «سَبْعِينَ عَاماً». انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٣١. المعجم الكبير، ١٠/ ١٥٨، ١٧٠. وأخرجه الحاكم بلفظ مختلف في آخره: «بِمَا بَقِيَ»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك، ٤/ ٧٩. كما أخرجه البيهقي بلفظ: «مِنْ مُسْتَقْبَلِهِ». دلائل النبوة، ٦/ ٣٩٣.

والحديث الثاني هو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً: «إِذَا مَلَكَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ كَانَ النَّقْفُ وَالنِّقَافُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[1]. ولم يُشر ابن حجر إلى ضعفه.

أما حديث «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ» فقد نقل ابن الجوزي قول الخطابي (ت ٣٨٨هـ)[2] أن (رحى الإسلام) كناية عن الحرب؛ شبَّهها بالرحى التي تطحن الحَبَّ لما يكون فيها من تلف الأرواح، والمراد بالإسلام هنا المُلْك. وذكر ابن الجوزي بعد إيراده الحديث أن بين اجتماع الناس على معاوية وانتقاض ملك بني أمية نحواً من سبعين عاماً[3]. وهو قول البيهقي في (الدلائل)[4].

لكن ابن حجر ردَّ قول ابن الجوزي؛ لأن مدَّة بني أمية أكثر من تسعين عاماً، وذلك من سنة ٤١هـ، وهي بيعة الناس لمعاوية، إلى سنة ١٣٢هـ، وفيها مقتل مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية[5]. ثم ذكر ابن حجر المراد من حديث «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ»، وهو الدوام على الاستقامة، وأن ابتداء ذلك كان من أوَّل البعثة النبوية إلى مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٢٤هـ. وبذلك تصبح

(١) أخرجه نعيم بن حماد بلفظ مختلف قليلاً. الفتن، ص٦٠. كما أورده ابن عدي في الضعفاء. انظر: الكامل في الضعفاء، ٣/١٢٣. كما أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ: «وَكَانَ البُغْضُ وَالنُّفَاقُ»، وليس «النَّقْفُ والنِّقافُ». وفي الحديث ذؤاد بن علبة، وهو ضعيف، وإسماعيل بن ذؤاد تلميذه ضعيف جداً. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ٥/١٩٣. وإسماعيل بن ذؤاد بغدادي قال عنه الخطيب: منكر الحديث، وأورد له هذا الحديث بلفظ: «النَّقْفُ وَالنِّقَافُ». انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/٢٢٧. ابن حجر، لسان الميزان، ١/٤٠٤. وعلّق خلدون الأحدب على الحديث بأنه منكر. انظر: زوائد تاريخ بغداد، ٥/٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) ذكر الخطابي شارح سنن أبي داود أن الرحى هي الحرب، وأن الإسلام يُراد به الملك، وأن مدة السبعين سنة هي ملك بني أمية. انظر: معالم السنن شرح سنن أبي داود، تخريج الأحاديث: عبد السلام عبد الشافي، ج٤، ص٣١٢، ٣١٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٢٢٦.

(٤) دلائل النبوة، ٦/٣٩٤.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٢٢٦.

المدة خمسةً وثلاثين عاماً حسب حسابات ابن حجر، وأيَّد ذلك بمقتل عمر؛ إذ فُتح باب الفتن أو كُسر(١). أما بقية الحديث «فَإِنْ هَلَكُوا فَبِسَبِيلِ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ بَقُوا يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ عَاماً» فالمراد منه انقضاء أعمارهم وتكون المدة سبعين عاماً، ويكون ابتداؤها من أوّل سنة ثلاثين عند انقضاء ست سنين من خلافة عثمان؛ فإن ابتداء الطعن فيه إلى أن آل الأمر إلى قتله كان بعد ست سنين مضت من خلافته، وعند انقضاء السبعين لم يبْقَ من الصحابة أحد(٢).

والحقيقة أن حديث «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ» له من الشرح والتفسير عند العلماء عدّة أوجه؛ لاختلافهم في تفسير معنى الرحى(٣). كما أشارت إلى الحديث بعض المصادر التاريخية ضمن أحداث مقتل عثمان رضي الله عنه، وضمن معارك الجمل وصفِّين(٤). وقد أفاض العلامة العظيم آبادي في شرح الحديث، وذكر أقوال العلماء في معناه واختلافهم في مفهوم دوران الرحى على قولين:

الأول: بمعنى استقامة أمر الدين واستمراره، وهذا قول الأكثرين.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٢٢٨.

(٣) للاستزادة عن ذلك: ذكر ابن حبان أن هذا الحديث فيه دلالة على زوال الأمر من بني هاشم إلى بني أمية. انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/٢٣١، ٢٣٢. وذكر ابن الأثير أن الحديث فيه دلالة على أن أمر استقامة الإسلام يمتدّ حتى بضع وثلاثين؛ لأن هذه المدة حدثت بعدها الفتن؛ مثل مقتل عثمان ووقعة الجمل ووقعة صفين. وفي قوله «يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ عَاماً» نقل ابن الأثير قول الخطابي من أنها مدة ملك بني أمية إلى أن تولّى بنو العباس الحكم. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٢/١٩٣، مادة (رحا). كما ذكر ابن حجر الهيتمي أن هذا الحديث يصحّ تنزيله على صُلح الحسن ومعاوية. انظر: تطهير الجنان، ص٧٣، ٧٤.

(٤) حديث «تَدُورُ رَحَى الإِسْلامِ» ذكره الذهبي ضمن أحداث صفّين. انظر: تاريخ الإسلام (السيرة النبوية)، ص٣٨٩. وذكره ابن كثير بعدة روايات، واستشهد به في مواضع عديدة من تاريخه، فذكره ضمن مقتل عثمان (٧/٢٣٠)، وضمن معارك صفين (٧/٢٨٦)، وضمن أبواب الغيوب المستقبلية عن طريق يعقوب بن سفيان الفسوي (٦/٢١٢).

والثاني: المراد منه الحرب والقتال، وهو قول الخطابي والبغوي[١].

ثم رجّح العظيم آبادي بعد ذكر الآراء حول معنى الحديث الرأي القائل بأن الحديث ليس المقصود به ملك بني أمية دون غيرهم من الأمة كما ذكر الخطابي وغيره، بل أُريد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود، ومبدأ ذلك كان في أول زمان الهجرة، وأنهم يلبثون على ذلك خمساً وثلاثين أو ستاً وثلاثين أو سبعاً وثلاثين، ثم يشقّون عصا الخلاف فتُفرَّق كلمتهم، فإن هلكوا فهذا سبيل مَن كان قبلهم، وإن عادوا إلى أمر الطاعة يتمّ لهم ذلك إلى تمام السبعين[٢]. ثم يقول العظيم آبادي: «وهذا مقتضى اللفظ، ولا يستقيم القول إلا بذلك؛ لأن الملك في أيام العبَّاسيَّة لم يكن أقل استقامةً منه في أيام المرْوانية، ومدَّة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له، كما أن بقية الحديث تنقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا»[٣]. أما قوله ﷺ: «مِمَّا مَضَى»؛ أي: يُقيم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أوّل دولة الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين[٤].

وأما حديث النَّقْف والنِّقَاف، فيرى ابن الجوزيّ أن النَّقْف هو كسر الهامة، والنِّقاف على وزن فِعَال، وهو كناية عن القتل والقتال. ويؤيِّد ذلك بروايةٍ في حديث جابر المذكور: «ثُمَّ يَكُونُ الهَرْجُ»؛ أي: القتل. ويرى أيضاً أن في قوله «مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ» إشارةً إلى كونهم من قريش؛ لأن لؤيّ هو ابن غالب بن فهر، وفيهم جماع قريش[٥].

وردّ ابن حجر هذا الرأي أيضاً؛ لأنه يرى أن معنى النَّقْف هو الفِطْنَة والحِذْق،

(١) انظر: عون المعبود، ١١/ ٢٢٠.

(٢) انظر: عون المعبود، ١١/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) انظر: عون المعبود، ١١/ ٢٢٢.

(٤) انظر: عون المعبود، ١١/ ٢٢٢.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٢٢٦.

كما ذكر أن هذا الحديث يُفهم منه أن غير بني أمية يكون من غير قريش[1].

وبعد مناقشة ابن حجر العديد من الأقوال الواردة في معنى حديث جابر ذهب إلى أن قوله ﷺ «يَكُونُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً» يُحمل على حقيقة البعديَّة؛ إذ إن جميع مَن وَلِيَ الخلافة من الصِّدِّيق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نَفْساً؛ منهم اثنان لم تصحّ ولايتهما ولم تطُلْ مُدَّتهما، وهما: معاوية بن يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نَفْساً على الولاء كما أخبر ﷺ. وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة هجرية، وتغيَّرت الأحوال بعده، وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون[2].

وقد ذكر صاحب (عون المعبود شرح سنن أبي داود) عدّة أقوال، ثم رجَّح أن الاثني عشر خليفة هم: الخلفاء الأربعة، ومعاوية، وعبد الملك وبنوه الأربعة، وعمر ابن عبد العزيز، والوليد بن يزيد بن عبد الملك[3].

كما رجَّح الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ أن المُراد بالاثني عشر خليفةً ما قاله جماعة من أهل العلم: إن مراد النبي ﷺ بهذا الحديث الخلفاء الأربعة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وعمر بن عبدالعزيز. فالأئمة الاثنا عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبدالملك؛ فالدين في زمانهم كان قائماً، والحق ظاهراً، والجهاد قائماً. وما وقع بعد موت يزيد بن معاوية من انشقاق واختلاف؛ فتولَّى مروان الشام وابن الزبير الحجاز، لم يضرّ المسلمين في ظهور دينهم، ثم زال الخلاف بحمد الله بتمام البيعة لعبدالملك، وبذلك يكون أمر حديث الاثني عشر خليفة قد مضى وانتهى[4].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٢٢٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٢٢٨.

(٣) محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) انظر تعليق الشيخ ابن باز على كتاب الشيخ عبد المحسن العباد (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر)، ص١٥٩، ١٦٠.

كما نقل الشيخ عبد المحسن العباد عن جماعة من العلماء أن الاثني عشر خليفة هم الخلفاء الراشدون وثمانية من بني أمية(١).

وهناك قول مخالِف لما ذكرناه من أن الاثني عشر خليفة قد مضى أمرهم وانتهى، وأن خلفاء بني أمية يدخلون ضمن سياق هذا الحديث؛ فقد أنكر بعض العلماء والمؤرخين ذلك التأويل، فذكر ابن كثير أن خلافة الأربعة ثم بعدهم الحسن رضي الله عنهم محقَّقة في حديث سفينة: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ». كذلك إذا نظرنا إلى البعديَّة وأدخلنا ولاية ابن الزبير قبل ولاية عبد الملك صار عدد الخلفاء ستة عشر؛ فالاثنا عشر حسب الترتيب البعديّ يخرج منهم الخليفة عمر بن عبد العزيز المُجمَع على فضله وأنه من الخلفاء الراشدين. وإذا قلنا: إن الذي لم تجتمع الأمة عليه لم يُعدّ ضمن الاثني عشر، فسيخرج من ذلك العدد عليّ وابنه الحسن رضي الله عنهما؛ لأن الأمة لم تجتمع عليهما؛ فأهل الشام لم يبايعوهما على حدّ القائلين بهذا المسلك، وهو خلاف ما عليه أهل السُّنة وخلاف حديث سفينة الذي تندرج تحته خلافة عليّ والحسن رضي الله عنهما(٢). فيرى ابن كثير أن هؤلاء الأئمة الاثني عشر ليسوا متتابعين، وقد وُجد منهم الأئمة الأربعة؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وابنه الحسن أيضاً، ومنهم عمر بن عبد العزيز كما هو عند كثير من الأئمة وجمهور الأمة ولله الحمد، وكذلك وُجد منهم طائفة من بني العباس، وسيُوجد بقيّتهم فيما يُستقبل من الزمان، حتى يكون منهم المهدي المُبشَّر به في الأحاديث الواردة فيه(٣).

ونقل السيوطي قول القاضي عياض بتتابعية الاثني عشر خليفة وأدخل فيهم خلفاء بني أمية إلى زمن الوليد بن يزيد، كما نقل رأي ابن حجر في تحسينه رأي

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، ص١٧٨.

(٢) للاستزادة عن ذلك انظر تفسير آية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]. ابن كثير، تفسير القرآن، ٢/ ٣٦، ٣٧. البداية، ٦/ ٢٥٤-٢٥٦. الشمائل، ٢/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) انظر: ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، ص٩. الشمائل، ٢/ ١٥٨، ٢٨٠، ٢٨١.

القاضي عياض[١]، لكنه خالفهما موافقاً قول ابن كثير، فرأى أن الاثني عشر خليفة ليسوا متتابعين، وأن الحديث يُقصد منه جميع مدّة الإسلام إلى يوم القيامة، وأن هؤلاء الخلفاء يعملون بالحق وإن لم تتوالَ أيامهم، وآخرهم المهديّ، قال: «قلتُ: وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويُحتمل أن يُضمَّ إليهم المهتدي من العباسيين... وكذلك الطاهر لما أُوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران؛ أحدهما المهدي لأنه من آل البيت»[٢].

لكنّ رأي ابن كثير ومَن وافقه كالسيوطي كان محلّ نقد العلماء؛ فيرى الشيخ عبد العزيز بن باز أن رأي ابن كثير محلّ نظر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لا يَزَالُ أَمْرُ هَذه الأُمَّة قَائماً مَا وَلِيَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقوله «لا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّة قَائماً» يدلُّ على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف وتفرُّق بين الناس، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم[٣].

ويرجِّح الباحث أن حديث الاثني عشر خليفة قد مضى وانتهى وحدث بصفة تتابعية، وهو ما رجّحه ابن حبان والبيهقي وابن القيّم وابن حجر وغيرهم، ومن المُحْدَثين الشيخ ابن باز والشيخ عبد المحسن العباد. وبذلك فإن العديد من خلفاء بني أمية يدخلون في هذا الحديث.

أما أمر تحديد عدد الخلفاء الذين يدخلون في الاثني عشر خليفة فقد اختلفت فيه المصادر: هل كان آخرهم عمر بن عبد العزيز، أم هشام بن عبد الملك، أم يزيد ابن الوليد بن عبد الملك؟ والحقيقة أن الباحث لا يميل إلى تنزيل هذا الحديث على

(١) تاريخ الخلفاء، ص١٧.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص١٨.

(٣) انظر تعليق الشيخ ابن باز على كتاب الشيخ عبد المحسن العباد (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر)، ص١٥٩.

خلفاء بأعيانهم وترك آخرين؛ لأن أمرهم قد ولّى وانتهى، ويكفي أن مجموعة كبيرة من خلفاء بني أمية يدخلون في هذا الحديث.

وبعد سرد أقوال العلماء في المقصود بحديث الاثني عشر خليفة وإشارة العديد منهم إلى أن خلفاء بني أمية يدخلون ضمن هذا الحديث ـ وهو الراجح من كلام العلماء ـ فإن هذا الحديث فيه رفع لمكانة بني أمية؛ لأن الدين كان منيعاً وقوياً في عهدهم حسب تأويل العلماء للحديث، كما أن في الحديث دلالةً على أنهم لا يدخلون ضمن المُلْك العَضُوض أو الجَبْريّ.

ويُلاحَظ أن العلماء نبَّهوا إلى أن المراد بحديث جابر (الخلفاء اثنا عشر) يختلف عن المراد عند فرقة الاثني عشرية من الرافضة من وهْم وكذب وسخافات باعتقادهم أن الأئمة الاثني عشر هم من آل البيت، وأن آخرهم الثاني عشر سيظهر آخر الزمان ويخرج من سرداب بمدينة سامراء بالعراق[1].

وبذلك يمكن القول: إن الخلافة مرَّت بعدة مراحل:

١ـ مرحلة خلافة النبوة، وتنتهي بتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية (الخلفاء الأربعة).

٢ـ مرحلة الملك والرحمة (خلافة معاوية).

٣ـ مرحلة الخلفاء الاثني عشر (حديث جابر بن سمرة، وهو يتعلق ببني أمية).

٤ـ مرحلة المُلْك العَضُوض (حديث النعمان بن بشير).

٥ـ مرحلة المُلْك الجَبْري (حديث النعمان بن بشير).

٦ـ مرحلة عودة الخلافة على منهاج النبوة (حديث النعمان بن بشير).

وهكذا نجد أن الأحاديث النبوية الواردة في الخلافة والمُلْك أعطت مفاهيم وتصوُّرات مختلفة عند المُحدِّثين والمُؤرِّخين؛ مما ألقى بظلاله على كتابة التاريخ الأموي وما نجم عن ذلك من ذمٍّ لحكمهم، ومردُّ ذلك صحة الحديث ومدى وضوحه وفهمه.

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية، ٦/ ٢٥٤. تفسير القرآن، ٢/ ٣٧. وانظر أيضاً تعقيب محمد شمس الحق آبادي على أقوال الروافض في: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/ ٢٤٦.

المبحث الثاني

الإشارات النبوية لتولِّي بني أمية الحكم وسقوطهم

وأثرها في الكتابة التاريخية

أولاً: مفهوم الإشارات النبوية

يناقش هذا المبحث ما ورد من أحاديث نبوية صريحة أو إشارات خفيَّة في تولِّي بني أمية الحكم في مصادر الحديث والتاريخ، ومدى صحَّتها، ومقصدها، وأثرها في المصادر التاريخية. ومن خلال هذا المبحث أيضاً سيتم توضيح حادثة الصُّلْح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما وما ورد فيها من أحاديث نبوية وأثرها في المصادر التاريخية. كما سيبحث ما يتعلّق بخروج السفياني الذي ينتظره الأمويون لاسترجاع حكمهم من أيدي العباسيين حسب تعبير الروايات أو الأحاديث الواردة في ذلك.

لكن قبل طَرْق الموضوع لا بدَّ من توضيح مدلول الإشارات النبوية. فالإشارة تعني التلميح والإيماء، ويكون ذلك بالكفّ أو بالعين والحاجب[(١)]، وهي أحاديث أخبر بها النبي ﷺ فيها تلميح لشيء ما، وفيها دلائل على صدق نبوَّته، وغالبها يُسرد في أبواب الدلائل والمعجزات من مصادر السيرة[(٢)].

ومفهوم الإشارات في تولِّي بني أمية الحكم قد يلتبس مع ما تقوله بعض فرق الشيعة في نصِّيَّة الخلافة لآل البيت كما هو عند الإمامية[(٣)] التي ترى نصِّيَّة

---

(١) الإشارة: من أشار؛ أي أومأ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٤٣٦، مادة (شور). الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥٤٠.

(٢) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٢٠١. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/ ٢٥٥. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ١١٥، ١١٦. وقد أكثر ابن كثير من لفظ الإشارة، فصدَّر الكثير من أبوابه بها. انظر كتابه (النهاية في الفتن والملاحم).

(٣) الإماميَّة: هم القائلون بإمامة عليّ رضي الله عنه بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين. الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٨٩، ١٦٢. الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/ ٨٩.

الخلافة لعليٍّ رضي الله عنه وولده، وهو قول لا تسنده المقاييس العلمية ولا العقلية ولا الواقعية(١)؛ لأن النبي ﷺ لم ينصّ بالخلافة لأحد من بعده(٢)، فهناك فرق بين القول بنصّ النبي ﷺ بالخلافة لفلان أو لأُسرة معيَّنة والقول بوجود إشارات نبوية بتولِّي بني أمية الحكم؛ فالإشارات من العلوم الغيبية التي اطّلع عليها الرسول ﷺ؛ مثل ما أخبر به في آخر الزمان من فتن وملاحم وأشراط للساعة، ويؤكد ذلك أن العديد من هذه الأحاديث سِيقَتْ ضمن أبواب الغيوب المستقبلية في كتب الدلائل والشمائل(٣). فعلى سبيل المثال: هناك أحاديث نبوية مُختلَف في صحتها فيها إخبار بتولِّي معاوية رضي الله عنه الخلافة أو الإمارة أو الملك، فذكرت المصادر عناوين تحمل هذا الاسم؛ مثل: «فصل في إخباره ﷺ بملك معاوية أو بتمليك معاوية»(٤). وسوف تتم مناقشة ذلك في الفصل الثالث بمشيئة الله.

وكل ما ورد من أحاديث نبوية في تحديد مَن يتولّى أمر الخلافة جاء على سبيل العموم في قبيلة قريش؛ مثل إخباره ﷺ بأن الخلافة في قريش، وأن الناس تَبَعٌ لها(٥). وترتَّب على هذه الأحاديث اشتراط الفقهاء النَّسَبَ القُرشيَّ ضمن الصفات التي

---

(١) أشارت كتب الفِرَق إلى الفِرَق القائلة بنصِّيَّة الخلافة؛ مثل: الكيسانية والرافضة والراوندية، وناقشت أقوالها وأبطلت حُججها. للاستزادة انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/٨٩، ٩٠. ابن حزم، الفصل، ٤/١٥٤-١٥٧، ١٦٠.

(٢) انظر: ابن حزم، الفصل، ٤/١٧٦-١٧٩. ابن تيمية، منهاج السُّنة، ١/٥٠٠-٥٠٢، ٧/٤٧-٥٠. ابن كثير، البداية، ٧/٢٣٦.

(٣) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٣١٢. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/١١٦.

(٤) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٤٤٦. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٠٨. كما عنون الشامي في سبل الهدى والرشاد (باب في إخباره بولاية معاوية)، ١٠/٨٧.

(٥) انظر (باب الأمراء من قريش) و(باب الخلافة في قريش) عند البخاري ومسلم. النووي، شرح مسلم، ١٢/١٦٨. ابن حجر، فتح الباري، ٦/٦١٨. وبيّن النووي أن أحاديث الخلافة في قريش صحيحة، ولا يجوز عقدها لغيرهم، وهو مذهب العلماء كافّةً، ما عدا بعض علماء المعتزلة؛ كالنظّام وغيره، ولا يُعتدّ بخلافهم. انظر: شرح مسلم، ١٢/١٦٨.

يجب أن تتوفر في الخليفة(١).

والحقيقة أن مصادر الحديث والتاريخ أشارت إلى عدة أحاديث تفيد بإخبار النبي ﷺ عن تولِّي بني أمية الحكم أو الملك وسقوطهم، فهناك أبواب تحمل دلالات مختلفة؛ مثل: «باب ما يُذكر في مُلْك بني أمية وتسمية أسمائهم بعد عمر رضي الله عنه»(٢)، و«باب آخر مَن ملك بني أمية»(٣)، و«باب ما جاء في رؤياه ﷺ في ملك بني أمية»(٤)، و«باب ما جاء في انقضاء دولة بني أمية»(٥)، و«فصل في الأحاديث المُنْذِرة بخلافة بني أمية»(٦).

ثانياً: الأحاديث الواردة في تولِّي بني أمية الملك وسقوطهم

تناولت الدراسة في الفصل الأول الأحاديث التي ذمَّت بني أمية، وسنشير إلى بعضها هنا؛ لأنها تضمَّنت إشارات خفيَّة أو عبارات صريحة لتولِّي بني أمية الحكم، ومنها:

* حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى بني أمية، وفي رواية (بني مروان)، وفي رواية (بني الحكم أو بني العاص)، على منبره فاستاء من ذلك، ثم رأى بني العباس على منبره فسرَّه ذلك. أو ما قيل عن رؤيا النبي ﷺ بني أمية يَنْزُون على منبره كالقردة فاستاء منهم، فعوَّضه الله بنهر الكوثر وبليلة القدر. وهو باطل(٧).

---

(١) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦، ٧. ابن حزم، الفصل، ٤/١٥٢. القلقشندي، ١/٣٠٧-٣٠٩. كما أشار بعض العلماء إلى وجود فِرَق كالخوارج وجمهور المعتزلة لا ترى اشتراط النسب القرشي، وترى أن الإمامة تجوز في قريش وغيرها. انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ٢/١٥١. ابن حزم، الفصل، ٤/١٥٢.

(٢) نعيم بن حماد، الفتن، ص٦٦.

(٣) نعيم بن حماد، الفتن، ص٨١-٨٧.

(٤) البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥٠٩.

(٥) ابن كثير، البداية، ١٠/٥٠.

(٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩.

(٧) انظر المبحث الثاني من الفصل الأول من الدراسة، ص ١٢٤.

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ أخبر بطلوع جبَّار من جبابرة بني أمية على منبره يَرْعَف دمه على المنبر. وهو منكر[1].

* حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «إِذَا بَلَغَتْ بَنُو أُمَيَّةَ أَرْبَعِينَ - وفي روايةٍ: ثَلاثِينَ - اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً، وَمَالَ اللَّهِ نُحْلاً، وَكِتَابَ اللَّهِ دَغَلاً». وفي روايةٍ: «بَنُو الحَكَمِ، أَوْ بَنُو العَاصِ، أَوْ بَنُو مَرْوَانَ». وكلّ ما ورد في ذلك ضعيف جداً، وبعض رواياته منقطعة ومنكرة[2].

وقد بيَّنت الدراسة كيف انتشرت هذه الأحاديث في المصادر التاريخية وتأثَّرت بها. وخلُصت إلى أن هناك مصادر نقلت الأحاديث السابقة دون تعليق أو تدقيق؛ مثل: (أنساب الأشراف) للبلاذري، و(مروج الذهب) للمسعودي، و(تاريخ الطبري)، و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي. كما أن هناك مصادر أوردت هذه الأحاديث إلا أنها أحياناً بيّنت مدى صحتها ومدى ضعفها؛ مثل: (تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(الكامل) لابن الأثير، و(تاريخ الخلفاء) للسيوطي. كما أن هناك مصادر تاريخية توقّفت عند هذه الأحاديث بالدراسة والتحقيق والردّ؛ كما هو الحال في (سِيَر أعلام النبلاء) للذهبي، و(تاريخ البداية والنهاية) لابن كثير.

وقد بيّنت الدراسة أن كلّ ما ذُكر من أحاديث عن إخبار النبي ﷺ عن ظُلْم حكّام بني أمية وإفسادهم الرعية؛ مثل: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أُمَيَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ دَغَلاً، وَمَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً»، لم يثبت ولم يصحّ.

أما الأحاديث المتعلِّقة بالإخبار عن مُلك بني أمية أو خلافتهم ولم تُذكر سابقاً فقد جاءت في مصادر الحديث وبعض مصادر التاريخ بروايات مختلفة، من ذلك:

١- أخرج نعيم بن حماد بسند ضعيف عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

(١) انظر المبحث الثاني من الفصل الأول من الدراسة، ص ١٣٥.

(٢) انظر المبحث الثاني من الفصل الأول من الدراسة، ص ١٣٥.

«لَيكُونَنَّ بعد عثمان رضي الله عنه اثنا عشر ملكاً من بني أمية. قيل له: خلفاء؟ قال: بل ملوك»(١).

٢- كما أخرج نعيم بن حماد بسند ضعيف أن رسول الله ﷺ قال: «يَلِيكُمْ عُمَرُ وَعُمَرُ، وَيَزِيدُ وَيَزِيدُ، وَالوَلِيدُ وَالوَلِيدُ، وَمَرْوَانُ وَمَرْوَانُ، وَمُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ»(٢).

٣- كما أخرج نعيم بن حماد بسند ضعيف أن رسول الله ﷺ قال: «وَيْلٌ لأُمَّتِي مِنَ الشِّيعَتَيْنِ: شِيعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَشِيعَةِ بَنِي العَبَّاسِ»(٣).

٤- كما أخرج نعيم بسنده أن معاوية سأل ابن عباس: هل تكون لكم دولة؟ قال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: لَتُخبرنِّي، قال: نعم. قال: فمَن أنصارُكم؟ قال: أهل خراسان، ولبني أمية من بني هاشم نطحات(٤)؛ أي: قتال وثأر(٥). وهو ضعيف(٦).

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في: الفتن، ص٦٦. قال محقِّق الكتاب: ضعيف؛ لأن فيه رِشدين وابن لهيعة، وكلاهما ضعيف. ونقل ابن كثير هذا الخبر عن نعيم بن حماد بسند فيه رشدين وابن لهيعة ولم يعلّق عليه. البداية، ٦/٢٥٦. كما أخرجه المتّقي الهندي عن طريق نعيم عن أبي هريرة في: كنز العمال، ١١/٢١٩.

(٢) الفتن، ص٧٢. قال محقّق الكتاب: إسناده ضعيف، وفيه مجهول. كما أورده المتّقي الهندي بنصّه عن طريق نعيم في: كنز العمال، ١١/٢٧٥.

(٣) انظر: الفتن، ص١٣٣. قال محقّق الكتاب: إسناده ضعيف؛ لأن فيه عبيد الله بن الوليد؛ ضعيف.

(٤) نطحات: جمع نطحة، والنَّطح للكباش ونحوها، ويُقاس منها: تناطحت الرجال في الحرب. لسان العرب، ٢/٦٢١، مادة (نطح).

(٥) أخرجه نعيم بن حماد بزيادة في آخره: «ثم يخرج السفياني». انظر: الفتن، ص١٣٠. كما أخرجه البيهقي بلفظ: (بطحات). دلائل النبوة، ٦/٥١٣. وابن عساكر بلفظ: (نطحات). تاريخ دمشق، ٦/١٦١. وذكره ابن كثير بلفظ (بطحات) عن يعقوب بن سفيان، ولم يعلّق عليه. البداية، ١٠/٥٢. وذكره المقريزي على نحو ابن كثير بلفظ: (بطحات). انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/٢٩٥.

(٦) قال محقّق كتاب الفتن: ضعيف؛ لأن في سنده أبان بن الوليد، قال أبو حاتم: مجهول. انظر: الفتن، ص١٣٠.

٥- وعن معاوية رضي الله عنه أن مروان بن الحكم دخل عليه ليقضي له حاجته، وكان ابن عباس رضي الله عنه جالساً عنده، فقال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَمِ ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ دُوَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً، وَكِتَابَ اللَّهِ دَغَلاً. فَإِذَا بَلَغُوا سَبْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ كَانَ هَلاكُهُمْ أَسْرَعَ مِنْ لَوْكِ تَمْرَةٍ»؟ قال ابن عباس: اللَّهُمَّ نعم. ثم ردَّ مروان ابنه عبدالملك لمعاوية فكلَّمه فيها، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: «أَبُو الجَبَابِرَةِ الأَرْبَعَةِ»؟ قال: اللهم نعم[١]. وهذا الحديث كما يقول ابن كثير فيه غرابة ونكارة شديدة[٢].

٦- عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يَلِي وَلَدُ العَبَّاسِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَلِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ يَوْمَيْنِ، وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ شَهْرَيْنِ». وهو باطل[٣].

٧- أخرج ابن عساكر بسنده عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تَزَالُ الخِلافَةُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ يَتَلَقَّفُونَهَا تَلَقُّفَ الغِلْمَانِ لِلْكُرَةِ، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُمْ فَلا خَيْرَ فِي عَيْشٍ»[٤].

(١) أخرجه نعيم بن حماد في: الفتن، ص٨٢. قال محقِّق الكتاب: ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة ورشدين، وكلاهما ضعيف. كما أخرجه البيهقي وقال: والله تعالى أعلم. الدلائل، ٦/ ٥٠٧، ٥٠٨. وذكره ابن كثير وقال: فيه غرابة ونكارة شديدة، وابن لهيعة ضعيف. انظر: شمائل الرسول، ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥. البداية، ٦/ ٢٤٧، ٢٤٨. وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن. انظر: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٤٦. ذكره السيوطي عن البيهقي ولم يعلِّق عليه في: الخصائص الكبرى، ٢/ ٢٠٠.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية، ٦/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٣) ذكر العقيلي أنه موضوع. انظر: المسند الضعيف، ٤١٧. كما ذكر الذهبي الحديث عند ترجمته لعبد العزيز بن بكار، وقال: حديثه غير محفوظ، ومشَّاه بعضهم. انظر: ميزان الاعتدال، ٢/ ٦٢٤. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٥)؛ لأن فيه عبد العزيز بن بكار، قال عنه ابن معين: ليس بشيء. كما ذكره السيوطي ناقلاً كلام ابن الجوزي والذهبي وعلّق عليهما. انظر: اللآلئ المصنوعة، ١/ ٤٣٥. كما ذكر الحديث ابن عراق ضمن الأحاديث الموضوعة. انظر: ابن عراق الكناني، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١١.

(٤) تاريخ دمشق، ٥٧/ ٣٣١.

كما أورده ابن كثير بنصِّه قائلاً: «هكذا أورده ابن عساكر، وهو منكر جداً»(١).

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الخِلافَةُ بِالمَدِينَةِ، وَالمُلْكُ بِالشَّامِ»(٢). وهو ضعيف(٣).

٩- أخرج الجوزقانيّ بسنده عن عمر بن عبد الله الثقفي، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مَنَابِرِ الأَرْضِ، وَسَيَمْلِكُونَكُمْ، فَتَجِدُونَهُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، لا يُنَاوِئُهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ نَطَحُوهُ، فَانْتَظِرُوا بِهِمْ تَخْتَلف أَسْيَافُهُمْ -وفي لفظ آخر: سيفَاهُمْ- فَإِذَا اخْتَلَفَ سيفَاهُمْ فَلا يَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهَا، لا يَرْتُقُونَ فَتْقاً إِلاَّ فَتَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ مِنْهُ حَتَّى يُخرِجَ مَهْدِيًّا». وهو باطل(٤).

١٠- ذكر الذهبيّ بسنده مرفوعاً: «السَّبْتُ لَنَا، وَالأَحَدُ لِشِيعَتِنَا، وَالاثْنَيْنُ لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَالثُّلاثَاءُ لِشِيعَتِهِمْ، وَالأَرْبِعَاءُ لِبَنِي العَبَّاسِ، وَالخَمِيسُ لِشِيعَتِهِمْ، وَالجُمْعَةُ لِلنَّاسِ جَمِيعاً». موضوع(٥).

كما تُوجد عدة آثار عن الصحابة والتابعين تتعلَّق بملك بني أمية وسقوطهم، لكنها ضعيفة جداً، ونستشهد بها هنا لبيان مدى انتشارها في مصادر الحديث والتفسير والتاريخ.

---

(١) البداية، ١٠/ ٤٩.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في: الفتن، ص٦٥، ٦٦. كما أخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح. قال الذهبي في تعقيبه على الحديث: فيه سليمان وأبوه؛ مجهولان. مستدرك الحاكم، ٤/ ١٨. كما أخرجه البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٤٧. كما أخرجه ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/ ١١٧٥.

(٣) قال ابن الجوزي: لا يصحّ. انظر: العلل المتناهية، ٢/ ٢٨٠. وضعفه الذهبي لأن فيه مجهولين. انظر تعقيبه على الحاكم في: المستدرك، ٤/ ١٨. وقال ابن كثير: غريب جداً. انظر: البداية، ٨/ ٢١. كما ضعّفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة، ٣/ ٣٣٧.

(٤) انظر: الأباطيل والمناكير، ١/ ٤١٣، ٤١٤. قال المؤلِّف: حديث باطل تفرّد به عمر بن عبد الله ابن يعلى الثقفي، وهو منكر الحديث.

(٥) ذكر الذهبي هذا الحديث ضمن سيرة الإمام السيد عليّ الرضى، فبيّن أن هذا الحديث وضعته الرافضة على لسانه وهو منه بريء. انظر: سِيَر أعلام النبلاء، ٩/ ٣٩٢.

أورد البيهقي في (الدلائل) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «أما علمتَ أنّا كنّا نقرأ: «وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوَّله»؟! قال: فقال عبد الرحمن: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كان بنو أمية الأمراء، وبنو المغيرة الوزراء»[١]. وفي رواية عند ابن عساكر أن عمر بن الخطاب قال لعبد الرحمن بن عوف: «ألم تكن فيما يُقرأ: «قاتلوا في الله آخر مرة كما قاتلتم فيه أوّل مرة»؟! فسأله: متى ذلك؟ فقال: «إذا كانت بنو أمية الأمراء، وبنو مخزوم الوزراء»[٢]. وقد أوردها ابن كثيرعن البيهقي دون أي تعليق على صحتها[٣]. وهذه الرواية فيها ضعف؛ لأن الروايتين مختلفتان؛ فالبيهقي أورد آية تختلف عن الآية الواردة في رواية ابن عساكر، كما أن المعنيين في رواية البيهقي هم بنو المغيرة وفي رواية ابن عساكر بنو مخزوم، كما أن في الرواية تعميماً ظالماً؛ فالأمراء من بني أمية فيهم من الصحابة الفضلاء كعثمان ومعاوية، وفيهم من التابعين مثل عمر بن عبد العزيز.

كما أورد الزبير بن بكار بسنده عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً: يا مغيرة، هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت؟ قلت: لا، قال: أما والله لَيُعْوِرَنَّ[٤] بنو أمية الإسلام كما أُعورت عينك هذه، ثم ليُعمينَّهُ حتى لا يدري أين يذهب وإلى أين يجيء. قلت: ثم ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم يبعث الله بعد مائة وأربعين أو بعد مائة وثلاثين وفداً كوفد الملوك طيِّبة ريحهم، يعيدون إلى الإسلام بصره وشتاته. قلت: مَن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: حجازيّ وعراقيّ، وقليلاً ما دام[٥]. وعلى رغم غرابة هذا القول ونكارته إلا أن السيوطي

(١) أوردها البيهقي بسنده عن ابن أبي مليكة في: دلائل النبوة، ٦/ ٤٢٢.

(٢) أوردها ابن عساكر عن ابن أبي مليكة في: تاريخ دمشق، ٧/ ٢٦٦.

(٣) شمائل الرسول، ٢/ ١٩٩.

(٤) من عَوَّرت الرَّكيَّة: طَمَمْتها وسَدَدْت أعينها التي ينبع منها الماء. والعَوَر يُستخدم للذمّ. ابن الأثير، النهاية، ٣/ ٢٨٨، ٢٨٩، مادة (عور).

(٥) الموفقيات، ص٦٢٠.

ينقله دون تعليق منه[1]. فهذا الخبر الذي قيل على لسان عمر رضي الله عنه يحمل من التناقضات ما يدلّ على بطلانه؛ فاستهزاء عمر بالمغيرة رضي الله عنهما ووصفه بالأعور أمرٌ مستبعَدٌ ولا يليق بمقام عمر، كما أن فيه تناقضاً مع قول الرسول ﷺ: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي»[2]، كما أن فيه مناقضةً لواقع الأمويين آنذاك؛ لأن أيّامهم بعامة تعدُّ مصدر عزة وقوة لكل المسلمين، حيث الفتوحات في الشرق والغرب وراية الإسلام مصونة، فكيف يصفهم بأنهم أعْوَرُوا الإسلام؛ أي طمسوا معالمه؟! كما أن هذا الخبر مخالِف للواقع الذي عاشه العباسيون؛ إذ ضعف الإسلام في عهدهم، ما عدا مدة زمنية محدودة، وهي مدة الخلفاء الأوائل.

كما أخرج نعيم بن حماد عدّة آثار ضمن فصل (العلامات في انقطاع مُلك بني أمية)، منها أن علياً رضي الله عنه قال عن بني أمية: «لا يزال هذا الأمر في بني أمية ما لم يختلفوا»[3]. كما أخرج بسنده عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «إذا قُتل خليفةٌ بالشام لم يزَلْ فيها دم مسفوك حراماً وإمام لا تحلّ حرمته حتى يأتي أمر الله». وفي رواية عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إذا قُتل الخليفة الشابّ من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً لم تزل طاعة مستخفٌ بها، ودم مسفوك على وجه الأرض بغير حق؛ يعني الوليد بن يزيد». كما أخرج بسنده أن علياً رضي الله عنه قال عن بني أمية: «والله لا يملكون سنةً إلا ملكنا سنتين، ولا يملكون سنتين إلا ملكنا أربعاً»[4]. وقد ذكر ابن كثير تلك الآثار عن نعيم على وجه النكارة، وقال: «ومثل هذه

---

(1) ذكره السيوطي عن الزبير بن بكار ولم يعلّق عليه في: الخصائص الكبرى، ٢/٢٠٤.

(2) ورد الحديث بعدة الفاظ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، ولفظ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي». ابن حجر، فتح الباري، ٧/٥.

(3) كما أورده نعيم بلفظ آخر عن ابن عباس: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ مَا لَمْ يَخْتَلِفْ بَيْنَهُمْ رُمْحَانِ، فَإِذَا اخْتَلَفَ بَيْنَهُمْ رُمْحَانِ خَرَجَتْ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». قال محقّق الكتاب: إسناده فيه مجاهيل. انظر: الفتن، ص١٢٤. كما أخرجه المتقي الهندي عن طريق نعيم بن حماد. انظر: كنز العمال، ١٤/٨٧.

(4) انظر: الفتن، ص١٢٤-١٢٦.

الأشياء إنما تُقال عن توقيف»[١]؛ أي أن هذه الأقوال الغيبية لا يمكن أن نصدّقها ما لم يأتِ فيها دليل صحيح.

كما أخرج نعيم بسنده أن «مُلك بني أمية مائة عام، لبني مروان من ذلك نيِّف وستون عاماً، لا يذهب ملكهم حتى ينزعوه بأيديهم... ويقتل حمار الجزيرة[٢] ـ مروان بن محمد ـ ثم ينقطع ملكهم»[٣].

والحقيقة أن النبوءات[٤] الواردة في سقوط بني أمية التي قيلت على لسان الصحابة والتابعين كثيرة جداً، وأغلبها أقوال مُرسَلة أو منقطعة أو ضعيفة[٥]، وقد ألمحت الدراسة إلى بعضها دلالةً واستشهاداً فقط؛ فالهدف الرئيس هو ما ورد من أحاديث.

كما أوردت المصادر عدة أحاديث موضوعة في فضائل الشام كانت تحمل أغراضاً عصبية وسياسية تُجيَّر لصالح الأمويين؛ مثل ما ذُكر من أن الشيطان أتى العراق فباض فيهم، ثم أتى مصر فبسط عبقريته وجلس، ثم أتى الشام فطردوه.

(١) شمائل الرسول، ٢/ ٢٧٠. البداية، ٦/ ٢٥٠.

(٢) أطلقت العديد من المصادر لفظ حمار الجزيرة على مروان بن محمد، وقد عُرف في التاريخ بمروان الحمار أو حمار الجزيرة. ويُقصد بالجزيرة الجزيرة الفراتية شمال العراق حيث كان أميراً عليها في أواخر حكم بني أمية. انظر: الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٧/ ٤٤٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٧٤. ابن كثير، البداية، ١٠/ ٤٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٥.

(٣) انظر: الفتن، ص١٢٥. للاستزادة عن العلامات في انقطاع مُلك بني أمية انظر: الفتن، ص١٢٤-١٤٠.

(٤) النَّبأ: الخبر، ونَبَأَ ونَبَّأَ وأَنْبَأَ؛ أي أخبر، ومنه النبيّ لأنه أنبأ عن الله. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٦٨، مادة (نبأ). والنبوءات: هي نوع من الإخبار الغيبي عن أحداث مُحتمَل وقوعها، فإذا حدثت تُعدُّ دلالة على صدق النبوءة، ولها تأثير كبير في العوام وقليلي الثقافة. انظر: محمد حجاب، الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثاً، ط١، (القاهرة: دار الفجر، ١٩٩٨م)، ص٢٩٥.

(٥) أخرج نعيم عدة أقوال ضمن بابي: آخر من ملك بني أمية، وعلامات انقطاع ملكهم. انظر: الفتن، ص٨٢-٨٧، ١٢٤-١٢٨.

وفي روايةٍ أنه أتى الشام فاتَّكأ على جبل بها يُسمَّى جبل الأنبياء(١). والهدف من ذلك معلوم لا يخفى على البصير.

وعلى كل حال فللشام فضائل صحيحة لا تُنكر مذكورة في الصحاح والسنن(٢).

وبذلك يمكن القول: إن ما ورد من أحاديث تخبر بمُلك الأمويين مدة زمنية معينة، أو فيها تحديد وصولهم إلى الحكم وطغيانهم بعد ثلاثين أو أربعين رجلاً يتولَّوْن الخلافة، أو أن زوال ملكهم يكون في سنة معينة ووقت محدّد، أو أن مدة حكم العباسيين تعدل ضعف الأمويين؛ فهي أحاديث ضعيفة واهية لا تسندها المقاييس العلمية في الحديث، ولا يسندها واقع بني أمية آنذاك؛ فقد كان عدد خلفاء بني أمية إلى سقوط ملكهم في المشرق سنة ١٣٢هـ لا يتجاوز أربعة عشر خليفة، ولو جمعنا هذا العدد مع عدد خلفائهم في الأندلس من عام ١٣٨هـ إلى ٤٢٢هـ(٣) لم يصل إلى الثلاثين رجلاً، فكيف بالأربعين؟! فأين نضع أحاديث الثلاثين أو الأربعين رجلاً التي حدّدت وقت جبروتهم وظلمهم الناس أمام الواقع التاريخي؟! ثم هل تشمل هذه الأحاديث حكّام بني أمية في الأندلس؟!

(١) انظر: السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/ ٤٦٣، ٤٦٤. ابن عراق، تنزيه الشريعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/ ٥٠، ٥١. وقد ذكر السيوطي وابن عراق عدة أحاديث في فضائل الشام نقلاً عن ابن عساكر ووصفاها بالوضع.

(٢) أشار الشيخ الألباني إلى أن أحاديث فضائل الشام إما مرفوعة وفيها الصحيح والضعيف والموضوع، وإما موقوفة على بعض الصحابة وغيرهم من التابعين وفيها أسانيد عديدة لا تصحّ، وإما إسرائيليات وأكثرها يدور على كعب الأحبار وكل الأسانيد إليه لا تصحّ. انظر: مقدمة الألباني، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ومعه مناقب الشام وأهله لابن تيمية، ط٤، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، ص٩، ١٠.

(٣) للاستزادة عن تاريخ الأمويين في الأندلس وعدد حكامهم انظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، د. ط، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م).

إلا أن هناك أحاديث عامة صحيحة ذمّت بعض المدد الزمنية التي حكم فيها بعض الخلفاء الأمويين فيها تلميح إلى بعضهم، كما أن بعض الأحاديث تحدّثت عن ضعف الخلافة وعن ظلم الحكّام عامة بعد وفاة النبي ﷺ ولم تخصّص بني أمية[١]، فهناك أحاديث صحيحة تبيّن انحراف الحكم وتحوّله إلى نظام ملكي؛ مثل حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى[٢] الإسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ»[٣]. ومعنى الحديث أن الدين يتناقص وتنحلّ أركانه عروة عروة؛ أي عقدة عقدة، فكلما انتقضت عروة تمسّك الناس بالتي تليها، وأوّل ذلك النقض يكون في الحكم؛ أي القضاء[٤]. ويرى بعض العلماء أن في الحديث دلالةً على أن أوّل ما يظهر من نقض عرى الإسلام يكون من جهة الأمراء؛ أي فساد

---

(١) أخرج البخاري في كتاب الفتن عدة أحاديث أخبر بها النبي ﷺ أصحابه يحذّرهم من فتن قائمة بعد وفاته؛ مثل ظلم الحكام وفسادهم وضياع حقوق الناس، فأوصى صحابته بالسمع والطاعة وعدم مفارقة الجماعة. انظر: فتح الباري، ١٣/٧-١١.

(٢) العُرَى: بالضمّ؛ جمع عُرْوَة. ابن الأثير، النهاية، ٣/٢٠٥. والعُرْوَة: مقبض الدلو. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٦٨٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٤٨٥)، وإسناده جيد، ولبعضه شاهد من حديث فيروز الديلمي، ولفظه: «لَيُنْقَضَنَّ الإسْلامُ عُرْوَةً عُرْوَةً كَمَا يُنْقَضُ الحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً». انظر حديث فيروز في: مسند أحمد، ٢٩/٥٧٣، ٥٧٤. وقد علّق محقّقو المسند على تضعيف الذهبي الحديث بسبب وهمه في الراوي عبد العزيز. كما أخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/٢٥٢، ٢٥٣. كما أورده الحاكم وصحّحه، وعلّق عليه الذهبي بالضعف؛ لأن من رواة الحديث عبد العزيز وهو ضعيف. انظر: المستدرك، ٥/١٢٥. كما أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد، ٧/٢٨٤. كما صحّحه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ج٢، ص٩٠٥. كما صحّحه مصطفى العدوي. انظر: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ص٣٨١.

(٤) انظر شرح الحديث في: المناوي، فيض القدير، ٥/٢٦٣.

الحُكْم والحكّام[١]. والمعنيان يتقاربان.

وهناك حديث آخر يوضّح أن النقض الذي جاء في الحديث السابق يكون على يد رجلٍ من بني أمية، وهو حديث أبي العالية رضي الله عنه: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ ـ أَوْ يُغَيِّرُ ـ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»[٢]. والحديث بهذا اللفظ مُختلَف في ضعفه، وقد حسَّنه الشيخ الألباني وذكر أن فيه إشارةً إلى أن تغيير نظام الخلافة وجعله نظاماً وراثياً يكون على يد بني أمية[٣].

كما أخرج البخاري في كتاب الفتن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ الصادق المصدوق يقول: «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ ـ وفي روايةٍ: أُغَيْلِمَةٍ ـ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقال مروان الذي كان موجوداً بالمسجد النبوي يستمع لأبي هريرة: «لعنة الله عليهم غلمة»، فقال أبو هريرة: «لو شئت أن أقول بني فلان بني فلان لفعلت». يقول الراوي (عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو القرشي الأموي): كنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء يكونوا منهم. قلنا: أنت أعلم. وهذا الحديث سبق شرحه في الفصل الأول، لكن الحاجة إليه هنا تطلَّبت تكراره[٤].

فالهلاك جاء مبيَّناً في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْنِي سَنَةَ السِّتِّينَ وَلا إِمَارَةَ الصِّبْيَانِ». قالوا: وما إمارة الصبيان؟ قال: «إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ هَلَكْتُمْ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ أَهْلَكُوكُمْ». وفي روايةٍ أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يمشي في السوق ويقول: «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْنِي سَنَةَ سِتِّينَ وَلا إِمَارَةَ الصِّبْيَانِ». وفي الحديث بيان أن أوّل الغلمة هي سنة الستين، وهي مدة تولّي يزيد بن معاوية الخلافة ومن بعده ابنه

(١) انظر: ابن بلبان، الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٨/٢٥٢.

(٢) الحديث بهذا اللفظ حسَّنه الألباني، وله عدة ألفاظ أوردناها في الفصل الأول. انظر تخريجه في الفصل الأول، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣) الألباني، السلسلة الصحيحة، ٤/٣٣٠.

(٤) انظر تخريج الحديث في الفصل الأول من الدراسة، ص ١٤٢.

معاوية، وهذا سيأتي بيانه عند الحديث عن يزيد. والأُغَيْلِمَةُ تُطلق على ضعيف العقل والتدبير والدِّين[١].

كما أن حديث «تَعَوَّذُوا مِنْ سَنَةِ السِّتِّينَ» يُخصِّص حديث أبي هريرة رضي الله عنه «يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ»[٢]. والمراد من الحديث بعض قريش، وهم الأحداث منهم لا كلّهم، وأن هذا الهلاك يكون بسبب طلب الحُكْم والقتال عليه[٣].

ويعضد حديث (سنة الستين) أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ خَلْفٌ[٤] مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً؛ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا»[٥]. قال ابن كثير: إسناده جيّد قويّ على شرط السنن[٦].

كما أورد ابن كثير ضمن ترجمة الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه (ت

---

(١) راجع شرح الحديث وتعليق العلماء عليه في الفصل الأول، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في باب علامات النبوة ضمن كتاب المناقب، وأشار ابن حجر إلى شرحه ضمن كتاب الفتن. انظر: فتح الباري، ٦/ ٧٠٨.

(٣) انظر: فتح الباري، ١٣/ ١٢.

(٤) الخَلْفُ: ضدُّ قُدَّام، والخَلْف: القرن بعد القرن، يُقال: هؤلاء خَلَف سُوءٍ، لناس لاحقين بناس أكثر منهم. الرازي، مختار الصحاح، ص٧٨، مادة (خلف). قال ابن الأثير: والخَلف بالتحريك والسكون: كلُّ مَن يجيء بعد مَن مضى، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشرّ، فيُقال: خَلَف صِدْقٍ، وخَلْف سُوءٍ، ومعناهما جميعاً القرن من الناس. انظر: النهاية، ص٦٢، مادة (خلف).

(٥) مسند أحمد، ١٧/ ٤٤٠. قال محقّقو المسند: إسناده حسن. كما أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٢٦)، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه. قال المحقّق: وهو حسن. كما أخرجه الطبراني في الأوسط، ٩/ ١٣١. كما أخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ٢/ ٦٧. كما أخرجه البيهقي، وقال: وقد رُوي عن عليّ وأبي هريرة ما يؤكّد هذا التاريخ. انظر: دلائل النبوة، ٦/ ٤٦٥، ٤٦٦. و(الغَيّ): الضلال والخيبة. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٠٣، مادة (غوى).

(٦) انظر: شمائل الرسول، ٢/ ٢٣٢. البداية ٦/ ٢٣٣.

٩٣هـ) رواية عن الزهري قال: دخلتُ على أنس بن مالك وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: «لا أعرف مما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة، وقد صنعتم فيها ما صنعتم». وفي رواية: «وهذه الصلاة قد ضُيِّعَتْ»؛ يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسّع، وكانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته(١).

فهذه الأحاديث العامة التي ألمحت إلى ذمّ بعض أزمان بني أمية أو بعض حكّامهم تظهر في مقابلها أحاديث عامة فيها مدح لبعض الأزمان التي كان من ضمنها حكم بني أمية أو أشخاص منهم؛ كعمر بن عبد العزيز مثلاً، ومنها حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي(٢)، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٣). رواه البخاري. والمقصود في هذا الحديث الصحابة، ثم التابعون، ثم تابعو التابعين(٤). لكن السؤال المطروح هو: هل الأفضلية هنا هي للمجموع أم للأفراد؟ فيرى بعض العلماء؛ مثل ابن عبد البر، أن الأفضلية للمجموع. لكن هذا الرأي مرجوح؛ فقد رجّح ابن حجر أن الأفضلية للأفراد، وهو قول الجمهور(٥).

كما أن هناك أحاديث نبوية فيها مدح للشام وأهله بفضائل عديدة وردت في أحاديث صحيحة تدلّ بوضوح على مكانتهم؛ فقد دعا لهم رسول الله ﷺ، وبيّن

(١) ابن كثير، البداية، ٩/ ٩٤. وقد ذكر السيوطي أن أمراء بني أمية كانوا معروفين بتأخير الصلاة إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز. انظر: الخصائص الكبرى، ٢/ ٢٤٢.

(٢) القَرْن: مأخوذ من الاقتران، وهم أهل كل زمان. ومدة القرن أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة عام، وهو المشهور. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٤/ ٤٥. ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ٥.

(٤) ابن الأثير، النهاية، ٤/ ٤٥. ابن تيمية، منهاج السنة، ٨/ ٣٨٤. ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ٨.

(٥) ناقش ابن حجر أقوال العلماء في معنى أفضلية هذا القرن، وذكر قول الجمهور بأن الأفضلية للأفراد، كما أن التفاوت في الأفضلية حسب النصرة لهذا الدين. انظر: فتح الباري، ٧/ ٨، ٩.

أن أرض الشام أرض إيمان وأمان للمسلمين، وفيها الخير والبركة، وأنهم أهل الغَرْب(١).

والواقع التاريخي يشهد لبلاد الشام، وبخاصة خلال القرنين الأوَّلين، مقارنةً بغيرها من أقاليم الشرق؛ كالعراق وفارس وغيرهما التي انتشرت فيها الفتن والثورات(٢).

والسؤال الذي يستوجب طرحه: إذا كانت الأحاديث الواردة في إخبار النبي ﷺ بظلم خلفاء بني أمية وأخذهم أموال الناس بالباطل وغير ذلك مما أوردناه عنهم صحيحة ألا يتطلَّب ذلك من العلماء تبيينه للناس وإنكاره؟! فما مواقف العلماء المعاصرين آنذاك من خلفاء بني أمية وشرعية حُكْمهم؟

وللإجابة عن هذا السؤال نذكر ما توصّلت إليه الدراسات التي اهتمّت بمواقف العلماء من خلفاء بني أمية من نتائج وفوائد.

ففي كتاب (الفقهاء والخلافة في العصر الأموي) لمؤلِّفه حسين عطوان أورد المؤلِّف عدة فوائد وخلاصات، مفادها أن الفقهاء والعلماء أقرُّوا بخلافة بني أمية وبايعوهم في جميع الأمصار، بما في ذلك فقهاء الصحابة وكبار علماء التابعين؛ أمثال: عبد الله بن عباس، ومحمد ابن الحنفية، وعبد الله بن عمر، ومن التابعين: عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، والحسن البصري(٣). كما ذكر المؤلف أن الفقهاء كانوا يحثُّون الناس في وقت الفتن وأثناء الثورات على لزوم طاعة بني أمية وعدم

---

(١) تُوجد أحاديث في البخاري تفيد أن أهل الشام هم الطائفة المنصورة. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٣٠٦-٣٠٨. للاستزادة عما صحّ في فضائل الشام انظر تخريج أحاديث فضائل الشام ومناقب الشام، الألباني، فضائل الشام، ص١٢-٦٣.

(٢) أشار رسول الله ﷺ في عدة أحاديث إلى أن المشرق به قرنا الشيطان، ومنه تخرج الفتن. انظر كتاب الفتن في البخاري، باب قول النبي ﷺ: «الفِتْنَةُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ»، وذكر ابن حجر أقوال العلماء في المقصود بالمشرق. انظر: فتح الباري، ١٣/٤٩-٥١.

(٣) انظر: حسين عطوان، الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص١٢، ١٣.

الانضمام إلى الثائرين، وذكر لذلك شواهد عديدة[١]. كما أن الفقهاء يدركون أن لبعض خلفاء بني أمية ظلماً وجوراً، لكنهم أوصوا الناس بالصبر عليهم والسمع والطاعة لهم، مستندين في ذلك إلى أدلَّةٍ من الكتاب والسُّنَّة[٢]. ثم ذكر المؤلف نماذج من الفقهاء الذين عملوا مع بني أمية وكانوا أصلح للراعي والرعية؛ كالإمام الزهري، والأوزاعي، والشعبي، وقَبِيصَة بن ذُؤَيْب، ورَوْح بن زِنْبَاع الجذاميّ، ورجاء بن حَيْوة، وغيرهم من القضاة الصالحين والولاة من الصحابة والتابعين[٣]. كما لم يغفل المؤلف دور العلماء في بيان الأخطاء التي وقع فيها بنو أمية، فأخذوا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فندَّدوا باستبداد بعضهم وناصحوا ونصحوا[٤].

وفي دراسة أخرى عن مواقف الفقهاء والخلفاء من السلطة السياسية في العهدين الأموي والعباسي لسلطان حثلين ذكر المؤلِّف أن الفقهاء في علاقتهم مع الحكام كانوا على فئتين: فئة ترى أن حكم بني أمية كان جائراً وغير شرعي؛ لذا ترى الخروج عليهم، ومن هؤلاء: الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وبعض الفقهاء ممن شاركوا في ثورة ابن الأشعث، ومنهم سعيد بن جبير. والفئة الثانية ترى عدم الخروج على حكام بني أمية، بل تستنكره، وترى عدم تقلُّد أي مناصب في الدولة الأموية كنوع من العصيان المدني، ومن هؤلاء: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره[٥].

---

(١) ذكر المؤلِّف عدة شواهد، منها مواقف الصحابة من حركة الحسين ووقعة الحرَّة وثورة ابن الأشعث وثورة يزيد بن المهلب. للاستزادة عن ذلك انظر: الفقهاء والخلافة، ص١٤–٣٤.

(٢) للاستزادة عن ذلك انظر: الفقهاء والخلافة، ص٣٦–٤٠.

(٣) للاستزادة عن ذلك انظر: الفقهاء والخلافة، ص٤١–٥١.

(٤) ذكر المؤلِّف مواقف سعيد بن المسيب من نظام ولاية العهد، وموقف الصحابة من مقتل حجر بن عدي والحسين، وذمّ الحسن البصري لهم في بعض خطبه، وغير ذلك مما هو معروف في المصادر التي تكلّمت عن الثورات. انظر: الفقهاء والخلافة، ص٥٢–٦٤.

(٥) انظر: سلطان بن حثلين، الفقهاء والخلفاء (مواقف الفقهاء من السلطة السياسية في العهدين الأموي والعباسي الأول ٦٠–٢٤٥هـ)، ط١، (عمان: دار عمار، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٤، ١٥.

والحقيقة أن الباحث أغفل فئةً من الفقهاء كانت الأكثر انتشاراً، وهي التي شاركت في مناصب الدولة الإدارية والسياسية، سواء كانوا ولاة أو قضاة أو مجاهدين أو مستشارين.

ومن الدراسات التي أعطت أهمية لمواقف العلماء من بني أمية رسالة دكتوراه مطبوعة بعنوان (أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية)[1]، وقد ذكر فيها الباحث مواقف العلماء من الدولة الأموية بالتفصيل، نوجزها في النقاط التالية:

* كان العلماء عامة على علاقة قوية بالخلفاء من حيث المشاركة في إدارة شؤون الدولة من منطلق التعاون على البر والتقوى وأداء النصيحة والسعي في مصلحة المسلمين.

* هناك صنف من العلماء اعتزل المشاركة في مناصب الدولة، لكنّ ذلك لم يمنعه من إبداء النصح للخليفة والولاة.

* هناك صنف من العلماء كانت علاقته محكومة بنوع من التوتُّر مع الخلفاء، وهم قلة، لكنه هو الذي شاع في كثير من الكتابات التاريخية، وكأن هذا الصنف من العلماء هو السائد في علاقة العلماء بالحكام، وهو ما انتشر في المصادر التاريخية[2].

ثم أوضح الباحث أبرز الأسباب وراء شيوع هذا النوع المغلوط من العلاقة، منها أن الكتابات الشيعية أدَّت دوراً كبيراً في تضخيم هذه الروايات ليبدو للمطَّلِع أن تاريخ بني أمية مجرَّد ثورات عليهم؛ ليوحي ذلك إلى عدم رضى جمهور المسلمين

---

(١) أصل الكتاب أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي مقدَّمة إلى كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢١هـ للطالب عبد الله بن زيد الخرعان.

(٢) عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ)، ص٦١١-٦١٦.

عن الحكم الأموي[١].

لكن الباحث بيَّن أن جمهور العلماء والفقهاء كانوا يؤيّدون حكم بني أمية، وأنهم لم ينزعوا بيعةً، كما أنهم لم يحثُّوا على عصيان أو خروج، وكانت لهم مشاركات في القضاء على هذه الثورات، وبخاصة الخوارج، وكان إنكارهم على الخلفاء والولاة بأساليب النصح وإنكار الجَوْر وحثّ الناس على الصبر ونهيهم عن حمل السيف، ويُستثنى من ذلك مَن كان يرى حمل السيف[٢].

وقضية الخلاف بين العلماء والحكَّام لم يتركها الدارسون دون بيان لأسبابها؛ فقد بيَّنوا أن هذا الخلاف هو نتاج لما حدث من تغيُّرات في نظام الحكم من الشورى في العهد الراشدي إلى الحكم الوراثي الملكي في عهد بني أمية[٣]، كما أن ما حدث من بعض الولاة؛ كعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف، من تعسُّف وظلم واضح كان له الأثر في ظهور الخلاف بين العلماء والحكام، إضافةً إلى ما طرأ على حياة الخلفاء من بذخ وامتلاك للأموال بغير حقّ؛ فكل ذلك أسهم في زيادة الخلاف[٤].

كما أرجع الباحثون تباين اختلاف العلماء في مواقفهم من بني أمية إلى اختلافهم في تقدير المصالح وعواقب الأمور[٥]، كما أن الاختلاف في الأولويات والمفاهيم واختلاف الزمان والمكان والتغيرات السياسية والاجتماعية جعل الاختلاف في الرؤى والمواقف أمراً حتمياً[٦].

---

(١) انظر: عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص٣٥١، ٣٥٢. وقد قام المؤلِّف بحَصْر روايات الشيعة في تاريخ الطبري ليبيِّن مدى انتشارها في الكتابات التاريخية.

(٢) انظر: عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص٦١٦، ٦١٧.

(٣) انظر: سلطان حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص٩. عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص٣٦٠.

(٤) انظر: سلطان بن حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص١٥. عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص٣٦٠، ٣٦١.

(٥) انظر: عبد الله الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص٣٦١.

(٦) انظر: سلطان حثلين، الفقهاء والخلفاء، خاتمة الكتاب.

وخلاصة ما ذكرناه من مواقف العلماء المعاصرين للحكم الأموي أنهم لم يكونوا رافضين الحكم الأموي ولم يذكروا هذه الأحاديث التي ذمّت بني أمية، ولو كان هناك ما يفيد بلعنهم أو البراءة منهم أو ذمّهم لحَرصوا على بيانه ونشره. كما أن الثورات والحركات التي قامت ضد بني أمية لم تستند في ثوراتها إلى أحاديث فيها لعن لبني أمية.

وبعد أن ذكرنا الأحاديث الواردة في ملك بني أمية؛ الخفيَّة والجليَّة، الصحيحة والضعيفة، التي أوردتها مصادر الحديث ننتقل إلى بيان مدى تأثُّر المصادر التاريخية بها وموقفها من هذه الأحاديث.

ثالثاً: موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في ملك بني أمية

بعد أن ذكرت الدراسة الأحاديث النبوية الواردة في ملك بني أمية جاء دور بيان تأثُّر المصادر التاريخية بها، وذلك من خلال ذكرها أو الاستشهاد بها ضمن أحداث تاريخية حدثت في عهد بني أمية أو غيرها مما يناسب الموضوع. ومن هذه الأحداث:

أ- تنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة وصلحه مع معاوية:

ذكر المؤرّخون[1] حادثة تنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم عام ٤١هـ، وسمُّوا هذا العام عام الجماعة؛ لاجتماع كلمة المسلمين فيه على خليفة.

لكن هذه الحادثة تناولتها مصادر التاريخ بعناوين مختلفة، المهم منها ما يتعلّق بما جاء من أحاديث في ملك بني أمية؛ فقد ذكر البيهقي باب: «ما جاء في رؤياه في ملك بني أمية»[2]، كما ذكر ابن كثير عدّة عناوين ساق تحتها حادثة تنازل

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/٩، ٢٤٩. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥١٠. ابن الأثير، الكامل، ٣/٢٠٤. ابن كثير، البداية، ٦/٢٢٥، ١٠/٥٠. ابن خلدون، تاريخ العبر، ٢/٥٢٧-٥٢٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩، ١٦٩.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥٠٩.

الحسن عن الخلافة؛ مثل: «ذكر الأخبار عن خلفاء بني أمية جملةً جملةً»[1]، وعنْونَ السيوطي لهذه الحادثة بـ: «فصل في الأحاديث المُنْذِرة بخلافة بني أمية»[2].

والحقيقة أن تنازل الحسن رضي الله عنه جاء مصداقاً لحديث النبي ﷺ في البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[3] (فئة عليّ وفئة معاوية رضي الله عنهما).

وكل ما يتعلّق بتنازل الحسن لمعاوية وما ورد في شروطه وكيفيته من روايات عديدة[4] المهم فيه ما قيل من أن الحسن رضي الله عنه ألقى خطبةً عند تنازله عن الخلافة لبني أمية ذكر فيها أحاديث تذمّهم وتلعنهم وتبيِّن أن النبي ﷺ كان مستاءً منهم؛ فقد أوردت المصادر التاريخية ما أورده الترمذي وغيره من أن رجلاً قام إلى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية فقال: يا مسوِّد وجوه المؤمنين، فقال له الحسن: لا تؤنِّبْني رحمك الله؛ فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ونزلت: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم (راوي الحديث): فعددنا فإذا هي كما قال لا تزيد يوماً ولا تنقص[5].

وقد نقلت العديد من المصادر التاريخية[6] ما أورده الترمذي وغيره من

---

(1) ابن كثير، البداية، ٦/٢٤٨.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨.

(3) ذكره ابن حجر بعدة ألفاظ في كتاب الفتن. انظر: فتح الباري، ١٣/٦٦، ٦٧. وورد الحديث في مسند أبي داود الطيالسي. انظر: الساعاتي، منحة المعبود، ٢/١٩٢، ١٩٣. محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٢/٢٧٣.

(4) انظر شرح ابن كثير وتعليقه في: البداية، ٨/١٨-٢٠. ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٦٧-٧٣.

(5) سبق تخريج الحديث والإشارة إلى أقوال العلماء في ضعفه ونكارته في المبحث الثاني من الفصل الأول، ص ١٢٥، ١٢٦، ١٣٧.

(6) الكامل، ٣/٢٠٤. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/١٨٤. وذكر النويري أن الحديث الوارد في ذلك خرَّجه أهل الصحة. انظر: نهاية الأرب، ٢٠/٢٨٩. القلقشندي، مآثر الإنافة، ١/١٦٧. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٧٤.

المفسِّرين على رغم أنه منكر[١]. وقد سبق بيان مدى تأثُّر المصادر التاريخية بهذه الأحاديث من حيث قبولُها أو ردُّها[٢]. وفي هذا المبحث سنتناوله من زاوية المُلْك؛ لتوضيح تأثُّر المصادر التاريخية به، ويظهر ذلك جلياً من خلال انشغال المصادر التاريخية بحسابات تتعلّق بالألف شهر التي قيل إنها مدّة حكم بني أمية؛ لكي توفِّق بين مدة بني أمية المقدَّرة من عند الله بألف شهر حسب تفسير سورة القدر وبين الواقع الحقيقي لمدّة حكمهم.

فقد أورد المسعودي تأويل مَن قال من المفسّرين: إن الألف شهر المذكورة في سورة القدر هي أيام بني أمية، وأخذ يذكر مدة كل خليفة حتى أوفى المدة بألف شهر لتوافق ما جاء في تفسير الآية، فذكر أن مدة حكم بني أمية هي (٩٣ سنة و٧ أشهر و١٣ يوماً)، ثم أنقص منها أيام الحسن بن عليّ، وهي (٥ أشهر و١٠ أيام)، ثم أنقص منها أيام عبد الله بن الزبير، وهي (٧ سنين و١٠ أشهر و٣ أيام)، فيصير الباقي (٨٣ سنة و٤ أشهر)، وبذلك تصبح ألف شهر سواء[٣].

لكن المسعودي يناقض نفسه بسبب انسياقه وراء هذه الحسابات؛ لأنه يقول: «والناس متباينون في تواريخ أيامهم»[٤]، كما أنه ذكر في كتابه (التنبيه والإشراف) مدة أيام بني أمية باختلاف عما سبق، وهي (٩١ سنة و٧ أشهر و٢٧ يوماً)[٥]، والفرق بين المُدَّتين نحو (٢٣ شهراً و١٤ يوماً).

كما ذكر ابن أعثم الكوفي حادثة تنازل الحسن عن الخلافة وقول الحسن حينها: إن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فاستاء من ذلك فانزل الله: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾، وهي أيام بني أمية[٦].

---

(١) راجع المبحث الثاني من الفصل الأول، ص ١٢٥، ١٢٦، ١٣٧.

(٢) راجع الفصل الأول، مبحث لعن بني أمية وذمّهم في المصادر التاريخية، ص ١٧٣-٢٠١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٤٩، ٢٥٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٤٩. التنبيه والإشراف، ص٣٠٠.

(٥) التنبيه والإشراف، ص٣٠٠.

(٦) الفتوح، ٢/٢٩٧.

أما المقدسي فذكر أن الحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية، ثم قام خطيباً بعد أن نقض معاوية ما اشترطه الحسن عليه فقال: «ألا وإنِّي قد اخترتُ العار على النار، ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر»[١]، تعبيراً عن أيام بني أمية.

كما أشار الدواداري إلى أن الألف شهر هي مدة أيام بني أمية تأويلاً لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، ثم قام بحساب مدّة حكمهم وخلص إلى أنها (٩١ سنة و٩ أشهر و٥ أيام)، وأخرج منها مدة ابن الزبير (٩ سنين و٢٢ يوماً) فتصبح مدتهم (٨٢ سنة وشهوراً)[٢].

وذكر المؤرخ أبو حامد القدسي (ت ٨٨٨هـ) أن مدة بني أمية خالصةً لهم ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، مجموعها ألف شهر سواء، ثم نقل كلام القرطبي في تفسيره أن النبي ﷺ أُري بني أمية رجلاً رجلاً، فساءه ذلك، فأنزل الله عز وجل سورة القدر، وفيها يعني مدّة أيام بني أمية[٣].

وهكذا فإن العديد من المصادر التاريخية انساقت وراء تفسير الألف شهر، وراحت تحسب الأيام والشهور للتوفيق بين ما ورد في ذلك ومدة بني أمية الواقعية في الحكم. والحقيقة أن المصادر لم تُوفَّق في هذه الحسابات؛ لأنها تتعارض مع المدة الصحيحة لحكم بني أمية، بل إن هناك مصادر غير تاريخية انساقت وراء ما قيل من أن الألف شهر هي أيام بني أمية[٤]، وفي ذلك إشارة قوية للتأثير والتأثُّر.

لكن بعض المؤرخين وقف من هذه الأقوال موقف الناقد البصير، ومن هؤلاء

(١) البدء والتاريخ، ٥/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) كنز الدرر وجامع الغرر (الدرَّة السميَّة في أخبار الدولة الأموية)، ٤/ ٤٤٦.

(٣) انظر: محبّ الدين محمد القدسي الشافعي، كتاب دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حِكَم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، تحقيق: صبحي لبيب وأولريش هارمان، ط١، (بيروت: الشركة المتحدة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٨.

(٤) ذكر الدميري (ت ٨٠٨هـ) أن مدة خلافة بني أمية نيِّف وثماني وثمانين سنة، وهي الألف شهر. وقد قيل للحسن: تركت الخلافة لمعاوية؟ فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. وهذه المدة التي ذكرها الدميري أكثر من ألف شهر. انظر: حياة الحيوان الكبرى، ١/ ١١٠.

الإمام الحافظ ابن كثير الذي قدّم عدّة أدلّة على نكارة ما قيل من أن الألف شهر هي أيام بني أمية بعد أن ساق أقوال العلماء في ذلك من خلال كتابيه (البداية والنهاية) و(تفسير القرآن العظيم)، وهي :

١- هذه الروايات في سندها اضطراب، وفي متنها نكارة.

٢- الحديث سِيقَ لذمٍّ دولة بني أمية، وتفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدلّ على ذمّ أيامهم؛ فليلة القدر شريفة عظيمة، وإنما جاءت السورة الكريمة لمدحها، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث؟! وهل هذا إلا كما قال القائل:

ألم تَرَ أن السيف ينقص قدره إذا قيل: إن السيف أمضى من العصا

٣- كيف يُحال إلى أن الألف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية ولا يدلُّ على ذلك لفظ الآية ولا معناها؟! ثم إن السورة مكية، ومنبر النبي ﷺ إنما صُنع في المدينة بعد مدّة من الهجرة.

٤- مجموع مدّة حُكْم بني أمية ٩٢ سنة، وذلك أزيد من ألف شهر؛ لأن الألف شهر هي (٨٣ سنة و٤ أشهر). حتى لو أسقطنا من مدة حكم بني أمية ولاية ابن الزبير، وهي ٩ سنين، لبقي لنا ٨٣ سنة، وهي ليست ألف شهر لا تزيد ولا تنقص كما قيل، وذلك مع أن ولاية بني أمية لم تُسلب بالكلية زمن ولاية ابن الزبير، بل كانت لهم يد في بعض بلاد الشام؛ مما لا يمكن معه إسقاط هذه المدة من حكمهم.

كما أن التسليم بأن ولاية بني أمية مذمومة معناه دخول مدة حكم عمر بن عبد العزيز ضمن هذا الذمّ، وهذا لا يقوله أحد من أئمة الإسلام؛ لأنهم يُصرِّحون بأن عمر أحد الخلفاء الراشدين، فإن أخرجت أيّامه من الألف شهر انخرم حسابهم، وإن أدخلتها في حسابهم فقد سلّمت بأن مدة حكمه مذمومة، وفي ذلك مخالفة لأقوال الأئمة[١].

---

(١) انظر: البداية، ٦/٢٤٩، ٢٥٠. تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٦٢-٥٦٥.

ثم إن هناك واقعاً تاريخياً يدلّ على نكارة هذه التأويلات، وهو أن بني أمية وإن سقطوا في المشرق فقد أقاموا لهم ملكاً في المغرب استمر إلى عام ٤٢٢هـ تقريباً، فلماذا لم تُضفْ مدة حكمهم في المغرب إلى مدة حكمهم في المشرق؟!

وأما ما دار بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما بمناسبة الصلح والتنازل عن الخلافة فقد أوردت المصادر التاريخية فيه عدة روايات فيها الضعيف والصحيح[١]. والرواية الأقرب إلى الصحة مفادها أنه بعد أن تمَّ الصلح بينهما التقيا في مكان يُقال له (النخيلة) قرب الكوفة، فطلب معاوية من الحسن أن يتكلم ويخبر الناس، فقام فخطب على المنبر ثم قال: أما بعد، فإن أكيس الكيس التُّقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرئ أحقّ به مني ففعلت ذلك، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]. ثم استغفر ونزل[٢].

بعد ذِكْر حادثة تنازل الحسن يتَّجه حديثنا إلى الأحاديث التي استشهدت بها المصادر التاريخية في مدة حكم بني أمية؛ كحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ لَيَمْلِكَنَّ بَنُو العَبَّاسِ ضِعْفَ مَا مَلَكَتْهُ بَنُو

---

(١) للاستزادة عن مرويات الصلح وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انظر: رسالة دكتوراه مطبوعة، جامعة أم القرى، خالد الغيث، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ط١، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٠٥-١٥٤.

(٢) انظر رواية الشعبي في: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٤٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٣/ ٢٧٣، ٢٧٤. أبا عبد الله القضاعي، تاريخ القضاعي (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف)، تحقيق: جميل المصري، د. ط، (مكة المكرمة: مركز البحوث وإحياء التراث بجامعة أم القرى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٣٢٠. النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٢٣٢. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٠٥، ٢٠٦. كما ذكر ابن حجر رواية الشعبي ورجَّحها. انظر: فتح الباري، ١٣/ ٦٨. كما أن بعض المصادر ذكرت روايات مقاربة لما ذُكر. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٢٨٨.

أُمَيَّةَ: بِاليَوْمِ يَوْمَيْنِ، وَبِالشَّهْرِ شَهْرَيْنِ، وَبِالسَّنَةِ سَنَتَيْنِ، وَبِالخَلِيفَةِ خَلِيفَتَيْنِ». وقد سبق بيان بطلانه. فقد ذكر المسعودي هذا الحديث ودخل في حسابات خاطئة من أجل إثبات صحته[١]؛ فحساباته لا تستند إلى الواقع التاريخي لبني العباس الذين كان حكمهم أكثر من خمسة قرون؛ فالمسعودي من وفيات عام ٣٤٦هـ، والدولة العباسية سقطت عام ٦٥٦هـ.

كما أورد السيوطي هذا الحديث الذي أورده المسعودي بروايتين: الرواية الأولى[٢] كما هي عند المسعودي، والرواية الثانية عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يَلِي وَلَدُ العَبَّاسِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَلِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ يَوْمَيْنِ، وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ شَهْرَيْنِ»[٣]. والحديث قال عنه الذهبي ضمن ترجمة عبد العزيز بن بكار[٤]: باطل[٥]. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات؛ لأن فيه عبد العزيز بن بكار[٦]. واستنكر السيوطي على ابن الجوزي جعله الحديث من الموضوعات؛ لأنه يرى أن عبد العزيز من الضعفاء الذين يُكتب حديثهم. ويرى السيوطي أن الحديث له شاهد يقوّيه، وهو حديث عبد الله بن عباس (رواية المسعودي) الذي نقله السيوطي عن الزبير بن بكار في كتابه (الموفقيات)[٧]. ثم أخذ السيوطي يوفِّق بين الحديث وواقع زمن بني العباس فقال: «ولعمري، فليس معنى هذا الحديث ببعيد؛ فإن دولة العباسيين في حال علوّها ونفوذ كلمتها في أقطار الأرض شرقاً وغرباً... كانت من سنة بضع

(١) مروج الذهب، ٣/ ٢٥٠.

(٢) أوردها السيوطي عن الزبير بن بكار في: تاريخ الخلفاء، ص ٢٢.

(٣) أوردها السيوطي عن العقيلي في الضعفاء. انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٢١.

(٤) عبد العزيز بن بكار بن عبد العزيز حديثه غير محفوظ ومشّاه بعضهم. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٦٢٤.

(٥) قال الذهبي: هذا حديث باطل أورده العقيلي في الضعفاء ضمن ترجمة عبد العزيز بن بكار، وحديثه غير محفوظ ومشّاه بعضهم. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال، ٢/ ٦٢٤.

(٦) قال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء. انظر: الموضوعات، ٢/ ٣٧.

(٧) لم تقف الدراسة على هذا الحديث في كتاب الموفقيات.

وثلاثين ومائة إلى سنة بضع وتسعين ومائتين حتى تولّى المقتدر... ثم تتابع الفساد والاختلال في دولته... فكانت أيام شموخ دولتهم ومملكتهم مائة وبضعاً وستين سنة، وهي ضعف أيام بني أمية الشامخة»(١). فكيف يُجيز السيوطي لنفسه هذه الحسابات ويَعُدُّ مدة بني العباس بحسب قوّتهم لا بحسب وجودهم التاريخي؟! فهذه مقاييس هشّة لا تستند إلى أدلّة صريحة.

كما استشهدت العديد من المصادر التاريخية بحديث سفينة «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَأْتِي المُلْكُ» في تحديد بداية حكم الامويين، وعَدَّت حكم معاوية هو بداية مدّة الملك(٢).

كما ذكرت بعض المصادر التاريخية تداول الحكم في بني أمية من خلال حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تَزَالُ الخِلافَةُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ يَتَلَقَّفُونَهَا تَلَقُّفَ الغِلْمَانِ لِلْكُرَةِ، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُمْ فَلا خَيْرَ فِي عَيْشٍ»(٣). فقد أورد البلاذري رواية مُشابِهة لحديث ثوبان، وهي أن أبا سفيان رضي الله عنه قال حين قُبض رسول الله ﷺ: «تلقّفوها الآن تلقُّف الكرة؛ فما من جنّة ولا نار»(٤)؛ أي أن أبا سفيان كان يُحرِّض بني أمية ليأخذوا الخلافة. ويبدو أن ذلك قيل لتشويه سمعة بني أمية بتطلّعهم إلى الخلافة وطمعهم فيها منذ وفاة النبي ﷺ. ويُؤيِّد ذلك أن البلاذري ساق رواية أخرى مفادها أن أبا سفيان دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو مكفوف - أي عن الخلافة - ثم خرج وهو يقول: «تلقّفوها يا بني أمية تلقُّف الكرة؛ فما الأمر على ما يقولون»(٥).

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص٢٢.

(٢) سبقت الإشارة إلى الحديث في مبحث سابق من الفصل نفسه، لكن المصادر التاريخية استشهدت به لأغراض مختلفة. انظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/٧. تاريخ القضاعي، ص٣٢١. المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/٢٣٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤/٢٦٨. ابن كثير، البداية، ٨/٧. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/١٨٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٣٣١.

(٤) أنساب الأشراف، ٥/١٩.

(٥) أنساب الأشراف، ٥/١٩.

لكنّ هذا الخبر يصطدم مع الواقع التاريخي؛ إذ إن المصادر أشارت إلى أن وفاة أبي سفيان كانت قبل حادثة عزل عثمان في داره وحصار الثوّار له أواخر عام ٣٥هـ[١]، ناهيك من أن مصدر الخبر هو هشام بن محمد الكلبي الرافضي المتروك.

وحديث ثوبان هذا أورده ابن كثير وقال: «منكر جداً»[٢]. كما أن هذه الرواية أوردها ابن عبد البر في (الاستيعاب) بألفاظ مشابهة، لكن ذلك كان عند تولّي عثمان الخلافة. ونصّ رواية ابن عبد البر يبيِّن أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت إليه الخلافة فقال له: لقد صارت إليك بعد تَيْم وعديّ، فأَدِرْها كالكرة، واجعل أوتادَها بني أمية؛ فإنما هو المُلْك، ولا أدري ما جنَّة ولا نار. فصاح به عثمان: قُمْ عني، فعل الله بك وفعل. لكنّ ابن عبد البر شكَّك فيها وفي غيرها من الأخبار الرديَّة التي وردت عن أهل الأخبار للتشكيك في صحة إسلام أبي سفيان؛ لأن قصة إسلامه ثابتة[٣].

ب- علامات انقطاع مُلْك بني أمية (سقوط حكم بني أمية):

أوردت المصادر التاريخية نبوءات في سقوط دولة بني أمية أو علامات انقطاع ملكهم؛ فقد أشار العديد منها إلى نبوءات سنة الحمار، وذكرت أن بني أمية كانوا يرون أن ذهاب ملكهم يكون على يد ابن أَمَةٍ[٤]، ويقصدون مروان[٥]. لكن هذه

---

(١) المعروف أن عثمان رضي الله عنه أصبح معزولاً في أواخر سنة ٣٥هـ بعد أن حاصره الثوار، كما تؤكّد المصادر أن أبا سفيان مات قبل ذلك؛ فقد ذكر ابن عبد البر والذهبي وابن حجر أنه تُوفّي في سنة ٣٣هـ، وقيل: ٣٢هـ، وقيل: ٣١هـ، وقيل: ٣٤هـ. انظر: الاستيعاب، ٤/ ٢٤١. سِيَر أعلام النبلاء، ٢/ ١٠٧. الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٣٣٥.

(٢) البداية، ١٠/ ٤٩.

(٣) الاستيعاب، ٤/ ٢٤١.

(٤) ابن أَمَة: أي أن أُمَّه كانت جارية من سَبْي الحرب، ويُطلق عليها أم ولد. وقد ذكرت المصادر أن أم مروان كردية يُقال لها: لبابة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٧٧. ابن كثير، البداية، ١٠/ ٤٨. القلقشندي، مآثر الإنافة، ١/ ١٦٢.

(٥) انظر: أخبار الدولة العباسية، لمؤلِّف مجهول، ص١٩٣. المسعودي، التنبيه والإشراف، =

الأخبار والنبوءات فيها رجمٌ بالغيب، كما أن فيها دلائل تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد في كتب الحديث من نبوءات تتعلّق بسقوط بني أمية وسنة حمار الجزيرة (مروان بن محمد)[1].

فمن أمثلة تأثُّر المصادر التاريخية بهذه النبوءات ما أورده صاحب كتاب (الدولة العباسية) من نبوءات عن سقوط الأمويين، منها أن عليّ بن عبد الله بن عباس رأى في المنام أفاعي، ثم خرج ثعبان أسود من تحت أم عبد الله بن علي فأكلها، فخرجت نار من تحت أم أبي جعفر فأحرقت الثعبان. فلما أصبح قصّ رؤياه على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: تأويل رؤياي أن أم عبد الله تلد مني مَن يقتل بني أمية، وتلد أم أبي جعفر مَن يملك السلطان فينازعه قاتل بني أمية فيقتله[2].

وفي خبرٍ آخر أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس دخل على الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ومعه ابناه أبو العباس وأبو جعفر، فقال الوليد مشيراً إلى أبي العباس: هذا صاحب بني أمية[3]. وقد أورد المقدسي وابن خلّكان هذا الخبر باختلافٍ عما سبق، فذكرا أن عليّ بن عبد الله ـ وليس محمد بن علي ـ دخل على الخليفة هشام ـ وليس الوليد ـ ومعه ابناه (أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور)، فأوسع له سريره وقضى له دينه. فلما ولّى قال هشام لأصحابه: إن هذا الشيخ قد اختلّ وأسنّ وخلط فصار يقول: إن هذا الأمر سينتقل إلى ولده. فسمعه عليّ فقال: والله ليكوننَّ ذلك، ولَيَمْلكَنَّ هذان. وأشار إليهما[4].

= ص ٢٩٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٣٣٠. المقدسي، البدء والتاريخ، ٦/ ٥٤. كما ذكره ابن كثير نقلاً عن الزبير بن بكار في: البداية، ١٠/ ٤٩، ٥٠.

(١) للاستزادة انظر (العلامات في انقطاع ملك بني أمية) في: نعيم بن حماد، الفتن، ص١٢٤–١٤٠.

(٢) أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول، ص١٣٨.

(٣) أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول، ص١٦٩، ١٧٠.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ، ٦/ ٥٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٢٧٦.

كما ذكرت بعض المصادر التاريخية أن علي بن عبد الله بن عباس كان يقول عن ملك بني أمية: والله ليكوننَّ فيهم حتى تملكهم عبيدهم الصغار الأعين، العراض الوجوه، الذين كأن وجوههم المجانّ المُطرَقة؛ يعني الترك[1].

وهذه الأخبار أو النبوءات انساق خلفها بعض المؤرخين، وبخاصة أصحاب الميول الشيعية[2]، أو بعض المؤرخين الذين غَلَوْا في محبة آل البيت فراحوا ينشرون أخبارهم دون تدقيق[3]. كما أن في سياق هذه الروايات تناقضات ومغالطات في الأسماء؛ مما يُوحي بضعفها وتهافُتها، ولا أدلّ على ذلك من أن هناك روايات تخبر عن سقوط ملك بني أمية في عهد رجل أحول؛ يعنون هشام ابن عبد الملك[4]؛ فقد أورد ابن كثير خبراً عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه -ولم يعلِّق عليه- أنه قال: «هلاك بني أمية على يد رجل أحول»[5]. وعلى رغم أن

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ٦/ ٥٧، ٥٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) ذكر المسعودي أن بني أمية يَرَوْن أن ذهاب ملكهم سيكون على يدي ابن أَمَة. انظر: التنبيه والإشراف، ص٢٩٧. وذكر المقدسي عدة نبوءات عن سقوطهم. راجع: البدء والتاريخ، ٦/ ٥٤. وذكر الأصفهاني ضمن سيرة الأحوص عدة رؤى ومنامات عن زوال ملك بني أمية قبيل قيام الدولة العباسية. انظر: الأغاني، ٢١/ ١٢٢، ١٢٣.

(٣) انظر ما كتبه أبو اليسر عابدين عن غلوّ ابن خلكان في آل البيت. أغاليط المؤرخين، ص١٧٧. وقد وقف الباحث على عدَّة أخبار ذكرها ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان) تؤكِّد غلوَّه في آل البيت؛ مثل سرده نبوءات في تولِّيهم الحكم؛ فقد ذكر أن ابن عباس رُزق بولد فدفعه إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم فحنَّكه وسمَّاه علياً، ثم ردَّه إليه وقال له: خذْ أبا الأملاك، ٣/ ٢٧٤. وذكر أن العنكبوت نسجت على عورة زيد بن علي عندما أبقاه بنو أمية مصلوباً خمس سنين، ٦/ ١١١. كما ذكر عن بني أمية أخباراً سيئة جداً؛ مثل أنهم افتضُّوا بكارة ألف بكر من أهل المدينة بعد وقعة الحرة، ٦/ ٢٧٦. كما ذكر عدة أخبار خرافية؛ مثل ما نقله عن ولادة الحجاج بن يوسف، ٢/ ٢٩، ٣٠.

(٤) هذه الأخبار ذكرها نعيم بن حماد بعدَّة روايات تخبر أن ملك بني أمية سيزول على عهد رجل أحول. انظر: الفتن، ص٨٤-٨٥.

(٥) انظر: البداية، ٩/ ٣٦٨.

المصادر ذكرت أن هشاماً كان أحول[1] فإن هذه الأخبار لا تُقبل عقلاً ولا نقلاً.

لكن بعض المصادر ساقت بعض الأخبار التي فيها رجمٌ بالغيب على وجه الإخبار فقط، وخرجت من العهدة حينما قدَّمتها بلفظ (يُروى) أو (قيل) أو نحوهما من ألفاظ مشابهة. فعلى سبيل المثال: ذكر الذهبي في تاريخه: ويُروى أن مروان مرّ في هربه على راهب فقال: هل تعرفني؟ قال: نعم، أنت ملك العرب، تُقتل في بلاد السودان، وتُدفن بلا أكفان، ولولا أن الموت في طلبك لدلَلْتُكَ على موضع هربك[2]. وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير بلفظ: «وقد قال بعضهم»[3].

ج- موقف المصادر التاريخية من الأحاديث النبوية الواردة في حكم بني أمية:

من الأهمية بعد هذا الإجمال عن تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث نبوية عن ملك بني أمية إلقاء الضوء على موقف بعض المصادر التاريخية من الأحاديث التي تتعلَّق بما ورد عن ملك الأمويين وسقوطهم، وما أفردته من عناوين وموضوعات حول ذلك. وقد سبقت الإشارة إلى الأحاديث الواردة فيها ضمن المباحث السابقة. ومن هذه المصادر:

(دلائل النبوة) للبيهقي: أورد جُلّ الأحاديث التي تتحدث عن ملك بني أمية؛ مثل: إخباره ﷺ عن الملوك بعد الخلفاء، وإخباره عن مدة الخلافة، واستشهد بحديث سفينة: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ»، فبيَّن مدة حكم الخلفاء الأربعة في سياق شرح الحديث[4]. كما أورد البيهقي فصل (إخباره ﷺ عن بني

(١) انظر: المصعب الزبيري، كتاب نسب قريش، ص١٦٤. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢١٧. ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٩٧. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٥/٣٥١. ابن كثير، البداية، ٩/٣٦٦.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (١٢١-١٤٠هـ)، ص٥٣٧. وهذه الرواية أوردها ابن عساكر بسنده ولم يعلِّق عليها. انظر: تاريخ دمشق، ٥٧/٣٣٨.

(٣) انظر: البداية، ١٠/٤٩، ٥٠.

(٤) انظر: دلائل النبوة، ٦/٣٣٩-٣٤٢. وقد سبقت الإشارة إلى ما أورده البيهقي ضمن مبحث (الملك والخلافة) في هذا الفصل.

الحكم)، فبيَّن أنهم إذا بلغوا في الحكم ثلاثين أو أربعين كانوا أشدّ الناس ظلماً[١]. كما ذكر فصلاً في (ما جاء عن رؤياه ﷺ في ملك بني أمية)، فأورد تفسير سورة القدر ومدّة حكم بني أمية، وأنهم يتولّون الملك ورسول الله ﷺ غاضبٌ عليهم مستاءٌ منهم[٢].

ويعدّ كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير من أكثر المصادر ذكراً للأحاديث النبوية الواردة في ملك بني أمية؛ إذ وضع عدة عناوين لما ورد في ملكهم؛ مثل: (ما ورد من أخبار خلفاء بني أمية جملةً جملةً)[٣]، وساق أحاديث في سقوط دولة بني أمية تتعلّق بتفسير سورة القدر وما قيل عن أيام بني أمية أنها الألف شهر المذكورة في سورة القدر. كما عقد ابن كثير فصلاً بعنوان: (ما ورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء بني العباس من الأخبار النبوية)، وساق تحته أكثر من عشرة أحاديث سبق ذكرها في مباحث سابقة. وهذه الأحاديث تحتوي على حادثة تنازُل الحسن عن الخلافة لمعاوية وما ورد على لسانه من تفسير سورة القدر والألف شهر ومدة حكم بني أمية. كما أورد ابن كثير أحاديث بلوغ بني أمية أو بني العاص أو بني الحكم ثلاثين أو أربعين وظلمهم الناس، وحديث «أَبُو الجَبَابِرَةِ الأَرْبَعَة» وما دار بين معاوية ومروان وابن عباس، وأحاديث نَزْوِ بني أمية أو بني الحكم على منبر رسول الله ﷺ كالقردة واستيائه منهم، وذلك بعدة روايات[٤].

كما كرَّر ابن كثير ذِكْر هذه الأحاديث عن ملك بني أمية عند حديثه عن معاوية وتنازُل الحسن له عن الخلافة[٥]. كما ذكر حديث «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ» بعدة روايات عند حديثه عن يزيد بن معاوية[٦]. كما ذكر

---

(١) انظر: دلائل النبوة، ٦/٥٠٧.

(٢) انظر: دلائل النبوة، ٦/٥٠٩-٥١١.

(٣) البداية، ٦/٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) انظر: البداية، ١٠/٥٠-٥٢.

(٥) البداية، ٨/١٢٠ وما بعدها.

(٦) البداية، ٨/٢٣٤.

ضمن ترجمة مروان بن الحكم أحاديث صعود بني العاص على منبر رسول الله ﷺ واستيائه منهم[١]. وجميع هذه الأحاديث وقف منها ابن كثير موقف الناقد المتبصِّر فضعّفها وأنكرها.

ويُعَدُّ كتاب المقريزي (إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع) من المصادر التي اهتمت بموضوع مُلك بني أمية، فأفرد له عناوين مختلفة؛ مثل: (إخباره ﷺ بأن جبّاراً من جبابرة بني أمية يَرْعَف على منبره)[٢]، و(إخباره ﷺ بتمليك بني أمية)، وساق تحته عدة أحاديث؛ منها: أحاديث رؤيا النبي ﷺ بني أمية أو بني الحكم على منبره، وأحاديث الألف شهر وليلة القدر وخطبة الحسن بن عليّ بذلك بعد تنازله عن الخلافة. كما ذكر أحاديث بلوغ بني أمية أربعين رجلاً وظلمهم الناس بعدة روايات (بني الحكم، وبني العاص). كما ذكر حديث: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ». وذكر أحاديث في مدّة سقوط دولة بني أمية، وحديث الجبابرة الأربعة. وقد أشار المقريزي إلى هذه الأحاديث مكتفياً بذكر المصادر التي أوردتها؛ مثل: الحاكم، والبيهقي[٣]. وقد سبق بيان ضعف هذه الأحاديث.

كما يُمثِّل كتاب (تاريخ الخلفاء) للسيوطي أهمية كبيرة؛ لما أورده من أحاديث في ملك بني أمية؛ فقد عقد فصلاً عن الأحاديث المُنذِرة بخلافة بني أمية، وساق ضمنه تفسيرات ليلة القدر وأحاديث نَزْوِ بني أمية على منبر رسول الله ﷺ التي سبق الحديث عن ضعفها[٤].

كما عقد السيوطي في كتابه (الخصائص الكبرى) فصلاً بعنوان: (باب

---

(١) البداية، ٨/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٢.

(٣) إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٢-٢٧٩.

(٤) تاريخ الخلفاء، ص١٨، ١٩.

إخباره ﷺ بالخلفاء بعده ثم الملوك وخلافة الأربعة ومعاوية وبني أمية وبني العباس)[١]، وقد وضع تحته عدة أحاديث عن ملك بني أمية مُسنِداً إياها إلى مصادرها دون نقدٍ لها. ومن تلك الأحاديث: حديث «الخِلافَةُ بِالمَدِينَة، وَالمُلْكُ بِالشَّامِ»، وأحاديث نزو بني أمية أو بني العاص أو بني الحكم على منبر النبي ﷺ واستيائه من ذلك، وتفسير ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ بأنها أيام بني أمية، وأحاديث في فساد حكّام بني أمية أو بني الحكم. كما ذكر حديث: «تَعَوَّذُوا مِنْ سَنَةَ أَوْ مِنْ رَأْسِ السِّتِّينَ»، وحديث: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ مُعْتَدِلاً قَائِماً حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»[٢].

كما أورد الشامي عدة فصول عن الأحاديث الواردة في ملك بني أمية ضمن كتابه (سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، فعقد فصلاً في (إخباره ﷺ بولاية بني أمية)، وذكر تحته أحاديث صعود بني الحكم على منبره واستياء النبي ﷺ من ذلك ضمن حديث ثوبان رضي الله عنه، كما ذكر أحاديث بلوغ بني أمية أو بني الحكم أو بني العاص ثلاثين أو أربعين واتخاذهم العباد خَوَلاً، والدِّين دَغَلاً، والمال دُوَلاً. كما ذكر حديث الجبابرة الأربعة وما دار بين معاوية وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ومروان بن الحكم. وقد أورد الشامي هذه الأحاديث نقلاً عن الحاكم والبيهقي والطبراني وابن عساكر، ولم يعلِّق عليها مكتفياً بذكر أسانيدها[٣].

ومن هنا يمكن القول: إن بعض المصادر التاريخية تأثَّرت بما ورد من أحاديث في مصادر الحديث، وهذا التأثُّر جاء في عدة صور، منها: النقل والإحالة، والموافقة والقبول، والنقد، وإن كان النقد يندر في المصادر التاريخية. كما أن هذه المصادر استشهدت ببعض الأحاديث للتأكيد على حوادث تاريخية، وحاولت ليّ عنق الحدث ليوافق الحديث على رغم ضعف الحديث ونكارته.

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى، ٢/١٩٣-٢٠١.

(٢) انظر: الخصائص الكبرى، ٢/٢٣٦.

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد، ١٠/٩٠، ٩١.

المبحث الثالث

أحاديث السُّفياني وموقف المصادر التاريخية منها

يُناقش هذا المبحث الأحاديث الواردة في أمر السفياني، وعلاقة بني أمية بها، ومدى صحة هذه الأحاديث، وأثرها في واقع الثَّورات الأموية المعارضة لبني العباس، ومدى تأثُّر المصادر التاريخية بها، ودوافع وأسباب نشرها.

والسُّفياني يُقال إنه شخصية أموية من بني سفيان، تعلّقت بها آمال الأمويين لاسترجاع ملكهم من العباسيين، وقد نُسجت حولها الكثير من الأخبار والأحاديث الواهية.

أورد السمعاني (٥٦٢هـ) في كتابه (الأنساب) ضمن مادة (السُّفياني) أن السفياني هو المشهور المذكور في الملاحم، وأن لقب السفياني انتسب إليه جماعة يُنسبون إلى أبي سفيان بن حرب يُعرف كل واحد منهم بالسُّفياني[١].

والمصادر التي أوردت أحاديث السفياني وتكلّمت عن اسمه وصفته وعلاماته وخروجه ونهايته تباينت في أمره على أنماط مختلفة، فتارة تتكلّم عن قدومه لنصرة الأمويين على العباسيين، وتارة أخرى تتكلم عن خروجه آخر الزمان كعلامة من علامات المهدي ضمن أبواب الفتن والملاحم. كما أن هناك مصادر أخرى بيَّنت أن السفياني يخرج عدّة مرات وله ولايتان دون توضيح لزمان خروجه: هل كان زمن الأمويين أم ضمن علامات الساعة؟

وأحاديث السفياني التي انتشرت في المصادر التاريخية عادةً ما تركِّز في السفياني الذي ينتظره الأمويون، ويظهر ذلك عند الحديث عن ثوراتهم ضد العباسيين.

ويُلقي هذا المبحث الضوء على السُّفياني الذي ينتظره الأمويون، وما أوردته

---

(١) انظر: عبد الكريم التميمي السمعاني، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٣، ص٢٦١.

مصادر الحديث والتاريخ عن أمره، وأسباب انتشار خبره بين الأمويين خاصة. أما ما يتعلّق بأحاديث السفياني الذي يظهر آخر الزمان ويتصادم مع المهدي المُنتظَر فالإشارة إليه تأتي من باب الاستشهاد والربط؛ لوجود روايات عامَّة تحدَّثت عنه.

أولاً: السُّفياني في مصادر الحديث

قبل الحديث عن سفيانيّ الأمويين وأخباره في المصادر التاريخية لا بدَّ من إلقاء الضوء على أحاديث السفياني التي وردت في مصادر الحديث لبيان أوجه الشبه ومدى التأثُّر.

يُعَدُّ كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد[1] من أكثر مصادر الحديث اهتماماً بأمر السفياني؛ إذ أفرد له أكثر من عشرة أبواب فيها آثار كثيرة جداً وأحاديث قليلة، فالكتاب يحتوي على عدة عناوين تشير إلى صفته واسمه ونسبه[2]، وخروجه وظهوره على غيره[3]، وما يكون بينه وبين العباسيين[4]، وانتقاض أمره[5]، ولقائه مع المهدي والخسف به[6].

وقد حذَّر العلماء من كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد؛ قال الذهبي: «لا يجوز لأحدٍ أن يحتجَّ به - يعني نعيماً - وقد صنّف كتاب الفتن فأتى فيه بعجائب ومناكير»[7]. كما ذكر أن نعيماً صاحب أوابد[8]. وقد ضعَّفه العديد من

(١) ذكر محقِّق كتاب (الفتن) الشيخ مجدي الشورى في مقدمته (ص٧) أن كتاب (الفتن) يكاد يكون أقدم مصدر في الفتن، وأنه سفر كبير أكثر فيه مؤلِّفه من الأحاديث والآثار المرفوعة والمقطوعة والموقوفة وأقوال أهل الكتاب.

(٢) انظر: الفتن، ص١٨٨-١٩١.

(٣) الفتن، ص١٩٢-٢٠٠.

(٤) الفتن، ص٢٠١-٢١٧.

(٥) الفتن، ص٢١٨- ٢٢٥.

(٦) الفتن، ص٢٢٦-٢٤٨.

(٧) سِيَر أعلام النبلاء، ١٠/٦٠٩.

(٨) انظر: تاريخ الإسلام (عهد معاوية)، ص٣١٠.

المحدّثين لتفرُّده بعدة روايات وروايته المناكير(١).

كما أورد نعيم بن حماد آثاراً عديدة عن السفياني يغلب عليها الضعف والانقطاع والوضع(٢). ومن هذه الآثار التي أوردها نعيم ما ورد في اسم وصفة السفياني، فذكر أنه من بني سفيان من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، وأنه يخرج من غرب الشام، وفي رواية: يخرج من دمشق، ويحكم مدة حمل امرأة، وفي رواية أنه يحكم ثلاث سنين ونصف السنة، وأنه يخرج بالشام معه رايات حمر، وتارةً: رايات صفر؛ مما يدلّ على تناقضها. وأما صفته فهو شديد الصفرة، وفي رواية مناقضة أنه أبيض جعد الشعر، وفي رواية أنه ضخم الهامة به آثار جدريّ(٣). وقد ذكر محقّق الكتاب أن أسانيدها إما واهية وإما منقطعة، ويغلب عليها الوضع، ناهيك من تناقضاتها.

وأما بالنسبة لخروج السفياني فقد ذكر نعيم بن حماد أنه يخرج بالشام ثلاث رايات: راية الأبقع(٤)، وراية الأصهب(٥)، وراية السفياني. ويبايعه أهل الشام، ويقاتل أهل المشرق، ويدخل السفياني الكوفة فيسبي الذَّرَاري ويبقر بطون النساء، وأنه يقتل كلّ مَن عصاه وينشرهم بالمناشير ويطحنهم ستة أشهر(٦).

وعن نهاية السفياني يذكر نعيم بن حماد أن له ولاية ثانية تظهر بظهور نجم في

---

(١) سبق الحديث عن نعيم وأقوال العلماء فيه وفي كتابه (الفتن) في مقدِّمة الكتاب، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) ذكر محقّق كتاب (الفتن) الشيخ مجدي الشورى في مقدّمته (ص٧) أن مما أُخذ على نعيم بن حماد إيراده الموضوعات، ونقله عن مجهولين، وإيراده أقوال أهل الكتاب.

(٣) انظر (باب صفة السفياني واسمه ونسبه) في: الفتن، ص١٨٨-١٩١.

(٤) الأَبْقَع: ما خالط بياضَهُ لونٌ آخر، وقيل: الأبيض والأصفر، وقيل: الأبيض والأسود. ابن الأثير، النهاية، ١/١٤٤، ١٤٥، مادة (بقع).

(٥) الأصهب: الذي يعلو لونه صُهبة، وهي كالشُّقرة. وقيل: إن الصهبة هي حُمرة يعلوها سواد. ابن الأثير، النهاية، ٣/٥٨، مادة (صهب).

(٦) انظر (باب بُدُوّ خروج السفياني) في: الفتن، ص١٩٢-٢٠٠. ذكر المحقّق هذه الأخبار وعلّق على أسانيدها بالضعف الشديد والنكارة.

السماء، وأن نهايته على يد المهدي في آخر الزمان، وأن الله يخسف بجيشه في بيداء[١] من الأرض عندما يحاول دخول مكة والمدينة لقتال المهدي[٢].

والأمر الذي يُلاحظ هو أن العديد من مصادر الحديث والتاريخ اعتمدت على كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد في أمر السفياني، وأوردت عنه جُلّ الأحاديث والآثار. فقد أشار أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)[٣] في كتابه (الفتن) إلى أمر السفياني ضمن علامات الساعة على نحو ما أورده نعيم بن حماد، فأورد عدة أخبار تتكلم عن خروجه بقَرْقِيسِياء[٤]، وأنه يسبي الولدان ويقتل مائة ألف، وأنه لا يخرج إلا بعد أن يُكفر بالله جهاراً، ولا يعبر الفرات إلا وهو كافر[٥]. وكلّ هذه الأخبار ضعيفة جداً[٦]. كما ذكر أن من علامات خروجه خروج رجل أبقع ورجل أصهب؛ يخرجان في بلاد الشام، كلاهما يطلب الملك[٧].

كما عقد السلمي (ت ٦٨٥هـ)[٨] في كتابه (عقد الدُّرر في أخبار المُنتظَر)

---

(١) البَيْداء: هي الفلاة والأرض الملساء. القاموس المحيط، ص٣٤٤، مادة (باد).

(٢) انظر (لقاء السفياني مع المهدي) في: الفتن، ص٢٢١-٢٤٢.

(٣) أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم الأندلسي القرطبي الداني، ويُعرف قديماً بابن الصيرفي: إمام حافظ علامة، برز في علم القرآن والقراءات، له أسفار مشهورة، أهمها (الفتن الكائنة). انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٧٧-٨٣.

(٤) قَرْقِيسِياء: ويقال قرقيساء، وهي بلد على نهر الخابور بالفرات. ياقوت، معجم البدان، ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٥) السُّنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، ط١، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج٥، ص١٠٢١-١٠٢٣.

(٦) ذكر محقِّق الكتاب المباركفوري أنها أخبار ضعيفة جاءت عن طريق كعب الأحبار. انظر: ٥/ ١٠٢٢، ١٠٢٣.

(٧) قال المحقِّق: موقوف وإسناده ضعيف، وفيه رشدين وابن لهيعة؛ ضعيفان. انظر: الداني، السنن الواردة في الفتن، ٤/ ٩٣٦، ٩٣٧.

(٨) السلمي: يوسف بن يحيى، من آثاره: عقد الدرر في أخبار المنتظر، توفِّي عام ٦٨٥هـ. عمر كحالة، معجم المؤلفين، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج٤، ص١٨٩.=

فصلاً مستقلاً عن السفياني ضمن أخبار المهدي المنتظَر، فأورد أقوالاً واهية لبعض المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]، أنها نزلت في السفياني، وأن الله سيُسلِّط على جيشه جبريل ليبيده ومَن معه(١). ويُلاحظ أن جُلّ ما أورده من أحاديث كان عن طريق نعيم بن حماد(٢).

كما جمع السيوطي عدة أخبار عن السفياني ضمن كتابه (العرف الورديّ في أخبار المهديّ)، وقال: «هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي»(٣). وجُلّ أخبار السفياني التي ذكرها السيوطي كانت نقلاً عن نعيم بن حماد حسب إفادته؛ إذ قال: «هذه الآثار كلها لخَّصتها من كتاب الفتن لنعيم بن حماد»(٤). وقد أورد السيوطي بعض أخبار السفياني عن طريق الداني صاحب كتاب (الفتن)، وعن طريق السلمي صاحب (عقد الدرر)(٥).

كما ذكر العلامة المتّقي الهندي أكثر أحاديث السفياني عن طريق نعيم بن حماد، وذلك من خلال كتابه العظيم (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)(٦).

كما قدّم الشيخ محمد البرزنجي معلومات وأخباراً عن أمر السفياني ضمن

= وذكره الزركلي ضمن ترجمة يوسف ابن الزاكي، وقال: هو يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز الشافعي المقدسي السلمي، مؤلِّف (عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر)، وقد أتم تأليفه سنة ٦٥٨هـ. ولم يقف الزركلي على ترجمة مستقلة له. انظر: الأعلام، ٨/٢٥٦.

(١) نقل السلمي هذا القول عن تفسيري الثعالبي والطبري، ولم أجده في الطبري ولا في الثعالبي. انظر: عقد الدرر، ص٧٤-٧٦.

(٢) انظر: عقد الدرر في أخبار المنتظر، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، د. ط، (القاهرة: د. ن، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٦٧-٩٩. كما ذكر محقِّق الكتاب في المقدِّمة (ص١١) أن السلمي اعتمد كثيراً على نعيم بن حماد.

(٣) انظر: الحاوي للفتاوى، د. ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٥٧-٨٦.

(٤) انظر: الحاوي، ٢/٨٥.

(٥) انظر: الحاوي، ٢/٨٠-٨٢. للاستزادة عن أخبار السفياني انظر: الحاوي، ٢/٦٧، ٦٨، ٨٤، ٨٥.

(٦) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ١١/٢٤٦، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٦، ١٤/٢٧٢.

(أشراط الساعة) تحت اسم : الفتن الواقعة قُبيل خروج المهدي في آخر الزمان . وأشار إلى أمر السفياني وخروجه وصفاته، فذكر أنه يخرج من ناحية دمشق في وادٍ يقال له : اليابس، ويدخل دمشق والكوفة فيقتل النساء والذَّرَاري ويستبيح المدينة، ثم يُخسف به في بيداء من الأرض، ثم يظهر المهدي ويبايعه الناس(١)، على نحو ما ذكره نعيم. لكن البرزنجي ذكر هذه الأخبار ولم يُشِرْ إلى مصادرها.

كما أشار العلامة السفاريني (ت ١١٨٨هـ)(٢) إلى خروج السفياني ضمن علامات الساعة الكبرى، وأنه من أقوى علامات خروج المهدي(٣).

*** الأحاديث الواردة في السفياني :**

ما يهمّنا في هذا المبحث هو ما ورد من أحاديث نبويَّة تتعلق بسفياني الأمويين الذي كثرت أخباره في المصادر التاريخية وبعض مصادر الحديث المتعلِّقة بالفتن. ونُشير هنا إلى هذه الأحاديث وتخريجها وبيان صحتها ومدى تأثُّر المصادر التاريخية بها :

١- أورد نعيم بن حماد بسنده عن بقية بن الوليد . . . سمع محمد بن علي يقول : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : «لَيَفْتِقَنَّ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي سُفْيَانَ فِي الإِسْلامِ فَتْقاً لا يَسُدُّهُ شَيْءٌ»(٤). (ضعيف)(٥).

---

(١) انظر : البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة، ص٨٦-٩١.

(٢) السفاريني : محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد، النابلسي الحنبلي. إمام علامة، صاحب تصانيف شهيرة، أبرزها : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة. توفِّي بنابلس عام ١١٨٨هـ. انظر : المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤/٣١، ٣٢.

(٣) انظر : أهوال يوم القيامة وعلاماتها الكبرى، ط٤، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٢٥، ٢٦.

(٤) نعيم بن حماد، الفتن، ص١٩٠، ١٩١.

(٥) قال محقّق الفتن : الحديث فيه ضعف وإرسال؛ لأن فيه بقية بن الوليد مدلِّس وقد عنعنه، ومحمد بن عليّ لم يسمع من النبي ﷺ. الفتن، ص١٩٠، ١٩١. وبقية بن الوليد الحميري الكلاعي قال عنه أهل الجرح والتعديل : كثير التدليس عن الضعفاء، وله مناكير، ويروي عن المجاهيل. انظر : الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/٣٣١-٣٣٩. ابن حجر، تقريب التهذيب، ص١٢٦.

٢- أورد نعيم بسنده عن مكحول عن أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَثْلِمُهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»(١). والحديث ضعيف؛ لأن إسناده منقطع بين مكحول وأبي عبيدة، لكن البعض استشهد بهذا الحديث ليقوِّي حديث: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»، وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الأول. وعلى فرض صحَّته على رأي بعض قائليه(٢) فلا يصحّ الاستشهاد به في أمر السفياني كما فعل نعيم بن حماد(٣)؛ لأن بعض المصادر أوردته عند حديثها عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في إشارة إلى أنه المقصود بالحديث(٤).

٣- أخرج الخطيب البغدادي بسنده عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعتُ حبيبي محمداً ﷺ يقول: «سَيَكُونُ لِبَنِي عَمِّي -بَنِي العَبَّاسِ- مَدِينَةٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَدُجَيْلٍ(٥)... أَمَا إِنَّ هَلاكَهَا عَلَى يَدِ السُّفْيَانِيِّ»(٦). (موضوع)(٧).

---

(١) نعيم بن حماد، الفتن، ص١٩٠، ١٩٢. للحديث زيادة لم يذكرها نعيم، وهي: «يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ». انظر الحديث في الفصل الأول، ص ١٣٩.

(٢) مثل الشيخ الألباني. للاستزادة راجع أقوال العلماء في الحديث في المبحث الثاني من الفصل الأول من الدراسة، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣) أدرج نعيم بن حماد هذا الحديث تحت عنوان: (صفة السفياني ونسبه). انظر: الفتن، ص١٨٨. كما أدرجه تحت عنوان: (بُدُوّ خروج السفياني). انظر: الفتن، ص١٩٢.

(٤) انظر: البداية، ٨/٢٣٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٥. وذكر البيهقي هذا الحديث تحت عنوان: (ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالفتن التي ظهرت بعد الستين)؛ أي عهد يزيد. انظر: دلائل النبوة، ٦/٤٦٤.

(٥) دُجَيْل: اسم نهر في موضعين: الأول يخرج من أعلى بغداد، والآخر بالأهواز من بلاد فارس. ياقوت، معجم البلدان، ٢/٤٤٣.

(٦) انظر الحديث كاملاً في: تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ١/٣٣٩. خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/١٤٩، ١٥٠.

(٧) انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٦٠، ٦١. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٧٧. قال السيوطي: موضوع، وآفته الغلابي. وهو محمد بن زكريا الغلابي، كذبه ابن معين والدارقطني. انظر أيضاً: خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/١٥٠.

٤- عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأم حبيبة - رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما - بعد أن ذكر بني العباس ودولتهم، فالتفت إلى أم حبيبة ثم قال: «هَلاكُهُمْ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ جِنْسِ هَذِهِ»[(١)]. وفي رواية عن ثوبان مرفوعاً: «وَيْلٌ لأُمَّتِي مِنْ بَنِي العَبَّاسِ»، إلى أن قال: «هَلاكُهُمْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ هَذِهِ»، وأشار إلى أم حبيبة[(٢)]. والحديث إسناده منكر ومتروك[(٣)].

٥- أخرج الخطيب بسنده عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ حَتَّى يَنْزِلَ دِمَشْقَ فَيَبْعَثُ جَيْشَيْنِ: جَيْشاً إِلَى المَدِينَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً يَنْتَهِبُونَ المَدِينَةَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهُنَّ، ثُمَّ يَسِيرُونَ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَكَّةَ... ثُمَّ يَسِيرُ جَيْشُهُ الآخَرُ فِي ثَلاثِينَ أَلْفاً وَعَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ حَتَّى يَأْتُوا بَغْدَادَ، فَيَقْتُلُونَ بِهَا ثَلاثَمِائَةِ كَبْشٍ مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ، وَيَبْقُرُونَ بِهَا ثَلاثَمِائَةِ امْرَأَةٍ»[(٤)]. والحديث منقطع[(٥)].

٦- أخرج الحاكم بسنده عن طريق نعيم بن حماد... عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «أُحَذِّرُكُمْ سَبْعَ فِتَنٍ تَكُونُ بَعْدِي: فِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ المَدِينَةِ، وَفِتْنَةٌ بِمَكَّةَ، وَفِتْنَةٌ مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الشَّامِ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ المَشْرِقِ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في: الفتن، ص٢٠١. كما أورده المتقي الهندي بنصّه كما عند نعيم. انظر: كنز العمال، ١١/ ٢٧٢.

(٢) ذكره الشوكاني نقلاً عن الخطيب البغدادي. انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص٤١٢، ٤١٣.

(٣) الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص٤١٢، ٤١٣.

(٤) انظر: تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ١/ ٣٤٠، ٣٤١. خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/ ١٥٤، ١٥٥. انظر الحديث عند: علي الجمعة، الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد، ١/ ١٨٩.

(٥) لأن في إسناده انقطاعاً بين الأوزاعي وأبي أسماء الرحبي، كما أن في إسناده يحيى بن أبي كثير اليمامي، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: «ثقة ثبت، لكنه يدلّس ويُرسل». انظر: تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ١/ ٣٤١. خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/ ١٥٥، ١٥٦. علي الجمعة، الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد، ١/ ١٩٣.

المَغْرِبِ، وَفِتْنَةٌ مِنْ بَطْنِ الشَّامِ، وَهِيَ السُّفْيَانِيُّ». قال: فقال ابن مسعود: منكم مَن يُدرك أوَّلها، ومن هذه الأمة مَن يُدرك آخرها[١]. (ضعيف، أو ضعيف جداً)[٢].

٧- أورد أبو عمرو الداني بسنده عن طريق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً، وهو حديث طويل جداً عن الملاحم في آخر الزمان فيه: «يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ حَتَّى يَأْتِيَ دِمَشْقَ وَمَعَهُ ٣٦٠ رَاكِباً، وَيُبَايِعُونَهُ مِنْ قَبِيلَةِ كَلْبٍ ثَلاثُونَ أَلْفاً، فَيَبْعَثُ جَيْشاً إِلَى العِرَاقِ فَيَقْتُلُ بِالزَّوْرَاءِ[٣] مائَةَ أَلْفٍ، ثُمَّ يَنْحَدِرُونَ إِلَى الكُوفَةِ فَيَنْهَبُونَهَا. وَيَخْرُجُ جَيْشٌ آخَرُ مِنْ جُيُوشِ السُّفْيَانِيِّ إِلَى المَدِينَةِ فَيَنْهَبُونَهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالبَيْدَاءِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ». وقد ذكر محقِّق الكتاب أن في هذا الحديث أخباراً منكرة[٤].

٨- أخرج نعيم بسنده قال: حدثنا رشدين عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ بَعْدَ تِسْعٍ وَثَلاثِينَ» (موضوع)[٥].

(١) أخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر: المستدرك، ٥/٦٦٣. كما أخرجه السلمي عن طريق الحاكم عن نعيم بن حماد. انظر: عقد الدرر، ص٧١.

(٢) علَّق الذهبي على هذا الحديث الذي أورده الحاكم وقال: هذا من أوابد نعيم بن حماد. انظر: تلخيص الذهبي على المستدرك، ٥/٦٦٣. كما علَّق ابن الملقن على ما ذكره الذهبي، وضعَّف الحديث لوجود نعيم بن حماد، كما أن في سنده أيضاً الوليد بن عياش وهو مجهول. انظر: سراج الدين عمر المعروف بابن الملقن، مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم، تحقيق ودراسة: سعد بن عبد الله آل حميد، ج٧، ص٣٣٢٥، ٣٣٢٦. كما أورد الألباني هذا الحديث وقال عنه: ضعيف جداً. انظر: السلسلة الضعيفة، ٤/٣٥٠.

(٣) الزَّوْرَاء: اسم أُطلق على مدينة ببغداد تقع على الجانب الشرقي، وسُمِّيت بذلك لازورار في قبلتها. وقيل: إن الزوراء هي مدينة أبي جعفر المنصور وتقع في الجانب الغربي. والزوراء أيضاً موضع قرب المدينة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ٣/١٥٥، ١٥٦.

(٤) انظر الحديث كاملاً وتعليق المحقِّق عليه في: السنن الواردة في الفتن، ٥/١٠٨٩، ١٠٩٠، حاشية ٦.

(٥) الفتن، ص١٩٣. قال محقِّق الكتاب: إسناده ضعيف جداً ومُرسَل؛ أي موضوع؛ لأن المحقِّق رمز للموضوع بعبارة (ضعيف جداً). انظر: مقدِّمة محقِّق الكتاب. وسبب وضعه أن فيه رشدين وابن لهيعة وكلاهما ضعيف، ويزيد بن أبي حبيب ثقة فقيه ولكنه يُرسل. وسبق أن أشرنا إلى رشدين وابن لهيعة ضمن عدة أحاديث، وقد تكلَّم على ضعفهما أهل الجرح والتعديل.

٩- أخرج نعيم بسنده حديثاً طويلاً - نذكر منه ما يتعلَّق بالمناسبة - عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا عَبَرَ السُّفْيَانِيُّ الفُرَاتَ، وَبَلَغَ مَوْضِعاً يُقَالُ لَهُ: عَاقِرُ قَوْفَا[١]، مَحَا اللَّهُ الإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ... فَيَقْتُلُ بِهَا سَبْعِينَ أَلْفاً... وَتَسْتَغِيثُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَهْلَ السُّفُنِ لِيَحْمِلُوهُنَّ عَلَيْهَا فَلا يَحْمِلُوهُنَّ بُغْضاً لِبَنِي هَاشِمٍ»[٢]. (موضوع)[٣].

١٠- أخرج الحاكم عن طريق نعيم بن حماد... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السُّفْيَانِيُّ فِي عُمْقِ دِمَشْقَ، وَعَامَّةُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَبْقُرَ بُطُونَ النِّسَاءِ وَيَقْتُلَ الصِّبْيَانَ، فَتَجْمَعُ لَهُ قَيْسٌ فَيَقْتُلُهَا، وَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي الحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السُّفْيَانِيَّ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جُنْداً مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا صَارَ بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ، فَلا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلاَّ المُخْبِرُ عَنْهُمْ». قال الحاكم: «صحيح الإسناد على شرط

---

(١) عَاقِرُ قَوْفَا: مركَّب من عاقر وقوفا، فأما الأول فهو الرملة العظيمة المتراكمة، وقيل الرملة التي لا تنبت شيئاً، والقوف: الاتباع. وهو موقع قُرب بغداد، وهو عبارة عن تلّ عظيم يُرى من مسافة يوم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٦٨.

(٢) انظر: الفتن، ص٢٠٩. كما أخرجه الخطيب البغدادي بلفظ مختلف قليلاً. انظر: خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/ ١٥١. علي الجمعة، الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد، ١/ ١٨٣. كما أخرجه السلمي عن الداني في سننه. انظر: عقد الدرر، ص٧٩.

(٣) قال ابن عراق: فيه ركَّة ظاهرة، لكنه لا يقتضي الوضع. انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/ ٣٥٠. وذكر خلدون الأحدب رأي ابن عراق، لكنه يرى أن الحديث من جملة الموضوعات؛ لأن في إسناده محمد بن ثابت بن أسلم البناني البصري، قال عنه علماء الجرح: ليس بشيء، منكر الحديث. انظر: زوائد تاريخ بغداد، ١/ ١٥٢. ويرى علي الجمعة أن إسناد الحديث واهٍ؛ لأن فيه مجهولين وثلاثة ضعاف، ثم قال: «والحديث تفوح منه رائحة الوضع، وهو غريب المتن». انظر: الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد، ١/ ١٨٨. ويرى محقِّق كتاب (تاريخ مدينة السلام) أنه موضوع. انظر: ١/ ٣٤٠، حاشية ٢. كما يرى محقِّق كتاب (الفتن) أن إسناد الحديث ضعيف جداً؛ أي موضوع. انظر: الفتن، ص٢٠٩.

الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي[١]. لكن الحديث ضعيف، وفيه انقطاع[٢]. وعلى رغم ضعف الحديث فهو أقوى ما ورد في أمر السفياني، ولكن ليس فيه التفاصيل التي ذُكرت عن السفياني، كما أنه يناقض الكثير من الأخبار التي ذُكرت فيه[٣]. وقد ذكر ابن أبي حاتم في (العلل) نحو هذا الحديث بلفظ مختلف قليلاً، لكنه أعلَّهُ[٤].

وعلى فرض صحة حديث الحاكم فإنه يتوافق مع خروج المهدي آخر الزمان؛ فالعلماء الذين يرَوْن صحة حديث الحاكم أو غيره من أحاديث السفياني عدُّوا خروجه من علامات ظهور المهدي آخر الزمان[٥]؛ لذا لا يصحّ الاستدلال به على أنَّه السُّفياني المُنتظَر الذي يُرجع ملك بني أمية ويقتل العباسيين حسب زعم الروايات.

---

(١) انظر: المستدرك، ٥/٧٢٧. كما أخرجه السلمي عن طريق الحاكم عن نعيم بن حماد. انظر: عقد الدرر، ص٧٣. كما أخرجه السفاريني عن طريق الحاكم. انظر: أهوال يوم القيامة، ص٢٥. كما أخرجه الخطيب البغدادي بمعناه مع اختلاف اللفظ عن ثوبان رضي الله عنه. انظر: خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/١٥٤، ١٥٥. كما أورده السيوطي في (العرف الوردي) نقلاً عن الحاكم ولم يعلّق عليه. انظر: الحاوي، ٢/٦٥.

(٢) لأن في إسناده انقطاعاً بين الأوزاعي وأبي أسماء الرحبي، كما أن في إسناده يحيى بن أبي كثير اليمامي، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: «ثقة ثبت، لكنه يدلّس ويُرسل». انظر: خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد، ١/١٥٥، ١٥٦. علي الجمعة، الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد، ١/١٩٣.

(٣) علّق على هذا الحديث الشيخ رضاء الله المباركفوري محقّق كتاب الداني (السنن الواردة في الفتن)، ٥/١٠٢٦.

(٤) قال ابن أبي حاتم: «إنما هو عن عبيد الله ابن القبطية، وفيه زيادة كلام ليس في حديث الناس». انظر: علل الحديث، ٢/٤٢٥، ٤٢٦.

(٥) أشار العديد من العلماء إلى أن من علامات خروج المهدي ظهور السفياني، كما أشاروا إلى الصِّدام الذي يدور بين الطرفين. انظر: الداني، السنن الواردة في الفتن، ٥/١٠٢١. البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة، ص٩٠، ٩١. السفاريني، أهوال يوم القيامة، ص٢٥.

كما أن هناك عدَّة آثار وأقوال نُسبت إلى الصحابة في أخبار السفياني تحدَّثت عنها العديد من مصادر الحديث التي تكلَّمت عن الفتن والملاحم. وإتماماً للفائدة نذكر بعضها ليتَّضح أثرها في المصادر التاريخية عند الحديث عنها لاحقاً. ومن هذه الآثار:

ما أخرجه الحاكم بسنده عن طريق نعيم... عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «يظهر السُّفياني على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جِيَفهم، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان ويقتلون شيعة آل محمد ﷺ بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي»[(١)]. قال الذهبي: خبر واهٍ[(٢)].

كما أورده نعيم بن حماد نقلاً عن بعض السلف، فذكر أنه يكون بين السفياني وبني العباس مقتلة عظيمة، وأن همّته القضاء على العباسيين، فيعبر الفرات ويدخل مدن العراق مثل الكوفة فيسبي نساء بني العباس في العراق ويوردهن إلى دمشق، وغير ذلك من الأخبار الواهية[(٣)]، ناهيك من أن الواقع التاريخي آنذاك يكذِّب ذلك.

كما نقل السلمي في (عقد الدرر) ما قيل على لسان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أن السفياني هو من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، وأنه مَن يخرج من دمشق معه راية حمراء فيقتل ولد العباس ثم يقتل آل البيت، ويزداد في طغيانه ولا يرتدع، فيقتل الأطفال منهم، وبخاصة مَن كان اسمه حسناً أو حسيناً أو محمداً أو

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه بسنده عن نعيم بن حماد عن الوليد ورشدين عن ابن لهيعة. انظر: المستدرك، ٥/٧٠٣. كما أخرجه السلمي عن طريق الحاكم. انظر: عقد الدرر، ص٨٧.

(٢) لأن فيه الوليد مدلِّس، ومتابعه رشدين ضعيف، وشيخهما ابن لهيعة ضعيف. انظر استدراك الذهبي على الحاكم في: المستدرك، ٥/٧٠٣. كما ضعَّفه ابن الملقن على نحو ما ذكره الذهبي. انظر مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم، ٧/٣٣٨٧.

(٣) انظر (صراع السفياني مع بني العباس) في: الفتن، ص٢٠١-٢١٢.

زينب، ويستمر في جبروته وظلمه حتى يخرج له المهدي فيقتله(١). وأثر التشيُّع واضح في هذه الرواية؛ إذ تُصوِّر عداء الأمويين لآل البيت.

وهكذا فإن الأحاديث التي وردت في السفياني لم تصحّ ولم تثبت، ويُلاحظ أن كتب السنن والصحيحين ومسند أحمد لم تُشِرْ إلى أحاديث السفياني على رغم كثرتها. إلا أنه يجب التنبيه إلى وجود أحاديث صحيحة أوردها الإمام مسلم في كتاب الفتن تتحدث عن خروج جيش في آخر الزمان يغزو مكة التي يكون بها رجل من أهل بيت النبي ﷺ آنذاك، فيخسف الله بهذا الجيش في بيداء من الأرض(٢)، لكن هذه الأحاديث لم يَرِدْ فيها اسم السفياني، وليس فيها ما يدلّ صراحةً على أن هذا الرجل هو المهدي. لكن يوجد حديث في سنن أبي داود عن أم سلمة رضي الله عنها يُفيد أن الرجل الذي يخرج آخر الزمان من المدينة ويُبايَع عند الركن والمقام بمكة هو من أهل بيت النبي ﷺ، في إشارة واضحة إلى أنه المهدي، وأن الذي يخرج على المهدي هو رجل قرشي من الشام أخواله من كلب فيُخسف به وبجيشه، ولم يَرِدْ في الحديث ما يدلُّ على أنه السفياني(٣).

كما أورد ابن شبة (ت ٢٦٢هـ) في (تاريخ المدينة) ضمن عنوان (ذكر

---

(١) انظر ما نقله السلمي من مرويات عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في: عقد الدرر، ص٩١-٩٥.

(٢) الحديث أورده مسلم بعدة ألفاظ، فعن أم المؤمنين أم سلَمة رضي الله عنها مرفوعاً: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ». انظر: النووي، شرح مسلم، ١٨/٤، ٥.

(٣) والحديث نصُّه: «يَكُونُ اخْتِلافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ». انظر نصّ الحديث وشرحه في سنن أبي داود: محمد العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/٢٥٣-٢٥٥. ويرى الشيخ الألباني أن الحديث الذي في سنن أبي داود فيه ضعف، لكن له طرق أخرى صحيحة ليس فيها قصة البيعة والأبدال ولا بعث كلب. انظر: السلسلة الضعيفة، ٤/٤٣٥-٤٣٧. للاستزادة عن الأحاديث الصحيحة التي أوردها الشيخ الألباني في الجيش الذي يُخسف به انظر: السلسلة الصحيحة، ٤/٥٥٧-٥٥٩.

البيداء؛ بيداء المدينة)(١) أحاديث الجيش الذي يغزو المدينة، ولم يُشِرْ إلى أنه السفياني، لكنه ذكر أن الجيش يأتي من الشام، وأن قائده أخواله من كلب، فيخسف الله بهذا الجيش في بيداء، وهو من علامات خروج المهدي(٢).

وقد ذكرت بعض المصادر أن بعض أهل المدينة كان يظنُّ أن هذا الجيش الذي سيُخسف به هو جيش حُبَيْش بن دُلْجة الذي أرسله مروان بن الحكم إلى المدينة لمقاتلة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، لكنهم لم يكونوا(٣). وهذا الذي جعل العديد من الروايات تخلط بين حديث جيش الشام وما ورد من أحاديث ضعيفة تبيِّن أنه السفياني الذي يغزو مكة فيُخسف به وبجيشه في بيداء من الأرض.

ولأن معظم أحاديث السفياني مكرَّرة ووردت بعدة ألفاظ، وحتى لا تخرج الدراسة عن الناحية التاريخية المتعلقة بموضوع السفياني، يُكتفى بما تم إيراده، ثم نخلص إلى آراء العلماء في أحاديث السفياني، وهذا ما حاولت الدراسة استخلاصه في الموضوع اللاحق.

*** آراء العلماء في أحاديث السفياني:**

يخلص هذا المبحث إلى أن أحاديث السفياني الذي تعلَّقت به آمال الأمويين لم تحفل بها مصادر الحديث المُعتمَدة كالصحيحين والسنن الأربعة، ولم يأتِ في السفياني حديث صحيح صريح. وتأكيداً لضعف أحاديث السفياني وبُطلان العديد منها نذكر بعض أقوال العلماء القدامى والمعاصرين في أحاديث السفياني:

---

(١) بَيْدَاء المدينة: هي الشَّرَف الذي يُوجد قُدَّام ذي الحليفة إلى جهة مكة. النووي، شرح صحيح مسلم، ١٨/ ٥. للاستزادة عن أقوال العلماء في البيداء انظر: العظيم آبادي، عون المعبود، ١١/ ٢٥٣.

(٢) انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة)، ١/ ٣٠٨-٣١٠.

(٣) انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ١/ ٣٠٩. كما ذكر مسلم في صحيحه أن يوسف بن ماهك راوي حديث الجيش الذي يغزو البيت قال: وأهل الشَّأم يومئذ يسيرون إلى مكة، فقال عبد الله بن صفوان: أما والله ما هو بهذا الجيش. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/ ٦. للاستزادة عن جيش حُبَيْش انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٦١١، ٦١٢.

فهذا ابن كثير يورد خبر السفياني في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم) عند إشارته إلى خراب البلدان في فتن آخر الزمان ضمن حديث موضوع عن طريق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «وَيَبْدَأُ الخَرَابُ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى تَخْرَبَ مِصْرُ»، ثم ذكر أسباب خراب عدة مدن حتى قال: «وَخَرَابُ الزَّوْرَاءِ مِنَ السُّفْيَانِيِّ». قال ابن كثير: «هذا حديث بيِّن الوضع»[1]. كما ذكر ابن كثير عند حديثه عن مدينة بغداد وما ورد فيها من الآثار أن ما قيل من أحاديث وأخبار عن دخول السفياني بها وقتله أهلها لا يصح منها شيء، وأن في أسانيدها نكارة[2]. كما ذكر حديث: «خَرَابُ الزَّوْرَاءِ مِنَ السُّفْيَانِيِّ»، وهو موضوع[3].

كما أشار ابن كثير وابن حجر إلى أن خبر السفياني الذي يُقال إنه يخرج آخر الزمان كما ورد في كتب الملاحم وُضع من قِبَل رجل من بني سفيان[4]، وهو ما يهمّ الدراسة هنا.

ومن المتأخرين ذكر الشيخ حمود التويجري (ت ١٤١٣هـ) - وهو من محدِّثي الديار النجدية - أن السفياني «لم يجئ في خروجه حديث صحيح يُعتمد عليه»[5]. كما ذكر الدكتور رضاء الله المباركفوري - محقِّق كتاب (الفتن) للداني - أن الروايات التي وردت عن السفياني لا تصلح للاعتماد عليها؛ لأن الكثير منها آثار موقوفة على بعض الصحابة أو على بعض مَن دُونَهم، كما أن الكثير منها لا يصح سنداً، أما ما ورد منها مرفوعاً فهو أيضاً غير صحيح سنداً، بل حُكم عليها بالوضع، وما صحّ منها لا يوجد فيه تصريح بالسفياني[6].

---

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، ص٣٩.

(٢) البداية، ١٠/١٠٥.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم، ص ٣٩.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية، ٦/٢٥٨. ابن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: علي محمد البجاوي، مراجعة: محمد علي النجار، د. ط، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ت)، ج٢، ص٧٣٥.

(٥) انظر: إتحاف الجماعة، ١/٦٣.

(٦) انظر تعليق محقِّق كتاب السنن الواردة في الفتن للداني، ٥/١٠٢٦.

ثانياً: السُّفياني في المصادر التاريخية

بعد أن بيَّنت الدراسة نكارة أحاديث السفياني وبُطلانها لا بدَّ من توضيح أثر انتشار أحاديث السفياني في بني أمية وأنصارهم، وأثر ذلك في الكتابات التاريخية.

من خلال الأحاديث السابقة عن السفياني لُوحظ أن أكثر المصادر التاريخية إيراداً لأحاديثه هو (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي. وسوف نُركِّز في حديثنا عن السفياني في المصادر التاريخية في أخباره عند الأمويين وتعلُّق العديد من قبائل الشام الموالية لهم بأحاديثه، وما نجم عن ذلك من ثورات ضد الحكم العباسي كدلائل على أثر هذه الأحاديث في الواقع التاريخي.

تأثرت بعض المصادر التاريخية[1] بما ذكره نعيم بن حماد في الفتن، وأشارت إلى الأحاديث النبوية التي استشهد بها لإثبات أمر السفياني. ومن هذه الأحاديث: حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: « لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ »، وحديث ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر ولد العباس فقال: « يَكُونُ هَلاكُهُمْ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ هَذِهِ »، وأومأ إلى أم حبيبة رضي الله عنها.

كما أورد المقدسي في كتابه (البدء والتاريخ) عدة أخبار عن السفياني، فذكر أنه من ولد يزيد بن أبي سفيان، وأن بوجهه جدرياً، وبعينه نكتة بياض، وأنه يخرج من دمشق وأنصاره من كلب، فيبقر بطون الحبالى وينشر بالمناشير، وأنه يدخل المدينة وينبش قبر الرسول ﷺ وقبر فاطمة رضي الله عنها، ويقتلون كل مَن اسمه محمد وفاطمة ويصلبونهم على باب المسجد، ثم يدخل مكة فيُخسف ببيداء من الأرض فيخرج المهديّ[2]. ويبدو على الرواية آثار التشيُّع.

---

(١) انظر: المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٢/ ١٧٦. والحديثان سبق ذكرهما. وذكر المؤرِّخ عدة آثار عن السفياني كما أوردها نعيم بن حماد. انظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ٢/ ١٧٧-١٨٠.

(٢) انظر: البدء والتاريخ، ٢/ ١٧٧-١٨٠.

كما عنونت العديد من المصادر التاريخية لأمر السفياني وبيَّنت وتكلَّمت عن ثورات أموية تحمل اسمه؛ مما يُثبت اهتمام الأمويين بهذا الأمر(١)، وهو ما سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

كما ذكر المسعودي أنه في سنة ٣٢٤هـ بمدينة طبرية ـ قرب الأردن ـ وجد كتاباً عند أحد موالي بني أمية فيه نحو ثلاثمائة ورقة قرأه بنفسه، يتحدث فيه عن رجوع دولة بني أمية وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشام، وتكون معه قبائل غسان وقضاعة ولخم وجذام، وأنهم أصحاب الرايات الصفر والخيل الشهب، وتكون الوقائع والحروب(٢).

كما ذكرت بعض المصادر التاريخية أن رجلاً تعرَّض للخليفة المأمون وقال له: يا أمير المؤمنين، انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان. فذكر المأمون له قبائل الشام ثم قال: وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه(٣).

كما ذكر ابن عساكر عدة أخبار عن أمر السفياني، منها أن بني أمية كانوا يروون فيه عدة روايات، وأن له علامات يظهر بها، وأن أمره لا يتمّ إلا بوجود أنصاره من كلب(٤). وفي موضع آخر قال: إن قبيلة قضاعة ترتقب خروج السفياني(٥). كما ذكر ابن عساكر سبب خروجه بقوله: ويقال إن السفياني يخرج

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/٢٢٣، وعَنْوَن (أمر السفياني) عند حديثه عن ثورة أبي الورد. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/٤١٥، وعَنْوَن (ظهور أمر السفياني) عند حديثه عن ثورة أبي العميطر سنة ١٩٥هـ. ابن الأثير، الكامل، ٥/١٤٧، وعَنْوَن (خروج السفياني) عند حديثه عن ثورة أبي العميطر.

(٢) انظر: التنبيه والإشراف، ص٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) انظر: ابن طيفور، كتاب بغداد، ص١٤٥، ١٤٦. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/٦٥٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٨/٣٥.

(٤) تاريخ دمشق، ٤٣/٢٩.

(٥) تاريخ دمشق، ٦٨/٣٥.

ثائراً لامرأة أمر بذبحها عبد الله بن علي ـ القائد العباسي ـ في حمص(١). كما ذكر قصة رجل من بني أمية كان به مرض فدخل على عبد الله بن علي وقال له: أنا السفياني الذي يذهب ملك بني العباس على يديه(٢). وذكر ابن عساكر(٣) أن رجلاً من أهل العلم رأى الوليد بن يزيد فقال: إنه مقتول لتمام أربعين ليلة من هذا اليوم، وهو انقضاء خلافة العرب إلى قيام صاحب الوادي من آل أبي سفيان ـ أي السفياني ـ ثم يعود إلى الشام سنتهم حتى يكونوا أصحاب الأعماق(٤).

ومن دلائل انتشار خبر السفياني بين الأمويين تلك الثورات الأموية التي قامت ضد بني العباس وحملت معها فكرة السفياني المُنقِذ الذي يعيد ملكهم من أيدي العباسيين. وستحاول الدراسة إيجاز هذه الثورات حتى لا تخرج عن أهدافها:

الثورة الأولى: ثورة أبي محمد السفياني (١٣٢هـ)

أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أمر هذه الثورة ضمن ثورة أبي الورد مجزأة ابن الكوثر السدوسي الكلابي زعيم القبائل القيسية بقِنَّسْرِين(٥) الذي ثار ضد العباسيين وكاتَب أهل حمص الذين أرسلوا إليه الرجال والعتاد بقيادة أبي محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية الذي طمع أن يكون السفياني الذي يردّ ملك بني أمية فبايعه الناس. لكن العباسيين قضوا على أبي الورد وعلى السفياني(٦).

(١) تاريخ دمشق، ٦٩/ ٢٦٥.

(٢) تاريخ دمشق، ٦٨/ ٢٦٩.

(٣) تاريخ دمشق، ١٧/ ١٨٣. كما أخرجه المتقي الهندي عن ابن عساكر. انظر: كنز العمال، ١١/ ٢٥٨.

(٤) الأعماق: المُراد به العَمق، وهي كورة قرب دابق بين حلب وانطاكية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٢٢.

(٥) قِنَّسْرِين: بكسر أوَّله؛ مدينة شمال الشام قرب حلب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٤٠٣، ٤٠٤.

(٦) للاستزادة عن ثورة أبي الورد انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/ ٢٢٣. الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٧/ ٤٤٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩/ ١٥٣. ابن الأثير، الكامل،=

الثورة الثانية: ثورة أبي العَمَيْطَر (أبي الحسن علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد السفياني)

وهو الذي دعا لنفسه بالخلافة، وادَّعى أمر السفياني، وذلك أواخر سنة ١٩٥هـ، واستمرت ثورته إلى ١٩٨هـ، وكان أكثر أنصاره من كلب، إلا أن العباسيين تمكَّنوا من القضاء عليه[١].

ومن خلال ثورة أبي العميطر قدَّم لنا الإمام الذهبي معلومات جيدة تتعلَّق بمناصرة بعض علماء دمشق له؛ كالوليد بن مسلم[٢] الذي قال: «لو لم يَبْقَ من سنة خمس وتسعين ومئة إلا يوم لخرج السفياني». قال الراوي: فخرج أبو العميطر[٣]. كما ذكر الذهبي أن أبا العميطر كان سيِّد قومه، وقد بايعه أهل دمشق بالخلافة، وأن بني أمية كانوا يَرْوُون فيه الروايات، وأن له العلامات، وأن كلباً أنصاره[٤]. وذكر الصفدي أن أهل الشام بايعوه، وأن أصحابه كانوا ينادون في الأسواق: «قوموا فبايعوا المهدي المختار الذي اختاره الله على بني هاشم الأشرار»[٥].

وعلى كلِّ حال، فمن المُرجَّح أن أهل الشام كانوا يطلقون على أبي العميطر

= ٤/٣٣٤، ٣٣٥. ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٣١٠، ٣١١. الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١-١٤٠هـ)، ص٣٣٩، ٣٤٠. ابن كثير، البداية، ١٠/٥٤.

(١) للاستزادة عن ثورة أبي العميطر انظر: الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٨/٤١٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٣/٢٤ وما بعدها. ابن الأثير، الكامل، ٥/١٤٧. الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ١٩١-٢٠٠هـ)، ص٢٩، ٣٠. ابن كثير، البداية، ١٠/٢٣٦.

(٢) الوليد بن مسلم: أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية، عالم أهل الشام، وهو ثقة حافظ، لكنه رديء التدليس، له أحاديث كثيرة في الملاحم، وعِيبَ عليه روايته عن الكذَّابين، كما أنه يروي أحياناً أحاديث لا أصل لها، مات سنة ١٩٥هـ. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) سِيَر أعلام النبلاء، ٩/٢٨٤، ٢٨٥.

(٤) سِيَر أعلام النبلاء، ٩/٢٨٦.

(٥) الوافي بالوفيات، ٢١/١٣٠.

لقب السفياني، وهو ما أكّده ابن حجر[1] وغيره. وكلّ هذه دلائل واضحة على أن أحاديث السفياني كانت منتشرة ومؤثِّرة في بني أمية.

الثورة الثالثة: حادثة خروج المُبرقع سنة ٢٢٧هـ في عهد الخليفة العباسي المعتصم

وكان المبرقع يُعرف بأبي حرب اليماني، وهو من فلسطين، وسبب خروجه أن أحد الجنود تعرَّض لزوجته بالضرب فقام المبرقع بقتله، ثم خلع الطاعة وخرج بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزعم أنه أموي، وتجمّعت حوله بعض القبائل اليمنية في أكثر من مائة ألف، على رأسها زعيمهم ابن بَيْهَس الذي كان آنذاك مُطاعاً في قومه، وأُطلق عليه لقب السفياني. وقد أرسل له المعتصم جيشاً تمكَّن من إخماد ثورته والقضاء عليه[2]. وسُمِّي بالمبرقع لأنه كان يضع على وجهه بُرقعاً لكيلا يُعرف[3].

وبعد استعراض أمر السفياني في مصادر الحديث والتاريخ يتساءل الباحث عن حقيقة هذه الشخصية وعمن كان وراء خبره. فقد ذكرت بعض المصادر أن السفياني من ولد يزيد بن أبي سفيان؛ فذكر نعيم بن حماد وغيره أن السفياني من ولد يزيد بن أبي سفيان[4]، وفي رواية عند السلمي أن اسمه معاوية بن عتبة[5]، وفي رواية أخرى أن اسمه حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[6]. كما أشار السفاريني إلى أن السفياني اسمه عروة، واسم

(١) انظر: ابن حجر، تبصير المنتبه، ٢/ ٧٣٥.

(٢) للاستزادة عن هذه الثورة انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٩/ ١١٦، ١١٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٦/ ١٣٥. ابن الأثير، الكامل، ٥/ ٢٦٤، ٢٦٥. ابن كثير، البداية، ١٠/ ٣٠٧، ٣٠٨. تاريخ ابن خلدون، ٣/ ٢٦٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٩/ ١١٦.

(٤) انظر: الفتن، ص١٩٣. المقدسي، البدء والتاريخ، ٢/ ١٧٧، ١٧٨. السلمي، عقد الدرر، ص٧٢، ٧٣.

(٥) عقد الدرر، ص٨٠.

(٦) عقد الدرر، ص٩١.

أبيه محمد، وكنيته أبو عتبة، وأنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان(١). إذن، فالمصادر التي اختلفت في اسمه تكاد تتَّفق على أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان.

أما من وضع خبر السفياني فقد ذكرت المصادر عدة آراء، منها ما هو على سبيل الجزم، ومنها ما هو على صيغة التضعيف أو التشكيك. فقد قيل: إن أوَّل مَن وضع خبر السفياني هو خالد بن يزيد بن معاوية؛ فذكر المصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ)(٢) ذلك في قوله: «زعموا أنه هو الذي وضع ذكر السفياني وكثَّره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوَّج أمه أم هاشم»(٣). وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن مروان كان يحطّ من شأنه وشأن أمه(٤).

كما ذكر ابن عساكر أن نسبة خبر السفياني ترجع إلى خالد بن يزيد فقال: «زعموا أن خالد بن يزيد هو الذي وضع خبر السفياني وكثَّره عندما غلبه مروان بن الحكم»(٥).

---

(١) انظر: السفاريني، أهوال القيامة، ص٢٥، ٢٦.

(٢) مصعب الزبيري: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب، ويرجع نسبه إلى عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما. نزل بغداد، راوية، أديب، محدِّث، له عدة مصنَّفات، منها: كتاب نسب قريش، وكتاب النسب الكبير. ابن النديم، الفهرست، ص١٧٦. قال عنه الذهبي: «العلامة الصدوق الإمام». روى عنه مسلم وأبو داود، ووثَّقه الكثير من أهل العلم. سِيَر أعلام النبلاء، ١١/ ٣٠-٣٢.

(٣) انظر: كتاب نسب قريش، ص١٢٩.

(٤) أشارت المصادر إلى أن مروان بن الحكم كان يحطُّ من شان خالد بن يزيد حتى يحوِّل الخلافة عنه إلى أحد أبنائه؛ لأنه كان موعوداً بها في مؤتمر الجابية الذي عقده الأمويون لاختيار خليفة عليهم يواجهون به ابن الزبير في الحجاز. للاستزادة انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٩. الطبري، تاريخ الرُّسل والملوك، ٥/ ٦١٠، ٦١١. ابن الجوزي، المنتظم، ٦/ ٢٣٦-٢٣٨. الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ٤/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٥) أورد ابن عساكر الخبر عن طريق مصعب بن عبد الله الزبيري. انظر: تاريخ دمشق، ١٦/ ٣٠٢.

ويؤكـد بعض البـاحـثين المُحْدثين أن خـالد بن يزيد هو الذي اختلق خبر السفياني؛ لفقدان أمله في الخلافة بعد أن تحوَّلت عنه إلى مروان بن الحكم(١).

أما الأصفهاني فقد أنكر ما قيل عن وضع خالد بن يزيد خبرَ السفياني، وعدّ ما ذكره المصعب الزبيري وهماً؛ لأن خبر السفياني قد رواه غير واحد، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة، وقد ذكر خبره بعض أفراد آل البيت(٢). ويرى بعض الباحثين أن اتّهام خالد بن يزيد بأنه صاحب فكرة السفياني أمر غير مؤكَّد(٣).

والحقيقة أنه لا توجد دلائل واضحة على اتّهام خالد بن يزيد بوضع حديث السفياني؛ لأن المصادر ذكرت خبر وضعه بألفاظ التضعيف بنحو: قيل، وزعموا. كما أن واقع ثورات الأمويين الذين رفعوا شعار السفياني الذي سيُعيد مُلكهم من بني العباس وزمن هذه الثورات يدلأن على أن وضع الحديث جاء متزامناً مع سقوط الدولة الأموية أو بعده مباشرة. كما أن أحاديث السفياني كانت موجَّهة ضد العباسيين، فكيف يضعها خالد بن يزيد لاسترداد ملك آل أبي سفيان من مروان بن الحكم؟!

ومما يزيد من قوة هذا الرأي ما أورده ابن حجر من أن خبر السفياني وُضع من قِبَل بعض آل أبي سفيان بعد سقوط دولتهم(٤)؛ فابن حجر لم يتَّهم خالد بن يزيد، بل ذكر أن واضع خبر السفياني من آل أبي سفيان، فقال: «والسفياني

---

(١) انظر: بندلي جوزي، السفياني، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٨٣، ج١، ١٩٣٣م، ص١٨١. سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص١٧٨. إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص١٦١. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٤٨.

(٢) انظر: الأغاني، ١٧/ ٣٤٢، ٣٤٣. نقل الأصفهاني هذا الخبر عن طريق مصعب الزبيري، وقال: هذا وهم منه.

(٣) انظر: جميل المصري، أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، ط١، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص٤٣٨.

(٤) انظر: تبصير المنتبه، ٢/ ٧٣٥.

المذكور في كتب الملاحم والفتن أنه يخرج في آخر الزمان يُقال إن بعض آل أبي سفيان وضع خبره لما زالت دولتهم»(١). فخبر السفياني هو من وضع رجلٍ من آل أبي سفيان وليس خالد بن يزيد، وهو ما يميل إليه الباحث.

وهناك رأي آخر يقول: إن الشيعة هم الذين وضعوا حديث السفياني؛ لأن أكثر ما ورد عن السفياني من آثار وُجِد في مصادر الشيعة مما هو منسوب إلى علي بن أبي طالب وجعفر الصادق ومحمد بن علي الباقر ومحمد ابن الحنفية(٢). فليس من المُستبعَد أن يسهم الشيعة في تلفيق أحاديث السفياني؛ لأن العديد منهم أوردوا ضمن أحاديث المهدي أنه سيقتل السفياني؛ مما يؤكد قضية الصراع الفكري بين الفريقين؛ الشيعة والأمويين(٣). ولعل حجّة القائلين بهذا الرأي تتقوّى بما أورده الأصفهاني من أن أحاديث السفياني رواها أيضاً العديد من أئمة آل البيت(٤)، وقد عُرف عن روايات الشيعة أنها تُروى غالباً عن طريق أئمة آل البيت.

لكن من المُؤكَّد أن دور الأمويين في بثّ هذه الأخبار ونشرها ومشاركتهم في ثورات تحمل اسم السفياني أمر لا يخفى على الدارسين، وبخاصة أن بعض علماء الشام شاركوا الأمويين في ثورات تحمل شعار السفياني، وهو ما سيتّضح في المبحث التالي ضمن أسباب انتشار عقيدة السفياني بين الأمويين.

---

(١) انظر: تبصير المنتبه، ٢/٧٣٥.

(٢) انظر تعليق رضاء الله المباركفوري على كتاب الداني؛ إذ إنه اطّلع على خبر السفياني في مصادر الشيعة فوجد فيه أخباراً عديدة. انظر: السنن الواردة في الفتن، ٥/١٠٢٦، ١٠٢٧.

(٣) انظر: حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٥٠. سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص١٧٨، ١٧٩.

(٤) انظر: الأغاني، ١٧/٣٤٣. وقد اطّلعت على بعض روايات السفياني في (عقد الدرر) للسلمي نقلاً عن كتاب (هازم الأطلاب) المنسوب إلى الإمام عليّ رضي الله عنه، وفيه روايات عديدة من صناعة الشيعة. انظر: عقد الدرر، ص٩٠-٩٩.

ثالثاً: أسباب انتشار عقيدة السفياني بين الأمويين

ترجع أسباب انتشار عقيدة السفياني بين الأمويين إلى أربعة عوامل:

١- تضاؤل أمل الأمويين في الانتصار على العباسيين؛ مما أسهم في ظهور فكرة المُنقِذ، وهو السفياني المُنتظَر الذي سيهلك العباسيين ويقضي عليهم، وقد انتشرت أحاديثه بينهم[١]. وبالبحث في رواة أخبار السفياني عند نعيم بن حماد تبيَّن أن أكثر أخبار السفياني جاءت عن طريق الوليد بن مسلم، وهو من علماء دمشق، وقد شارك في ثورة أبي العميطر[٢]. وقد لُوحظ وجود دور لبعض العلماء في رواية هذه الأخبار؛ فقد كان لبعض علماء الشام مشاركة في ثورة السفياني، ويتّضح ذلك من خلال ثورة أبي العميطر التي شارك فيها عالم الشام أبو مسهر الدمشقي الفقيه التابعي الجليل (ت ٢١٨هـ)، وكان ممن تولَّى القضاء في عهد أبي العميطر، وكان أبو مسهر ممّن ينقم على المأمون وينتقد بعض تصرُّفاته، فلما علم المأمون بذلك أمر بإحضاره ومن ثَـمَّ حمله على القول بخلق القرآن - وهي المحنة التي ابْتُلِيَ بها العلماء كالإمام أحمد بن حنبل - وسجنه حتى مات في السجن[٣]. وقد أشارت بعض الدراسات إلى دور بعض العلماء في نشر أمر السفياني في بلاد الشام؛ مما كان له الأثر الأكبر في اهتمام بني أمية بأمره[٤]. وهذا يدعم ما سبقت

---

(١) لتحليل هذه الظاهرة انظر: بندلي جوزي، السفياني، مج٨٣، ج١، ص١٨٠. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٣٩. إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص٥٤-٥٦. سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص١٧٦-١٧٨.

(٢) راجع الباحث أحاديث السفياني عند نعيم فوجد أن من أكثر رواته الوليد بن مسلم، وهو مدلِّس وينقل عن مجاهيل، وقد سبق الحديث عنه في: ص٢٨٢، حاشية ٢. انظر هذه الروايات في: نعيم بن حماد، الفتن، أحاديث أرقام: ٨٩٥، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠٨، ٩٢٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤١، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٥١، ٩٥٥، ٩٦٠، ٩٦٤، ٩٨٨.

(٣) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٣/٤٣٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/٢٢٨-٢٣٨.

(٤) اشترك بعض العلماء في ثورات الأمويين ضد العباسيين تحت شعار السفياني، منهم: إسماعيل ابن عياش الحمصي (ت ١٨١هـ)، وعالم دمشق الوليد بن مسلم مولى الأمويين (ت ١٩٥هـ)،=

الإشارة إليه من أن أخبار السفياني وُضعت من قِبَل الأمويين.

٢- يؤكد العديد من الباحثين والدارسين أن ظهور عقيدة السفياني عند الأمويين كان ردّة فعل لانتشار عقيدة المهدي عند العباسيين(١)؛ فالرايات السود القادمة من المشرق ومعها المهدي لنصرة العباسيين على الأمويين ظهر لها ما يناقضها عند الأمويين بعد سقوطهم؛ إذ أضافوا إلى أمر السفياني ما يشير إلى أنه يحمل الرايات الصفر وهو الذي سيهزم العباسيين.

ولأن أمر المهدي ورد في أكثر من موضع في هذه الدراسة فلا بدّ من توضيح أمره كما هو معروف عند أهل السنة والجماعة؛ لأن بعض الباحثين أنكروا أمره وخروجه وضربوا بأحاديثه عرض الحائط بحجة أنه لم يرد فيه حديث صحيح في البخاري ومسلم(٢). فالمهدي في المدلول اللغوي من الهدْي والهداية؛ ضد الضلال، وهو يُطلق على مَن هداه الله إلى الحق(٣). وقد وردت عدة أحاديث تحمل هذا المدلول؛ مثل قوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي».

= وبقيَّة بن الوليد الكلاعي (ت ١٩٧هـ)، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني (ت ٢١٨هـ). للاستزادة عن دورهم انظر: عصام عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١١٩، ١٢٠.

(١) أشار العديد من الدارسين إلى ذلك. انظر: بندلي جوزي، السفياني، مج٨٣، ج١، ص١٨٠. جميل المصري، أثر أهل الكتاب، ص٣٧٧. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٤٧. إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص٥٤-٥٦. سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص١٧٦-١٧٨.

(٢) قام الشيخ عبد المحسن العبَّاد بالردّ على مَن انكر أحاديث المهدي، وأبرز ما جاء في ردِّه أن أهل السنة قديماً وحديثاً مُجمِعُون على خروج المهدي آخر الزمان، كما ذكر أسماء الأئمة الذين أوردوا أحاديث المهدي، وعدد الأحاديث الواردة فيه، وقسمها حسب قوَّتها وضعفها. للاستزادة انظر كتابه (الردّ على مَن كذَّب بالمهدي المنتظر). وقد أفاض الإمام ابن باز -رحمه الله- في الثناء على هذا الكتاب ومدحه. انظر تعليقه: ص١٥٧، ١٥٨.

(٣) للاستزادة انظر: ابن الأثير، النهاية، ص٢١٩-٢٢١، مادة (هدا).

أما المهدي في المفهوم الاصطلاحي فهو رجل من آل بيت النبي ﷺ من ذُرِّية الحسن ابن علي رضي الله عنهما، يظهر في آخر الزمان ضمن علامات الساعة فيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئَت جوراً، وأحاديثه في ذلك صحيحة أوردتها كتب السنن(١).

لكن أحاديث المهدي استُغلَّت استغلالاً سيئاً عند بعض الفرق، كما ظهرت عدة شخصيات تقمَّصت دور المهدي لتحقيق أغراض سياسية في صبغة دينية(٢).

وقد أشار الإمام ابن القيم إلى آراء الناس واختلافهم في أمر المهدي وما ورد في ذلك من أحاديث(٣).

---

(١) قال ابن تيمية: «وأحاديث المهدي معروفة عند أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم». انظر: الذهبي، المنتقى، ص٥٦٢. ابن القيم، المنار المنيف، ص١٣٩، ١٤٠. ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، ص٢٣.

(٢) ظهرت دراسة جديدة عن المهدي وضَّحت الثورات التي تسمَّت باسمه منذ حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أشاع أن محمد ابن الحنفية هو المهدي المنتظر إلى حادثة الحرم المكي عام ١٤٠٠هـ وظهور شخصية المهدي آنذاك. للاستزادة انظر: محمد أحمد المقدم، المهدي وفقه أشراط الساعة، ط١، (الإسكندرية: الدار العالمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٣٦٥-٥٦٥.

(٣) ذكر ابن القيم أحاديث المهدي على أربعة أقسام: صِحاح، وحِسان، وغرائب، وموضوعة. وأن الناس اختلفوا فيه على أربعة أقوال:

الأول: أنه المسيح ابن مريم عليه السلام، وهو غير صحيح.

الثاني: أنه المهدي الذي ولي من بني العباس، وقد انتهى زمانه. واحتجّ أصحاب هذا القول بحديث: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ خُرَاسَانَ فَائْتُوهَا وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ؛ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ» (ضعيف). وإن صحَّ لم يكُنْ دليلاً على أن المهدي الذي تولَّى من بني العباس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، بل هو مهدي من جملة المهديين؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»، وعمر بن عبد العزيز منهم.

القول الثالث: أن المهدي من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن علي يخرج آخر الزمان، وهو قول أهل السنة.

القول الرابع: أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المُنتظَر من ولد الحسين، وهو بسرداب سامراء، وهو قول الإمامية.

ثم ذكر ابن القيِّم أن كلّ طائفة وفرقة لها مهدي، حتى النصارى ينتظرون (المسيح)، واليهود ينتظرون (الدَّجَّال). انظر: المنار المنيف، ص١٢٩-١٤٢.

ويؤكد العديد من الباحثين(١) أن الشيعة هم أوَّل مَن استغلّ عقيدة المهدي وروّجوا لها، ويظهر ذلك من خلال فرقة الكَيْسَانِيَّة وزعيمها المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ثار ضد بني أمية وادَّعى أن محمد ابن الحنفية هو المهدي المنتظر(٢). فالشيعة كما يقول المقدسي لهم في المهدي «أشعار كثيرة، وأسطار بعيدة»(٣). كما أن العباسيين استغلّوا أحاديث المهدي في ترويج دعوتهم وإضافة هالة قدسية إليها(٤). كما تأثرت عقيدة المهدي بعقائد قديمة تتعلّق بفكرة المُنقِذ أو المخلِّص الموجودة في الديانات السابقة، وقد استُغلّت لترويج الثورات، ومن ذلك ما يتعلّق بالسفياني مُنقِذ الأمويين من العباسيين(٥).

٣- كان للتعصُّب والغلوِّ عند أنصار الأمويين، وبخاصة القبائل العربية الموالية لهم التي فقدت قوَّتها السياسية، دورٌ في انتشار خبر السفياني(٦). وظاهرة

---

(١) أكَّد العديد من الباحثين أن الشيعة هم الذين استفادوا من فكرة المهدي وروَّجوا لها أقاويل أهل الكتاب. انظر: سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص٤٩. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٣٩. جميل المصري، أثر أهل الكتاب، ص٣٧٤. أحمد جلي، دراسة عن الفِرَق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، ط٢، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٢٢١.

(٢) لحركة المختار أخبار عجيبة تتعلَّق بادِّعائه النبوة، وأنه يحمل تابوت موسى، وبعض المعتقدات الضالَّة التي روَّج لها تحت ستار حبّ ونُصرة آل البيت. انظر أقوال العلماء في المختار في: ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٧٧. ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٢٠٨.

(٣) انظر: البدء والتاريخ، ٢/ ١٨١.

(٤) أشار إلى ذلك: حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٦٣، ١٦٤. جميل المصري، أثر أهل الكتاب، ص٥٥٧، ٥٥٨.

(٥) تحدَّث بعض الباحثين عن نشوء فكرة المهدي منذ وقت مبكر قبل الإسلام، وأنها تأثَّرت بمؤثرات أجنبية كالمسيحية واليهودية. انظر: سعد محمد حسن، المهدية في الإسلام، ص٤٢، ٤٣. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٣٨. جميل المصري، أثر أهل الكتاب، ص٣٧٥. إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص١٦٤، ١٦٥.

(٦) انظر: بندلي جوزي، السفياني، مج٨٣، ج١، ص١٧٨-١٨٢. بندلي جوزي، حنين العرب إلى=

التعصُّب والغلوّ لبني أمية أسهمت في قبول الأحاديث الموضوعة وانتشارها، وبخاصة عند العامة؛ فقد كانت بلاد الشام ذات ميول أموية متعصِّبة بحكم استقرار الأمويين بها وتعاقبهم على حكمها منذ بداية الفتوح الإسلامية؛ مما أسهم في وضع أحاديث في فضلهم، فلا يُستغرب تقديسهم الخلفاء؛ فقد ذكر ابن تيمية بلفظ التضعيف: «وحُكِيَ عن بعض أتباع بني أمية أن الخليفة تُقبل منه الحسنات ويُتجاوز له عن السيئات»(١)، ثم ذكر في موضع آخر بصفة الجزم أن أتباع بني أمية كانوا يقولون: إن الخليفة لا حساب عليه ولا عذاب(٢). وقد أكَّد الذهبي وابن كثير ما ذكره ابن تيمية، فذكرا أن يزيد بن عبد الملك بن مروان أحبّ أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فما تركه قُرناء السوء، فحسَّنوا له الظلم، وأحضروا له أربعين شيخاً شهدوا عنده أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب(٣). كما ذكر السيوطي أن الوليد بن عبد الملك سأل أحد العلماء: أيُحاسب الخليفة؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أم داود؟! إن الله جمع له النبوة والخلافة ثم توعَّده في كتابه فقال: ﴿يَا دَاوُودُ﴾ [ص: ٢٦] الآية(٤).

ومن دلائل التعصُّب لبني أمية ظهور روايات تشير إلى أن لبني أمية ألقاباً كألقاب خلفاء العباسيين؛ مثل: الناصر لحق الله، وهو لقب تلقَّب به معاوية بن

= بني أمية، مج٧٨، ج٦، ص٦٧٧. حسين عطوان، الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، ص١٤٩. إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص٥٤، ١٦١. سليمان الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٥٣-٣٥٥.

(١) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية، تلخيص الذهبي، ص٢٩١.

(٢) انظر: الذهبي، المنتقى، ص٤٢٧.

(٣) الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ٥/ ١٥١. ابن كثير، البداية، ٩/ ٢٤١.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء، ص١٩٨. وقد أورده السيوطي نقلاً عن ابن أبي حاتم في تفسيره عن إبراهيم عن أبي زرعة. والآية كاملةً هي: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

أبي سفيان، وغيره من الألقاب. وقد استنكر العلماء والمؤرّخون ما قيل من أن لبني أمية ألقاباً، وذكروا أن هذا لو ثبت لظهر واشتهر واستفاض؛ فلم تذكره المصادر، فلا يصحّ أن لهم ألقاباً(١).

والحقيقة أن الباحث لم يقفْ على ما يدلّ على أن للأمويين ألقاباً كألقاب العباسيين في المصادر التاريخية المتقدّمة(٢).

ومن دلائل التعصُّب للأمويين ما ذكره ابن حزم: «بلغنا أن رجلاً بالأردن يقول: لا تجوز الخلافة إلا في بني أمية بن عبد شمس، وكان له في ذلك تأليف مجموع»(٣).

ومن دلائل التعصُّب للأمويين تلك الحركة الفكرية التي ظهرت في العصر العباسي، فظهرت المؤلَّفات في فضائلهم ومحاسنهم، وبخاصة ما ورد عن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٤).

كما أن المصادر التاريخية بيَّنت عدة شواهد لتعصُّب بعض أهل الشام لبني أمية، وذلك من خلال الحياة الاجتماعية التي عاشها الناس آنذاك؛ فقد ذكر المدائني (ت ٢٢٥هـ)(٥) أن رجلاً قال له: كنتُ بالشام فجعلتُ لا أسمع أحداً

---

(١) انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٠٥-٣٠٧. ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٢٩٧.

(٢) أشارت بعض المصادر المتأخِّرة إلى ذلك، ولكن على وجه التشكيك؛ فقد أشار القلقشندي إلى ألقاب بني أمية كما هي عند العباسيين، لكنه نقل قول ابن حزم بعدم صحة ذلك. انظر: مآثر الإنافة، ١/٢٢. ثم ذكر القلقشندي في موضع آخر (١/١١٠) بصيغة التضعيف: «وقد قيل: إنه كان لخلفاء بني أمية ألقاب كألقاب بني العباس». كما ذكر السيوطي أن بعض المؤرخين أورد لبني أمية ألقاباً مثل ألقاب بني العباس، لكنه أورد قول ابن فضل الله بأن ذلك من زعم البعض، وأن أوَّل مَن اتَّخذ الألقاب هم بنو العباس. انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢٧.

(٣) ابن حزم، الفصل، ٤/١٥٤.

(٤) انظر مقدّمة (ثلاث رسائل في فضل معاوية)، تحقيق: عصام مصطفى ويوسف ياسين، ص٧-١١. وانظر أيضاً الفصل الثالث، ص ٣٠٥ وما بعدها.

(٥) أبو الحسن المدائني: علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري، ولد سنة=

يُسمِّي علياً ولا حسناً ولا حُسيناً، وإنما أسمع معاوية ويزيد... فمررت يوماً برجل جالس على باب داره وقد عطشتُ فاستسقيتُه، فقال: يا حُسين، اسْقه. فقلتُ له: أسمَّيْتَ حُسيناً؟ فقال: إي والله، إن لي أولاداً أسماؤهم حسين وحسن وجعفر؛ فإن أهل الشام يسمُّون أولادهم بأسماء خلفاء الله ولا يزال أحدُنا يلعن ولده ويشتمه، وإنما سمَّيْتُ أولادي بأسماء أعداء الله، فإذا لعنتُ فإنما ألعن أعداء الله. فقلتُ له: ظَنَنْتُكَ خير أهل الشام، وإذا جهنَّم ليس فيها شرّ منك(١).

كما ذكر المسعودي عدّة قصص يغلب عليها المبالغة(٢) توضح غلوّ أهل الشام في بني أمية وتعصُّبهم لمعاوية خاصة؛ مثل قوله: «إن معاوية قال لرجل من أهل الكوفة قبيل معركة صفّين: أبلغْ علياً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرِّق بين الناقة والجمل. وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلَّى بهم عند مسيرهم إلى صفّين الجمعة في يوم الأربعاء»(٣). وزاد المسعودي من المبالغة فقال: «ذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: مَن أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن»(٤).

وعندما أراد المسعودي أن يبرهن على بلاهة أهل الشام ساق خبراً عجيباً، وهو أن عبد الله بن علي - عمّ الخليفة العباسي السفاح - دخل الشام والتقى مع أشياخهم

= ١٣٢هـ، وعند ياقوت: سنة ١٣٥هـ. انتقل من المدائن إلى بغداد. كان عالماً بالفتوح والمغازي والشعر. قال عنه ابن عدي: ليس بالقويّ في الحديث. مات سنة ٢٢٥هـ. انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٤/١٢٤-١٣٩. الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ١٠/٤٠٠-٤٠٢. ميزان الاعتدال، ٣/١٥٣.

(١) انظر خبر المدائني نقلاً عن: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٤/١٢٨، ١٢٩.

(٢) ذكر فاروق عمر أن المسعودي «لا يتورَّع من إدخال بعض الأساطير والقصص الشعبية... حول حوادث سياسية أو فتن مذهبية؛ مما يدعو إلى الحيطة في قبول رواياته قبل تمحيصها». انظر: طبيعة الدعوة العباسية، ص٣٤.

(٣) مروج الذهب، ٣/٤٣.

(٤) مروج الذهب، ٣/٤٢.

وأرباب النعم والرِّياسة من سائر أجناد الشام، فحلفوا له «أنّهم ما علموا لرسول الله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وُلِّيتم الخلافة»(١). وهذا الخبر أورده البلاذري عن طريق هشام الكلبي الرافضي المتروك(٢).

لكن هذا التعصُّب لبني أمية زال وانتهى بعد مدّة من الزمن، وقد أشار إلى ذلك أهل العلم؛ فقد أشار ابن عساكر إلى تعصُّب أهل الشام لبني أمية وانحرافهم عن آل البيت، وبخاصة أهل حمص، لكنه أكّد أن ذلك زال وانتهى في أيامه(٣). كما أشار ابن تيمية إلى انتشار النّصب بدمشق في أتباع بني أمية، إلا أنه لم يبقَ ناصبيّ بدمشق في عهده(٤).

ويُلاحظ أن هذا الولاء والتعصُّب لبني أمية امتدّ إلى مناطق بعيدة عن بلاد الشام؛ فقد كان بنو أوْد ـ حيّ من اليمن نزل الكوفة ـ فيهم بغض لعليّ وآل بيته رضي الله عنهم أجمعين(٥)، كما أن أهل الموصل كان لهم ميل إلى الأمويين؛ مما سبّب نقمة العباسيين عليهم عام ١٣٣هـ؛ إذ ذكر الأزدي (ت ٣٣٤هـ)(٦) أن العباسيين سفكوا دماء أهلها وقتلوا وأسرفوا في سفك الدماء، فقتلوا الناس داخل المسجد الجامع بعد أن أعطوهم الأمان، واستباحوها ثلاثة أيام؛ لأن لهم ميلاً إلى بني أمية(٧).

---

(١) مروج الذهب، ٣/ ٤٣.

(٢) أنساب الأشراف، ٤/ ٢١٠. ذكر البلاذري أن مشيخة الشام دخلوا على أبي العباس السفاح وليس عبد الله بن عليّ كما ذكر المسعودي.

(٣) تاريخ دمشق، ١/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ٤/ ٤٨٨.

(٥) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٢٦٨.

(٦) أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي الموصلي: الحافظ الإمام الفقيه، قاضي الموصل ومؤلِّف كتاب (تاريخ الموصل). توفِّي سنة ٣٣٤هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٧) تاريخ الموصل، ص١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٢.

ووصف ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ)(١) أهل الرَّقَّة(٢) بأن فيهم ولاءً شديداً لبني أمية(٣)، بل وصل إلى درجة الغلوّ، وبخاصة في معاوية(٤).

كما كان للشعر دلالة على تعصُّب بعض الناس لبني أمية والتسخُّط والتهجُّم على العباسيين(٥). ومن الأشعار التي تبيِّن فرط الولاء لبني أمية قول أبي عطاء السندي(٦):

فليت جور بني مروان عاد لنا ... وليت عدل بني العباس في النار

وقال أيضاً:

أليس الله يعلم أن قلبي ... يحبّ بني أمية ما استطاعا؟!(٧)

والباحث عندما يستعرض هذه المواقف المتعصِّبة سواء للأمويين أو ضدهم فإنما يهدف من ذلك إلى بيان الواقع الاجتماعي ومدى تأثُّره بالأحداث السياسية؛ مما

(١) ابن حوقل: محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي، رحالة جغرافي توفِّي سنة ٣٦٧هـ. من آثاره: المسالك والممالك. انظر: كحالة، معجم المؤلفين، ٣/٥٠٨. وابن حوقل داعية إسماعيلي سياسي. انظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ٢/٧٠. سهيل زكار، الجامع لأخبار القرامطة، د. ط، (الرياض: دار الكوثر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص١٥٠.

(٢) الرَّقَّة: مدينة مشهورة تقع على الفرات الشرقي في بلاد الجزيرة (شمال العراق). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٥٨-٦٠.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، د. ط، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت)، ص٢٠٣.

(٤) سيأتي تفصيل موضوع الغلوّ في معاوية ﷺ عند الحديث عنه في الفصل الثالث، ص ٣٠٥.

(٥) لمزيد من المعلومات عن دور الشعر انظر: عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٢، ١٣٣. بندلي جوزي، حنين العرب إلى بني أمية، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٧٩، ج١، ١٩٣١م، ص٨٢. سليمان الرحيلي، النابتة، ص٣٥٨-٣٦٠.

(٦) أبو عطاء السندي: أفلح بن يسار مولى بني أسد، كان أبوه يسار سندياً أعجمياً لا يفصح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مدح المنصور فلم يُعْطِه فهجاه. توفِّي بعد ١٨٠هـ. الأصفهاني، الأغاني، شرح وتعليق: عبد أ. علي مهنا وسمير جابر، ط٢، (بيروت: دار الفكر، د. ت)، ج١٧، ص٣٢٧-٣٤١.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٣٣٣. وقد ذكر البلاذري هذه الأبيات وبيَّن أن أبا عطاء السندي مدح العباسيين أول الأمر وهجا الأمويين فلم يصلْهُ شيء من العباسيين فهجاهم بما ذكره الأصفهاني. انظر: أنساب الأشراف، ٤/٢١٥.

أسهم في نشر الأحاديث الموضوعة وتداولها بين أفراد المجتمع. وقد قام المؤرخون برصد هذه الظواهر غثّها وسمينها فأفادت الدارسين في التفسير والتحليل والنقد.

٤- انتشار الإسرائيليات في بلاد الشام؛ فقد نُقل الكثير منها عن طريق كعب الأحبار المعروف بنشر الغرائب والعجائب[١]، وكانت لديه العديد من كتب اليهود المحرَّفة[٢]. فلقيت أخبار السفياني وغيرها صدى واسعاً عند أهل الشام الذين انتشر فيهم التعصُّب لبني أمية.

وقد أشار العديد من الباحثين[٣] إلى أن سبب انتشار أحاديث السفياني في بلاد الشام هو ما تسرَّب إلى المسلمين من أخبار وجدوها في كتب الإسرائيليات المليئة بالملاحم والنبوءات والأساطير التي وجدها المسلمون في البلاد المفتوحة فتحدّثوا بها إعمالاً بحديث: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ»[٤].

وقد أكدت المصادر انتشار كتب الإسرائيليات بين المسلمين؛ فقد ذكر ابن كثير في مقدِّمة تفسيره أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زامِلَتَيْن[٥] من كتب أهل الكتاب، فكان يحدِّث منهما بما فهمه من

---

(١) كعب الأحبار: كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر. كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ. قدم المدينة في عهد عمر ثم سكن بالشام، كان يحدِّث الصحابة من الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب. توفِّي بحمص في أواخر خلافة عثمان. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٨٩-٤٩١. ذكر ابن كثير في تفسيره سورة النمل أن لكعب الأحبار أوابد وغرائب وعجائب. انظر: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٠٣.

(٢) انظر ما ذكره الألباني عنه في: تخريج أحاديث فضائل الشام ومناقب الشام وأهله، ص٥٤، ٥٥.

(٣) انظر: فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ص٥٧. جميل المصري، أثر أهل الكتاب في الفتن، ص٤٣٨، ٥٥٣. إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، ص١٥٥، ١٥٦. محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٩١.

(٤) انظر الحديث في البخاري: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٥٧٢.

(٥) الزَّامِلَة: بكسر الميم؛ بعير يَسْتَظْهِر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص١١٦، مادة (زمل).

حديث رسول الله ﷺ: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ»(١).

كما أن كتب دانيال(٢) عليه السلام التي حصل عليها المسلمون خلال الفتوحات أسهمت في انتشار أخبار الملاحم والفتن وما هو كائن بين الناس(٣). لذا نجد أن بعض السلف ذمّوا مَن انكبَّ على كتب دانيال وغيرها التي توسَّعت في ذكر ملاحم آخر الزمان(٤).

وهكذا يخلُص هذا المبحث إلى أن الأحاديث المَرْوِيَّة في أمر السفياني باطلة، وأن بعض بني أمية أسهموا في ترويجها من أجل مصالح سياسية، وظهر ذلك جلياً من خلال ثوراتهم التي رفعت شعار السفياني. كما أن المصادر التاريخية تأثَّرت بأخبار السفياني وأسهمت في نشر الأباطيل والنبوءات والأخبار الواهية.

وبذلك يمكن القول خلاصةً لهذا الفصل: إن ما ورد من أحاديث توضِّح أن النبي ﷺ ذمّ حكم بني أمية واستاء منهم وعدّ أيامهم شرّ الأيام، أو أن رسول الله ﷺ حدّد مدّة ملكهم، وغير ذلك مما أوردته مصادر الحديث؛ كلّ ذلك غير صحيح وليس بثابت، وقد تأثَّرت به العديد من المصادر التاريخية فنقلت بعض الأحاديث وزادت عليها من النبوءات والأساطير والنقولات الواهية التي فيها رجم بالغيب وتكهُّنات غريبة وساقطة هدفها الإساءة إلى الأمويين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥.

(٢) دانيال: نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل كان بأرض بابل بالعراق وجده المسلمون على سرير بأرض بابل حين فتحوا (تُسْتَر) في عهد عمر بن الخطاب ووجدوا معه كتباً عديدة، فأمر عمر بدفنه وتسليم الكتب إلى كعب الأحبار الذي نسخها بالعربية. انظر: ابن كثير، البداية، ٢/ ٣٧، ٣٨. كما أورد الذهبي خبر دانيال ضمن ترجمة كعب الأحبار. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٩٢.

(٣) أشار بيضون إلى أن كتب دانيال أسهمت في نشر أمر السفياني بين الأمويين. انظر: الدولة الأموية والمعارضة، ص١٥٥، ١٥٦.

(٤) حذَّر الإمام الذهبي من الانشغال بهذه العلوم، وحثَّ على نشر الخير بين الناس. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٦٠٤. كما حذَّر ابن حجر من كثرة السؤال عن الفتن وأخبارها. انظر: فتح الباري، ١٣/ ٢٧٩-٢٨١. للاستزادة عن ذلك انظر فصل (ظاهرة العبث بأشراط الساعة) ضمن كتاب محمد المقدم: المهدي، ص٦٦٢-٦٦٦.

الفصل الثالث: تأثُّر الكتابات التاريخية بالأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية

الفصل الثالث

تأثُّر الكتابات التاريخية بالأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية

توطئة:

خلُص الفصل الثاني إلى أن ما ورد من أحاديث تخبر عن مُلك بني أمية وتحديد مدة حكمهم أو تخصيص حادثة أو زمن معين لسقوطهم، أو ما ورد من أحاديث في استياء النبي ﷺ منهم وغضبه عليهم؛ كلّ ذلك لا أساس له من الصحة.

وفي هذا الفصل سيتم الحديث عن الأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية كلٌّ على حدة؛ أي خليفةً خليفةً، وعن مدى صحّتها، وأثر ذلك في الكتابات التاريخية.

والجدير بالذكر أن بعض مصادر الحديث والتاريخ عنونت لخلفاء بني أمية خليفةً خليفةً، لكنها تباينت في تبويب هذه العناوين، فتارةً تضع باباً أو فصلاً يتحدث عن الأحاديث الواردة في كل خليفة على حدة؛ مثل ما ورد في معاوية[1]، أو ما ورد في يزيد[2]، أو ما ورد في الوليد[3]. وتارةً تورد مصادر الحديث أحاديث متفرِّقة عن بعض خلفاء بني أمية ضمن أبواب المناقب والمثالب أو الخلافة أو الفتن، كما هو في (مستدرك الحاكم)، أو تأتي ضمن أحاديث عامة كما هو في (مسند الإمام أحمد)، مما سيأتي بيانه في حينه.

أما المصادر التاريخية فتارةً تورد أحاديث خلفاء بني أمية ضمن تراجمهم كما

---

(١) انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٠٨-٢١١. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/٨٧، ٨٨.

(٢) انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٧٠. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/٨٩.

(٣) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥٠٥. ابن كثير، البداية، ٦/٢٤٧. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/٢٦٣. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/٢٢٦. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/١٠٥.

هو عند ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، والذهبي في (السير)، وابن كثير في (البداية) . وتارةً تورد كتب التراجم أحاديث في خلفاء بني أمية كما هو عند ابن عبد البر في (الاستيعاب)، وابن الأثير في (أُسْد الغابة)، وابن حجر في (الإصابة)، مما سيأتي بيانه عند الحديث عن كل خليفة.

وهذا الفصل سيبتعد عن ذكر سِيَر الخلفاء وإصلاحاتهم، أو ما دار في عهدهم من أحداث أو فتوحات، أو الردّ على الشُّبهات التي أُثيرت حولهم إلا بما تقتضيه طبيعة الموضوع، وسيكون التركيز في الأحاديث الواردة فيهم في مصادر الحديث، وأثرها في مصادر التاريخ، وأما ما قيل على لسان بعض الصحابة في ذمِّهم فسنستشهد به وفق علاقته بالحديث.

المبحث الأول

الأحاديث الواردة في الخلفاء من الأسرة السُّفيانية وأثرها في الكتابات التاريخية

١- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (٤١-٦٠هـ):

ظهرت عدَّة مؤلَّفات تتكلَّم عن معاوية وتدفع عنه بعض الشُّبهات(١) التي أُثيرت ضده، لكن ذلك ليس محلّ الحديث هنا، وقد تولَّى هذا الأمر بعض العلماء والمؤرخين(٢).

ويُعدُّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان أكثر خلفاء بني أمية نصيباً من الأحاديث الواردة في شأنه، ويرجع ذلك إلى الخلفية التاريخية المتمثِّلة في حروب عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، وما ترتَّب على ذلك من ظهور أنصار لكلّ فريق وتعصُّب الطرفين، فظهرت فيما بعد الشيعة المغالية بالعراق المُبغضة لمعاوية، وظهرت طائفة النَّواصب بالشام المُبغضة لعليّ وآل بيته، ووصل التعصُّب بين الفريقين إلى درجة الوضع في الأحاديث(٣).

كما أوردت مصادر الحديث والتاريخ جماً من الأحاديث مما سيأتي بيانه لاحقاً، لكن كتب الموضوعات في الحديث وفَّرت على الباحثين الوقت في البحث عن الأحاديث الموضوعة الواردة في معاوية فأفردت له باباً أو فصلاً ضمن عناوينها.

---

(١) مثل ما قيل في إسلامه أو أنه من جملة الطلقاء، وما قيل عن سمّه الحسن، وما قيل عن سبِّه علياً على المنابر وتولية ابنه يزيد.

(٢) ومن هذه المصنَّفات: ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٢١٩-٢٢٩. ابن تيمية، سؤال في معاوية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٩م)، ص٢٥-٤٠. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ص٣٦-٥٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/١١٩-١٦٢. عبد المحسن العباد، من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رضي الله عنه، ط١، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، مركز شؤون الدعوة، د. ت)، ص٥-٢٣.

(٣) راجع دور التعصُّب في وضع الحديث ضمن أسباب وضع الحديث، الفصل الأول، ص ٩٣.

أما الأحاديث التي وُضعت لمعاوية وتحمل صور المدح والثناء فجاءت من قِبَل أنصاره المُغالين فيه، كما أن الأحاديث التي تحمل صور الذم واللعن وُضعت من قِبَل مُبغضيه. قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ)(١)، وكان صغيراً: سألتُ أبي: ما تقول في عليٍّ ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: اعْلَمْ أن علياً كان كثير الأعداء، ففتَّش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأَطْرَوْهُ كياداً لعليٍّ. فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له(٢).

أولاً: الأحاديث الواردة في معاوية

أفرد بعض المحدِّثين والمؤرِّخين فصلاً جمع فيه الأحاديث الواردة في معاوية(٣). ولأن هذه الأحاديث كثيرة، وحتى لا يخرج البحث عن المسار التاريخي المراد توضيحه، سيعمد الباحث إلى تبيين أحكامها في المتن والإحالة إلى مصادرها في الحاشية. فهناك أحاديث موضوعة وأحاديث ضعيفة وأحاديث مُختلَف في صحتها وردت في معاوية، وسنبدأ بالأحاديث الموضوعة، وسيعتمد الباحث على ما أوردته كتب الموضوعات في الحديث وغيرها، وعلى ما اتَّفق عليه العلماء في الحكم على هذه الأحاديث.

---

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي البغدادي: إمام حافظ ومحدِّث بغداد، ولد سنة ٢١٣هـ، وروى عن أبيه المسند وغيره، وحدَّث عنه مجموعة من العلماء كالنسائي والبغوي. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/٥١٦-٥٢٦.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٧/١٣١. وانظر أيضاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٦.

(٣) على سبيل المثال: ذكر الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) مجموعة أحاديث تتكلم عن معاوية قسمها إلى عدة أقسام: أحاديث موضوعة، وسرد تحتها ما يناسبها من الأحاديث، وقسم سمَّاه الأحاديث المقاربة؛ أي القريبة من القبول ولها شواهد تقوِّيها، وقسم يتعلق بما صحَّ من أحاديث في معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٣-١٣٢. كما جمع ابن حجر الهيتمي عدة أحاديث في معاوية وتكلم عن ضعفها وقوتها. انظر: تطهير الجنان، ص١٤-٢٠. كما جمع المتقي الهندي مجموعة من الأحاديث في معاوية ولم يعلِّق عليها على رغم أن بعضها موضوع، واكتفى بتخريجها. انظر: كنز العمال، ١١/٧٤٨، ٧٤٩.

*** الأحاديث الموضوعة في معاوية:**

هي على قسمين: أحاديث وُضعت له، وأحاديث وُضعت عليه.

أ- أحاديث وُضعت له (أي في مدحه والثناء عليه):

١- حديث أن جماعةً من بني هاشم سألوا رسول الله ﷺ أن يحوِّل الكتابة من معاوية، فنزل الوحي باختياره[١].

٢- حديث أنه ﷺ أخذ القلم من يد عليٍّ فدفعه إلى معاوية[٢].

٣- حديث: «أَوَّلُ مَنْ يَخْتَصِمُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلِيٌّ وَمُعَاوِيَةُ»[٣].

٤- حديث: «هَبَطَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ وَمَعَهُ قَلَمٌ مِنْ إِبْرِيزٍ[٤]، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ العَلِيَّ الأَعْلَى يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ: حَبِيبِي، قَدْ أَهْدَيْتُ هَذَا القَلَمَ مِنْ فَوْقِ عَرْشِي إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَوْصِلْهُ إِلَيْهِ وَمُرْهُ أَنْ يَكْتُبَ آيَةَ الكُرْسِيِّ بِخَطِّهِ بِهَذَا القَلَمِ وَيَشْكُلَهُ وَيُعْجِمَهُ وَيَعْرِضَهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ سَاعَةِ يَكْتُبُهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[٥].

٥- حديث أن النبي ﷺ أراد أن يستكتب معاوية، فاستشار جبريل، فقال: «اسْتَكْتِبْهُ؛ فَإِنَّهُ أَمِينٌ»[٦]. وفي رواية أن النبي ﷺ استشار أبا بكر وعمر في أمره،

---

(١) السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤١٦. محمد بن طاهر الهندي (الصديقي)، تذكرة الموضوعات وفي ذيلها قانون الموضوعات والضعفاء، ط٢، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٩هـ)، ص١٠٠. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٣.

(٢) الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٣.

(٣) الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٣.

(٤) الإبريز: الذهب الخالص. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١/١٨.

(٥) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/١٥، ١٦. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤١٤. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٣. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٣، ٤.

(٦) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/١٧. كما أورده بلفظ: «أَمِينٌ مَأْمُونٌ»، ٢/١٨. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤١٦-٤٢٠. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٤، ٥. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٤.

فقالا: الله ورسوله أعلم، فقال: «ادْعُوا لِي مُعَاوِيَةَ». فلما وقف بين يديه قال: «أَحْضِرُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَشْهِدُوهُ أَمْرَكُمْ؛ فَإِنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ»(١). وحديث: «هَنِيئاً لَكَ يَا مُعَاوِيَةُ؛ لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيناً عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ»(٢).

٦- حديث: «الأُمَنَاءُ عِنْدَ اللَّهِ ثَلاثَةٌ: أَنَا، وَجِبْرِيلُ، وَمُعَاوِيَةُ»(٣). وفي رواية: «الأُمَنَاءُ سَبْعَةٌ: القَلَمُ، وَجِبْرِيلُ، وَأَنَا، وَمُعَاوِيَةُ، وَاللَّوْحُ، وَإِسْرَافِيلُ، وَمِيكَائِيلُ»(٤).

٧- حديث أن النبي ﷺ نَاوَلَ معاوية سهماً وقال: «خُذْ هَذَا تَلْقَانِي بِهِ فِي الجَنَّةِ»(٥). وحديث: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سُوَيْقَتَيْ مُعَاوِيَةَ تَرْفُلانِ فِي الجَنَّةِ»(٦).

٨- حديث: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فطلع معاوية. وفي رواية: «أَنْتَ مِنِّي يَا مُعَاوِيَةُ، وَأَنَا مِنْكَ. لَتُزَاحِمُنِي عَلَى بَابِ الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، فأشار للسبابة والوسطى(٧).

---

(١) قال الذهبي: هذا من مناكير نُعيم، وهو صاحب أوابد. انظر: تاريخ الإسلام (عهد معاوية)، ص٣١٠. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٠، ٤٢١. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٥. ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/١٩.

(٢) ساقه الذهبي ضمن الموضوعات في معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٩.

(٣) أورده ابن عديّ ضمن ترجمة الحسن بن عثمان بن زياد، وهو باطل. انظر: الكامل في الضعفاء، ٢/٣٤٥. ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/١٧. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤١٧، ٤١٨. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٤. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٤.

(٤) ذكره الذهبي ضمن الأحاديث الموضوعة في معاوية، سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٩. وكذلك ابن كثير، انظر: البداية، ٨/١٢٣. قال عنه العلامة الصديقي الهندي: موضوع. انظر: تذكرة الموضوعات، ص١٠٠.

(٥) العقيلي، المسند الضعيف، ص ٧٢، وقال عنه: موضوع. ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٠، ٢١. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢١. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٦. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٥.

(٦) ساقه الذهبي ضمن الموضوعات في معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٩.

(٧) ابن الجوزي، العلل المتناهية، ١/٢٧٨. ووافقه الذهبي في: تلخيص العلل المتناهية، ص٩٥،=

٩- حديث: دخل النبي ﷺ على أم حبيبة، ورأس معاوية في حجرها، فقال: «أَتُحِبِّينَهُ؟»، قالت: وما لي لا أحب أخي! قال: «فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُحِبَّانِه». وفي رواية: فقال: «اللَّهُ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ مِنْكِ. كَأَنِّي أَرَاهُ عَلَى رَفَارِفِ[(١)] الجَنَّةِ»[(٢)].

١٠- حديث أن جعفر بن أبي طالب أهدى إلى النبي ﷺ سَفَرْجَلاً، فأعطى معاوية ثلاث سفرجلات، وقال: «تَلْقَانِي بِهِنَّ فِي الجَنَّةِ»[(٣)].

١١- حديث: «يُبْعَثُ مُعَاوِيَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ»[(٤)]. وفي رواية: «يُحْشَرُ مُعَاوِيَةُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ نُورٍ، ظَاهِرُهَا مِنَ الرَّحْمَةِ، وَبَاطِنُهَا مِنَ الرِّضَى»[(٥)].

١٢- حديث: «أَحْلَمُ أُمَّتِي مُعَاوِيَةُ»، وبلفظ آخر: «مُعَاوِيَةُ أَحْلَمُ أُمَّتِي وَأَجْوَدُهَا»[(٦)]، وبلفظ آخر: «كَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا مِنْ حِلْمِهِ وَائْتِمَانِهِ عَلَى

= ٩٦. كما أورده الذهبي في (السِّيَر) ضمن الأحاديث الموضوعة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٣١.

(١) الرفارف: جمع رَفْرَف، ويُراد به البساط. ابن الأثير، النهاية، ٢/٢٢١.

(٢) قال العقيلي عن الحديث بروايته الأولى: ضعيف جداً. انظر: المسند الضعيف، ص١٥١. أما رواية (رفارف) فقد أوردها ابن الجوزي في الواهيات. انظر: العلل المتناهية، ١/٢٧٦، ٢٧٧. ووافقه الذهبي في: تلخيص العلل المتناهية، ص٩٤. لكنه أورده في (السِّيَر) ضمن الأحاديث الموضوعة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٩، ١٣٠.

(٣) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٢، ٢٣. قال الذهبي: استشهد جعفر قبل إسلام معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٣٠. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٢. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٦، ٧. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٦.

(٤) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٣. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٣. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٧. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٦. ذكره الذهبي ضمن الموضوعات في معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٣٠.

(٥) ذكرها الذهبي ضمن ترجمة محمد بن الحسن، وهو كذاب. انظر: ميزان الاعتدال، ٣/٥١٦.

(٦) العقيلي، المسند الضعيف، ص١٥، وقال عنه: موضوع. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٨. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٩. ذكره الذهبي ضمن الموضوعات في معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٣٠.

كَلام رَبِّي »[١].

١٣- حديث: « لا أَفْتَقِدُ أَحَداً مِنْ أَصْحَابي غَيْرَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيَانَ، لا أَرَاهُ ثَمَانِينَ عَاماً، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَيَّ عَلَى نَاقَةٍ مِنَ المِسْكِ الأَذْفَرِ[٢]، حَشْوُهَا رَحْمَةُ اللَّه، قَوَائِمُهَا مِنَ الزَّبَرْجَد، فَأَقُولُ: مُعَاوِيَةُ؟ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ، فَأَقُولُ: أَيْنَ كُنْتَ مُنْذُ ثَمَانِينَ عَاماً؟ فَيَقُولُ: فِي رَوْضَةٍ تَحْتَ عَرْشِ رَبِّي يُنَاجِينِي وَأُنَاجِيهِ وَيَقُولُ: هَذَا عِوَضُ مَا كُنْتَ تُشْتَمُ فِي الدُّنْيَا »[٣].

ب- أحاديث وُضعت ضدّه (أي في ذمّه):

١- حديث: « لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنٌ[٤]، وَفِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُعَاوِيَةُ »[٥].

٢- حديث: « إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ »[٦].

---

(١) ذكره الذهبي ضمن الموضوعات في معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٨. كما ذكر أن راويه محمد بن الحسن كذاب. انظر: ميزان الاعتدال، ٣/٥١٦، ٥١٧.

(٢) المسك الأذفر: أي جيِّد إلى الغاية. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥٠٧، مادة (ذفر).

(٣) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٣، ٢٤. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٤. كما ذكره الذهبي ضمن الموضوعات في معاوية. سير أعلام النبلاء، ٣/١٣٠. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٧. وقال عنه العلامة الصديقي الهندي: موضوع. انظر: تذكرة الموضوعات، ص١٠١. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٦.

(٤) الفِرْعَوْن: تُطلق على كل عاتٍ متمرِّد. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٠٩. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٥٧٦.

(٥) الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٧. وأورده ابن الجوزي ضمن الواهيات. العلل المتناهية، ١/٢٧٩، ٢٨٠.

(٦) أورده البخاري في (التاريخ الصغير) وذكر أنه لم يثبت وليس له أصل، كما ذكر البخاري أن الصحابة أدركوا معاوية أميراً في زمان عمر فلم يقُمْ أحد فيقتله. انظر: التاريخ الصغير، تحقيق: محمود زايد، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج١، ص١٦٣. كما أورده ابن عدي في الضعفاء ضمن ترجمة عمرو بن عبيد وقال: إن الحديث كذب. انظر: الكامل في الضعفاء، ٥/٩٧، ٩٨. الجوزقاني، الأباطيل، ١/٣٥٠. ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٤، ٢٥. وفي رواية بلفظ: «فَاقْبَلُوهُ». ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٥-٢٧. السيوطي، اللآلئ=

٣- حديث أن النبي ﷺ سمع صوت غناء، فقال: «انْظُرُوا مَا هَذَا؟». قال أبو بَرْزَةَ: فصعدْتُ فنظرْتُ، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنَّيان، فجئْتُ فأخبرْتُ النبي ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ أَرْكِسْهُمَا فِي الفِتْنَةِ رَكْساً، وَدُعَّهُمَا فِي النَّارِ دَعًّا»(١).

٤- حديث أن رسول الله ﷺ رأى أبا سفيان على حمار وابنه معاوية يسوقه، فقال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّائِقَ وَالرَّاكِبَ»(٢).

٥- وعن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه(٣) أنه دخل على معاوية وهو جالس وعمرو بن

= المصنوعة، ١/٤٢٤، ٤٢٥. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٨. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٧. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٦. وفي رواية: «فَارْجُمُوهُ». ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٥-٢٧. قال الألباني: موضوع. انظر السلسلة الضعيفة، مج١٠، قسم ٢، ص٦٠٥.

(١) أصل الحديث في مصنَّف ابن أبي شيبة ومسند أحمد، ولم يحدِّدا الرجلين، وإنما قالا: فلان وفلان. انظر: مصنَّف ابن أبي شيبة، ٧/٥٢٦. مسند أحمد، ٣٣/٢٤. قال محقِّقو (المسند): إسناده ضعيف جداً. أما ما أوردناه في المتن فقد قال عنه ابن القيم: كذب مختلَق. انظر: المنار المنيف، ص١١٢. وعدَّه ابن الجوزي من الموضوعات. انظر: الموضوعات، ٢/٢٨. وذكر السيوطي أن هذه الرواية وردت في معاوية بن رافع وعمرو بن رفاعة، وهما من المنافقين، فزال الوهم الذي في الحديث من أن المقصود بهما معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وزال الإشكال. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٧، ٤٢٨. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٧.

(٢) ساق الطبراني هذا الحديث ضمن رواية طويلة تفيد بأن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقعا في سبِّ عليّ، فقام الحسن وقال لهما: بالله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّائِقَ وَالرَّاكِبَ»، أحدهما فلان؟ (يقصد معاوية)، قالا: اللهم نعم بلى. انظر: المعجم الكبير، ٣/٧١، ٧٢. كما نقله الهيثمي عن الطبراني بلفظه، وقال: رواه الطبراني عن شيخه زكريا بن يحيى الساجي. قال الذهبي: أحد الأثبات، ما علمتُ فيه جرحاً أصلاً، وقال ابن القطان: مختلف فيه في الحديث؛ وثَّقه قوم وضعَّفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد، ٧/٢٥٠. كما أورده ابن حجر الهيتمي بلفظ: «السَّائِقَ وَالقَائِدَ»، وقال: جاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فمختلف فيه، لكن قوَّاه الذهبي. ولم يُشِر الهيتمي إلى اسمه. انظر: تطهير الجنان، ص٧٤.

(٣) شدَّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر الأنصاري: يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين ومات=

العاص جالس على فراشه، فجلس شدَّاد بينهما وقال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا جَمِيعاً فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا؛ فَوَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَا إِلاَّ عَلَى غَدْرَةٍ»، فأحببتُ أن أفرِّق بينكما[١].

ثم نختم هذه الأحاديث بفائدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية تتعلَّق بالأحاديث الواردة في لعن معاوية؛ إذ قال: «كيف يتَّخذ النبي ﷺ كاتباً مَن هذه حاله؟!». فهذه الأحاديث باطلة باتفاق أهل العلم[٢]. كما ذكر ابن القيم أن كلّ حديث في ذمّ معاوية أو لعنه هو كذب[٣].

ويُلاحظ من سرد الأحاديث السابقة أن الأحاديث التي وُضعت في مدح معاوية أكثر من التي وُضعت ضدَّه، وفي ذلك دلالة على كثرة المُغالين فيه.

*** أحاديث مُختلَف في صحَّتها في فضل معاوية:**

اختلف علماء الحديث وغيرهم في صحة الأحاديث الواردة في فضل معاوية؛ فيرى بعضهم أنه لا يصحُّ في فضائل معاوية حديث، ومن هؤلاء إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) والنسائي وغيرهما، واحتجُّوا بأن البخاري لم يذكر له فضيلة حين صنَّف باب: (ذكر معاوية)[٤].

= بها سنة ٥٨هـ، وقيل: سنة ٤١هـ، وقيل: سنة ٦٤هـ، روى عنه أهل الشام. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/٢٥١، ٢٥٢.

(١) أخرجه الهيثمي نقلاً عن الطبراني وقال: فيه عبد الرحمن بن يعلى بن شداد ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد، ٧/٢٥١. كما أخرجه ابن حجر الهيتمي ونقل قول الهيثمي في المجمع، ثم ذكر أن الحديث لم يثبت ولم يصحّ، كما أن النبي ﷺ صحّ عنه مدح الرجلين معاوية وعمرو رضي الله عنهما. انظر: تطهير الجنان، ص٥٧.

(٢) انظر تفصيل ردّ ابن تيمية على حديث «لَعَنَ اللَّهُ القَائِدَ وَالمَقُودَ» في: منهاج السنة، ٤/٤٤٥، ٤٤٦.

(٣) انظر: المنار المنيف، ص١١٠.

(٤) انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/١٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/١٣٢. ابن حجر، فتح الباري، ٧/١٣١. العيني، عمدة القاري، ١٣/٣٢٤، ٣٢٥. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٤.

ويرى علماء آخرون أن لمعاوية أحاديث في فضائله لها طرق جيدة تصل إلى مرتبة الحسن؛ فقد قال ابن القيِّم رداً على مَن يرى من أهل الحديث كإسحاق ابن راهويه أنه لم يصحّ حديث في مناقب معاوية بخصوصية: «وإلاّ فما صحّ عندهم في مناقب الصحابة على العموم ومناقب قريش فمعاوية رضي الله عنه داخل فيه»[1].

وأما كون البخاري أورد باباً في ذكر معاوية ولم يذكر له فضيلة فيُردّ عليه بأن البخاري ذكر لمعاوية شهادة ابن عباس له بالفقه والصُّحبة، وفي ذلك دلالة على الفضل، كما أن كثيراً من العلماء والمحدِّثين صنَّفوا في مؤلَّفاتهم جزءاً من مناقبه[2]. وذكر الهيتمي أن مراد ابن راهويه: أي لم يصحّ منها شيء وفق شرط البخاري؛ لأن البخاري لم يُورد حديثاً في فضائله ومناقبه. وأكثر الصحابة كذلك، فلم يُورد البخاري من فضائلهم إلا ما صحَّ على شرطه. حتى إذا لم يُعتدّ بهذا القيد فلا يضرُّ معاوية ذلك؛ لأن فضائله جاءت في أحاديث حسنة عند الترمذي. ويرى الهيتمي أنه لا يُخدش في فضائل معاوية لوجوه؛ منها: أنه من أكابر قريش، وأنه من كُتَّاب الوحي[3]. وذكر ابن عراق الكناني أن هناك أحاديث صحَّت في فضائل معاوية[4]. وذكر ابن كثير بعض الأحاديث الحسنة التي هي أصحّ ما رُوي في معاوية[5]. كما ذكر الشوكاني قول ابن راهويه، وقال: «قلتُ: إن الترمذي له أحاديث من سننه فيها ذكر لمناقب معاوية»[6].

ولعل أوْجَه الأقوال وأقربها إلى الصحة هو قول ابن حجر العسقلاني: «إنه ورد

(١) المنار المنيف، ص١٠٩.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ١٣١.

(٣) انظر: تطهير الجنان، ص١١، ١٢.

(٤) انظر: تنزيه الشريعة، ٢/ ٨.

(٥) البداية، ص١٢٥، ١٢٦.

(٦) الشوكاني، الفوائد المجموعة، ص٤٠٧.

في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، لكن ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما، والله أعلم»(١).

كما أن بعض المحدِّثين ركَّبوا بعض الأحاديث وكوَّنوا منها فضيلة لمعاوية؛ كما فعل الإمام مسلم في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ». قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ». قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ. فَقَالَ: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»(٢).

وللعلماء في هذا الحديث فهْمٌ جيِّد؛ فقد ذكر الإمام النووي أن دعاء النبي ﷺ على معاوية أنْ لا يشبع حين تأخَّر عنه كما في حديث ابن عباس السابق الذكر فيه جوابان؛ أحدهما: أنه جرى على اللسان بلا قصد، والثاني: أنه عقوبة له لتأخُّره. قال النووي: «وقد فهم مسلم ـ رحمه الله ـ من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه؛ فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية؛ لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له»(٣). كما علَّق ابن كثير على حديث مسلم بقوله: وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه؛ أما في دنياه فكان يأكل كثيراً ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا. وهذه نعمة يرغب فيها كل الملوك. أما في الآخرة فقد أتبع الإمام مسلم هذا الحديث بحديث رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا عَبْدٍ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَهْلاً فَاجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

---

(١) انظر: فتح الباري، ٧/ ١٣١.

(٢) انظر: شرح النووي بصحيح مسلم، ١٦/ ١٢٨. منحة المعبود، ٢/ ١٩٣. ابن كثير، البداية، ٨/ ١٢٣.

(٣) انظر: شرح النووي بصحيح مسلم، ١٦/ ١٢٨.

(٤) ابن كثير، البداية، ٨/ ١٢٨. انظر الحديث في مسلم والبخاري. انظر: شرح النووي بصحيح مسلم، ١٦/ ١٢٨.

كما ذكر ابن حجر الهيتمي عدَّة أوجه في حديث: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»، وهي: أن هذا الدعاء يدلُّ على كثرة الأكل؛ فهو مذمَّة في الدنيا وليس في الآخرة، فتأخُّر معاوية عن الحضور كان ظناً منه أن الأمر ليس على الفورية، وأن هذا الدعاء جرى على لسان رسول الله ﷺ من غير قصد، وأن هذا الدعاء على معاوية فيه أجر وزكاة له، وهو قول مسلم، وأن هذا الحديث فيه منقبة لمعاوية؛ لأن هذا الدعاء له لا عليه، وبه صرَّح النووي[1].

كما أن بعض العلماء استشهد بأحاديث عامة عُدَّت منقبةً لمعاوية؛ مثل حديث أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها[2] في البخاري، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»[3]. قالت أم حرام: قلتُ: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «أَنْتِ فِيهِمْ». ثم قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ[4] مَغْفُورٌ لَهُمْ». فقلتُ: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»[5]. وهذا الحديث فيه منقبة لمعاوية؛ لأنه أوَّل مَن غزا البحر[6]، وكان ذلك في خلافة عثمان سنة ثمانٍ وعشرين هجرية[7].

---

(١) انظر: تطهير الجنان، ص٣٧، ٣٨.

(٢) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام: من بني النجار، زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، دعا لها رسول الله ﷺ بالشهادة، فخرجت مع زوجها غازيةً في البحر، فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص خرجت من البحر فقرِّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودُفنت في موضعها، وذلك في إمارة معاوية وخلافة عثمان. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ٤٨٤، ٤٨٥.

(٣) أوجبوا: أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة. ابن حجر: فتح الباري، ٦/ ١٢١.

(٤) مدينة قيصر: القسطنطينية. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ١٢١.

(٥) انظر الحديث عند البخاري في: باب ما قيل في قتال الروم. فتح الباري، ٦/ ١٢٠.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ١٢١. وانظر أيضاً: باب فضل مَن يُصرع في سبيل الله فمات. فتح الباري، ٦/ ٢٢، ٢٣.

(٧) ذكر البلاذري أن معاوية أوَّل من غزا في البحر، وكان ذلك في عهد عثمان سنة ٢٨هـ. انظر: فتوح البلدان، ص٢٠٨.

أما الأحاديث التي وردت في فضائل معاوية، وهي محلّ خلاف بين العلماء، فترى الدراسة ضرورة تسليط الضوء عليها نظراً إلى أهميتها التاريخية. وهذه الأحاديث هي:

١- أخرج الإمام أحمد في مسنده، والطيالسي في مسنده، أن رسول الله ﷺ قال: «يَا مُعَاوِيَةُ، إنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْدِلْ». قال: فما زلْتُ أظنٌّ أني مُبتلًى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتُليت[١]. وقد أورده النووي في تهذيب الأسماء ضمن ترجمة معاوية[٢]، وذكره الذهبي وقال: له طرق مقاربة، منها حديث مرسل: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِذَا مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»[٣]. كما قال ابن كثير: تفرَّد به أحمد وهو ضعيف، وله عدة شواهد تقوِّيه[٤]. وذكر ابن حجر حديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِذَا وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ»، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه صُويد (سُويد)، فيه مقال[٥].

٢- حديث أبي عميرة رضي الله عنه مرفوعاً: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا، وَاهْدِ بِهِ»[٦]. أخرجه أحمد، والترمذي في باب المناقب وقال: حسن غريب. كما أورده البخاري في (التاريخ الكبير) ضمن ترجمة معاوية[٧]. كما أورده النووي في تهذيب

(١) انظر: مسند أحمد، ٢٨/١٢٩، ١٣٠. منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي، ٢/١٩٣. كما أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني بسنده. مجمع الزوائد، ٥/١٨٩.

(٢) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص٤٠٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/١٣١.

(٤) البداية، ٨/١٢٦.

(٥) الإصابة، ٦/١٢٠.

(٦) مسند أحمد، ٢٩/٤٢٦. قال الترمذي: حسن غريب. تحفة الأحوذي، ١٠/٢٢٩-٢٣١. الطبراني، المعجم الأوسط، ١/٢٠٥.

(٧) التاريخ الكبير، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٧، ص٢٠٤.

الأسماء ضمن ترجمة معاوية، وقال: حسَّنه الترمذي[١]. كما أورده الذهبي بعدة روايات ضعيفة لكنها تتقوَّى[٢]. وذكره ابن كثير بعدة ألفاظ، وقال: يتقوَّى بما ورد له من ألفاظ مختلفة[٣]. كما صحَّحه الألباني بعد أن ذكر له عدة ألفاظ[٤]. لكن بعض العلماء كابن الجوزي يرى ضعف هذا الحديث وأنه من الأحاديث الواهية[٥].

٣- حديث العرباض بن سارية مرفوعاً: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ»[٦]، وفي رواية: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ»[٧]، وفي رواية: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ، وَمَكِّنْ لَهُ فِي البِلادِ، وَقِهِ العَذَابَ»[٨]. وقد ذكره البخاري في (التاريخ الكبير) بلفظ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ»[٩]. وذكره ابن حبان في صحيحه[١٠]. كما ذكره ابن عبد البر وقال:

---

(١) تهذيب الأسماء، ٢/٤٠٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٥، ١٢٦.

(٣) البداية، ٨/١٢٤، ١٢٥.

(٤) السلسلة الصحيحة، ٤/٦١٥.

(٥) أورد ابن الجوزي هذا الحديث بروايتين وقال: هذان حديثان لا يصحان؛ لأن مدارهما على محمد بن إسحاق بن حرب اللؤلؤي البلخي، ولم يكن ثقة ويروي مناكير. كما أورد للحديث طريقاً أخرى وقال: فيه إسماعيل بن محمد، قال عنه الدارقطني: ضعيف كذاب. انظر: العلل المتناهية، ١/٢٧٤، ٢٧٥.

(٦) انظر: الإمام أحمد، كتاب فضائل الصحابة، ٢/١١٥٦، ١١٥٧. قال محقِّق الكتاب الشيخ وصيّ الله عباس: إسناده حسن لغيره. كما أورده الإمام أحمد في مسنده، ٢٨/٣٨٣. قال محقِّقو (المسند): إسناده ضعيف.

(٧) انظر: الإمام أحمد، كتاب فضائل الصحابة، ٢/١١٥٨. قال محقِّق الكتاب الشيخ وصيّ الله عباس: إسناده ضعيف لإرساله، ورجاله ثقات، ولكن يقوِّيه الحديث السابق، فيكون حسناً لغيره.

(٨) انظر: الإمام أحمد، كتاب فضائل الصحابة، ٢/١١٥٨. قال محقِّق الكتاب الشيخ وصيّ الله عباس: إسناده ضعيف للانقطاع بين جبلة ومسلم.

(٩) التاريخ الكبير، ٧/٢٠٤.

(١٠) انظر: ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ٩/١٦٩، ١٧٠.

فيه راوٍ مجهول(١). وقال الذهبي عنه: رُواته ثقات، لكنهم اختلفوا في صحبة عبدالرحمن بن أبي عميرة المزني، والأظهر أنه صحابي(٢). والحديث ضعيف، لكن له شواهد تقوِّيه(٣). كما ذكر ابن كثير هذا الحديث بعدة ألفاظ، وقال: تفرَّد به أحمد، وبعض أسانيده مرسلة(٤). وقد استشهد ابن تيمية لمكانة معاوية بهذا الحديث(٥). ويرى بعض العلماء كابن الجوزي أن هذا الحديث لا يصح، وهو من الواهيات(٦).

٤- حديث: أردف النبي ﷺ معاوية بن أبي سفيان خلفه، فقال: «مَا يَلِينِي مِنْكَ؟»، قال: بطني، قال: «اللَّهُمَّ امْلأْهُ عِلْماً». زاد أبو مسهر راوي الحديث: «وَحِلْماً». وقد أخرجه البخاري في (التاريخ الكبير)(٧). كما ذكر الذهبي أن إسناده ضعيف(٨).

ويرى بعض العلماء أن أصحّ ما ورد في معاوية حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مسلم أنه كاتب للوحي، ثم يليه حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ»، وبعده حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادياً مَهْدِيًّا»(٩).

وعلى كل حال، فإن ما تقوَّى من أحاديث ضعيفة في فضائل معاوية يدخل

---

(١) انظر: الاستيعاب، ٣/ ٤٧٤.

(٢) تاريخ الإسلام (عهد معاوية)، ص٣٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٢٤.

(٤) البداية، ٨/ ١٢٤.

(٥) انظر: سؤال في معاوية، جمع وتحقيق: صلاح الدين المنجد، ص٢١.

(٦) ذكر ابن الجوزي حديث «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ» بعدة روايات وألفاظ، وذكر طرقه وحكم عليه بالضعف. انظر: العلل المتناهية، ١/ ٢٧١-٢٧٤.

(٧) التاريخ الكبير، ٨/ ٦٨.

(٨) في إسناده وحشيٌّ وأبوه، قال الذهبي: لا يُشتغلُ بهما. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٢٧. ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٠٦. ابن كثير، البداية، ٨/ ١٢٥. ابن عراق، تنزيه الشريعة، ٢/ ٨.

ضمن الشروط التي وضعها العلماء في الأخذ بالأحاديث الضعيفة، ومنها ألا يكون شديد الضعف، وأن يكون له أصل شاهد يندرج تحته[١]. كما أنه ليس من المهم أن تكون لمعاوية أحاديث صحيحة في فضله؛ فليس كل الصحابة جاءت في فضائلهم أحاديث، بل يكفي معاوية أنه كان صحابياً وصهراً للنبي ﷺ وكاتباً للوحي، وله من المآثر ما فاضت بها كتب المحدِّثين والمؤرِّخين.

*** ما ورد من أحاديث في توْلية معاوية:**

تمثِّل الأحاديث الواردة في توْلية معاوية منعطفاً مهماً لهذه الدراسة؛ لما تحمله من دلائل نبوية، ولتأثُّر العديد من المصادر التاريخية بها، وبخاصة الضعيفة أو الموضوعة.

وقد أشار العديد من المحدِّثين إلى خلافة معاوية ووضع لذلك باباً مستقلاً[٢] ضمَّنه بعض الأحاديث التي سبق الإشارة إلى بعضها ضمن ما ورد من فضائل معاوية؛ مثل: قول رسول الله ﷺ: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْدِلْ». قال: فما زلْتُ أظنُّ أني مُبتلًى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتُليت. وفي رواية: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ». وحديث: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ، وَمَكِّنْ لَهُ فِي البِلادِ». وهذه أحاديث محتملة الضعف ومُختلَف في صحتها.

أما الأحاديث المنكرة أو الموضوعة الواردة في توْلية معاوية فهي كالتالي:

١- حديث: سأل النبي ﷺ أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم بقوله: «كَيْفَ بِكَ يَا ... إِذَا وُلِّيتَ؟» فأجابوه. ثم قال: «يَا مُعَاوِيَةُ، كَيْفَ بِكَ إِذَا وُلِّيتَ حُقُباً؛ تَتَّخِذُ السَّيِّئَةَ حَسَنَةً، وَالقَبِيحَ حُسْناً، يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا

---

(١) انظر: حكم العمل بالحديث الضعيف في الفصل الأول من الدراسة، ص ٩٠، ٩١.

(٢) ومن هؤلاء الطيالسي في (مسنده)، ٢/١٩٣. وقد أورد البيهقي: باب ما جاء في إخباره بملك معاوية. انظر: دلائل النبوة، ٦/٤٤٦. كما أورد الهيثمي: باب إمرة معاوية. انظر: مجمع الزوائد، ٥/١٨٩.

الكَبِيرُ، أَجَلُكَ يَسِيرٌ، وَظُلْمُكَ عَظِيمٌ؟!»[1].

٢- عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَجْتَمِعَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَجُلٍ وَاسِعِ السُّرْمِ»[2]، وفي رواية: «وَاسِعِ القَـدَمِ، ضَخْمِ البُلْعُمِ، يَأْكُلُ وَلا يَشْـرَبُ، وَهُوَ م ع و ي»[3] (هكذا) (منكر)[4]. كما أورده نعيم بن حماد بلفظ آخر: «لا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَجْتَمِعَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ»[5] (منكر)[6]. كما أورد نعيم ابن حماد أخباراً عديدة عن ملك معاوية عن طريق كعب الأحبار لا تعدو كونها أقاويل أو نبوءات[7] أعرضنا عن ذكرها.

٣- حديث: «لَيَلِيَنَّ بَعْضَ مَدَائِنِ الشَّامِ رَجُلٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ، هُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»، فقال رجل: مَن هو يا رسول الله؟ فكان معه قضيب في يده وأشار إلى معاوية: «هُوَ هَذَا»[8]. وقد أورده نعيم بن حماد في كتاب (الفتن) بلفظ مختلف قليلاً أن رسول الله ﷺ ذكر الشام، فقال رجل: وكيف لنا بالشام يا رسول الله وفيها الروم ذات القرون؟! فقال رسول الله ﷺ: «لَعَلَّهُ أَنْ يَكْفِيَـهَا غُلامٌ مِنْ قُـرَيْشٍ»،

(١) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٢٧، ٢٨. السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ١/٤٢٦، ٤٢٧. ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ٢/٨، ٩.

(٢) السُّرْم: الدُّبر. ابن الأثير، النهاية، ٢/٢٢٦.

(٣) نعيم بن حماد، الفتن، ص٧٢. كما أورده ابن كثير ولم يعلِّق عليه. انظر: الشمائل، ٢/٢١٢.

(٤) ذكره الذهبي ضمن ترجمة سفيان بن الليل، وقال: لا يصحُّ حديثه؛ فهو من غلاة الرافضة. ميزان الاعتدال، ٢/١٧١، ١٧٢.

(٥) الفتن، ص٧٩. وأورده ابن كثير ولم يعلِّق عليه. انظر: الشمائل، ٢/٢١٢. كما أورده السيوطي نقلاً عن الديلمي ولم يعلِّق عليه. الخصائص الكبرى، ٢/١٩٩.

(٦) العقيلي، المسند الضعيف، ص٢٥٣.

(٧) انظر: الفتن، ص٧٨-٨٠.

(٨) ذكره ابن عساكر في ترجمة معاوية وقال: منكر بهذا الإسناد. تاريخ دمشق، ٥٩/٩١. ابن الجوزي، العلل المتناهية، ١/٢٧٦، ٢٧٧. ووافقه الذهبي في تلخيص العلل المتناهية، ص٩٥.

وأهوى رسول الله ﷺ بعصاة معه إلى منكب معاوية[١]. والحديث مرسل[٢]، لكن الذهبي ذكره ضمن الأحاديث المقاربة في معاوية، وقال: «مرسل قويّ»[٣]. وعلّق محقّقو السير بأن الحديث ليس بقويّ؛ لأن فيه (بقيَّة) مدلِّس[٤].

٤- حديث أن النبي ﷺ قال لمعاوية: «كَيْفَ بِكَ لَوْ قَدْ قَمَّصَكَ اللَّهُ قَمِيصاً؟»؛ يعني الخلافة. فقالت أم حبيبة: يا رسول، وإن الله مُقمِّص أخي قميصاً؟! قال: «نَعَمْ، وَفِيهَا هَنَاتٌ[٥] وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ». ثم دعا له رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِهِ بِالهُدَى، وَجَنِّبْهُ الرَّدَى، وَاغْفِرْ لَهُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى»[٦]. وللحديث ألفاظ عديدة، وقد سبق بيان ضعفه.

٥- أن معاوية قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَمَا أَنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي بَعْدِي، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»، فما زلْتُ أرجوها حتى قُمْتُ مقامي[٧].

٦- حديث: «إِذَا رَأَيْتُمُ الشَّامَ اجْتَمَعَ أَمْرُهَا عَلَى ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَالحَقُوا بِمَكَّةَ» (ضعيف جداً)[٨].

---

(١) قال محقِّق الكتاب: إسناده مرسل. الفتن، ص٧٩.

(٢) ذكره ابن عساكر بعدة روايات أيضاً وقال عنه: مرسل. انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩١، ٩٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٢٧.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٢٧، حاشية رقم ٥.

(٥) هَنَات: بفتح النون؛ أي الشرور والفساد وخصال الشرّ. انظر، ابن الأثير، النهاية، ٥/ ٢٤٠، مادة (هنا).

(٦) الطبراني، المعجم الأوسط، ٢/ ٢٣٣. وذكره السيوطي نقلاً عن الطبراني ولم يذكر دعاء النبي ﷺ له، كما أورده بلفظ آخر مختلف قليلاً نقلاً عن ابن عساكر. الخصائص الكبرى، ٢/ ١٩٨.

(٧) الطبراني، المعجم الأوسط، ٢/ ٣٥٢. كما أورده السيوطي نقلاً عن ابن عساكر في: الخصائص الكبرى، ٢/ ١٩٩.

(٨) أورده نعيم بن حماد ضمن باب المعقل من الفتن. انظر: الفتن، ص١٦٥. قال محقّق الكتاب: إسناده ضعيف جداً (أي موضوع)؛ لأن فيه الوليد بن مسلم مدلِّس، وقد عنعنه، ورشدين وابن لهيعة كلاهما ضعيف. ونقله المتقي الهندي عن نعيم بن حماد. انظر: كنز العمال، ١١/ ٢٧٤.

٧- حديث: «لَنْ يُغْلَبَ مُعَاوِيَةُ أَبَداً»(١).

وبعد هذا السرد للأحاديث الواردة في معاوية وفي توليته يُطرح السؤال التالي: ما مدى تأثُّر المصادر التاريخية بذلك؟ وهو ما سنعرفه في المبحث القادم بمشيئة الله.

ثانياً: أثر هذه الأحاديث في الكتابات التاريخية

قبل ذكر الأحاديث الواردة في معاوية ضمن المصادر التاريخية يُستحسن الإشارة إلى أمرين مهمَّيْن: الأول هو وجود مصنَّفات عديدة في معاوية، والثاني هو ظاهرة الغلوّ في معاوية، وكلاهما يرتبطان بانتشار الأحاديث الموضوعة فيه في المصادر التاريخة.

أ- المصنَّفات المبكِّرة في معاوية:

هناك مُصنَّفات عديدة خصَّت معاوية فقط بأحاديث عديدة، سواء له أو ضده، غلب عليها الوضع وظهرت منذ وقت مبكر، لكنها اندثرت(٢). ومن أقدم هذه المؤلفات: (رسالة في حلم معاوية) لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)(٣)، وفيها ركز المؤلف في جانب الحلم المعروف عن معاوية، وهي بعيدة عن الصراع السياسي أو المذهبي، ولا يوجد بها أحاديث موضوعة(٤). كما أن بعض العلماء خصَّ معاوية

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٩/٨٧. وقد أورده السيوطي نقلاً عن ابن عساكر. انظر: الخصائص الكبرى، ٢/١٩٩.

(٢) جمع روزنثال أسماء الكتب المؤلَّفة في بني أمية، ومنهم معاوية، وهي مفقودة، نقلاً عن ابن النديم صاحب الفهرست، وذكر منها: رسالة في بني أمية لابن عمار الثقفي، وسيرة معاوية وبني أمية لعوانة، وسيرة معاوية للعياشي، ووفاة معاوية وولاية يزيد لابي مخنف، وأخبار معاوية للحسني. انظر: فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح العلي، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٨١، ٢٨٢.

(٣) ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، بغدادي، من موالي بني أمية، ولد سنة ٢٠٨هـ، تصانيفه كثيرة جداً، وفيها عجائب. للاستزادة عنه انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/٣٩٧-٤٠٤.

(٤) انظر: مقدمة كتاب (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص١١.

بمصنَّفات تكثر فيها الأحاديث الموضوعة؛ فقد ذكر بعض الباحثين أنه نُقل عن أبي عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ)، المعروف بغلام ثعلب، وهو من أئمة اللغة في بغداد، أنه جمع جزءاً في فضائل معاوية، وكان لا يمكِّن أحداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة هذا الجزء[١]. وهذا الجزء الذي جمعه أبو عمر الزاهد أكثره مناكير وموضوعات كما يقول ابن حجر[٢].

ومن المصنَّفات التي بالغت في مدح معاوية كتاب أو رسالة (فضائل معاوية) للسّقطي (ت ٤٠٦هـ)[٣]، ويحتوي هذا الكتاب على عدة أحاديث موضوعة[٤]، كما أنه يعكس جانباً من واقع الفكر المؤيِّد للأمويين خلال القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري؛ فقد اهتمّ الشاميون بهذه الأحاديث ورووها عن علمائهم[٥].

ومن المصنَّفات التي تعصَّبت لمعاوية كتاب (شرح عقْد أهل الإيمان في معاوية ابن أبي سفيان) للأهوازي (ت ٤٤٦هـ)[٦]؛ فهو على منحى كتاب السقطي في سرد الأحاديث الموضوعة في معاوية، وزاد مؤلِّفه فصلاً عن الأحاديث التي رواها

---

(١) انظر: حبيب زيات، التشيُّع لمعاوية في عهد العباسيين، مجلة المشرق، بيروت، مج٤٧، ع٦، ١٩٢٨م، ص٤١١. ثلاث رسائل في فضائل معاوية، ص٨. الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٥٦. عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٦.

(٢) انظر: لسان الميزان، ٥/٤٢٨، ضمن ترجمة محمد بن يحيى أبي بكر العنزي.

(٣) السقطي: أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر البغدادي المجاور، إمام ثقة محدث، مات سنة ٤٠٦هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧/٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٦. ثلاث رسائل في فضائل معاوية، ص٨.

(٥) انظر: مقدِّمة كتاب (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٨، ٩.

(٦) الأهوازي: أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي، نزيل دمشق، ولد سنة ٣٦٢هـ، كان رأساً في القراءات صاحب حديث، ولكنه ليس بالمتقن، بل هو حاطب ليل، له غرائب، وهو متهم، توفِّي عام ٤٤٦هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/١٣-١٨.

معاوية عن الرسول ﷺ[1]. وهذا الكتاب يعكس مدى الغلوّ في معاوية من خلال سرد مؤلِّفه عدة أحاديث موضوعة عن فضائله، وهو يبيِّن الرواية الشعبية في الشام[2]. وقد أشار الذهبي إلى هذا الكتاب عند ترجمته للأهوازي، فقال: «جمع سيرةً لمعاوية، ومسنداً في بضعة عشر جزءاً حشاه بالأباطيل السمجة»[3].

وهذه الرسائل الثلاث التي جاءت في فضائل معاوية هي مخطوطات جمعها وحقَّقها عصام هزايمة ويوسف ياسين.

الرسالة الأولى: حلم معاوية لابن أبي الدنيا، ولا يوجد بها أحاديث سوى أخبار في حلمه.

الرسالة الثانية: جزء من فضائل معاوية للسقطي، وتحتوي على أحاديث موضوعة سبق ذكرها ضمن الموضوعات[4]؛ مثل حديث: «مُعَاوِيَةُ يُبْعَثُ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ مِنَ السُّنْدُسِ وَاليَاقُوتِ»، وحديث: «أَشْهِدُوهُ أَمْرَكُمْ؛ فَإِنَّهُ قَوِيٌّ»[5]، وحديث أن معاوية يُدعى يوم القيامة وعليه ياقوتة حمراء[6]، وحديث أن جبريل نادى أن معاوية أمين في الدنيا والآخرة[7]، وحديث مناولة جبريلَ معاويةَ القلم ليخطَّ به[8]، وحديث: «حُبُّ مُعَاوِيَةَ فَرْضٌ عَلَى عِبَادِي»[9]، وحديث أن في

(١) عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٦. ثلاث رسائل في فضائل معاوية، ص٩.

(٢) انظر: مقدمة (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٩.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ١٨/ ١٤.

(٤) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٨١.

(٥) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٦٢.

(٦) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٦٥.

(٧) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٦٦.

(٨) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٦٨.

(٩) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٧١.

النار كلاباً زرقاً تُسلَّط على مَن يلعن معاوية[١]، وحديث السفرجلة[٢]، وحديث: «يُبْعَثُ مُعَاوِيَةُ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ»[٣]، وحديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، لَتُزَاحِمُنِي عَلَى بَابِ الجَنَّةِ»[٤].

الرسالة الثالثة: شرح عقْد أهل الإيمان في معاوية بن أبي سفيان وذكر ما ورد في الأخبار من فضائله ومناقبه للأهوازي، وفيها أحاديث عديدة عن رواية معاوية الأحاديث عن النبي ﷺ، وفيها (٩١) حديثاً في (٢٣) باباً[٥].

ومن المصنَّفات التي أُفردت لمعاوية: (تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه) للقاضي ابن الفرَّاء (ت ٤٥٨هـ)[٦]، وقد أورد فيه المؤلِّف عدة أحاديث في فضائل معاوية ضعيفة وحسنة وموضوعة[٧]، وقد سبق ذِكْر بعض هذه الأحاديث الموضوعة[٨]. وعلى

(١) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٧٤.

(٢) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٧٦.

(٣) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٧٧.

(٤) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٨٠.

(٥) انظر: مقدمة (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٢٥.

(٦) ابن الفراء: محمد بن الحسين البغدادي الحنبلي، ولد سنة ٣٨٣هـ، كان شيخ الحنابلة، تولى القضاء في عدة أماكن، وله عدة مصنَّفات، توفِّي سنة ٤٥٨هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٨٩-٩١.

(٧) ابن الفراء، تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، تحقيق: أبو عبد الله الأثري، ط١، (الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص١٠٠- ١٠٥.

(٨) مثل حديث: «لَتُزَاحِمُنِي فِي الجَنَّةِ»، وحديث: «خُذْ هَذَا السَّهْمَ حَتَّى تَلْقَانِي بِهِ فِي الجَنَّةِ». انظر: تنزيه خال المؤمنين، ص١٠١. وحديث: «إِنَّ جِبْرِيلَ اسْتَكْتَبَ مُعَاوِيَةَ». انظر: تنزيه خال المؤمنين، ص١٠٢. وحديث: «إِنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ». انظر: تنزيه خال المؤمنين، ص١٠٢، ١٠٣. وحديث أم حبيبة: «أَتُحِبِّينَهُ؟»، وحديث: «يُبْعَثُ مُعَاوِيَةُ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ». انظر: تنزيه خال المؤمنين، ص١٠٤، ١٠٥. وقد ذكرنا هذه الأحاديث في المبحث الأول من الفصل الثالث، ص ٣٠٥-٣٠٨.

رغم مكانة ابن الفراء العلمية فقد قال عنه الذهبي: «ولم تكن له يدٌ طولى في معرفة الحديث، فربما احتجَّ بالواهي»[1].

المهم من عرض هذه المؤلفات هو أنها ظهرت معارضةً فكريةً قام بها أنصار الأمويين في الشام والعراق، وتتبلور في إعلاء شأن الأمويين ممثَّلين في شخصية معاوية لمواجهة التشويه العباسي الذي قامت به وسائل الدعاية العباسية المختلفة[2]؛ فقد أوعز العباسيون إلى مؤيديهم بتصنيف الكتب في ذمِّ بني أمية وذكر مثالبهم، وبخاصة معاوية، ومن أبرزها: كتاب ابن عمار الثقفي (٣١٤هـ)[3] في مثالب معاوية[4].

وقد سبق إيضاح دور العباسيين في وضع الأحاديث في بني أمية ودور المعتزلة، وعلى رأسهم الجاحظ من خلال رسالته (النابتة)؛ إذ ذمَّهم ولعنهم وخصَّ منهم بالقول معاوية، ووصف ادِّعاء معاوية الخلافة بأنه كفر، بل كفَّر مَن لم يكفِّرْه[5].

وقد حاول بعض خلفاء بني العباس لعن الأمويين، وبخاصة معاوية، لكنهم تراجعوا عن فعل ذلك. فقد أراد الخليفة المأمون لعن معاوية على المنابر، لكن مستشاريه ثنوه عن رأيه خوفاً من ردِّ فعل أهل بغداد[6]. ويُقال: إن المأمون حينما كثر الحديث عن معاوية أمر المنادي أن ينادي: «برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير»،

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٩١.

(٢) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام هزايمة ويوسف ياسين، ص٧.

(٣) ابن عمار الثقفي: أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي، ويعرف بحمار العزيز، كان قدرياً من رؤوس الشيعة. الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/ ١١٨.

(٤) انظر: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، ص١٠ من المقدمة، ص١٣٨. عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٦.

(٥) انظر: الفصل الأول من الدراسة، ص ٩٧-١١٥. وانظر أيضاً رسالة النابتة في: رسائل الجاحظ الكلامية، ص٢٤١-٢٤٣.

(٦) ابن بكار، الموفقيات، ص٤١، ٤٢. تاريخ ابن طيفور، ص٥٤. تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٤، ٥٥. المسعودي، مروج الذهب، ٤/ ٤٠، ٤١.

وكان ذلك ضمن أحداث سنة ٢١٢هـ(١).

كما حاول الخليفة المعتضد بالله لعن معاوية على المنابر عام ٢٨٤هـ لولا نصيحة المقرَّبين له بعدم فعل ذلك فتراجع. لكن بعض المؤرخين ذكروا أن المعتضد أمر بأن ينادي المنادي في الجامعَيْن أن الذمة برئت ممن يترحَّم على معاوية أو يذكره بخير(٢).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن العامة أشاعت في سنة ٣٢١هـ أن علي بن بليق حاجب الخليفة العباسي القاهر (٣٢٠-٣٢١هـ) يريد أن يلعن معاوية على المنابر، فلما علم الحاجب ذلك استدعى رئيس الحنابلة أبا محمد البربهاري، لكنه هرب واختفى، فأمر بجماعة من أصحابه فنُفوا إلى البصرة(٣).

ومحاولات العباسيين هذه في لعن معاوية هي أيضاً نتيجة لميل الناس وغلوّهم فيه؛ مما يستوجب التوقُّف عند هذه الظاهرة لمعرفة أسبابها وآثارها ونتائجها على نشر الأحاديث.

ب- ظاهرة الغلوّ في معاوية.. دلائلها وأسبابها:

سبق الحديث عن الغلوّ في بني أمية ضمن الفصل الأول من الدراسة، لكن ظاهرة الغلو في معاوية في بلاد الشام أمر معروف ومستفيض، وقد أشارت إليه العديد من المصادر؛ فقد ذكر الإمام الذهبي أن بعض أهل الشام غالوا في حب معاوية حتى ناصبوا علياً رضي الله عنه العداء، فعُرفوا بالنواصب(٤).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٤/ ٤٠. مؤلِّف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، د. ط، (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت)، ج٣، ص٣٧٠. ابن مسكويه، تجارب الأمم، (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت)، ج٦، ص٣٦٣.

(٢) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٤. العيون والحدائق لمؤلِّف مجهول، الجزء الرابع، القسم الثاني، ص١٥٣. ابن الجوزي، المنتظم، ١٢/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/ ٣١٦. ابن كثير، البداية، ١١/ ١٨٤. ويُلاحظ أن ابن الجوزي ذكر اسمه ابن يلبق وليس ابن بليق.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٢٨.

وظاهرة الغلو في معاوية، أو التشيُّع لمعاوية كما يسمِّيها بعض الباحثين[١]، لم تقتصر على بلاد الشام فقط، بل انتشرت وامتدَّت إلى عدة أقاليم كالعراق وفارس ومصر؛ فقد ذكر المسعودي أن الناس أعظموا معاوية وأسقطوا ذكر سواه[٢]، كما ذكر أن قبره يُزار وعليه بيت مبنيّ يُفتح ويُزار كل اثنين وخميس، وكان ذلك في سنة ٣٣٢هـ[٣]. وعلى رغم ضعف هذا الخبر؛ لتفرُّد المسعودي به؛ إذ لم تقف الدراسة على مصدر آخر متقدِّم يذكره، إلا أنه يقاربه ما أورده ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)[٤] من أن أحمد بن طولون (ت ٢٧٠هـ) والي مصر بنى مكاناً لقبر معاوية بدمشق، وأحضر عنده أقواماً يقرؤون القرآن سنة ٢٦٩هـ، وأنه فعل ذلك نكايةً بالعباسيين عندما اختلف معهم على السلطة[٥].

ومن دلائل الغلو في معاوية أيضاً ما كان يفعله السقَّاؤون في عهد المعتضد بالله؛ إذ كانوا يعلِّلون الناس في أسواق بغداد بشرب الماء على حب معاوية، فمنعهم المعتضد بالله من ذلك، كما منعهم من الترحُّم عليه أو ذكره بخير[٦].

ذكر التنوخي (ت ٣٨٤هـ)[٧]: «حدَّثني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها

---

(١) انظر: حبيب زيات، مقال (التشيُّع لمعاوية في عهد العباسيين)، مقدمة (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، ص٧.

(٢) مروج الذهب، ٣/٤٥.

(٣) مروج الذهب، ٣/١١.

(٤) ابن العديم: أبو القاسم كمال الدين عمر بن هبة الله، من بني أبي جرادة، ولد سنة ٥٨٨هـ وتوفِّي سنة ٦٦٠هـ. نشأ وتعلم في حلب، وجالس الأمراء والعلماء، له عدة مؤلَّفات، منها: بغية الطلب وزبدة الحلب في تاريخ حلب. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرِّخون، ٢/٢٦٣-٢٦٦.

(٥) كمال الدين ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، د. ط، (بيروت: دار الفكر، د. ت)، مج٢، ص٨٢٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢/٣٧٢. ابن كثير، البداية، ١١/٨١.

(٧) التنوخي: أبو علي المحسن بن علي بن محمد، ولد سنة ٣٢٩هـ بالبصرة، تولَّى القضاء منذ سنة ٣٤٩هـ، وتوفِّي ببغداد سنة ٣٨٤هـ. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ٢/٥٨، ٥٩.

في طرفي الجسر سائلان أعميان، يتوسَّل أحدهما بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والآخر بمعاوية، ويتعصَّب لهما الناس، وتجيئهما القطع ـ النقود ـ دارَّة، فإذا انصرفا جميعاً اقتسما القطع، وإنهما كانا شريكين يحتالان بذلك على الناس»[١].

ذكر المقدسي البشاري (ت ٣٩٠هـ)[٢] أن بعض أهل بغداد فيهم غلوّ يفرطون في حب معاوية، وأهل واسط بالعراق فيهم غلوّ في معاوية؛ فقد ذكر أنه دخل جامع واسط فوجد فيه رجلاً يحدِّث عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي مُعَاوِيَةَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُجْلِسُهُ إِلَى جَانِبِهِ ثُمَّ يَجْلُوهُ عَلَى الخَلْقِ كَالعَرُوسِ»، فلما اعترض المقدسي على هذا الحديث وكذَّب صاحبه اتَّهمه المُحدِّث بأنه رافضيّ، فهاجمه الناس وكادوا يقتلونه لولا حماية أحد أصدقائه من أهل واسط[٣].

كما وصف المقدسي أهل أصفهان بالغلوّ في معاوية، حتى إن بعضهم عدَّه نبياً مرسلاً، ولما جادلهم فيه ووصفه بالملك كادوا يبطشون به[٤]. وقد سرى هذا الغلوّ في الأقاليم الجبلية المجاورة للعراق[٥]، وهو ما يُعرف بـ(العراق العجمي).

ففي بلاد فارس كانت هناك فرقة دينية تعرف بالكَرَّامية تؤيد إمامة معاوية مع عليّ، وأنه يجوز وجود إمامتين في قطرين، ومالوا إلى تصويب سياسة معاوية أكثر من عليّ[٦].

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبّود الشالجي، ج٢، ص٣٥٨.

(٢) المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي، ولد سنة ٣٣٥هـ، ويعدُّ من الجغرافيين. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ٢/ ٧٠.

(٣) انظر: المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٦م)، ص١٢٦.

(٤) انظر: أحسن التقاسيم، ص٣٩٩.

(٥) ذكر المقدسي أن إقليم الجبال فيه «غوالٍ ـ غالية ـ حنابلة يفرطون في حب معاوية». انظر: أحسن التقاسيم، ص٣٨٤.

(٦) ذكر الشهرستاني أن مذهب الكرَّامية الأصلي اتِّهام عليّ رضي الله عنه بالسكوت عن قتلة عثمان. انظر: الملل والنحل، ١/ ١١٣.

وفي عهد الدولة الإخشيدية بمصر كثر القول والمناداة بشعار: معاوية خال المؤمنين، كما نادى بذلك سودان الجند[١].

وذكر المقريزي أنه في ربيع الأول من سنة ٣٦٢هـ ـ بداية العهد الفاطمي في مصر ـ صاح بعض الصيارفة عندما ضيّق عليهم أحد المحتسبين بشعار: «معاوية خال عليّ»، فهمَّ القائد الفاطمي جوهر الصقلي بإحراق رحْبة الصيارفة لولا خوفه على الجامع[٢].

لكن بعض المصادر بالغت في تصوير غلوّ أهل الشام ومحبَّتهم معاوية، فذكرت أن معاوية صلَّى بهم الجمعة في يوم الأربعاء[٣]. وفي رواية عند ابن عساكر أنه صلَّى بهم الجمعة يوم السبت. لكن ابن عساكر ذكر أن الأمر مُختلَق لا أصل له، وأن معاوية أتقى وأورع من أن يفعل ذلك[٤].

وظاهرة الغلو في معاوية تستوجب الوقوف على أسبابها ودوافعها، وقد أفرد لها

(١) الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٥٣، نقلاً عن: حبيب زيات، الخزانة الشرقية (أو الشرفية)، بيروت، ١٩٥٢م، ١٠/ ٣٠.

(٢) انظر: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، د. ط، (القاهرة: نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٧م)، ص١٣٢.

(٣) انظر الرواية بنصها في: المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٤١. وقد أورد المسعودي هذه الرواية ليبيِّن مدى غفلة أهل الشام وبلاهتهم.

(٤) قال ابن عساكر: هذه الرواية لا أصل لها، ومعاوية ومَن كان معه من الصحابة والتابعين أتقى لله وأورع من أن يفعلوا هذا الفعل، ولم أجد لذلك أصلاً في شيء من الروايات، وإنما يُحكى بإسناد منقطع أن بعض مغفَّلي الشام امتُحن بذكر ذلك في عهد الحجاج، فلعلَّ بعض الناس بلغه ذلك فعزاه إلى أهل الشام. ثم ذكر روايةً أخرى عن قاضٍ بالكوفة من أهل الشام اسمه أبو حمير أراد أن يذهب إلى صلاة الجمعة، فقيل له: أما علمْتَ أن الأمير أخَّر الجمعة، فعاد إلى بيته، وكان ذلك زمن الحجاج. وعلَّق ابن عساكر على هذه القصة: «وهذه الحكاية إن صحَّت تدلُّ على بُطلان ما يُدعى على معاوية من ذلك»، وأن معاوية ممن كان يأمر أهل القرى بحضور الجمعة، فكيف يُظنُّ به أنه يؤخِّر الجمعة؟! فهذا ظنُّ أهل الغباوة وأهل الشقاوة. انظر: تاريخ دمشق، ١/ ٣٦٦، ٣٦٧.

بعض الباحثين مقالات عديدة[١]، وحاولوا الوقوف على أسبابها التي نوجزها فيما يلي:

١- ما ظهر على أيدي الشيعة من غلوّ في عليّ حتى قدّموه على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٢]؛ فالرافضة وضعوا أحاديث في لعن معاوية، فردّ عليهم قوم ممّن يدّعون السنة وتعصّبوا لمعاوية فوضعوا أحاديث في فضله ليغضبوا الرافضة[٣].

ومن دلائل لعن الرافضة معاوية أنه في عام ٣٥١هـ كتبت الشيعة (الروافض) ببغداد على أبواب المساجد: لعنة الله على معاوية بن أبي سفيان، ولعنة الله على مَن غصب فاطمة حقَّها من فَدَك[٤]، ويعنون أبا بكر، ولعنة الله على مَن منع من دفن الحسن عند جده، يعنون مروان بن الحكم. فقام رجل من أهل السنة فمحاه، فأراد معزّ الدولة البويهي أن يعيده، فأشار عليه الوزير المهلَّبي ألا يفعل وأن يكتب مكانه: «لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ»، وصرحوا بلعن معاوية[٥].

(١) للاستزادة عن ظاهرة الغلوّ في معاوية انظر: مقدمة (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، ص٨. عصام مصطفى عقلة، الأمويون في العصر العباسي، ص١٣٧. سعيد الأفغاني، معاوية في الأساطير، في (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) المنعقد بالجامعة الأردنية، ٢٨ ربيع الأول - ٣ ربيع الآخر ١٣٩٤هـ الموافق ٢٠ - ٢٥ نيسان (إبريل) ١٩٧٤م، ص٤٩. حبيب زيات، التشيُّع لمعاوية، ص٤١٠-٤١٥. الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٥٣-٣٦٠.

(٢) الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٤٣. الأفغاني، معاوية في الأساطير، ص٤٩، ٥١. حبيب زيات، التشيُّع لمعاوية، ص٤١٤.

(٣) انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/ ١٥. ابن القيِّم، المنار المنيف، ص١٠٩.

(٤) فَدَك: قرية بالحجاز قرب المدينة أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً، وكانت بها عين فوَّارة ومزارع وثمار، فكانت خالصةً لرسول الله ﷺ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩. وقصة فَدَك أوردها البخاري، ومفادها أنه بعد وفاة النبي ﷺ امتنع أبو بكر رضي الله عنه من تسليمها فاطمة رضي الله عنها عملاً بحديث النبي ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»، فغضبت فاطمة على أبي بكر وهجرته حتى ماتت. انظر القصة وآراء المحدِّثين فيها في: ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ٥٦٤، ٥٦٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٧/ ٤. الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠هـ)، ص٨. ابن كثير، البداية، ١١/ ٢٥٦. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٧.

٢- ما قام به العباسيون من تشويه متعمَّد لسمعة الأمويين، والطعن فيهم، ووضع الأحاديث المكذوبة عليهم، وبخاصة معاوية[١].

٣- ما أقدم عليه بعض الخلفاء العباسيين من تبنّي مذهب المعتزلة ومناصرتهم من خلال القول بخلق القرآن، وقيام المعتزلة بذمّ معاوية ولعنه كما فعل الجاحظ؛ مما أثار عليهم المخالفين من أهل السنة فوجَّهوا نقداً جارحاً لخلفاء بني العباس وظهر ذلك جلياً في العامة[٢].

٤- ظهور المذاهب الأربعة التي ترى إمامة معاوية وغيره من خلفاء بني أمية ودفاعهم عن بني أمية؛ مما استهوى قلوب العامة فأسهم في الغلوّ فيما بعد[٣].

٥- ما تميَّز به معاوية من برّ وعطاء وإحسان وسياسة وإتقان؛ فقد وصفه المسعودي وبيَّن العديد من أخلاقه وسياساته مع الناس وحلمه وصبره على أذاهم؛ مما «اجتذب به القلوب، واستدعى به النفوس، حتى آثروه على الأهل والقرابات»[٤]. وقال الذهبي عن معاوية: «خلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضِّلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد وُلدوا في الشام على حبِّه، وتربَّى أولادهم على ذلك»[٥].

وهكذا فإن الأحاديث الواردة في مدح معاوية جاءت ردَّة فعل لما قام به العباسيون والشيعة والمعتزلة من هجوم على معاوية، فظهر الغلوّ عند طائفة من الناس فرفعوا معاوية منزلةً كبرى وساقوا الأحاديث الموضوعة في مدحه.

---

(١) الأفغاني، معاوية في الأساطير، ص٤٥. الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٤٣، ٣٤٤. مقدمة (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، ص٣٠.

(٢) الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٤٣، ٣٤٤. انظر: مقدمة (ثلاث رسائل في فضائل معاوية)، ص١٠، ٣٠.

(٣) الرحيلي، النابتة الأموية، ص٣٤٣، ٣٤٤.

(٤) مروج الذهب، ٣/ ٤٥.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٢٨.

كما أن هناك أحداثاً تاريخية أسهمت في زيادة النقمة على معاوية وأسهمت في تقبُّل هذه الأحاديث، وبخاصة عند العامة، مع الفرق بين مَن يسبُّ ويلعن ومَن هو غاضب على معاوية. وأهم هذه الأحداث: ما حدث بينه وبين عليّ رضي الله عنه من فتن وحروب، وما قام به حينما كان خليفةً من توليته ابنه يزيد ولاية العهد، ودوره في قتل حُجر بن عدي رضي الله عنه[1]؛ مما أغضب العديد من الصحابة على معاوية، حتى إن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عاتبت معاوية على مقتل حجر بن عدي[2]. والجدير بالذكر أن حادثة مقتل حُجر بمرج عذراء[3] أوردت فيها المصادر حديثاً ضعيفاً لا يُستبعد أن يكون قد أسهم في بغض معاوية وكرهه، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «سَيُقْتَلُ بِعَذْرَاءَ أُنَاسٌ يَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ وَأَهْلُ السَّمَاءِ»[4].

(١) حُجر بن عدي بن جبلة بن عدي: هو حجر الخير، وكان جاهلياً إسلامياً، وفد إلى النبي ﷺ وشهد القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذراء. كان من أصحاب علي رضي الله عنه، شهد الجمل وصفّين. ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢٤١. وقصة مقتل حجر بن عدي تتلخَّص في قيامه سنة ٥١هـ بتحريض الناس في الكوفة ضد معاوية ورمي التُّهم على عثمان بالجور؛ لأنه من أنصار عليّ رضي الله عنه، فشهد الشهود عليه بذلك، فأمر بإحضاره، وهو في الطريق أمر معاوية بقتله في مكان يُدعى (مرج عذراء) قرب دمشق. انظر ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢٤٢-٢٤٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٦٢-٤٦٦. ابن كثير، البداية، ٨/ ٥٦.

(٢) انظر: مسند أحمد، ٢٨/ ٤٣، ٤٤. قال محقّقو (المسند): حسن بشواهد. وانظر أيضاً: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢٤٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٦٦، ٤٦٧. ابن كثير، البداية، ٨/ ٥٦، ٥٧.

(٣) مرج عذراء: قرية بغوطة دمشق على بعد اثني عشر ميلاً من دمشق. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٩١.

(٤) انظر الحديث في: يعقوب بن سفيان البسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٣، ص٣٢٠، ٣٢١. البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٢٧٤. أبو العرب التميمي، المحن، تحقيق: يحيى الجبوري، ط٢، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٣٣. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٥٦. ذكر ابن كثير أن إسناده ضعيف ومنقطع. انظر: البداية ٨/ ٥٦، ٥٧. وذكره ابن حجر في ترجمة=

فلا يُستغرب أن يُشتم معاوية ويُلعن منذ وقت مبكر؛ أي قبيل ظهور بني العباس؛ فقد ذكر ابن عبد البر بسنده أن رجلاً شتم معاوية في مجلس عمر بن عبد العزيز، فجلده ثلاثة أسواط[١]. كما أورد ابن عبد البر خبراً آخر، قال عنه: من أصحّ ما يُروى، أن رجلاً قال للحسن، يقصد البصري: يا أبا سعيد، إن هاهنا ناساً يشهدون على معاوية أنه من أهل النار، فقال: لعنهم الله، وما يدريهم مَنْ في النار[٢].

ج- موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في معاوية:

تأثرت المصادر التاريخية بهذا الجانب من الغلوّ والتعصُّب من الطرفين، فامتلأت هذه المصادر بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، لكنها تباينت في نقل هذه الأحاديث بين الناقد والناقل. وستحاول الدراسة تتبُّع هذا الأثر من خلال موقف المصادر التاريخية من هذه الأحاديث.

أخرج البلاذري في (أنساب الأشراف) بسنده مجموعة أحاديث في معاوية، ولم يبيِّن حكمها أو يعلِّق عليها، وفيها الصحيح والضعيف والموضوع.

فمن الأحاديث الصحيحة حديث: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»[٣]. وقد ساقه البلاذري على وجه الذمّ لمعاوية، فذكر أن معاوية كان أكولاً لا يشبع[٤]. وقد ذكرت المصادر أن معاوية كان معدوداً من الأكلة، إلا أنها عدَّت ذلك منقبةً له[٥].

= حجر وقال: في سنده انقطاع. انظر: الإصابة، ٢/٣٣. وذكره السيوطي وقال عنه: مرسل. الخصائص الكبرى، ٢/٢٤٠. كما ضعَّفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة، ٨/١٩٩.

(١) انظر: الاستيعاب، ٣/٤٧٥. كما أورده ابن عساكر في: تاريخ دمشق، ٥٩/٢١١. ابن كثير، البداية، ص١٤٢.

(٢) انظر: الاستيعاب، ٣/٤٧٥. كما أورده ابن عساكر بنصِّه في: تاريخ دمشق، ٥٩/٢٠٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٣.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٤.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٥. ابن كثير، البداية، ٨/١٢٢، ١٢٣.

وذكر البلاذري أحاديث هي محلّ خلاف بين المحدِّثين في الضعف دون توضيح؛ مثل: حديث دعاء النبي ﷺ لمعاوية: «اللَّهُمَّ اهْدِه، واهْدِ بِهِ، وَعَلِّمْهُ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ»[1].

كما ذكر أيضاً أحاديث موضوعة ولم يعلِّق عليها؛ مثل: حديث «يَطْلُعُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فطلع معاوية. وفي رواية: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الفَجِّ رَجُلٌ يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ عَلَى غَيْرِ مِلَّتِي)، فطلع معاوية[2]. وحديث أن جبريل أخبر النبي ﷺ بأن الله ائتمن معاوية على الوحي[3]. وحديث أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ، كَأَنِّي بِكَ فِي الجَنَّةِ»[4]. وحديث أن معاوية دقَّ الباب على أم حبيبة رضي الله عنها ـ أخته وزوج النبي ﷺ ـ واضعاً القلم على أذنه، فقال له رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ مَا اسْتَكْتَبْتُكَ إلاَّ بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاءِ»[5]. وحديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي ـ وفي رواية: عَلَى الأَعْوَادِ ـ فَاقْتُلُوهُ»، وفي رواية: «فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ»[6]. وحديث: «مُعَاوِيَةُ فِي تَابُوتٍ مُقْفَلٍ عَلَيْهِ فِي جَهَنَّمَ»[7]. وحديث أن أبا سفيان مرَّ من عند النبي ﷺ على بعير ومعه معاوية وأخ له؛ أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه، فقال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الحَامِلَ وَالمَحْمُولَ وَالقَائِدَ وَالسَّائِقَ»[8].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٤، ١٣٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٤. أورد ابن تيمية هذا الحديث بلفظ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَمُوتُ عَلَى غَيْرِ سُنَّتِي»، فطلع معاوية. قال ابن تيمية: هذا من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث. انظر: منهاج السنة، ٤/٤٤٣، ٤٤٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٥.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٥، ١٣٦.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٦، ١٣٧.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٦.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٣٦.

ويُلاحظ أن البلاذري ساق هذه الأحاديث بسنده دون الإشارة إلى مصادرها أو التعليق على تناقضاتها؛ فحديث يقطع بدخول معاوية الجنة، وحديث آخر يقطع بأنه من أهل النار، فحاشا أن يكون ذلك كلام سيِّد البشر ﷺ. لكن البلاذري قدَّم أيضاً صورة مشرقة عن معاوية من حيث ذكره أقوال الصحابة والتابعين في مدحه والثناء عليه إلى جانب أقوال الذامِّين له[١].

كما أورد الطبري في (تاريخه) مجموعة أحاديث موضوعة في معاوية ضمن المرسوم الذي أراد نشره الخليفة العباسي المعتضد بالله. ومن هذه الأحاديث: حديث أن رسول الله ﷺ رأى أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقود به ويزيد يسوق به، فقال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ القَائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسَّائِقَ»[٢]. وحديث أن رسول الله ﷺ قال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحْشَرُ عَلَى غَيْرِ مِلَّتِي»، فطلع معاوية[٣]. وحديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ»[٤]. وحديث: «إِنَّ مُعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنْهَا يُنَادِي: يَا حَنَّانُ، يَا مَنَّانُ، الآنَ وَقَدْ عَصَيْتُ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ المُفْسِدِينَ»[٥].

وقد نقل الطبري مع هذه الأحاديث أقوالاً فيها لعن صريح وتكفير واضح من قبل المعتضد بالله لأبي سفيان وابنه معاوية ويزيد وأنهم من أئمة الكفر[٦]. كما ساق الطبري ضمن هذا المرسوم حديثاً صحيحاً، لكنه ذُكر على وجه الذمّ في معاوية، وهو حديث: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»[٧].

---

(١) للاستزادة انظر: أنساب الأشراف، ٥/ ١٣١-١٦٨.

(٢) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨.

(٣) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨.

(٤) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨

(٥) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨، ٥٩.

(٦) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨، ٦١، ٦٢.

(٧) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨.

كما أن بعض المصادر ساقت بعض الأحاديث الواردة في معاوية على وجه الاستشهاد أو الاستدلال بملكه، ومن ذلك ما أورده ابن عبد ربِّه (ت ٣٢٨هـ) ضمن فضائل معاوية أنه قال: لا زلتُ أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ: «يَا مُعَاوِيَةُ، إذَا مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»[١]. كذلك أورد الأصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين): عندما تنازل الحسن رضي الله عنه لمعاوية بالخلافة دخل عليه رجل فقال: السلام عليك يا مُذلَّ المؤمنين، مُعاتباً له لما سلَّم الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد[٢]، فقال الحسن: سمعتُ علياً - يعني أباه - يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ حَتَّى يَجْتَمِعَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَجُلٍ وَاسِعِ السُّرْمِ، ضَخْمِ البُلْعُمِ، يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ، لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَمُوتُ حَتَّى لا يَكُونَ لَهُ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلا فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ، وَإِنَّهُ لَمُعَاوِيَةُ، وَإِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ»[٣]. وهذا الحديث فيه وضع صريح لا مريَّة فيه، لكن اللافت للنظر تلك العبارة التي ساقها الأصفهاني، وهي (اللعين ابن اللعين)، وقد أوردتها العديد من المصادر التاريخية التي يُعرف عن مؤلِّفيها الغلوّ في التشيُّع[٤]، وعبارات اللعن هذه غالباً ما يردِّدها الروافض[٥].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥/١١٢.

(٢) انظر: مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٧٥.

(٣) انظر: مقاتل الطالبيين، ص٧٥، ٧٦. وقد سبقت الإشارة إلى أنه منكر، وراوي الحديث هو سفيان بن الليل، وقد قال عنه الذهبي: لا يصح حديثه؛ فهو من غلاة الرافضة. ميزان الاعتدال، ٢/١٧١، ١٧٢. والحديث ورد بعدة ألفاظ عند نعيم بن حماد وغيره.

(٤) عبارة (اللعين ابن اللعين) نقلها الجاحظ عن هشام الكلبي المعروف بغلوّه في التشيُّع. انظر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، د. ط، (بيروت، دار الفكر، د. ت)، ج٢، ص٨٧. كما أوردها المسعودي ضمن المراسلات بين معاوية ومحمد بن أبي بكر. مروج الذهب، ٣/٢٠، ٢١. كما أوردها ابن أبي الحديد. انظر: شرح نهج البلاغة، مج١، ج٤، ص٣٧٣. مج٣، ج١٥، ص٤٦٧، ٤٦٨.

(٥) انظر دفاع ابن تيمية عن معاوية في: منهاج السنة، ٤/٣٧٩، ٣٨٠.

والحقيقة أنه من العجب ـ كما يقول ابن تيمية ـ أن تُروى الأحاديث في لعن النبيِّ ﷺ معاويةَ وابنه يزيد على رغم أن يزيد لم يُولد إلا في عهد عثمان رضي الله عنه، وذلك ضمن كلامه عن الحديث الموضوع: «لَعَنَ اللَّهُ القَائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسَّائِقَ»(١).

كما أخرج الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) عدة أحاديث موضوعة في معاوية انتقد بعضها وسكت عن البعض الآخر؛ مثل حديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْبَلُوهُ؛ فَإِنَّهُ أَمِينٌ مَأْمُونٌ». قال عنه الخطيب: رجاله مجهولون(٢). كما ذكر رواية: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ». قال الخطيب: عمرو بن عبيد ـ راوي الحديث ـ يكذب(٣). ومن الأحاديث الموضوعة حديث: «الأُمَنَاءُ عِنْدَ اللَّهِ: جِبْرِيلُ وَأَنَا ـ محمد ﷺ ـ وَمُعَاوِيَةُ». قال الخطيب: «وهذه الرواية ذُكرت من عدة وجوه، وليس فيها شيء ثابت»(٤). كما ذكر الخطيب حديث أن رسول الله ﷺ أعطى معاوية سهماً وقال له: «هَاكَ هَذَا يَا مُعَاوِيَةُ حَتَّى تُوَافِيَنِي بِهِ فِي الجَنَّةِ». وفي رواية: «خُذْ هَذَا السَّهْمَ». قال الخطيب: «تفرَّد بروايته عن عطاء غالب بن عبيد الله، وكان ضعيفاً»(٥). كما ذكر الخطيب البغدادي حديثاً لم يعلِّق عليه هو: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا، وَاهْدِهِ وَاهْدِ بِهِ»(٦).

ويعدُّ ابن عساكر أكثر المؤرخين سرداً للأحاديث الموضوعة في معاوية، وقد كان

(١) انظر تعليق ابن تيمية على ذلك في: منهاج السنة، ٤/٤٤٦.

(٢) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ٢/٧٣، ضمن ترجمة محمد بن إسحاق، ويُعرف بـ(شاموخ).

(٣) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ١٤/٨١، ٨٢. قال محقِّق الكتاب: موضوع.

(٤) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ٤/٦٣٠، ٦٣١. قال محقِّق الكتاب: موضوع.

(٥) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ١٥/٦٤٦، ٦٤٧. قال محقِّق الكتاب: موضوع.

(٦) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، ١/٥٧٤.

ذلك محلّ استغراب الذهبي وابن كثير، قال الذهبي: «وقد ساق ابن عساكر في الترجمة ـ أي ترجمة معاوية ـ أحاديث واهية وباطلة طوَّل بها جداً»(١). وقال ابن كثير: «وقد أورد ابن عساكر... أحاديث كثيرة موضوعة، والعجب منه مع حفظه واطِّلاعه كيف لا يُنبِّه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها»(٢). وقال في موضع آخر: «ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً»(٣).

لكن هذا القول لا ينسحب على كلّ ما أورده ابن عساكر عن معاوية؛ لأن هناك مواقف نقدية جيِّدة ذكرها ابن عساكر حول بعض الأحاديث مما سيأتي بيانه لاحقاً. وقد أعطى ابن عساكر مقدِّمة عن معاوية وإسلامه ونشأته وأقوال بعض متفرِّسي العرب فيه، وعن إمارته في عهد عمر وعثمان، ثم سرد عدة أحاديث فيه(٤).

والأحاديث التي أوردها ابن عساكر في ترجمة معاوية بلغت ١١٩ رواية تقريباً، أوردها ابن عساكر بألفاظ مختلفة وأسانيد عديدة، بل إن الحديث الواحد قد يذكر له عشر روايات؛ مثل حديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ»(٥). وحتى لا تتكرَّر هذه الأحاديث اجتهد الباحث في تصنيفها إلى ثلاثة أقسام، وذلك على النحو التالي:

القسم الأول: يتعلَّق بالأحاديث التي وردت في معاوية وهي محلّ خلاف بين العلماء في الضعف، وقد ناقش ابن عساكر أسانيدها ونقل أقوال العلماء فيها، وسنذكرها هنا بإيجاز لأنه سبق ذكرها؛ مثل حديث العرباض بن سارية: «اللَّهُمَّ

(١) سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٧.

(٢) البداية، ٨/١٢٣.

(٣) البداية، ٨/١٢٥.

(٤) للاستزادة انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/٥٥-٦٥.

(٥) انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/١٥٥-١٥٨.

عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ»؛ فقد أورد له عدة روايات وألفاظ وناقش أسانيده وأجاد وأفاض فيها(١). كذلك اعتنى ابن عساكر بحديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا، وَاْهدِ بِهِ»(٢). حتى إن الحافظ ابن كثير الذي انتقد ابن عساكر في سرده الأحاديث الموضوعة في معاوية شهد له بحسن النقد في هذا الموطن، وهذا من الإنصاف الذي كان عند السلف، قال ابن كثير: «وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث وأطنب فيه وأطيب وأطرب، وأفاد وأجاد، وأحسن الانتقاد، فرحمه الله، كم له من موطن قد تبرز فيه على غيره من الحفَّاظ والنقَّاد»(٣). كما ذكر ابن عساكر حديث أن معاوية كان رديف النبي ﷺ فقال له: «مَا يَلِينِي مِنْكَ؟»، قال: بطني، قال: «اللَّهُمَّ امْلأْهُ حِلْماً وَعِلْماً»(٤). كما اعتنى ابن عساكر بحديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ»، وفي رواية: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»، وذكر عدة روايات ثم نقل قول البيهقي: إن للحديث شواهد تقوِّيه(٥).

القسم الثاني: يشمل الأحاديث الموضوعة التي أوردها ابن عساكر عن معاوية واكتفى بذكر أسانيد مَن خرجها فقط، ولم يبيِّن مدى صحتها أو ضعفها، ونشير إليها بإيجاز:

أورد ابن عساكر لمعاوية عدة أحاديث كان فيها جالساً عند أخته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، منها أن رسول الله ﷺ دخل على أم حبيبة رضي الله عنها ومعاوية في حجرها، فقال لها: «أَتُحِبِّينَهُ؟»، قالت: وما لي لا أحبُّه؟! فقال لها: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُحِبَّانِهِ»، وفي رواية أخرى: «إِنَّ جِبْرِيلَ

(١) ذكر ابن عساكر روايات عديدة لحديث العرباض. للاستزادة انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ٧٤-٧٩، ٨٥.

(٢) ذكر ابن عساكر روايات عديدة لهذا الحديث. للاستزادة انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ٨٠-٨٥.

(٣) البداية، ٨/ ١٢٤، ١٢٥.

(٤) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٨٨.

(٥) ذكر ابن عساكر عدة ألفاظ للحديث. انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٠٧-١١٠.

وَمِيكَائِيلَ يُحِبَّانِ مُعَاوِيَةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَشَدُّ حُبًّا لِمُعَاوِيَةَ مِنْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»(١).
وحديث أن النبي ﷺ دخل على أم حبيبة رضي الله عنها ومعاوية راقد على فراشه، فذهبت لتُنَحِّيَهُ، فقال لها: «دَعِيهِ! كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي الجَنَّةِ يَتَّكِئُ عَلَى أَرِيكَتِهِ»(٢).

كما أورد ابن عساكر أحاديث تتعلق بأن استكتاب معاوية للوحي كان بأمر من الله(٣)؛ مثل حديث أن جبريل هبط من السماء ومعه قلم من إبريز وأهداه إلى معاوية، فأخذ القلم ووضعه فوق أذنه وخطَّ به آية الكرسي للنبي ﷺ، فكان له ثواب مَن قرأها إلى يوم القيامة(٤). وحديث: «مُعَاوِيَةُ سَيِّدُ الأُمَنَاءِ»(٥). وعن حلمه ساق حديث: «كَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا مِنْ كَثْرَةِ حِلْمِهِ وَائْتِمَانِهِ عَلَى كَلَامِ رَبِّهِ»(٦). وحديث: «مُعَاوِيَةُ أَحْلَمُ أُمَّتِي وَأَجْوَدُهَا»(٧).

وفي الحثِّ على حب معاوية وتبشيره بالجنة وبالمكانة العالية ساق ابن عساكر

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٨٩.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٠٣. وهناك عدة أحاديث، منها حديث أن النبي ﷺ دخل على أم حبيبة رضي الله عنها، ومعاوية عندها، فقال لها: «أَتُحِبِّينَهُ؟» قالت: وكيف لا وهو أخي؟! فقال: «يَا مُعَاوِيَةُ، كَيْفَ لَوْ قَمَّصَكَ اللَّهُ قَمِيصاً؟»؛ يعني الخلافة. فقالت أم حبيبة: وإن الله مقمِّص أخي قميصاً؟! قال: «نَعَمْ، وَفِيهِ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ». وله عدة ألفاظ. انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ٦٩-٧١.

(٣) مثل حديث: «هَنِيئاً لَكَ يَا مُعَاوِيَةُ؛ لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيناً عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ». تاريخ دمشق، ٥٩/ ٧٣.

(٤) ذكر ابن عساكر عدة ألفاظ للحديث. انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ٧١-٧٣.

(٥) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٨. وهناك أحاديث، منها حديث «أَحْضِرُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَشْهِدُوهُ أَمْرَكُمْ؛ فَإِنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ». وفي زيادة عند نعيم وغيره: «وَحَمِّلُوهُ أَمْرَكُمْ». تاريخ دمشق، ٥٩/ ٨٦. وحديث: «أَوَّلُ مَنْ يَخْتَصِمُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ عَلِيٌّ وَمُعَاوِيَةُ». تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٣٩.

(٦) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٧٤.

(٧) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٨٨.

عدة أحاديث موضوعة؛ مثل: حديث أن جبريل نزل بورقة من السماء مكتوب عليها: «حُبُّ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَرْضٌ مِنِّي عَلَى عِبَادِي»[(١)]. وحديث: «الشَّاكُّ فِي فَضْلِكَ يَا مُعَاوِيَةُ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَفِي عُنُقِهِ طَوْقٌ مِنْ نَارٍ لَهُ ثَلاثُمِائَةِ شُعْبَةٍ، عَلَى كُلِّ شُعْبَةٍ شَيْطَانٌ يَكْلَحُ فِي وَجْهِهِ مِقْدَارَ عُمُرِ الدُّنْيَا»[(٢)]. وحديث أن الله يدعو النبي ﷺ يوم القيامة ومعه معاوية، فيقوم النبي ﷺ ويطوِّق معاوية بطوق فيه ياقوت أحمر وبثلاثة أسورة من لؤلؤ، فيبتسم الله، فيقوم النبي ﷺ بأخذ معاوية من يده ويدخله معه الجنة[(٣)]. وحديث أن رسول الله ﷺ أكَّل معاوية بيده فوضع رطبة في فيه وقال له: «كُلْ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ الرَّاغِمِينَ»[(٤)]. كما أورد ابن عساكر عدة روايات تبشِّر بدخول معاوية الجنة؛ مثل أن النبي ﷺ أعطى معاوية سهماً وقال له: «خُذْ هَذَا تَلْقَانِي بِهِ فِي الجَنَّةِ»، وفي رواية: «تُوافِينِي بِهِ فِي الجَنَّةِ»[(٥)]، وفي رواية أَعْطَاهُ سَفَرْجَلاً[(٦)]. وحديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، لَتُزَاحِمُنِي عَلَى بَابِ الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وأشار بالسبابة والتي تليها[(٧)].

أما الأحاديث الموضوعة التي علَّق عليها ابن عساكر فهي قليلة جداً؛ مثل حديث: «الآنَ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فطلع معاوية. فقد نقل ابن عساكر قول ابن عديّ إنه منكر. وحديث: «لا أَفْتَقِدُ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي غَيْرَ

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٠.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٠، ٩١.

(٣) تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٠٣-١٠٥.

(٤) تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٠٥. وهناك أحاديث أوردها ابن عساكر، منها حديث في دعاء النبي ﷺ له: «اللَّهُمَّ حَرِّمْ بَدَنَ مُعَاوِيَةَ عَلَى النَّارِ». تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٤. وحديث: «يُبْعَثُ مُعَاوِيَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رِدَاءٌ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ». تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٢، ٩٣. وحديث: «يَخْرُجُ مُعَاوِيَةُ مِنْ قَبْرِهِ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ مِنَ السُّنْدُسِ وَالإِسْتَبْرَقِ مُرَصَّعٌ بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ». تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٤.

(٥) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٤-٩٦.

(٦) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٧، ٩٨.

(٧) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٩.

مُعَاوِيَةَ؛ فَإِنِّي لا أَرَاهُ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَاماً، فَيُقْبِلُ عَلَى نَاقَةٍ مِنَ المِسْكِ حَشْوُهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، قَوَائِمُهَا مِنَ الزَّبَرْجَدِ - جوهر - فَأَقُولُ: مُعَاوِيَةُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: أَيْنَ كُنْتَ مِنْ ثَمَانِينَ عَاماً؟ فَيَقُولُ: فِي رَوْضَةٍ تَحْتَ عَرْشِ رَبِّي يُنَاجِينِي وَأُنَاجِيهِ، وَيُحَيِّينِي وَأُحَيِّيهِ». ثم ذكر ابن عساكر قول ابن عدي إنه موضوع، وقول الخطيب البغدادي إن الحديث باطل إسناداً ومتناً. ثم أورده ابن عساكر من وجه آخر: «لا أَفْتَقِدُ فِي الجَنَّةِ إلاَّ مُعَاوِيَةَ، فَيَأْتِي آنفاً بَعْدَ وَقْتٍ، فَأَقُولُ: مِنْ أَيْنَ؟ فَيَقُولُ: مِنْ عِنْدِ رَبِّ العِزَّةِ يُحَيِّينِي وَيُغَلِّفُنِي بِيَدِهِ وَيَقُولُ لِي: هَذَا بِمَا نِيلَ عِرْضُكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا»(١). كما علَّق على حديث آخر من حيث السند وقال: منقطع، على رغم أن الحديث ظاهر الوضع، وهو: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنَّ فِي جَهَنَّمَ كِلاباً زُرْقَ الأَعْيُنِ، عَلَى أَعْرَافِهَا شَعَرٌ كَأَمْثَالِ أَذْنَابِ الخَيْلِ، لَوْ أَذِنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِكَلْبٍ مِنْهَا أَنْ يَبْلَعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فِي لَقْمَةٍ وَاحِدَةٍ لَهَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، يُسَلِّطُهَا يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنْ لَعَنَ مُعَاوِيَةَ»(٢).

كما علَّق ابن عساكر على أحاديث موضوعة تتعلق بذم معاوية؛ مثل حديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الأَعْوَادِ فَاقْتُلُوهُ». كما أورد ابن عساكر عدَّة روايات لهذا الحديث؛ مثل: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ»(٣)، ثم قال: كلّ أسانيد هذه الأحاديث فيها مقال، والحديث الوارد هو في معاوية بن تابوه رأس المنافقين، وكان قد حلف أن يبول ويتغوَّط على منبره(٤). ثم ذكر ابن عساكر أن رواية «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْبَلُوهُ» منكرة وبعيدة التأويل(٥). أما رواية «إِذَا رَأَيْتُمْ

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/١٠٣.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/١٠١.

(٣) ثم نقل ابن عساكر قول ابن عدي أن عامة أحاديث الحكم بن ظهير - راوي الحديث - غير محفوظة. كما ذكر نقداً آخر للرواية الأخرى فقال: كذب راوي الحديث عمرو بن عبيد. انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/١٥٦.

(٤) تاريخ دمشق، ٥٩/١٥٧.

(٥) تاريخ دمشق، ٥٩/١٥٨.

مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْبَلُوهُ؛ فَإِنَّهُ أَمِينٌ مَأْمُونٌ» فقد نقل ابن عساكر قول الخطيب البغدادي إن رجال الحديث مجهولون(١).

وأما ما يتعلّق بالأحاديث الموضوعة التي أوردها ابن عساكر في ولاية معاوية فيمكن تصنيفها إلى صنفين: صنف لم يعلّق عليه، وصنف علّق عليه. فمن أحاديث الصنف الأول الذي لم يعلّق عليه حديث أن أعرابياً تصارع مع معاوية، فقال النبي ﷺ: «لَنْ يُغْلَبَ مُعَاوِيَةُ أَبَداً»، فصرع الأعرابي. قال: فلما كان يوم صفين قال عليّ: لو ذكرتُ هذا الحديث ما قاتلتُ معاوية(٢). وحديث أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم أجمعين عما هم فاعلوه إذا وُلُّوا الأمر، فأجابوه، أما معاوية فقال له رسول الله ﷺ: «أَنْتَ رَأْسُ الخَطْمِ(٣)، وَمِفْتَاحُ العَظْمِ، خَفْتاً خَفْتاً(٤)، يُهْرَمُ فِيهَا الكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَتُتَّخَذُ السَّيِّئَةُ حَسَنَةً، وَالحَسَنَةُ قَبِيحَةً، أَجَلُكَ يَسِيرٌ، وَحَرْبُكَ عَظِيمٌ، إِلاَّ أَنْ يَرْحَمَكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ»(٥). وحديث أن رسول الله ﷺ سأل معاوية: «أَتُحِبُّ عَلِيًّا؟» فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو إني لأحبُّه في الله حباً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَيْنَكُمْ هُنَيْهَةٌ». قال معاوية: ما يكون بعد ذلك يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «عَفْوُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ». قال معاوية: رضينا بقضاء الله(٦).

والصنف الثاني من الأحاديث الموضوعة التي أوردها ابن عساكر في ولاية معاوية وعلّق عليها حديث: «لَيَلِيَنَّ بَعْضَ مَدَائِنِ الشَّامِ رَجُلٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ، هُوَ مِنِّي

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/١٥٨.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/٨٧.

(٣) الخَطْم: الخَطْب الجَلَل. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٤٢٦، مادة (خطم).

(٤) خَفْتاً: الخَفْت والخُفات الضعف من الجوع ونحوه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٣٠، مادة (خفت).

(٥) تاريخ دمشق، ٥٩/١٢٥، ١٢٦.

(٦) تاريخ دمشق، ٥٩/١٤٠.

وَأَنَا مِنْهُ». قال رجل: مَن هو يا رسول الله؟ فكان معه قضيب في يده وأشار في قفا معاوية: «هُوَ هَذَا». ونقل ابن عساكر قول ابن عدي إن الحديث منكر بهذا الإسناد(١). كما ذكر ابن عساكر الحديث برواية أخرى أن رسول الله ﷺ ذكر الشام، فقال رجل: وكيف لنا بالشام يا رسول الله وفيها الروم ذات القرون؟! فقال رسول الله ﷺ: «لَعَلَّ أَنْ يَكْفِيَهَا غُلامٌ مِنْ غِلْمَانِ قُرَيْشٍ»، وبيد رسول الله ﷺ عصا فأهوى بها إلى منكب معاوية. قال ابن عساكر: وهذا مرسل(٢). ثم أورد أيضاً رواية مشابهة وقال: هذا مرسل(٣). وقد سبقت الإشارة إلى نكارة هذه الأحاديث في أوَّل هذا الفصل ضمن ما ورد في تولية معاوية.

القسم الثالث: يتعلَّق بما عدَّه ابن عساكر أصحَّ الأحاديث الواردة في معاوية. قال ابن عساكر نقلاً عن بعض العلماء: لا يصحّ حديث في فضل معاوية، وأصحّ ما ورد في فضله حديث عن ابن عباس أنه كاتب الوحي أخرجه مسلم، وحديث العرباض بن سارية: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ»، وبعده حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا»(٤).

وبعد سرد هذه الأحاديث من (تاريخ دمشق) يُلاحظ أن نقد ابن عساكر بعض الأحاديث اقتصر على السند فقط، على رغم أن المتن فيه نكارة واضحة كما هو الحال في أغلب الأحاديث المادحة معاوية، كما أن أكثر مرويَّات ابن عساكر كانت من قِبَل رجال أهل الشام؛ مما يوضِّح مدى الغلوّ في معاوية.

لكن الذي لا شكَّ فيه هو أن إيراد ابن عساكر هذه الأحاديث لا يعني قبولها، بل كان ذلك منهجاً معروفاً عند بعض المحدِّثين، ودليل ذلك أنه ختم هذه الأحاديث بنقل أقوال العلماء في عدم وجود حديث صحيح في فضل معاوية، وأن

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩١.

(٢) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩١.

(٣) تاريخ دمشق، ٥٩/ ٩٢.

(٤) تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٠٦.

أصحَّ ما ورد في فضله ثلاثة أحاديث فقط، كما أنه ختم ترجمة معاوية بأقوال الصحابة والسلف فيه وتزكيته[1]. كما أورد ابن عساكر أقوال السلف في التحذير من لعن معاوية أو سبِّه وشتمه؛ لأن ذلك يفتح الباب للتجرُّؤ على الصحابة[2]. وهذا فيه دلالة على أن ابن عساكر لم يَسُق الأحاديث الموضوعة في معاوية إلا لأن ذلك كان منهجاً عند بعض السلف في نقل الرواية، وأن ذلك فيه تبرئة للذمة.

لكن هل يفطن لهـذا المنهج كل قـارئ لـ(تاريخ دمـشق)؟! ثم إن الهـوى والتعصُّب يحمل البعض على انتقاء ما يناسب هواه من هذه الروايات، ومن ثم يوهم القارئ أنه رواها عن الإمام الحجة دون بيان مقصد المؤلِّف من سرد الروايات.

ويُلاحظ أيضاً أن كتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر تأثَّر بما ورد من روايات في كتب المحدِّثين؛ فقد كان ابن عساكر يحيل في روايته إلى كتاب (الفتن) لنعيم ابن حماد، وكتاب الأهوازي الذي سبقت الإشارة إليه، وكتاب (المعجم الكبير) للطبراني، كما استشهد بما أورده الترمذي وغيره في كتب السنن من ذكر فضائل معاوية المُختلَف في صحتها.

ومن دلائل التأثُّر أيضاً أن (تاريخ دمشق) أسهم في ملء المصادر التاريخية التي أعقبته بكثير من الأحاديث الموضوعة في معاوية؛ فقد نقل عنه هذه الأحاديث العديد من المؤرِّخين؛ كالسيوطي في (الخصائص الكبرى)، والشامي في (سبل الهدى والرشاد)[3].

ولم يكتفِ ابن عساكر بذكر هذه الأحاديث، بل ذكر أقوالاً عن معاوية هي

---

(١) للاستزادة انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ١٧٣-١٧٨.

(٢) انظر: تاريخ دمشق، ٥٩/ ٢٠٨-٢١٣.

(٣) أورد السيوطي والشامي عدة أحاديث نقلاً عن ابن عساكر؛ مثل: حديث أم حبيبة رضي الله عنها في تولِّي معاوية الخلافة وأن فيه هَنَات وهَنَات وهَنَات، وحديث «إِنَّكَ سَتَلِي الأَمْرَ بَعْدِي، فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»، وحديث «لَنْ يُغْلَبَ مُعَاوِيَةُ أَبَداً». انظر: الخصائص الكبرى، ٢/ ١٩٨، ١٩٩. سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٨٧، ٨٨.

أقرب إلى الأساطير، ومثال ذلك أنه روى أن أحد الصحابة كان نائماً فانتبه من النوم فإذا بأسد قائماً أمامه، فقال الصحابي: فوثبْتُ إلى سلاحي، فقال الأسد: مه! إنما أرسلت إليك برسالة لتبلِّغها، قلت: ومَن أرسلك؟ قال: الله أرسلني إليك لتبلِّغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة[1].

هكذا قدَّم الإمام الحافظ ابن عساكر تاريخ معاوية مليئاً بالأحاديث الموضوعة، وهو من العلماء الأجلاء والحفَّاظ، فلا غرابة أن تنتشر هذه الأحاديث في المصادر الأخرى.

وضمن موقف المصادر التاريخية من أحاديث معاوية أورد الإمام الذهبي ضمن كتاب (سِيَر أعلام النبلاء) عدة أحاديث في معاوية، وهو من المؤرخين الذين اهتموا بأحاديث معاوية وصنَّفوها وناقشوا أسانيدها وبيَّنوا حكمها؛ فقد استعرض الأحاديث الواردة في معاوية وقسمها إلى عدة أقسام:

القسم الأول: يتعلق بالصحيح مما ورد في معاوية؛ مثل: كتابة معاوية للوحي، وحديث «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»[2].

القسم الثاني: أورد فيه الأحاديث المقاربة ـ أي القريبة من الصحة ـ التي وردت في فضائل معاوية، وأورد فيها أحاديث ضعيفة لها شواهد تقوِّيها؛ مثل: حديث «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ»، وحديث «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا»، وحديث «مَا يَلِينِي مِنْكَ؟»، قال: بطني، قال: «اللَّهُمَّ امْلأْهُ عِلْماً»[3]. وقد أشرنا إلى آراء الذهبي في هذه الأحاديث ضمن ما ورد من أحاديث مُختلَف في صحتها في أول هذا الفصل.

القسم الثالث: الأحاديث الباطلة المُختلَقة، وقد ذكر الذهبي عشرين حديثاً

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/١٠٦، ١٠٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٤-١٢٧.

وأعرض عن الكثير من الأحاديث الموضوعة التي أوردها ابن عساكر(١). وقد أشرنا إلى آراء الذهبي في هذه الأحاديث ضمن ما يتعلق بالأحاديث الموضوعة في معاوية.

القسم الرابع: يتعلَّق بما يُروى في فضائل معاوية من أشياء ضعيفة تُحتمل، ومنها: حديث «يَا مُعَاوِيَةُ، إنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»(٢).

ثم ختم الذهبي حديثه عن معاوية بأنه لا يصحّ في فضائله حديث نقلاً عن ابن راهويه(٣). أما كتاب (تاريخ الإسلام) فقد ذكر فيه الذهبي أحاديث قليلة تكلَّم عنها في (السِّيَر). وخشية التكرار فقد اكتفينا بما أورده في (السِّيَر)(٤). وهكذا نجد أن الإمام الذهبي قدَّم للمؤرخين والباحثين خلاصةً عما صحَّ أو ضعُف أو وُضِع من أحاديث في معاوية.

ويعدُّ ابن كثير أكثر المؤرخين اهتماماً بذكر أحاديث معاوية؛ فقد تدرَّج في ذكرها مبتدئاً بما صحَّ منها؛ مثل: حديث أن معاوية كان كاتباً للوحي، وحديث «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ» الذي جعله ابن كثير منقبةً لمعاوية، ثم ذكر عدة أحاديث عن ابن عساكر وقال عنها: في إسنادها غرابة، وهي منكرة؛ مثل: حديث قول جبريل للنبي ﷺ في جعل معاوية كاتباً للوحي: «اسْتَكْتِبْهُ؛ فَإِنَّهُ أَمِينٌ»، وحديث قول النبي ﷺ لمعاوية: «كَيْفَ لَوْ قَمَّصَكَ اللَّهُ قَمِيصاً؟»؛ يعني الخلافة، وحديث: «الأُمَنَاءُ ثَلاثَةٌ»، و«الأُمَنَاءُ سَبْعَةٌ»، منهم معاوية. وقد استغرب ابن كثير من سرد ابن عساكر هذه الأحاديث المنكرة دون تنبيه إليها، فأعرض عن ذكرها(٥). ثم أورد ابن كثير مجموعة أحاديث ضعيفة دقَّق في أسانيدها وذكر لها شواهد تقوِّيها(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣/١٢٨-١٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣/١٣١.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/١٣٢.

(٤) تاريخ الإسلام (عهد معاوية)، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٥) البداية، ٨/١٢٢، ١٢٣.

(٦) مثل: حديث «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ، وَقِهِ العَذَابَ»، كما ذكر حديث «اللَّهُمَّ =

أما كتب الدلائل والشمائل فمنها ما لم يذكر أحاديث عن معاوية؛ لذا لم نتعرَّض لها[1]، ومنها ما قدَّم أحاديث معاوية تحت عناوين مستقلة؛ مثل: باب ما ورد في مُلك معاوية. فقد أشار البيهقي في (دلائل النبوة) إلى ما جاء في ملك معاوية؛ مثل: «باب ما جاء في إخباره بملك معاوية إن صحَّ الحديث فيه»، فذكر حديث: «إِذَا مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»، وحديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ»[2].

كما أورد ابن كثير في (شمائل الرسول) ما أورده البيهقي من أحاديث، ثم نقل روايةً عن نعيم بن حماد حديث: «لا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَجْتَمِعَ الأُمَّةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ»[3]، لكنه لم يعلِّق عليها، وفصَّل القول فيها في كتابه (البداية) عند حديثه عن معاوية.

كما بيَّن المقريزي في (إمتاع الأسماع) عدة أحاديث تخبر بملك معاوية نقلاً عن البيهقي في (الدلائل)، منها حديث: «إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»، ثم نقل المقريزي قول البيهقي إنه ضعيف وله شواهد[4]. كما ذكر المقريزي حديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ»[5].

كما ذكر السيوطي في (الخصائص الكبرى) عدة أحاديث، منها ما أورده

= اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا، وَاهْدِ بِهِ». وقد سبقت الإشارة إلى الكلام عن صحة هذه الأحاديث، وأقوال المحدِّثين فيها، بما فيهم ابن كثير، ضمن ما ورد من أحاديث مُختلَف في صحتها في فضل معاوية، ص ٣١٠-٣١٧. كما ذكر ابن كثير حديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»، وذكر أن له شواهد تقوِّيه. انظر: البداية، ٨/١٢٦.

(١) ذكر القاضي عياض في فصل (ما اطَّلع عليه ﷺ من الغيوب وما يكون) أنه أخبر بولاية معاوية ووصَّاه دون الإشارة إلى حديث يُذكر. انظر: الشفا، ١/٣٣٨. كما أن السمهودي صاحب (الوفاء بأخبار المصطفى) لم يذكر أحاديث عن معاوية.

(٢) دلائل النبوة، ٦/٤٤٦.

(٣) انظر: شمائل الرسول، ٢/٢١١، ٢١٢.

(٤) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/٢٠٨.

(٥) إمتاع الأسماع، ١٢/٢٠٩.

البيهقي سابقاً، كما ذكر أحاديث محتملة الضعف، وقد سبق ذكرها والإشارة إلى نكارتها[١].

وعلى رغم أن السيوطي ذكر هذه الأحاديث ولم يعلِّق عليها إلا أنه أفرد باباً مستقلاً عن الأحاديث الموضوعة في معاوية ضمن كتابه (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، ولم يُشِرْ إلى هذه الأحاديث التي ذكرها في (الخصائص الكبرى)؛ مما يؤكِّد أن السيوطي يرى عدم وضعها. أما في كتابه (تاريخ الخلفاء) فقد أشار إلى حديث «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا» عن طريق الترمذي، وحديث «يَا مُعَاوِيَةُ، إِذَا مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ» عن طريق ابن أبي شيبة والطبراني، وحديث «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ» عن طريق مسند أحمد[٢].

كما ذكر الإمام الشامي عدة أحاديث عن معاوية في كتابه (سبل الهدى والرشاد) ضمن باب (في إخباره ﷺ بولاية معاوية)، لكن فيها الضعيف والمنكر والموضوع. فمن الأحاديث المنكرة: حديث «لا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي...»، وحديث «كَيْفَ بِكَ لَوْ قَمَّصَكَ اللَّهُ قَمِيصاً...؟»، نقلاً عن الطبراني وابن عساكر، وحديث «لَنْ يُغْلَبَ مُعَاوِيَةُ أَبَداً» نقلاً عن ابن عساكر، وحديث «أَمَا إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي بَعْدِي، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»، فما زِلْتُ أرجوها حتى قُمْتُ مقامي، نقلاً عن ابن عساكر[٣]. كما ذكر الشامي

---

(١) كحديث: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ، وَمَكِّنْ لَهُ فِي البِلادِ، وَقِهِ العَذَابَ». كما ذكر أحاديث منكرة ولم يعلِّق عليها؛ مثل: حديث «لا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَجْتَمِعَ الأُمَّةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ». وحديث أخرجه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «كَيْفَ بِكَ لَوْ قَدْ قَمَّصَكَ اللَّهُ قَميصاً؟»؛ يعني الخلافة. فقالت ام حبيبة رضي الله عنها: يا رسول الله، وإن الله مُقمِّص أخي قميصاً؟! قال: «نَعَمْ، وَلَكِنْ فِيهِ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ». كما ذكر حديثاً اخرجه ابن عساكر عن معاوية قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَمَا أَنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي بَعْدِي، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ». فما زلْتُ أرجوها حتى قمتُ مقامي. كما ذكر نقلاً عن ابن عساكر حديث: «لَنْ يَغْلِبَ مُعَاوِيَةَ أَحَدٌ». انظر: السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/١٩٨، ١٩٩.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد، ١٠/٨٧، ٨٨، نقلاً عن ابن عساكر.

أحاديث فيها ضعف وتحتمل الصحة، وقد سبق الحديث على أسانيدها؛ مثل: حديث «إِذَا مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»، وحديث «إِنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ»[1].

وبعد بيان موقف بعض المصادر التاريخية من أحاديث معاوية يُلاحظ أن أهم المصادر التي اهتمت بأحاديثه هي: (تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(تاريخ بغداد) للبغدادي، و(سِيَر أعلام النبلاء) للذهبي، و(البداية) لابن كثير. ويُلاحظ أيضاً أن هناك مصادر أوردت عن معاوية أحاديث قليلة قد سبقت الإشارة إليها ضمن الأحاديث المُختلَف في صحتها الواردة في معاوية، لكنها لم تورد أحاديث موضوعة، ومن هذه المصادر كتب التراجم؛ مثل: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر[2]، و(أُسْد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير[3]، و(الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني[4].

وقبل أن نختم ما أوردته المصادر التاريخية عن معاوية لا بد من تسليط الضوء على ما كتبه المؤرخ الشيعي ابن أبي الحديد الذي ذكر عدة أحاديث موضوعة في معاوية توضِّح فكر الشيعة وتصوُّراتهم تجاه معاوية. ومن هذه الأحاديث الموضوعة حديث أورده ابن أبي الحديد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سَيَظْهَرُ عَلَى النَّاسِ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي عَظِيمُ السُّرْمِ، وَاسِعُ البُلْعُومِ، يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ، يَحْمِلُ وِزْرَ الثَّقَلَيْنِ، يَطْلُبُ الإِمَارَةَ يَوْماً، فَإِذَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَابْقُرُوا بَطْنَهُ».

---

(١) سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٨٧.

(٢) من الأحاديث التي ذكرها ابن عبد البر حديث: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الكِتَابَ وَالحِسَابَ»، وقال: فيه راوٍ مجهول. كما أورد حديث: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ». انظر: الاستيعاب، ٣/ ٤٧٤.

(٣) أورد ابن الأثير عدة أحاديث في معاوية؛ مثل: حديث «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا، وَاهْدِ بِهِ»، وحديث: «لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»، وحديث: «إِنْ وُلِّيتَ فَأَحْسِنْ». انظر: أُسْد الغابة، ٤/ ١٥٥- ١٥٧.

(٤) ذكر ابن حجر حديث: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْراً فَاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ»، وقال: راويه سويد فيه مقال. الإصابة، ٦/ ١٢١.

قال: وكان في يد رسول الله صلى الله عليه وآله قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية[1]. ثم قال ابن أبي الحديد معلِّقاً عليه: «هذا الخبر مرفوع ومُناسِب لما قاله عليّ عليه السلام في (نهج البلاغة)، ومؤكِّد لاختيارنا أن المراد به معاوية»[2]. والحديث سبق القول بوضعه، لكن الغريب ذلك التعليق العجيب منه لإثبات صحة الحديث، فأين العقل من مثل هذه الأحاديث؟! فجميع الصحابة رأوا معاوية، فلماذا لم يبقروا بطنه؟! ولماذا يحمل معاوية وزر الثقلين، ولم يأتِ هذا الوعيد في الكافرين كفرعون وأبي جهل؟!

ويستمر ابن أبي الحديد في سرد الأحاديث المكذوبة على معاوية نقلاً عن علي رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ في المنام فشكا إليه، فقال له: «هَذِهِ جَهَنَّمُ فَانْظُرْ فِيهَا»، فإذا معاوية وعمرو بن العاص مُعلَّقَيْن بأرجلهما مُنكَّسَيْن، تُرضَخ رؤوسهما بالحجارة. ويؤكِّد ابن أبي الحديد صحة ذلك بذكر رواية أخرى تعضده[3].

فمن أين جاء هذا الحكم على معاوية بدخول النار؟! وما بال عمرو بن العاص تُرضَخ رأسه ويدخل النار وقد قال عنه المصطفى ﷺ: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ»[4]؟!. قال ابن القيم: «كلّ حديث في ذمّ عمرو بن العاص كذب»[5].

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة، مج١، ج٤، ص٣٧٣.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة، مج١، ج٤، ص٣٧٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، مج١، ج٤، ص٣٧٣.

(٤) هذا الحديث أورده الإمام أحمد بن حنبل في فضائل عمرو بن العاص عن عقبة بن عامر. قال عنه محقِّق الكتاب الشيخ وصيّ الله: إسناده صحيح. انظر: فضائل الصحابة، ٢/١١٥٤. كما أورده الترمذي في مناقب عمرو بن العاص وقال: حديث غريب. انظر: تحفة الأحوذيّ، ١٠/٢٣١، ٢٣٢. أما حديث «عَمْرُو بْنُ العَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ» الذي أخرجه الترمذي في مناقبه ـ انظر: تحفة الأحوذيّ، ١٠/٢٣٢ ـ فقد قال عنه الألباني: إسناده ضعيف، لكن له شاهد بلفظ: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ»، وآخر: «ابْنَا العَاصِ مُؤْمِنَانِ: هِشَامٌ وَعَمْرٌو». انظر: السلسلة الصحيحة، ٢/٢٥٦، ٢٥٧.

(٥) انظر: المنار المنيف، ص١١٠.

فهل نصدِّق ابن أبي الحديد الذي يرى أن الصحابة وضعوا أحاديث للتقرُّب لمعاوية؛ كحديث: «اللَّهُمَّ قِهِ العَذَابَ وَالحِسَابَ، وَعَلِّمْهُ الكِتَابَ»[1]، على رغم أن هذا الحديث له شواهد تقوِّيه سبق ذكرها؟!

وعلى كلّ حال، فإن تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث في معاوية أمر واضح بيِّن، وهذا المبحث لا يتبنَّى الدفاع عن معاوية، وهو أهلٌ لأن يُردَّ عنه؛ لأن ذلك ليس من أهداف هذه الدراسة؛ فقد تكفَّلت الدراسات التاريخية وغيرها بدفع الشبهات عن معاوية وردّ التهم عنه ومناقشة الأحداث التاريخية التي كانت في عهده، لكن الباحث يرى من الإنصاف ذكر خلاصة لبعض الأمور التي يجب إدراكها عن معاوية:

* كلُّ حديث فيه ذمٌّ لمعاوية أو لعنه فهو كذب.
* يرى العديد من العلماء أن هناك أحاديث حسنة بل صحيحة وردت في فضائله.
* لعْن معاوية ليس من منهج أهل السنة؛ فهو ديدن أهل البدع والضلال[2].
* الطعن في معاوية فيه امتهان واستنقاص للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[3].
* أشاد علماء الإسلام بمعاوية كابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١١، ص١٥.

(٢) سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل يجوز لعن معاوية؟ وماذا يجب على مَن لعنه؟ فأجاب بما خلاصته: لا يجوز لعن الصحابي، وقد تنازع العلماء في وجوب قتله. ومعاوية لم يُتَّهم بنفاق، وهو ممَّن حسُن إسلامه واستكتبه رسول الله ﷺ منذ أسلم، وهو ممَّن حمل الحديث عن رسول الله ﷺ. كما أنه لا يجوز لعن المعيَّن بذاته إذا ارتكب كبيرة فيها لعن، وأن اللعن للصحابة هو من طوائف أهل البدع. انظر: سؤال في معاوية، جمع: صلاح الدين المنجد، ص١٢-٢٨.

(٣) قرَّر علماء السنة والجماعة في عقائدهم قضايا تتعلَّق بحب الصحابة وعدم استنقاصهم؛ لأن في ذلك تجرُّؤاً على الدين وعلى مقام النبي ﷺ، وأن مَن انتقصهم أو أبغضهم فهو زنديق أو منافق أو من أهل الأهواء والبدع كالرافضة والمعتزلة. انظر قول الإمام الطحاوي في ذلك وتعليق ابن أبي العزّ في: شرح الطحاوية، ص٤٦٤-٤٦٩.

وابن حجر، وقد نقلوا ثناء السلف عليه[1].

* الأحاديث الواردة في لعن معاوية لم تذكرها كتب الصحاح وكُتب السنن.

* لعْن معاوية رضي الله عنه كان من قِبَل المُغالين في علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الشيعة) أو من قِبَل الخوارج[2].

* الغلوّ في معاوية رضي الله عنه أسهم في نشر الأحاديث الموضوعة في مدحه من قِبَل المُغالين له ردَّةَ فعلٍ للمغالين في عليّ رضي الله عنه[3].

٢- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠-٦٤هـ):

يُعدُّ يزيد بن معاوية من أكثر شخصيات خلفاء بني أمية تعرُّضاً للذم واللعن، بل حتى التكفير، وقد عدَّه بعض المحدثين والمؤرخين من الظلمة والفسقة[4] بسبب ما حدث في عهده من أحداث عظام؛ كمقتل الحسين رضي الله عنه ووقعة الحرة بالمدينة، وما زالت هذه الأحداث محلّ نقاش بين الباحثين قديماً وحديثاً[5].

---

(١) جمع الشيخ عبد المحسن العباد رسالة لطيفة تتكوَّن من نحو عشرين صفحة ونيِّف عن أقوال المُنصفين في معاوية يمكن الرجوع إليها.

(٢) ذكر الفاكهي في (أخبار مكة) والبلاذري في (أنسابه) أن أبا حمزة الشاري الخارجي دخل مكة وخطب خطبة لعن فيه معاوية بن أبي سفيان وطلب من الناس لعنه، ثم أخذ يلعن بني أمية خليفةً خليفةً. انظر نصّ الخطبة في: الفاكهي، أخبار مكة، ٣/١٤١، ١٤٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ٩/٢٩٢. وقد عُرف عن الخوارج تكفيرهم معاوية، وهو مُقرَّر في كُتب الفِرَق. انظر: البغدادي، الفِرَق، ص٥٥، ٥٦. ابن حزم، الفصل ٥/٥١-٥٤.

(٣) ضمن أسباب الوضع التي وردت في الفصل الأول أوضحت الدراسة أن بعض جهلة أهل السُّنَّة وضعوا أحاديث لمعاوية ردَّةَ فعل لما قام به الشيعة من وضع أحاديث في عليّ بن أبي طالب. راجع أسباب الوضع في الحديث، الفصل الأول، ص ٩٢.

(٤) قال عنه الذهبي: «كان ناصبياً فظًّا، يتناول المسكر، ويفعل المنكر». انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/٣٧. وقال عنه ابن كثير: «وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات، وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات». انظر: البداية، ٨/٢٣٣.

(٥) مثل: مسؤوليته عن قتل الحسين رضي الله عنه، ودوره في أحداث الحرَّة، وما تسبَّب فيه جيشه من قتل=

وقد أفاضت الدراسات التاريخية في الحديث عن يزيد[١]، لكن ذلك ليس مراد الدراسة؛ فالمنحى هنا هو الأحاديث الواردة في ذمّ يزيد أو ذمّ زمنه، ومدى صحتها، وأثرها في المصادر التاريخية.

أولاً: الأحاديث الواردة في يزيد بن معاوية

جاءت الأحاديث الواردة في يزيد على أضْرُب؛ منها ما ذُكر فيها اسمه صراحةً، ومنها ما فيه ذمّ لمدَّة حكمه، ومنها ما هو يدخل في الذم العام، وسنتناولها بالتفصيل.

والحقيقة أن بعض مصادر الحديث أدرجت الأحاديث التي جاءت في يزيد أو في مدَّة حكمه ضمن عدة عناوين مختلفة، فمن أمثلة عناوين مصادر الحديث: (باب الاستعاذة من رأس السبعين وغير ذلك)[٢]، و(باب الاستعاذة من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان)[٣]، و(باب ما جاء في يزيد وبني أمية)[٤].

وهذه الأحاديث التي وردت في يزيد فيها الموضوع والضعيف، وفيها الحسن بمجموع طرقه عند بعض المحدِّثين. فمن الأحاديث الموضوعة في يزيد:

* حديث: «لا بَارَكَ اللَّهُ فِي يَزِيدَ الطَّعَّانِ اللَّعَّانِ»[٥].

= أبناء الصحابة وحرق الكعبة، وما قيل عن شربه الخمر، وإضاعته الصلوات، وانشغاله باللهو والمجون، وغير ذلك مما هو في كتب المصادر التاريخية.

(١) ومن تلك الدراسات والمؤلَّفات: كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي، ورسالة بعنوان: (سؤال في يزيد لشيخ الإسلام ابن تيمية)، جمع: صلاح الدين المنجد، و(قيد الشريد من أخبار يزيد) لابن طولون. ومن الدراسات الحديثة: كتاب (موقف المعارضة في خلافة يزيد) لمحمد بن عبد الهادي الشيباني.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/٢٢٣.

(٣) البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، ١٠/١٦٣.

(٤) البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، ١٠/٢٣١، ٢٣٢.

(٥) ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٤٦. وقد أورده السيوطي بلفظه وبلفظ آخر أيضاً هو: «لا بَارَكَ اللَّهُ فِي يَزِيدَ». انظر: اللآلئ المصنوعة، ١/٤٥٣، ٤٥٤. وهذا الحديث جزء من حديث طويل=

* حديث أن رسول الله ﷺ رأى أبا سفيان مُقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد يسوق به، فقال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ القَائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسَّائِقَ»(١). وقد سبق الكلام عن هذا الحديث ضمن الأحاديث الموضوعة في معاوية.

كما أن هناك أحاديث فيها ضعف أُدرجت فيها أقوال بعض الصحابة لذمّ يزيد، ومن ذلك حديث أخرجه الحاكم في كتاب الفتن والملاحم عن طريق عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، يُقْطَعُ السِّلْكُ فَيَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضاً»، إلى هنا الحديث. قال خالد بن الحويرث: كنا نادين بالصباح وهناك عبد الله بن عمرو، وكان هناك امرأة من بني المغيرة يقال لها: فاطمة، فسمعت عبد الله بن عمرو يقول: ذاك يزيد بن معاوية، فقالت: أكذاك يا عبد الله بن عمرو تجده مكتوباً في الكتاب؟ قال: لا أجده باسمه، ولكن أجد رجلاً من شجرة معاوية يسفك الدماء، ويستحلُّ الأموال، وينقض هذا البيت حجراً حجراً، فإن كان ذلك وأنا حي وإلا فاذكريني. قال: وكان منزلها على أبي قبيس، فلما كان زمن الحجاج وابن الزبير ورأت البيت يُنقض قالت: رحم الله عبد الله بن عمرو قد كان حدَّثنا بهذا(٢).

هذا الحديث الذي أخرجه الحاكم سكت عنه الذهبي، ويحتوي على مقطعين:

الأول: هو حديث نبويّ ذكره العديد من مصادر الحديث، وفيه ضعف(٣)،

= أخرجه الطبراني بسنده. المعجم الكبير، ٣/ ١٢٠. وقد أورده الهيثمي في (مجمعه) نقلاً عن الطبراني، وقال: فيه مجاشع بن عمرو، وهو كذاب. انظر: مجمع الزوائد، ٩/ ١٩٢، ١٩٣.

(١) تاريخ الطبري، ١٠/ ٥٨. وقد ساق الطبراني حديثاً مقارباً لما أورده الطبري ضمن رواية طويلة تُفيد بأن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقعا في سبّ عليّ، فقام الحسن وقال لهما: بالله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّائِقَ وَالرَّاكِبَ»، أحدهما فلان؟ (يقصد معاوية)، قالا: اللهم نعم بلى. انظر: المعجم الكبير، ٣/ ٧١، ٧٢.

(٢) انظر: مستدرك الحاكم، ٥/ ٦٦٩.

(٣) حديث الخَرَزَات أخرجه الإمام أحمد في مسنده ولم يذكر كلام عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أورده الحاكم، والحديث فيه ضعف، وقد أشار إلى ذلك محقّقو (المسند)؛ لأن فيه عليّ =

وهو حديث عامّ في الفتن وليس له علاقة بيزيد .

أما المقطع الثاني من رواية الحاكم فهو من كلام عبد الله بن عمرو وليس بحديث، وفيه خالد بن الحويرث[١] مُختلَف فيه . والمعروف عن عبد الله بن عمرو أنه ممَّن اطَّلع على نصوص أهل الكتاب فحدَّث عنها عملاً بحديث : « وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ » .

كما وردت أحاديث ضعيفة جداً تذكر ولاية يزيد ؛ مثل : حديث « يَلِيكُمْ عُمَرُ وَعُمَرُ، وَيَزِيدُ وَيَزِيدُ، وَالوَلِيدُ وَالوَلِيدُ، وَمَرْوَانُ وَمَرْوَانُ، وَمُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ »[٢] .

كما أن هناك أحاديث وردت في الإخبار عن يزيد أنه أوَّل مَن يبدِّل سنة محمد ﷺ، وأنه أوَّل من يثلم هذا الدين، لكن هذه الأحاديث ضعيفة ومنقطعة وليست حجَّة، ومن ذلك : حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ مُعْتَدِلاً قَائِماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ : يَزِيدُ »[٣]، وهو (ضعيف)[٤] .

= ابن زيد بن جدعان وخالد بن الحويرث، ١١ / ٦١٧، ٦١٨ . كما أورده البوصيري عن ابن أبي شيبة في (مصنَّفه) دون كلام عبد الله بن عمرو . انظر : البوصيري، الإتحاف، ١٠ / ٢٧٦، ٢٧٧ .

(١) خالد بن الحويرث المخزومي المكي : قال عنه ابن معين : لا أعرفه، وذكره ابن حبان في الثقات . الذهبي، ميزان الاعتدال، ١ / ٦٢٩ . كما ذكر ابن حجر أنه مقبول . انظر : تقريب التهذيب، ص١٨٧ .

(٢) الفتن، ص٧٢ . قال محقِّق الكتاب : إسناده ضعيف، وفيه مجهول . كما أورده الهندي بنصِّه عن طريق نعيم . انظر : كنز العمال، ١١ / ٢٧٥ .

(٣) قال الهيثمي : رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، إلا أن مكحولاً لم يُدرك أبا عبيدة . انظر : مجمع الزوائد، ٥ / ٢٤٤، ٢٤٥ . كما أورده ابن حجر الهيتمي وذكر أن في سنده انقطاعاً . انظر : تطهير الجنان، ص٨٦ .

(٤) وصف العديد من المحدِّثين هذا الحديث بالضعف والانقطاع؛ فقد ذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء) وقال : أخرجه أبو يعلى في (مسنده)، ويرويه صدقة السمين ـ وليس بحُجَّة ـ عن هشام، عن مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني، عن أبي عبيدة مرفوعاً . وقال محقِّق الكتاب : فيه الوليد=

كما ورد هذا الحديث بلفظ آخر عن أبي العالية رضي الله عنه قال: كنا مع أبي ذرٍّ رضي الله عنه بالشام، فقال أبو ذرٍّ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ - وفي رواية: يُغَيِّرُ - سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»[١] (ضعيف)[٢].

وسبق أن ذكرنا في الفصل الأول أن الشطر الأول من حديث «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ» مُختلَف في ضعفه، لكنَّه يصل إلى رتبة الحسن، وأن المقصود به تغيير نظام الحكم من شورى إلى نظام وراثي. أما زيادة لفظ (يزيد) فقد ثبت انقطاعها وضعفها[٣].

وهناك أحاديث ذامَّة لحكم يزيد حسَّنها بعض العلماء، منها حديث أبي هريرة

= ابن مسلم، وقد عنعن، ثم إن فيه انقطاعاً أو إعضالاً بين مكحول وأبي عبيدة، وطريق أبي يعلى فيه صدقة السمين، وهو ضعيف، وانقطاع بين أبي ثعلبة وأبي عبيدة؛ فالخبر لا يصحُّ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٩. كما ذكر ابن كثير أن هذه الرواية فيها انقطاع بين مكحول وأبي عبيدة؛ فالحديث مُعضَل. انظر: ابن كثير، البداية، ٦/ ٢٣٤، ٨/ ٢٣٤. كما ذكر الهيثمي أن فيه انقطاعاً؛ لأن مكحولاً لم يدرك أبا عبيدة. انظر: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٤٤، ٢٤٥. وذكره ابن حجر الهيتمي وقال: سنده منقطع. انظر: تطهير الجنان، ص٨٦. وقال البوصيري في (الإتحاف): رواه أبو يعلى بسند منقطع، ١٠/ ٢٣١. وذكره السيوطي عن أبي يعلى بسند ضعيف. انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٥.

(١) ذكره الذهبي نقلاً عن الروياني في (مسنده). انظر: سير أعلام النبلاء، ١/ ٣٣٠. الذهبي: تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٧٣. كما أورده المتقي الهندي عن أبي ذرّ. انظر: كنز العمال، ١٤/ ١٩٨.

(٢) هذا الحديث أوردته المصادر في قصة يزيد بن أبي سفيان مع أبي ذرّ رضي الله عنه؛ إذ إن يزيد أخذ جارية لرجل من المسلمين، فلما علم أبو ذرّ غضب وقال هذا الحديث. وقد سأل يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان أبا ذرّ بالشام هل هو المقصود في الحديث، فقال: لا أدري. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٧٣. وانظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/ ٣٢٩، ٣٣٠. وقد ضعَّفها الذهبي. كما أشار ابن كثير إلى هذه الحادثة وقال: منقطعة ومعلولة؛ لأن أبا ذرّ لم يكن في الشام في عهد عمر، كما أن يزيد بن معاوية مات قبل ذلك. البداية، ٨/ ٢٣٤. كما أورده ابن حجر الهيتمي وذكر أن في سنده انقطاعاً. انظر: تطهير الجنان، ص٨٥، ٨٦.

(٣) راجع الحديث في الفصل الأول، ص ١٤٠. وراجع أيضاً الفصل الثاني، ص ٢٤٢.

مرفوعاً: «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْنِي سَنَةَ السِّتِّينَ وَلا إِمَارَةَ الصِّبْيَان»(١). كما ورد الحديث بلفظ آخر عن أبي هريرة أيضاً: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ رَأْسِ السِّتِّينَ وَإِمْرَةِ - وفي لفظ: إِمَارَةِ - الصِّبْيَانِ». كما ورد الحديث بلفظ آخر أن أبا هريرة كان يمشي في سوق المدينة وهو يقول: «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْنِي سَنَةَ السِّتِّينَ، وَيْحَكُمْ! تَمَسَّكُوا بِصُدْغَيْ(٢) مُعَاوِيَةَ، اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْنِي إِمَارَةَ الصِّبْيَان»(٣). كما ورد الحديث بلفظ آخر: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ وَإِمْرَةِ الصِّبْيَانِ»(٤). لكن حديث السبعين فيه ضعف(٥)، وحديث السِّتين هو الأقوى والأصح من حديث السبعين.

وقد استدلَّ بعض العلماء من أحاديث ذمّ السِّتين على ذم حكم يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ومُدَّته؛ فقد أشار البيهقي إلى أن يزيد بن معاوية هو المقصود في حديث: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»، ولكنه لم يؤكِّد ذلك؛ إذ قال: «ويشبه أن يكون هذا الرجل هو يزيد بن معاوية، والله أعلم»(٦). كما يرى بعض العلماء أن أوَّل الغلمة كان في سنة الستين، وهي مدة تولِّي يزيد بن معاوية

(١) سبق تخريجه وشرحه في الفصل الأول، ص ١٤٣. وفي الفصل الثاني، ص ٢٤٢.

(٢) الصُّدْغ: هو ما بين العين إلى شحمة الأذن. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٣/١٧، مادة (صدغ).

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٦٦. كما أورده ابن عساكر عن طريق البيهقي، ولكن بلفظ: «وَيْحَكُمْ! تَمَسَّكُوا بَعْدَ مُعَاوِيَةَ». تاريخ دمشق، ٥٩/٢١٧. ابن كثير، الشمائل، ٢/٢٣٢. كما أورده السيوطي نقلاً عن البيهقي. انظر: الخصائص الكبرى، ص٢٣٦.

(٤) انظر الحديث في: مصنَّف ابن أبي شيبة، ٧/٤٦١. مسند أحمد، ١٤/٦٨. كما أورده ابن كثير نقلاً عن الإمام أحمد بزيادة: «لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ»؛ أي: للئيم ابن لئيم. انظر: البداية، ٦/٢٣٩، ٢٤٠. شمائل الرسول، ٢/١٤٦، ١٤٧. الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/٢٢٣، وقال: «لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ»، وقال: رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء، وهو ثقة. كما أخرجه المتقي الهندي بلفظ (السِّتِّين) عن طريق أحمد وأبي يعلى عن أبي هريرة. انظر: كنز العمال، ١١/١١٩.

(٥) ذكر محقِّقو (المسند) أن الحديث إسناده ضعيف لجهالة أبي صالح راوي الحديث. انظر: مسند أحمد، ١٤/٦٨، حاشية رقم ١.

(٦) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٤٦٦، ٤٦٧.

الخلافة؛ فقد كان يزيد ينتزع الشيوخ الكبار من إمارة البلدان ويوليها الأصاغر من أقاربه(١).

ويعضد حديث أبي هريرة ما أخرجه الإمام أحمد في (مسنده) والحاكم في (مستدركه) ووافقه الذهبي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا»، والحديث حسن(٢). كما يعضد حديث الستين وقوع أحداث جسام خلال خلافة يزيد؛ مثل: مقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء بالعراق، ووقعة الحرَّة بالمدينة التي قُتل فيها أبناء الصحابة، وحرق الكعبة. وقد أخبر المصطفى ﷺ عن أحداث مقتل الحسين ووقعة الحرة، وقد أدرجت المصادر هذه الأحداث ضمن ما أخبر به ﷺ من الغيوب المستقبلية(٣)، كما أوردتها ضمن سياق الأحداث التاريخية(٤).

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٣/١٢. العيني، عمدة القاري، ٦٣/٢٠. كما نقل السمهودي كلام ابن حجر. انظر: (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى)، ط٤، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج١، ص١٢٤.

(٢) انظر تخريج الحديث في الفصل الثاني، ص ٢٤٣.

(٣) انظر أبواب ذلك في: البيهقي، دلائل النبوة، ٤٦٨/٦-٤٧٥. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢٣٤/٢-٢٤٣. المقريزي، إمتاع الأسماع، ٢٣٥/١٢-٢٤٧. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢١٢/٢-٢١٦، ٢٤٠. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٥٣/١٠. ويعدُّ ابن عساكر أكثر المصادر التاريخية إيراداً للأحاديث في مقتل الحسين. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٨٧/١٤-٢٠١. كما جمع الشيخ العلامة حمود التويجري جلّ الأحاديث الواردة في مقتل الحسين ووقعة الحرَّة. للاستزادة عن هذه الأحاديث انظر: التويجري، إتحاف الجماعة بما ورد في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ٢٣٨/١-٢٤٦.

(٤) أشارت العديد من المصادر إلى بعض الأحاديث الواردة عن مقتل الحسين؛ مثل: ابن عبدربه، العقد الفريد، ١٣٢/٥-١٣٥. النويري، نهاية الأرب، ٤٧٤/٢٠. ابن كثير، البداية، ٢٠١/٨-٢٠٤. الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٩٣-١٠٤. كما أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى بعض الأحاديث الواردة في وقعة الحرة؛ مثل: حديث «يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الحَرَّةِ=

لكن الأحاديث الواردة في وقعة كربلاء ومقتل الحسين رضي الله عنه كثيرة ويغلب عليها الوضع[1]، والصحيح فيها قليل[2]. والأحاديث الواردة في فضل الحسين رضي الله عنه وتبشير الرسول ﷺ له بالجنة وإخباره بمقتله فيها الصحيح والضعيف والموضوع[3]، وهي خارج نطاق الدراسة. كما أوردت العديد من المصادر التاريخية أحاديث منكرة وروايات غريبة في مقتل الحسين رضي الله عنه[4]، لكن العلماء بيَّنوا نكارتها وضعفها[5].

= خِيَارُ أُمَّتِي بَعْدَ أَصْحَابِي». انظر: عبد الملك بن حبيب، كتاب التاريخ، وضع حواشيه: سالم البدري، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص١١٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٣/ ٣٢٧. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب)، ١/ ٢٠١. أبو العرب التميمي، المحن، ص١٧١. كما ذكره البيهقي وقال عنه: مرسل. انظر: دلائل النبوة، ٦/ ٤٧٣. وذكر ابن كثير أنه مرسل. انظر: البداية، ٦/ ٢٣٣.

(١) أفردت كتب الموضوعات مجموعة أحاديث عن الحسين وصفة مقتله وبيَّنت وضعها. انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ١/ ٤٠٧-٤٠٩. ابن عراق، تنزيه الشريعة، ١/ ٤٠٨، ٤٠٩. الصديقي الهندي، تذكرة الموضوعات، ص٩٨. الشوكاني، الفوائد المجموعة، ١/ ٣٨٨.

(٢) مثل أحاديث إخبار الرسول ﷺ بمقتل الحسين في شطّ الفرات، وأنه أُرِيَ تُربته. انظر: مسند أحمد، ٤٤/ ١٤٣، ١٤٤. قال محقّقو الكتاب: حديث حسن بطرقه وشاهده. كما جمع هذه الأحاديث الذهبي وابن كثير. انظر: تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٩٣-١٠٤. البداية، ٨/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٩٣-١٠٤. ابن كثير، البداية، ص٢٠٠-٢١٠.

(٤) أورد البيهقي عدة أحاديث في مقتل الحسين. انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٦٨-٤٧٢. كما أورد البيهقي عدة روايات عن انتشار الدم تحت أحجار بيت المقدس، وأن السماء أمطرت دماً، وأن السماء أصبحت علقة، وأن الوَرْس -نبات أصفر- أصبح رماداً، وأن إبل عسكر الحسين صارت علقماً. انظر: دلائل النبوة، ٦/ ٤٧١، ٤٧٢. كما أورد ابن عساكر روايات وخرافات في مقتل الحسين ضمن ترجمته؛ مثل: احمرار السماء واصفرارها عدة أيام، وانتشار الدم تحت حجارة بيت المقدس، وأن الوَرْس أصبح رماداً. انظر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٢٥-٢٣١.

(٥) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ٤/ ٥٥٩، ٥٦٠. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/ ٢٣٨. البداية، ٨/ ٢٠٣.

وما يهمُّ الدراسة أن مقتل الحسين رضي الله عنه كان من الأمور التي أسهمت في وضع الأحاديث ضد يزيد وانتشارها، كما أنه أسهم في إذكاء البغض له ولبني أمية[١].

والخلاصة أن الأحاديث التي أوردتها الدراسة في ذمّ يزيد ضعيفة، والأحاديث الذامة لسنة الستين قوية، ولم يقف الباحث على حديث صحيح يذمّ يزيد. ويقوِّي هذا الجانب أن بعض أهل العلم يرى أن الأحاديث الواردة في ذم يزيد موضوعة؛ فقد ذكر ابن القيِّم أن كل حديث في ذمّ يزيد بن معاوية كذب[٢]، كما نبَّه الشيخ ملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)[٣] في كتابه (الأسرار المرفوعة) إلى أن هناك كليات يُعرف بها الحديث الموضوع، منها أن كل حديث في ذم يزيد ابن معاوية فهو كذب[٤].

وفي مقابل ما ورد من أحاديث ضد يزيد يرى بعض العلماء أن ليزيد منقبةً لدخوله ضمن أحاديث عامة؛ مثل حديث أم حرام رضي الله عنها مرفوعاً: «أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو القُسْطَنْطِينِيَّةَ مَغْفُورٌ لَهُ»، وهو حديث صحيح، وكان يزيد آنذاك

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمصنِّفون في أخبار قتل الحسين منهم مَن هو من أهل العلم؛ كالبغوي وابن أبي الدنيا وغيرهما، ومع ذلك فيما يروونه آثار منقطعة وأمور باطلة». انظر: منهاج السنة، ٤/٥٥٦. كما عقد شيخ الإسلام ابن تيمية فصلاً عن أصناف الناس في مقتل الحسين، وذكر طرفين ووسطاً: فرأيٌ يرى أن قتله حق لأنه أراد شقّ عصا المسلمين، وقول يرى أنه الإمام الذي تجب طاعته، أما الوسط فهم أهل السنة الذين لا يقولون هذا ولا ذاك، بل يقولون: قُتل مظلوماً شهيداً. انظر: منهاج السنة، ٤/٥٥٣، ٥٥٤. كما ذكر ابن كثير أن الشيعة والروافض لهم أخبار باطلة وأكاذيب كثيرة. انظر: البداية، ٨/٢٠٣.

(٢) انظر: المنار المنيف، ص١١٠.

(٣) الملا عليّ القاري: علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الهروي القاري الحنفي. ولد بهراة، ورحل إلى مكة واستقر بها، وهو من العلماء والفقهاء، له عدة مصنَّفات. انظر: الزركلي، الأعلام، ٥/١٢، ١٣. الشوكاني، البدر الطالع، ١/٣٠٥. عمر كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٤٤٦.

(٤) انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بـ(الموضوعات الكبرى)، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٣٤٣.

أميراً للجيش[1].

ويرى بعض العلماء أنه لا يلزم منه دخول يزيد في المغفرة؛ لأن قول الرسول ﷺ (مغفور لهم) مشروط بأن يكونوا من أهل المغفرة، فلو ارتدَّ واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم[2]. لكن تلك الأقوال ليس لها ما يقوِّيها؛ فالحديث فيه منقبة ليزيد ولغيره[3]. كما أن بعض العلماء يعدُّ مدة خلافة يزيد داخلة ضمن حديث: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي»، وأنه بموت يزيد انتهى قرن الرسول ﷺ[4].

وعلى كلّ حال يبقى الأمر الأهم، وهو مدى انتشار هذه الأحاديث في المصادر التاريخية، وهو ما سنناقشه فيما يلي.

ثانياً: موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في يزيد

أوردت مصادر التاريخ - وبخاصة كتب الدلائل والشمائل - عدَّة عناوين في يزيد؛ مثل: (باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالفتن التي ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر»[5]، و(باب إخباره ﷺ بأغيلمة قريش وبرأس الستين»[6]، و(باب إنذاره ﷺ بهلاك أمَّته على يد أغيلمة من قريش فكان منذ ولي يزيد»[7]، و(باب في إخباره ﷺ بولاية يزيد وأنه أوَّل من يغيِّر أمر هذه الأمة»[8].

(١) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٤/ ٥٧٢. وعدَّ الذهبي هذا الحديث من حسنات يزيد. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٦. وانظر أيضاً: ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٣٢. ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ١٢١. شمس الدين ابن طولون، قيد الشريد من أخبار يزيد، تحقيق وتعليق: فاطمة عامر، ص٣٣.

(٢) انظر: المناوي، فيض القدير، ٣/ ٨٤. كما نقل ابن حجر أقوال العلماء الذين يرون أن الحديث لا يلزم منه دخول يزيد في المغفرة؛ مثل ابن التين وابن المنير. انظر: فتح الباري، ٦/ ١٢٠.

(٣) ناقش ابن حجر هذه الأقوال وبيَّن ضعفها. انظر: فتح الباري، ٦/ ١٢٠.

(٤) نقله ابن كثير عن ابن عساكر ولم ينكر عليه. راجع: البداية، ٨/ ٢٣٢.

(٥) البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٦٤.

(٦) السيوطي، الخصائص الكبرى، ص٢٣٦.

(٧) المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٣٠.

(٨) الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٨٩.

وقد تأثَّرت المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث في يزيد؛ فمنها الناقل، ومنها الناقد. فقد أورد البيهقي في (الدلائل) أحاديث سنة الستين، وحديث أبي العالية: «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي ...»، وذكر أن إسناده مُرسَل، إلا أنه يتقوّى بحديث أبي عبيدة: «لا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي ...»[١].

كما أسهم ابن عساكر في نشر الأحاديث الموضوعة عن يزيد؛ فقد ذكر ابن كثير أن ابن عساكر ذكر أحاديث في ذمّ يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصحّ شيء منها[٢]. ولم يقف الباحث إلا على حديثين أوردهما ابن عساكر عن يزيد، وهما: حديث أبي عبيدة، وحديث أبي العالية، وقد أوردهما ابن عساكر في عدة مواضع من (تاريخه)[٣].

كما أورد الذهبي في (تاريخه) عدة أحاديث في ذم يزيد، ولكنه أوضح ضعفها وانقطاعها؛ مثل: حديثي أبي العالية وأبي عبيدة[٤].

أما ابن كثير فقد أوجز في مكان وفصَّل في آخر عن الأحاديث الواردة في ذم يزيد؛ ففي (الشمائل) ذكر حديثي أبي العالية وأبي عبيدة وضعَّفهما[٥]، كما ذكر أحاديث وردت في سنة الستين، وحديث (إمارة الصبيان) وما يحدث فيها من فتن[٦]. كما أنه خصَّ يزيد بترجمة وافية ذكر فيها الأحاديث السابقة التي

---

(١) انظر: دلائل النبوة، ٦/٤٦٦، ٤٦٧. وقد ذكر ابن كثير أن البيهقي رجَّح حديث أبي العالية بحديث أبي عبيدة. انظر، شمائل الرسول، ٢/٢٣٣.

(٢) انظر: البداية، ٨/٢٣٤.

(٣) أورد ضمن ترجمة ابن غنيم البعلبكي حديث أبي عبيدة. انظر: تاريخ دمشق، ٦٨/٤١. كما أورد ضمن ترجمة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان حديث أبي العالية. انظر: تاريخ دمشق، ٦٥/٢٥٠. كما ذكره ضمن ترجمة أبي العالية رفيع بن مهران، وعلَّق عليه بقوله: إن أبا العالية لم يَبْقَ بالشام إلى خلافة عمر بن الخطاب، فكيف يلتقي بابي ذرٍّ؟!. انظر: تاريخ دمشق، ١٨/١٥٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٩، ١/٣٣٠. تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٧٣.

(٥) انظر: شمائل الرسول، ٢/٢٣٢.

(٦) انظر البداية، ٦/٢٣٣، ٢٣٤. الشمائل، ٢/٢٣٢.

أوردها في (الشمائل)[1]. لكنه عدَّ حديث القسطنطينية منقبةً ليزيد؛ لأنه أمير الجيش آنذاك، كما عدَّ خلافة يزيد داخلةً ضمن حديث: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي»، وأنه بموت يزيد انتهى قرن الرسول ﷺ[2].

كما خصَّص المقريزي عدة فصول تحدَّث فيها عن الأحاديث الواردة في يزيد، ففي فصل (ولاية يزيد) ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه «اللَّهُمَّ لا تُدْرِكْنِي سَنَةَ السِّتِّينَ» عن طريق البيهقي، وحديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي ...» نقلاً عن البيهقي، وحديث أبي عبيدة عامر بن الجراح «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائِماً ...» عن طريق يعقوب بن سفيان البسوي[3]. كما خصَّص المقريزي فصلاً عن إخبار النبي ﷺ بيزيد وما أحدثه في الإسلام من الأحداث العظام، فأورد حديثاً عن طريق الحاكم بسنده عن طريق مجاشع بن عمرو ومنصور بن عمارة قالا: حدَّثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخبره قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغيِّر اللون فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ». والحديث طويل، ومعناه أن يزيد بن معاوية سيأخذ بثأر جدِّه لأمه عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الذي قُتل في غزوة بدر، وكان من رؤوس الكفر، من الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ. وهذا الحديث لم أجدْه في (مستدرك الحاكم) بهذا النص[4].

وقد أورد الطبراني حديثاً مشابهاً لما أورده المقريزي عن طريق مجاشع وابن لهيعة، ولفظه: «أَنَا مُحَمَّدٌ، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الكَلَامِ».. إلخ. وفيه ذكر يزيد بالذم؛ إذ

---

(١) انظر: البداية، ٨/٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) نقل ابن كثير هذا القول عن ابن عساكر ولم يعلِّق عليه. راجع: البداية، ٨/٢٣٢.

(٣) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/٢٣١، ٢٣٢.

(٤) أورد المقريزي هذا الحديث كاملاً ونسبه إلى الحاكم، ولم أجده في (مستدرك الحاكم)، كما أن محقِّق (الإمتاع) قال: لم أجده في (مستدرك الحاكم). انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/٢٧٠، ٢٧١.

قال النبي ﷺ: «يَزِيدُ، لا يُبَارِكُ اللَّهُ فِي يَزِيدَ»(١). قال عنه الهيثمي: فيه مجاشع بن عمرو، وهو كذاب(٢). كما أن في سياق هذه الأحاديث ابن لهيعة، وهو ضعيف.

أما السيوطي فقد ذكر في (تاريخه) حديث أبي عبيدة نقلاً عن أبي يعلى في (مسنده)، وذكر أن سنده ضعيف(٣). وفي (الخصائص الكبرى) أورد السيوطي عدة أحاديث عن يزيد ومدَّته، فذكر حديث أبي العالية وحديث أبي عبيدة ولم يعلِّق عليهما(٤) على رغم ضعفهما وانقطاعهما. كما ذكر السيوطي أحاديث في ذم سنة الستين(٥)، كما نقل حديثاً في دعاء النبي ﷺ على يزيد نقلاً عن أبي نعيم، وهو حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَتَتْكُمُ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، كُلَّمَا ذَهَبَ رُسُلٌ جَاءَ رُسُلٌ، تَنَاسَخَتِ النُّبُوَّةُ فَصَارَتْ مُلْكاً، أَمْسِكْ يَا مُعَاذُ وَأَحْصِ». قال: فلما بلغتُ خمسةً قال: «يَزِيدُ، لا يُبَارِكُ اللَّهُ فِي يَزِيدَ»(٦). والغريب أن السيوطي لم يعلِّق على هذا الحديث على رغم أنه أشار إلى وضعه في موضع آخر من مؤلَّفاته في الحديث(٧).

والسؤال هو: عندما يطَّلع الباحثون المُحْدَثون غير المختصِّين في علم الحديث على (تاريخ السيوطي) وينقلون عنه هذه الأحاديث ثقةً في مكانته العلمية فهل يدركون أنها موضوعة؟

والحقيقة أن هذه التساهلات من السيوطي في سرد أحاديث موضوعة في مصادره التاريخية لا يعدُّ غريباً؛ لأن بعض العلماء يعمل بهذه المنهجية، وهي

(١) انظر: المعجم الكبير، ٣/١٢٠.

(٢) انظر: مجمع الزوائد، ٩/١٩٢، ١٩٣.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص١٨٥.

(٤) انظر: الخصائص الكبرى، ٢/٢٣٦.

(٥) الخصائص الكبرى، ٢/٢٣٦.

(٦) الخصائص الكبرى، ٢/٢٣٧.

(٧) انظر نصّ الحديث كاملاً في كتاب: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١/٤٥٤.

التساهل في قبول هذه الأحاديث، لكن ذلك له ضوابط سبق بيانها ضمن التمهيد من هذه الدراسة.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة المصادر التاريخية التي أقحمت الحديث النبوي في موضوعاتها للوقوف على مدى تأثُّرها بمرويات المحدِّثين.

كما ناقش شمس الدين ابن طولون (ت ٩٥٣هـ)(١) في رسالته عن يزيد الاتهامات الموجَّهة إليه، وبيَّن بعض فضائله ومناقبه، وعرَّج على الأحاديث التي وردت في ذمِّه وناقشها، ومن ذلك: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «يَكُونُ خَلْفٌ بَعْدَ السِّتِّينَ»، وقال: تفرَّد به أحمد. ثم ذكر حديث سنة السبعين ولم يعلِّق عليه. ثم ذكر حديث أبي عبيدة وحديث أبي العالية وبيَّن أقوال العلماء في ضعفهما وانقطاعهما(٢).

كما خصَّص الشامي في (سبل الهدى والرشاد) باباً عن إخبار النبي ﷺ بولاية يزيد وأنه أوَّل من يغيِّر أمر هذه الأمة، ثم ساق تحته حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح: «لا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَائِماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»، وقد أشار الشامي إلى مَن رواه؛ مثل نعيم بن حماد في (الفتن) وابن عساكر، وعلَّق عليه بالانقطاع. كما أورد حديث أبي ذرٍّ «أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ» عن طريق ابن أبي شيبة وأبي يعلى، ولم يعلِّق عليه. ثم ساق حديثاً موضوعاً لم يبيِّن وضعه ونسبه إلى ابن عساكر في (تاريخه)، وهو حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «يَزِيدُ، لا بَارَكَ اللَّهُ فِي يَزِيدَ الطَّعَّانِ اللَّعَّانِ». كما ساق روايةً أخرجها الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

---

(١) ابن طولون: محمد بن علي بن أحمد المشهور بابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي، محدِّث، مؤرِّخ، فقيه، نحْوي. وُلد بصالحية دمشق سنة ٨٨٠هـ، وتوفِّي في ٩٥٣هـ، وله عدة مصنَّفات. انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨/٢٩٨، ٢٩٩. عمر كحالة، معجم المؤلفين، ٣/٥٤٠، ٥٤١.

(٢) انظر: قيد الشريد، ص٣٥، ٣٦.

أنه سُئِلَ: هل تجد يزيد بن معاوية في الكتاب؟ قال: لا أجده باسمه، ولكن أجد رجلاً من شجرة معاوية يسفك الدماء، ويستحلُّ الأموال، وينقض هذا البيت حجراً حجراً، وكان ذلك في عهد يزيد[1].

ثالثاً: أثر الأحاديث النبوية في لعن يزيد وتكفيره

ذكر بعض العلماء من أهل السنة جواز لعن يزيد، بل إن بعضهم شكَّك في إيمانه، ومنهم مَن رأى تكفيره مما سيأتي بيانه. لكن الباحث المُنصِف عليه أن يعرض أقوال المخالفين بحيادية، ومن ثَمَّ يجتهد في ذكر الراجح مبيِّناً الأسباب والنتائج.

وأحكام لعن يزيد وتكفيره التي صدرت من قِبَل بعض العلماء والمؤرخين كانت لهم فيها استدلالات تتعلَّق بأحاديث يرَوْنها صحيحة وردت في ذمِّه، أو أحاديث صحيحة وردت في جواز لعن مَن اقترف ذنباً عظيماً، ويعتقدون أن يزيد هو المسؤول عن حدوث وقائع تاريخية عظيمة الشأن؛ كمقتل الحسين رضي الله عنه ووقعة الحرَّة.

وقضية لعن يزيد والتشكيك في إيمانه بسطها العديد من العلماء والمؤرخين، وسنحاول اختصارها خشية التكرار؛ لأن الغرض من ذكرها هو بيان دور الأحاديث فيها، ومدى تأثُّر المصادر التاريخية بقضية اللعن، وكيفية تقديم المصادر التاريخية الحوادث التي ظهرت في عهد يزيد بأسلوب مُبالَغ فيه أجَّج العداوة والبغض له وأسهم في نشر الأحاديث الباطلة والموضوعة ضده.

أما لعن يزيد وجوازه فهي مسألة لقيت عناية الباحثين قديماً وحديثاً، وقد خصَّص شيخ الإسلام ابن تيمية فصلاً عن يزيد وذكر أن الناس افترقوا فيه ثلاث فرق؛ طرفان ووسط: طائفة اتَّهمته بالنفاق والكفر، وفرقة غلَتْ فيه وعدَّته رجلاً صالحاً وإماماً عدلاً، وفرقة متوسِّطة ترى أنه ملك من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات. ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته، وفرقة أحبَّته، وفرقة لا تسبُّه ولا تحبُّه[2].

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٨٩.

(١) الفتاوى، ٤/ ٤٨١-٤٨٣. للاستزادة انظر أيضاً: منهاج السنة، ٤/ ٥٤٩.

ثم ناقش ابن تيمية لعن يزيد ونقل أقوال العلماء في تجويزهم لعنه؛ كأبي الفرج ابن الجوزي والكيا هراسي أبي الحسن بن علي شيخ الشافعية (ت ٥٠٤هـ)؛ لأنه في نظرهم فاسق وصاحب معاصٍ وقام بأعمال قبيحة، وهو فاسق، وكلّ فاسق يُلعن، وهم يرون أن صاحب المعصية يُلعن. أما الذين أحبُّوه أو سوَّغوا محبته؛ كالإمام الغزالي، فلأنهم يرون أن فيه خصالاً محمودة، وهو متأوِّل في أمر الحرَّة، وهو مجتهد مخطئ، وأما قتل الحسين فلم يَرْضَ به ولم يأمُرْ به، كما أنهم وجدوا في حديث جيش القسطنطينية منقبةً له[١].

ثم بيَّن ابن تيمية أنه لا يجوز لعن يزيد؛ لأنه يدخل ضمن حديث المغفور لهم في غزو القسطنطينية، ولأن النبي ﷺ نهى عن لعن المُعيَّن[٢].

كما نقل ابن مفلح شمس الدين إبراهيم الحنبلي (ت ٧٦٣هـ) في (الآداب الشرعية) أقوال العلماء في لعن يزيد؛ كالإمام أحمد وابن الجوزي وابن تيمية وأبي بكر الخلال وغيرهم، وذكر خلاف العلماء في لعن يزيد، وانتصر للقول بعدم لعن المُعيَّن بعدة أحاديث[٣].

كما بسط ابن طولون موضوع لعن يزيد وذكر أقوال بعض العلماء في جواز ذلك وما صنَّفوه فيه، ثم نقل أقوال بعض العلماء في عدم جواز لعنه؛ أمثال الإمام الغزالي وابن الصلاح وابن القيِّم وغيرهم من العلماء، ومال ابن طولون إلى هذا الرأي[٤].

كما شكَّك بعض العلماء في إيمانه؛ فقد توقَّف الإمام المناوي في شأن إيمانه ونقل قول الحافظ الزين العراقي في التشكيك في إيمانه[٥].

---

(١) الفتاوى، ٤/٤٨٣-٤٨٦.

(٢) الفتاوى، ٤/٤٨٨.

(٣) انظر: ابن مفلح، الآداب الشرعية، ١/٢٦٩-٢٧٤.

(٤) انظر: قيد الشريد، ص٤٥-٤٩.

(٥) انظر: فيض القدير، ٣/٨٤.

كما ذكر الهيتمي أن أهل السنة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية، ثم ذكر ثلاث طوائف: طائفة ترى أنه كافر؛ لأنه رضي بقتل الحسين ثم تلاعب برأسه بعود من الخيزران وأهان أهل بيته من نساء وأطفال وظلمهم[1]، ونقل ذلك عن سبط ابن الجوزي (ت ٦٤٥هـ)[2]؛، وطائفة قالت: ليس بكافر؛ لأن الأسباب الموجبة لكفره لم تثبت، وتوقفت طائفة في أمره وفوَّضت الأمر إلى الله، وهو قول المحقِّقين من أهل العلم، وهو الأحرى والأسلم، وهو ما رجَّحه الهيتمي ومال إليه[3].

كما عقد الهيتمي فصلاً بيَّن فيه اختلاف أهل السنة في جواز لعنه[4]، فذكر أن العلماء اتَّفقوا على فسقه، وأن قوماً من العلماء أجازوا لعنه؛ كابن الجوزي ورواية عن الإمام أحمد والقاضي أبي يعلى الذي صنَّف كتاباً ذكر فيه بيان مَن يستحق اللعن، ومنهم يزيد، واستند في لعنه إلى حديث رواه مسلم: «مَن أَخَافَ أَهْلَ المَدِينَةِ ظُلْماً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالملائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[5]، وما قام به جيشه في وقعة الحرَّة، وما جرى للكعبة في أيامه من حريق. كما استند لاعنو يزيد إلى حديث: «لا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ»[6].

---

(١) ما قيل عن تلاعب يزيد برأس الحسين غير صحيح. انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ٤/٥٥٧-٥٥٩.

(٢) سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابن بنت الإمام ابن الجوزي، مؤرِّخ مشهور له عدَّة مؤلَّفات، وله ميول علوية؛ مما حدا بالعديد من المصادر إلى اتِّهامه بالتشيُّع. انظر: مقدِّمة كتاب: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ٤٨١-٥١٧هـ، تحقيق ودراسة: مسفر الغامدي، ط١، (مكة المكرمة: منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج١، ص٤٩.

(٣) انظر: ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص٣٣٠، ٣٣١.

(٤) الصواعق المحرقة، ص٣١٥.

(٥) الصواعق المحرقة، ص٣٣٢، ٣٣٣.

(٦) انظر: الصواعق المحرقة، ص٣٣٢، ٣٣٣.

ثم ذكر الهيتمي أن بعض العلماء لا يجوِّزون لعنه؛ لأنه لم يثبت عندهم ما يقتضيه، وبه أفتى الغزالي وأطال في الانتصار له. ثم مال الهيتمي إلى هذا القول وقال: «وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا بما صرَّحوا به من أنه لا يجوز أن يُلعن شخص بخصوصه إلا إن علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب... كما صرَّحوا أيضاً بأنه لا يجوز لعن فاسق مسلم معيَّن... وإذا علمت ذلك... فإنه لا يجوز لعن يزيد»(١). ثم ناقش الهيتمي أقوال مَن أجازوا لعن يزيد وبيَّن ضعف دلالتها، ثم نقل أقوال الأئمة في عدم جواز لعنه(٢).

ومن الدراسات الجيِّدة التي ناقشت موضوع لعن يزيد ما قدَّمه صلاح الدين المنجد في تحقيقه لرسالة (سؤال في يزيد بن معاوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ إذ ساق أقوال العلماء في عدم جواز لعنه(٣). كما أورد الشيباني تفصيلاً دقيقاً في مسألة جواز لعن يزيد، وناقش أدلَّة القائلين بلعنه، وخرج بعدم جوازه بعد أن نقل أقوال الأئمة في ذلك، ثم بيَّن أن إطلاق بعض السلف لعن يزيد كان لإرادة العقاب وليس للطرد من رحمة الله(٤).

والخلاصة: يزيد كما قال عنه العديد من علماء الأمة فاسق، وأمره إلى الله؛ فقد يغفر الله له، فلا نحبُّه ولا نسبُّه(٥)، فلماذا نصدر أحكاماً نحن في غنًى عنها؟! فإذا كان لعن يزيد لا يجوز فكيف التكفير؟! ثم إن مَن لم يلعن أو يكفِّر يزيد فلا يعني هذا أنه يحبُّه ويتولاه.

---

(١) الصواعق المحرقة، ص٣٣٣.

(٢) للاستزادة انظر: الصواعق المحرقة، ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٣) انظر: ابن تيمية، سؤال في يزيد بن معاوية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٣، (بيروت: دار الكتاب الجديد، د. ت)، ص١٤-٣١.

(٤) أعطى الشيباني مسألة لَعْن يزيد بُعداً علمياً راسخاً. للاستزادة انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد، ص٤٨٨-٤٩٥.

(٥) انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ٤/٤٨٤-٤٨٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٣٦. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/٢٣٣.

والحقيقة أن ما قيل عن تكفير يزيد ولعنه يمكن أن نجمله في عدة أسباب:

السبب الأول: الاختلاف المذهبي والعقدي وما قامت به الشيعة والمعتزلة في نشر الكذب والبهتان[1]، وكُتب الجاحظ وابن أبي الحديد خير شاهد على ذلك.

السبب الثاني: الاختلاف السياسي[2]، وقد بيَّنَّا دور العباسيين في لعن بني أمية كمعاوية ويزيد والدوافع وراء نشر مثل هذه الأحاديث.

السبب الثالث: الأحداث التاريخية التي وقعت في عهده؛ مثل دوره في مقتل الحسين رضي الله عنه، ودوره في وقعة الحرَّة، وهو ما استند إليه بعض العلماء في لعن يزيد.

السبب الرابع: الأحاديث النبوية، فهناك أحاديث ضعيفة تذمُّه يرى بعض العلماء أنها ليست ضعيفة، فاتَّخذوا منها دلائل على جواز لعنه؛ كحديثي أبي عبيدة وأبي العالية[3]. كما استند بعض العلماء في لعنه إلى أحاديث عامة صحيحة؛ كحديث: «مَنْ أَخَافَ المَدِينَةَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ»، كما أن بعض العلماء ربط فعل الأمويين بآل البيت بحديث: «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى أَيْدِي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»[4].

وهكذا فإن لعن يزيد كان منتشراً في بعض مصادر الحديث، فكيف بالمصادر التاريخية التي حشدت عبارات اللعن بشكل واضح؟! وخشية الإطالة نشير إلى بعضها فقط:

نقل الطبري في (تاريخه) عبارات عديدة في لعن يزيد[5]، وذكر المسعودي

---

(١) الشيباني، مواقف المعارضة، ص٦٨.

(٢) الشيباني، مواقف المعارضة، ص٦٨، ٦٩.

(٣) أشار العديد من العلماء إلى أن من أسباب لعن يزيد حديث: «لا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ». انظر: ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص٣٣١. الشيباني، مواقف المعارضة، ص٦٥، حاشية رقم ٢.

(٤) انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/٢٦٨، ضمن أحداث سنة ٦١هـ.

(٥) انظر: تاريخ الطبري، ١٠/٦٢.

أن فرعون أعدل مَن يزيد[١]، ثم ختم سيرة يزيد بعد أن ذكر مثالبه فقال: «قد ورد الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله»[٢]، وفي ذلك تكفير صريح من المسعودي. كما صرَّح المقدسي بلعن يزيد[٣]، وصرَّح السيوطي بلعن يزيد فقال بعد أن ذكر حادثة كربلاء: «لعن الله قاتله، وابن زياد معه، ويزيد أيضاً»[٤].

وقد وقف بعض المؤرخين من قضية اللعن موقفاً محايداً، فاكتفوا بذكر أقوال العلماء في ذلك، فنقل ابن خلكان في (تاريخه) أقوال العلماء في لعن يزيد، فذكر الجواز في ذلك عن الفقيه الشافعي الكيا هراسي، ونقل عدم الجواز عن الإمام الغزالي[٥]. ونقل ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) قول ابن الصلاح في لعن يزيد، فذكر أن هناك فرقة تحبُّه وأخرى تسبُّه، وفرقة متوسطة لا تتولاه ولا تلعنه، وهذه الأخيرة هي المصيبة[٦].

ونختم قضية اللعن بما أورده الحافظ ابن كثير: «الناس في يزيد بن معاوية أقسام، فمنهم مَن يحبُّه ويتولاه، وهم طائفة من أهل الشام من النواصب. وأما الروافض فيشنِّعون عليه ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه، ويتَّهمه كثير منهم بالزندقة، ولم يكن كذلك. وطائفة أخرى لا يحبُّونه ولا يسبُّونه؛ لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقاً كما تقوله الرافضة ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة»[٧].

---

(١) مروج الذهب، ٣/٧٨.

(٢) انظر: مروج الذهب، ٣/٨١.

(٣) انظر: البدء والتاريخ، ٢/١٧٧.

(٤) تاريخ الخلفاء، ص١٨٣.

(٥) انظر: وفيات الأعيان، ٣/٢٨٧، ٢٨٨.

(٦) انظر: شذرات الذهب، ١/٢٦٨، ضمن أحداث سنة ٦١هـ.

(٧) انظر: البداية، ٦/٢٣٤.

وقد طال الجدل في يزيد واختلفت فيه وجهات النظر بين مدافعٍ ومُتَّهِمٍ. وقد سوَّدت صفحات التاريخ شخصية يزيد، فلم يكن للجانب الإيجابي في حياته أيّ ظهور، وتعدَّى الأمر الروايات التاريخية إلى الروايات الأدبية التي أبرزت جوانب اللهو والشعر والخمر والنساء في حياته بما لا يليق بخليفة المسلمين آنذاك(١).

وفي المقابل لهذا الشَّطَط في تكفير يزيد توجد العديد من دلائل الغلوّ في يزيد؛ فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض الناس كانوا يظنون أنه رجل صالح وإمام عدل، بل فضَّله بعضهم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وربما جعله بعضهم نبياً. ومن هؤلاء غلاة الطائفة العدويَّة(٢) من سكان الجبال الأكراد الذين قالوا: إن سبعين ولياً صُرفت وجوههم عن القبلة لتوقُّفهم في يزيد(٣)، ويُعرفون أيضاً باليزيدية(٤)، وقد ذكر السمعاني (ت ٥٦٢هـ) صاحب (الأنساب) في باب

---

(١) هناك دراسة جيِّدة للروايات الأدبية الواردة عن يزيد استخدمت فيها الباحثة منهج المحدِّثين في نقد الروايات وخلصت إلى أن المصادر الأوَّلية أغفلت العديد من الجوانب الإيجابية ليزيد، كما بيَّنت أن روايات شرب يزيد الخمور وسماع الغناء والخروج من الدِّين هي محلّ شكّ؛ لما طرأ عليها من التلفيق والوضع. انظر: فريال بنت عبد الله الهديب، صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية (دراسة نقدية)، ط١، (الرياض: دار أجا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص١٣٧.

(٢) الطائفة العدويَّة: من الغلاة، سكنوا في الجبال ناحية الموصل خلال القرن السادس الهجري، وتُنسب إلى الشيخ عديّ بن مسافر الهكاري؛ نسبة إلى جبل هكار ناحية الموصل (ت ٥٥٧هـ)، وهو من بني مروان، وقد أصلح الله به مفسدي الأكراد، وتبعه خلق كثير غالوا في أمره. انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ٤/ ٤٨٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/ ٣٤٢-٣٤٤. ابن كثير، البداية، ١٢/ ٢٦١.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ٤/ ٤٨٢.

(٤) المُراد باليزيدية هنا الطائفة العدويَّة المُغالية في يزيد بن معاوية، وليس اليزيدية الفرقة المشهورة التي هي فرقة من الخوارج، وهم أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي، وكان من البصرة ثم انتقل إلى فارس، وكان على رأي الإباضية ثم خرج عن أقوالهم وزعم أن الله سيُرسل رسولاً من العجم، فهؤلاء ليس لهم علاقة بيزيد بن معاوية. للاستزادة عن يزيدية الخوارج انظر: البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق، ص٢٦٣. الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٣٦.

وقد ذهب الباحثون إلى عدَّة آراء في اليزيدية ونشأتها، فيرى البعض أن اليزيدية نسبة إلى بلد=

الياء والزاي أنه لقي جماعةً منهم كثيرة يتزهَّدون في جبال حلوان ونواحيها بالعراق يعتقدون أن الإمامة في يزيد[١]، كما ذكر ابن حجر الهيتمي أن اليزيدية طائفة تُبالغ في مدح يزيد بن معاوية[٢]، وهم يوجدون حالياً ويغالون في حبّ يزيد[٣]. وقد ذكر بعض الباحثين أن لهم إلهاً اسمه يزيد، وهو تمثال على شكل ديك لا يزالون يحتفظون به ويتوجَّهون بعبادتهم إليه[٤].

وهكذا نجد أن العديد من المصادر التاريخية تأثَّرت بما أوردته مصادر الحديث من أحاديث عن معاوية ويزيد، وكيف أن هذه الأحاديث أثَّرت في المؤرِّخين فرموا معاوية بأبشع التهم وساقوا حوله أحاديث موضوعة، ناهيك من تكفير ابنه يزيد ولعنه، مستندين في ذلك إلى أحاديث يرونها صحيحة، وهي إما ضعيفة وإما موضوعة.

ويُلاحظ أن هذا المبحث يختم حديثه عن الأسرة السفيانية دون الإشارة إلى معاوية بن يزيد (معاوية الثاني)؛ لعدم وقوف الدراسة على أحاديث وردت فيه.

= فارسي اسمه: يزد، وقيل: إنها مشتقة من كلمة يزدان الفارسية أو الكردية، وقيل: إنها دين قديم ظهر قبل الإسلام دخل أهله الإسلام وما زالوا يحتفظون ببعض معتقداته الباطلة. لكن المراد باليزيدية هنا - كما ذكرنا - هو الطائفة العدويَّة المنسوبة إلى الشيخ عديّ بن مسافر من بني مروان الذي كانت له آراء جيِّدة وحسنة في يزيد، فنقل عنه مريدوه الكثير من هذه الآراء وغالوا فيها، حتى إنهم غالوا في يزيد بن معاوية، فعُرفوا باليزيدية. انظر: السيد عبد الرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط٢، (د. م، د. ن، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، ص٥، ٦، ١٤، ١٥، ٢٧، ٢٨.

(١) انظر: الأنساب، ٥/٦٩٣.

(٢) انظر: تطهير الجنان، ص٢.

(٣) انظر: محمد العربي البتاني، تحذير العبقري، ٢/٢٢٩.

(٤) انظر: صديق الدملوجي، اليزيدية، د. ط، (الموصل: نشر المؤلِّف، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، ص٧.

المبحث الثاني
الأحاديث الواردة في الخلفاء من الأسرة المَرْوَانية وأثرها في الكتابات التاريخية

١- مَرْوان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ):

وردت خلال الفصل الأول مجموعة أحاديث في ذمّ الأسرة المَـرْوانية أو بني مروان، وخَلُص الفصل إلى أنها ضعيفة لم تصحّ ولم تثبت؛ مثل حديث: «أُرِيتُ بَنِي مَرْوَانَ يَتَعَاوَرُونَ عَلَى مِنْبَرِي». كما تعرَّض الفصل الأول لشخصية الحكم بن أبي العاص والد مروان وما ورد من أحاديث في لعنه وذمّه ولعن مَن هم في صلبه، ومنهم مروان الذي هو مدار هذا المبحث، وخَلُص الفصل إلى ضعف هذه الأحاديث(١).

وهذا المبحث سيذكر الأحاديث الواردة في خلفاء الأسرة المَرْوانية خليفةً خليفةً وأثرها في المصادر التاريخية، وأوَّلهم مروان بن الحكم؛ تلك الشخصية التاريخية التي شاركت في عدَّة أحداث منذ خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى تولِّيه خلافة بني أمية؛ فقد كان أمين سرّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وشارك في موقعة الجمل وموقعة صفِّين، وكان أميراً على المدينة في عهدي معاوية ويزيد، وشارك في موقعة الحرَّة بتحريضه الجيش الأموي على أهل المدينة، كما أدَّى دوراً مهماً في موقعة مرج راهط(٢) التي انتصر فيها جيش أهل الشام على جيش عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ٦٤هـ(٣).

والمهم هنا هو: ما مدى صحة الأحاديث الواردة في ذمّ مروان بن الحكم؟ وما مدى تأثيرها في المصادر التاريخية؟

---

(١) عن شخصية الحكم وما ورد فيه من أحاديث راجع الفصل الأول من الدراسة، ص ١٤٦-١٥٩.

(٢) مرج راهط: أرض بنواحي دمشق على بُعد أميال منها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/١٠١.

(٣) تحدَّثت كتب التراجم عن مروان وبيَّنت العديد من مواقفه السياسية والفتن التي شارك فيها. للاستزادة انظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/٢٦-٣٢. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/٤٤٤-٤٤٦. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٤/١٠٧-١٠٩. ابن حجر، الإصابة، ٦/٢٠٣، ٢٠٤.

والحقيقة أن مروان بن الحكم نال العديد من الأحاديث الذامَّة له، ويبدو أن كثرة الأحاديث فيه راجعة إلى ما ورد في أبيه الحكم من لعن وذم، كما أن مشاركته في عدة أحداث تاريخية ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وضد أهل المدينة أسهمت في بغضه ونشر الأحاديث حوله.

وهذه الأحاديث نذكرها ثم نبيِّن درجتها ومدى انتشارها في المصادر التاريخية.

أولاً: الأحاديث الواردة في مروان بن الحكم

أ- ما سبق ذكره من أحاديث وردت في ذمّ الحكم ولها علاقة بذمّ ابنه مروان:

١- عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان لا يُولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: «هُوَ الوَزَغُ ابْنُ الوَزَغِ، المَلْعُونُ ابْنُ المَلْعُونِ»، وهو موضوع[١].

٢- عن عطاء بن السائب، عن أبي يحيى قال: كنتُ بين الحسن والحسين ومروان، والحسين يُسابّ مروان، فنهاه الحسن، فقال مروان: أنتم أهل بيت ملعونون، فقال الحسن: ويلك! قلت هذا؟! والله لقد لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صلبه؛ يعني قبل أن يسلم. والحديث ضعيف، وعلّق عليه الذهبي وقال: «أبو يحيى هذا نخعيّ لا أعرفه»؛ أي في سند الحديث مجهول. كما أن في سند الحديث عطاء بن السائب، وقد تغيَّر واختلط[٢]. وكل ما ورد في اتهام مروان بلعن آل البيت لم يصحّ منه شيء، ولو صحّ شيء من ذلك لم يَرْوِ عنه البخاري وغيره من المحدِّثين، كما أنه لو صحّ عنه شيء في لعن آل البيت لنقله الحفَّاظ وتكلموا عليه[٣].

(١) انظر تخريجه وبيان حكمه في الفصل الأول، ص ١٤٧.

(٢) راجع تخريج الحديث والتعليق عليه في الفصل الأول، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) انظر: ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٣٤.

٣- أخرج البخاري في كتاب التفسير بسنده: «كان مروان بن الحكم على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايَع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه. فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي**﴾، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري[١]. هكذا رواية البخاري، لكن مصادر الحديث أوردت هذه الحادثة بعدة روايات، ففي رواية أن عبد الرحمن ردَّ على مروان: ألست اللعين ابن اللعين الذي لعنه رسول الله ﷺ؟. وفي رواية: فقالت عائشة من وراء حجاب: كذب مروان، والله ما أُنزلت إلا في فلان ابن فلان، ولو شئت أن أسمِّيَه لسمَّيته، ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروان في صلبه. وفي رواية: قالت عائشة: «فمروان قصص - وفي رواية: فضض - من لعنة الله». وقد بيَّنَّا ضعف الروايات القائلة بلعن عائشة رضي الله عنها مروان[٢].

٤- عن معاوية رضي الله عنه أن مروان بن الحكم دخل عليه ليقضي له حاجته فقال له: إن مؤنتي لعظيمة، وإني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة. فلما أدبر مروان، وابن عباس رضي الله عنهما جالس عنده، قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَمِ ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّه بَيْنَهُمْ دُوَلاً، وَعِبَادَ اللَّه خَوَلاً، وَكِتَابَ اللَّه دَغَلاً. فَإِذَا بَلَغُوا سَبْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ كَانَ هَلاكُهُمْ أَسْرَعَ مِنْ لَوْكِ تَمْرَةٍ»؟ قال ابن عباس: اللهم نعم. والحديث فيه غرابة ونكارة شديدة[٣].

---

(١) راجع رواية البخاري في الفصل الأول، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) راجع تخريج الحديث في الفصل الأول، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٣) انظر تخريج الحديث وبيان حكمه في الفصل الأول، ص ١٥٠-١٥٣.

ب- الأحاديث الواردة في مروان ولم تُذكر سابقاً:

١- أخرج نعيم بن حماد بسنده أن مروان بن الحكم لما دُفع إلى رسول الله ﷺ ليدعو له فأبى أن يفعل ثم قال: «ابْنُ الزَّرْقَاءِ، هَلاكُ عَامَّةِ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْهِ وَيَدَيْ ذُرِّيَّتِهِ»[١]. وقد أورده ابن كثير نقلاً عن نعيم وقال: حديث مرسل[٢].

٢- وأخرج ابن عساكر بسنده أن مروان أُتي به إلى النبي ﷺ وهو مولود ليحنِّكه، فأعرض عنه ولم يحنِّكه ثم قال: «وَيْلٌ لأُمَّتِي مِنْ هَذَا وَوَلَدِهِ». قال ابن عساكر: هذا منقطع[٣]. وفي رواية أخرى أن مروان بعثته أمه في خرقة إلى النبي ﷺ ليحنِّكه ويدعو له، فلم يصنع ذلك به، فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، بعثت إليك فلانة ببنيها لتحنِّكه وتدعو له. قال: «كَيْفَ أَصْنَعُ تِلْكَ بِهِ وَهُوَ يَلِدُ الجَبَّارِينَ وَيَخْلُفُنِي فِي أُمَّتِي؟!». قال ابن عساكر: وهذا أيضاً منقطع، وفيه جعفر ـ ابن سليمان ـ متشيِّع غالٍ[٤].

هذا ما وقف عليه الباحث من أحاديث في ذمّ مروان، ولم يجد رواية صحيحة في ذمّه، كما لم يجد أيّ حديث في كتب الصحاح والسنن تشير إلى لعن مروان أو ذمه. عموماً، فإن العديد من العلماء يرون أن ما قيل في ذم مروان بن الحكم هو كذب[٥]. لكن بعض العلماء يرى أن هناك ذماً لمروان على سبيل التلميح لا التصريح؛ مثل تعليق ابن حجر وغيره على حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق الذكر: «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمةً. قال

---

(١) انظر: الفتن، ص٨١. قال محقِّق (الفتن): في سنده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وعبد الله ابن مروان مقبول. انظر: حاشية رقم ٣٠٦.

(٢) انظر: البداية، ٦/٢٤٨.

(٣) تاريخ دمشق، ٥٧/٢٦٩.

(٤) تاريخ دمشق، ٥٧/٢٦٩.

(٥) انظر ما ذكره ابن القيم من أن (كل حديث في ذمّ مروان هو كذب) في: المنار المنيف، ص١١٢. وانظر أيضاً: الملا علي القاري، الأسرار المرفوعة، ص٣٤٢. فلاتة، الوضع في الحديث، ٢/١٧-٧٣.

ابن حجر وغيره: «يُتعجَّب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده، فكأن الله أجرى ذلك على لسانه ليكون أشدَّ في الحُجَّة عليهم لعلهم يتَّعظون»[1].

لكن ابن حجر بيَّن في مقدمة الفتح (هدي الساري)[2] أنه يُقال: إن لمروان رؤية؛ أي أنه صحابي، فإن ثبتت فلا يعرَّج على مَن تكلم فيه، وهو ممن أخرج له البخاري في صحيحه، كما اعتمد الإمام مالك على حديثه ورأيه، وكذلك الباقون سوى مسلم[3]. أما في (الإصابة) فقد ذكر أن هناك خلافاً في صحبته، ثم قال: «ولم يثبت لمروان أزيد من الرؤية»[4].

وعلى كل حال، فكلام ابن حجر لا يوجد فيه تأكيد أو جزم بلعن مروان أو ولده من بعده.

والحقيقة أن المصادر التاريخية اختلفت في كون مروان صحابياً، وهل كانت له رؤية أم لا؟

فقد عدَّه ابن سعد ضمن الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة[5]، كما ذكره ابن عساكر ضمن الطبقة الأولى من أهل المدينة[6]، وعدَّه الذهبي ضمن كبار التابعين على نحو ابن سعد، لكنه قال: «وقيل: له رؤية، وذلك مُحتمَل»[7].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/١٣. ذكر العيني هذه العبارة لكنه لم يُشِرْ إلى قائلها. انظر: عمدة القاري، ٢٠/٦٣.

(٢) عقد ابن حجر فصلاً كاملاً عن الرُّواة الذين طُعن فيهم، ودافع عنهم ابن حجر. انظر: مقدّمة الفتح، ١/٤٠٣، ٤٠٤.

(٣) ابن حجر، مقدّمة الفتح، ١/٤٦٦.

(٤) انظر: الإصابة، ٦/٢٠٣.

(٥) انظر: الطبقات، ٥/٢٦.

(٦) تاريخ دمشق، ٥٧/٢٣٣، ٢٣٤.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/٤٧٦.

ويرى ابن كثير أن مروان صحابي عند طائفة كثيرة؛ لأنه وُلد في حياة النبي ﷺ، فأدرك النبي ﷺ، وكان عمره ثماني سنين حين توفِّي النبي ﷺ[١]. وقد اختلفت المصادر في مولده، لكن الأقرب أنه كان ابن ثماني سنوات عند وفاة النبي ﷺ، وهو ما أشار إليه ابن سعد وغيره من المؤرِّخين[٢].

وعلى رغم أن المصادر اختلفت في صحبته إلا أنها اتَّفقت في روايته للحديث ورواية الصحابة والتابعين عنه، وهو لا يُتَّهم في الحديث؛ فمروان ممَّن روى عنهم الإمام مالك، وهو من رجال البخاري في الحديث[٣]، فهل يُعقل أن يُلعن من قِبَل الرسول ﷺ؟!

كما اختلفت المصادر في أحقيته بالخلافة، فذكر ابن حزم أن مروان بن الحكم خلع طاعة ابن الزبير، وهو أوَّل مَن شقَّ عصا المسلمين بلا تأويل ولا شبهة[٤]. وذكر ابن كثير أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما هو أمير المؤمنين عند ابن حزم وطائفة[٥]. كما نقل الصفدي (ت ٧٦٤هـ) قول الإمام مالك: إن ابن الزبير كان أفضل من مروان، وكان أولَى بالأمر من مروان وابنه عبد الملك[٦]. كما بيَّن ابن حجر أثناء شرحه حديث الاثني عشر خليفة أن مروان أخذ الخلافة بالمُغالَبة من ابن الزبير رضي الله عنهما الذي اجتمع الناس عليه[٧]. كما أن السيوطي لم يضَعْ له

(١) انظر: البداية، ٨/ ٢٥٩.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٢٧. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٤٤٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٣٢. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٤/ ١٠٧.

(٣) انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٤٤٥، ٤٤٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٢٤، ٢٢٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٦. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٥٩. ابن حجر، الإصابة، ٦/ ٢٠٣.

(٤) انظر: جوامع السيرة، ص٣٥٩.

(٥) انظر: ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٤٢.

(٦) انظر: الوافي بالوفيات، ١٧/ ٩٣.

(٧) فتح الباري، ١٣/ ٢٢٦.

ترجمةً ضمن خلفاء بني أمية؛ تعبيراً عن عدم اعترافه بخلافة مروان؛ إذ عدَّه باغياً على ابن الزبير(١).

وفي المقابل فإن بعض العلماء لم يعدّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في أمراء المؤمنين، وعدَّ دولته زمن فرقة؛ فلم يُستوثق الأمر لابن الزبير ولا لمروان؛ لأن مروان غلب على الشام ثم مصر، وابن الزبير غلب على الحجاز واليمن والعراق وخراسان وبعض الشام(٢).

وعلى كل حال، فقد استبعد العديد من العلماء خلافة ابن الزبير ومروان من حديث الاثني عشر خليفة الذي سبقت الإشارة إليه؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما(٣). ولعل الواقع الذي عاشه ابن الزبير آنذاك يؤكِّد عدم اتِّفاق الأمة على بيعته؛ فقد أشارت بعض المصادر إلى عدم بيعة محمد ابن الحنفية وعبد الله بن عباس لابن الزبير رضي الله عنهم أجمعين(٤).

ثانياً: موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في مروان

أ- ما أوردته المصادر التاريخية من أحاديث في لعن مروان وذرِّيته:

تأثَّرت المصادر التاريخية إلى حدٍّ كبير بما ورد من أحاديث في لعن مروان؛ فقد أوردت المصادر التاريخية حادثة لعن عائشة رضي الله عنها مروان وقولها له: أنت فضض من لعنة الله، وفي رواية: أنت قصص من لعنة الله. وقد سبق بيان ضعفها. لكن بعض المصادر التاريخية أوردتها ضمن سيرة مروان دون تعليق أو إيضاح لضعفها(٥)،

(١) انظر: مقدِّمة تاريخ الخلفاء، ص٢٥.

(٢) انظر تعليق الذهبي في: سير أعلام النبلاء، ٣/٣٦٤.

(٣) راجع شرح حديث الاثني عشر خليفة في الفصل الثاني من الدراسة، ص ٢١١-٢٢٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٥/٨٠. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٨٦، ٨٩. ابن كثير، البداية، ٨/٣٠٩. ابن حجر، فتح الباري، ٨/١٧٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٣/٢٥٠. النويري، نهاية الأرب، ٢٠/٣٥١، ٣٥٢. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/٢٧٧.

كما أوردتها بعض المصادر وبيَّنت ضعفها؛ مثل (البداية) لابن كثير[1].

كما أوردت المصادر التاريخية ما قيل من أن مروان قال للحسن: أنتم أهل بيت ملعونون، فقال الحسن: ويلك! قلت هذا؟! والله لقد لعن الله أباك على لسان نبيِّه وأنت في صلبه[2]. إلا أن بعض المصادر التاريخية ضعَّفت هذه الرواية[3].

ويُلاحظ أن العديد من المصادر التاريخية ساقت أحاديث ذمّ بني الحكم ولعنهم ضمن ترجمة مروان؛ فقد أورد البلاذري ضمن سيرة مروان حديث لعن النبي ﷺ الحكم وما في صلبه[4]، ولم يعلِّق عليه مكتفياً بذكر إسناده. كما ساق ابن عساكر العديد من هذه الأحاديث فعلَّق على بعضها وسكت عن الآخر؛ مثل: حديث «إِذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَمِ ثَلاثِينَ...»[5]، وحديث نَزْو بني الحكم على منبر رسول الله ﷺ واستيائه منهم، وحديث لعن الحكم وابنه وما في صلبه بعدَّة روايات[6]. كما أورد الذهبي ضمن ترجمة مروان أحاديث في لعن الحكم وما في صلبه، لكنَّه ضعفها[7]. أما ابن كثير فقد عرض الأحاديث الواردة في ذمّ الحكم وبنيه وما ورد في ذمّ مروان ضمن ترجمته، فأشار إلى أحاديث ذمّ الحكم ولعنه وما في صلبه، وما ورد في ظلم الحكم وبنيه، وساقها بطرقها ثم حكم عليها بالضعف. وقد سبق ذكر هذه الأحاديث وبيان ضعفها ضمن ما أوردته الدراسة في الحكم وبنيه.

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية، ٨/ ٩٢. راجع تخريج الحديث ورأي العلماء فيه في الفصل الأول من الدراسة، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٤٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٦٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٨. تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٣. وقد أشار ابن كثير إلى حادثة لعن الحسن الحكم أبا مروان قائلاً: والله أعلم؛ أي عن صحة الحادثة. البداية، ٨/ ٢٦٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٨. للاستزادة عن الحديث راجع الفصل الأول، ص ١٥٦.

(٤) أنساب الأشراف، ٦/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(٥) انظر ترجمة مروان في: تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٥٢-٢٥٤.

(٦) انظر ترجمة مروان في: تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٦٥-٢٧٣.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٨. تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٢، ٢٣٣.

كما ذكر المقريزي في (إمتاع الأسماع) عدة أحاديث في لعن بني الحكم، ومنهم مروان، فساق حديثاً عن طريق الحاكم بسنده: «الوَزَغُ ابْنِ الوَزَغِ، المَلْعُونُ ابْنُ المَلْعُونِ»، ثم نقل تعليق الحاكم بأنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1] على رغم أنه موضوع. كما ساق المقريزي حديث عائشة: أنت قصص من لعنة الله، ونقل تعليق الحاكم بأنه صحيح على شرط الشيخين[2]. ثم ساق أحاديث كثيرة في لعن والد مروان الحكم بن أبي العاص، وكان أكثر نقله عن طريق الحاكم والبيهقي[3].

كما ذكر الشامي عدة أحاديث في لعن الحكم وولده، وفي لعن مروان ابنه، نقلاً عن الطبراني والبيهقي وابن عساكر[4]، وقد سبقت الإشارة إليها.

ب- ما أوردته المصادر التاريخية من أحاديث تحذِّر من مروان:

الأحاديث الموضوعة التي ذُكرت فيما سبق عن مروان مفادها أن رسول الله ﷺ كان يحذِّر منه، وأنه سيكون سبباً في هلاك الأمة، وأنه يلد الجبَّارين. وقد أوردت العديد من المصادر التاريخية أحاديث تذمُّ مروان وتحذِّر منه؛ فقد أورد الشامي في (سبل الهدى والرشاد) نقلاً عن ابن عساكر أن مروان أُتي به وهو مولود عند النبي ﷺ ليحنِّكه، فأعرض عنه وقال: «وَيْلٌ لأُمَّتِي مِنْ هَذَا وَوَلَدِ هَذَا»[5]. وعلى رغم أن الشامي أورد الحديث عن ابن عساكر، إلا أنه لم يبيِّن نقد ابن عساكر للحديث الذي وصفه بالانقطاع[6]. كما أوردت بعض المصادر حديثاً موضوعاً في ذمّ مروان، وهو حديث: «اسْمَانِ يُبْغِضُهُمَا اللَّهُ: مَرْوَانُ وَالمُغِيرَةُ»[7].

---

(١) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٥.

(٢) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٧.

(٣) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٧٥-٢٧٧.

(٤) انظر: سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٩٠، ٩١.

(٥) انظر: سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٩٠.

(٦) انظر قول ابن عساكر في: تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٦٩.

(٧) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٩، ص٤٦٦، ٤٦٧.

كما أوردت بعض المصادر التاريخية نبوءات تحذِّر من مروان وبنيه؛ فقد أورد ابن عساكر نبوءة غريبة ذكر فيها أن يهودياً أسلم، اسمه يوسف، مرَّ على دار مروان فقال: ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار، ثلاث مرات. فقال له الراوي: إلى متى؟ قال: حتى تجيء رايات سود من قِبَل خراسان[1]. كما أورد السيوطي هذه الرواية نقلاً عن ابن عساكر ولم يعلِّق عليها[2].

وعلى منحى الأحاديث السابقة في التحذير من مروان أوردت المصادر التاريخية روايات عديدة تفيد بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يحذِّر من مروان، وأنه سيحمل راية ضلالة، وأنه سيحكم الأمة مدةً من الزمن. ونورد هنا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتشابه ألفاظه مع أحاديث الرسول ﷺ، وبوصفه شاهداً لتأثُّر المصادر التاريخية، فقد ذكر ابن سعد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى مروان فقال: «ليحملنَّ راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وله إمرة كلَحْسَة الكلبِ أنفَهُ»[3]. كما أورد ابن عبد البر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى مروان فقال: «ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك إذا ساءت ذرعك»[4]. هكذا اللفظ، ويبدو أن في ذلك تصحيفاً، والصحيح «شابت ذراعاك» حسب الروايات التالية؛ فقد أورد ابن عساكر رواية أخرى على نمط ما أورده ابن عبد البر، وهي أن مروان دخل على عليّ رضي الله عنه في حلة حسنة وجميلة، فنظر إلى قفاه ثم قال: «ويل لأمتك منك ومن بنيك إذا شابت ذراعاك»[5]. كما أورد ابن عساكر ما أورده ابن سعد بلفظه تماماً دون تعليق منه[6]. وأورده ابن الأثير عن عليّ رضي الله عنه بلفظ: «ويلك

---

(١) تاريخ دمشق، ٣٧/١٢٧، ضمن سيرة عبد الملك.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص١٩٢، ضمن سيرة عبد الملك.

(٣) الطبقات، ٥/٣٢.

(٤) الاستيعاب، ٣/٤٤٤.

(٥) تاريخ دمشق، ٥٧/٢٦٥. وقد أوردها بنصِّها المتقي الهندي نقلاً عن ابن عساكر. انظر: كنز العمال، ١١/٣٦١.

(٦) تاريخ دمشق، ٥٧/٢٦٣.

وويل أمة محمد منك ومن بنيك»[١]. كما نقل النويري ما أورده ابن عبد البر بلفظ «شابت ذراعاك»[٢]. وذكرها الصفدي بلفظ: «ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك إذا شابت ذراعاك»[٣]، ولم يُشِرْ إلى مَن نقلها.

كما أورد ابن أبي الحديد قول عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مروان بلفظ مختلف عما سبق: «أما إن له إمرةً كلعقةِ الكلبِ أنفَهُ، وهو أبو الأَكْبُش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»[٤]. وبعد أن أورد ابن أبي الحديد هذا القول راح يفسِّر ويسقط الواقع التاريخي للتأكيد على صحته، فذكر أن الأَكْبُش الأربعة يُعنى بهم بنو مروان لصلبه، وهم: عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد، وكانوا كباشاً أبطالاً أنجاداً كل واحد منهم ولي ناحيةً. ويرى ابن أبي الحديد ـ مناقضاً نفسه ـ أن هذا القول أولَى من قول مَن يرى أن الأَكْبُش هم أبناء عبد الملك الأربعة الذين تولَّوا الخلافة من بعده، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام[٥]. كلّ ذلك الجهد من أجل إقرار قول عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وسيأتي بيان معنى حديث الأَكْبُش الأربعة أو الجبابرة الأربعة عند الحديث عن عبد الملك بن مروان. كما فسَّر ابن أبي الحديد اليوم الأحمر الذي ستلقاه الأمة في عهد مروان بأنه كناية عن الشدة والجدب، وأما لعقة الكلب أنفَهُ فمعناها قِصَر مدة حكمه. قال ابن أبي الحديد: وقد وقع ذلك كما أخبر به أمير المؤمنين[٦]. ثم عاد ابن أبي الحديد إلى قول أمير المؤمنين في مروان فقال: هذا الخبر جاء من طرق كثيرة، ورُويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج

---

(١) أُسْد الغابة، ٤/١٠٧.

(٢) نهاية الأرب، ٢١/٨٢، ٨٣.

(٣) انظر: الوافي بالوفيات، ٢٥/٣٠٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٣.

(٥) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٣، ٥٤.

(٦) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٣، ٥٤. وقد ذكر ابن سعد أن ولايته بين ٦ إلى ٨ أشهر. انظر: الطبقات الكبرى، ٥/٣٢.

البلاغة عن عليّ رضي الله عنه، وهي قوله في مروان: «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وإن له إمرةً»، إلى آخر الكلام[١]. وقد استشهد على الرواية التي أوردها بما أورده ابن عبد البر في الاستيعاب من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى مروان فقال له: «ويل لك وويل لأمة محمد منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك»[٢]. ومعنى (إذا شاب صدغاك) أي أنه يتولّى الخلافة وهو كبير في السن؛ إذ كان عمره آنذاك ٦٥ سنة حسب زعم ابن أبي الحديد[٣].

وعلى كل حال، لا يُستغرب من إيراد ابن أبي الحديد هذا النص على لسان أمير المؤمنين؛ لأن المصادر التاريخية أوردت روايات مثلها أو مشابهة لها. لكنه نقل قول مَن يرى أن مروان وأولاده من أهل النار؛ لأن الرسول ﷺ عندما أراد قتل عقبة بن أبي معيط في موقعة بدر صاح عقبة فقال: مَن للصِّبية؟ فقال رسول الله ﷺ: «النَّارُ»[٤]. وقصة مقتل عقبة بن أبي معيط ثابتة[٥]، لكن لم يستنتج العلماء منها أن أولاده في النار إلا مَن كان على الشرك ومات عليه. ثم ما علاقة مروان بذلك؟ وما وزره؟!

ويتساءل الباحث: إذا كان النبي ﷺ قد حذَّر من مروان ومن ذرِّيته فهل يشمل ذلك التحذير الخليفة المرْواني عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ذلك الزاهد العابد الذي أجمعت الأمة قاطبةً على فضله؟! ثم لماذا سيقت هذه الروايات على

(١) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٤٥. ذكر ابن سعد أن عُمر مروان عندما تولّى الخلافة كان ٦٤ سنة. الطبقات الكبرى، ٥/ ٣٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٥٢.

(٥) أشارت المصادر إلى أن رسول الله ﷺ أمر بقتل عقبة بن أبي معيط صبراً؛ لأنه كان أشدّ الناس عداوةً للنبي ﷺ. وعندما علم عقبة صاح: مَن للصِّبية؟ فأجابه ﷺ: «النار». للاستزادة عن تفاصيل هذه القصة انظر: ابن كثير، البداية، ٣/ ٣٠٦. ابن حجر، الإصابة، ٦/ ٤٨١، ضمن سيرة الوليد بن عقبة.

لسان عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟! ألا يكون للصراع بين الطرفين دور في نشر هذه الأقوال؟! ثم هل تحذير عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من مروان كان بناءً على أمرٍ سمعه من رسول الله ﷺ؟!

وللإجابة عن هذه التساؤلات فإن العديد من المصادر أوردت روايات تناقض ما سبق ذكره عن مروان؛ فقد روت المصادر عن الشافعي أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يوم الجمل حين انهزم الناس يُكثر السؤال عن مروان، فقيل له في ذلك، قال: يَعْطِفُني عليه رَحِمٌ ماسَّةٌ، وهو سيِّد من شباب قريش[1]. ثم إن هناك عدة أقوال للصحابة والتابعين في مدح مروان تناقض ما قيل من أن رسول الله ﷺ وعلياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانا يحذِّران منه. كما ذكرت المصادر أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «مروان بن الحكم سيِّد شباب قريش»[2]. وقد كان يُعرف مروان بن الحكم بالفقيه في دين الله، والقارئ لكتاب الله، والشديد في حدود الله[3]. وقال عنه الإمام أحمد: إنه يتتبَّع قضاء عمر بن الخطاب[4]. وقال ابن حجر: كان مروان يعدُّ من الفقهاء[5]. وقد عُرف عن مروان أنه كان يستشير الصحابة حين إمرته على المدينة[6]، كما كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يصلِّيان خلفه بالمدينة ولا يعيدان الصلاة[7]. وفي ذلك ردٌّ على مَن يتَّهمه بالنفاق؛ مثل ابن أبي الحديد وغيره[8].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٣٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٧. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٦٠.

(٢) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٣٨. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٦٠.

(٣) هذا الوصف ذكره التابعي الجليل قبيصة بن جابر عن معاوية. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٣٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٧. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٦٠.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٧. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٦٠.

(٥) الإصابة، ٦/ ٢٠٣.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٣٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٦٤. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٦١.

(٧) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٤٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٧٨. ابن كثير، البداية، ٨/ ٢٦١.

(٨) دافع ابن تيمية عن مروان بن الحكم فذكر أن النبي ﷺ مات ومروان لم يبلغ الحُلُم باتِّفاق أهل العلم، فما=

وما قيل عن مروان على لسان عليّ ـ بعد أن اتَّضح ضعفه وبطلانه ـ لا يمكن أن يصدر منه؛ لأن فيه ادِّعاءً لعلم الغيب، أو هو من العلم الذي اختصَّ به عليّ رضي الله عنه عن غيره، وهذا ما يحاول غلاة الشيعة ترويجه.

ج- ما أوردته المصادر التاريخية من أحاديث في تولِّي مروان الخلافة:

ساقت المصادر التاريخية عدة أحاديث في تولِّي بني الحكم الخلافة ضمن ترجمة مروان؛ مثل: أحاديث (إذا بلغ بنو الحكم أو بنو العاص أو بنو مروان ثلاثين أو أربعين)، وأحاديث صعود بني مروان على منبر رسول الله ﷺ واستيائه منهم، وأنه يلد الجبَّارين، وقول مروان: إني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. فقد أورد البلاذري ضمن سيرة مروان حديثاً في صعود الحكم وبنيه على منبر رسول الله ﷺ، فقال: روي أن النبي ﷺ قال للحكم: «كَأَنِّي بِبَنِيهِ يَصْعَدُونَ مِنْبَرِي وَيَنْزِلُونَ»[1]. كما أورد البلاذري بسنده ضمن سيرة معاوية أن معاوية كتب إلى مروان: يا مروان، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا بَلَغَ وَلَدُ الحَكَمِ ثَلاثِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وَدِينَ اللَّهِ دَخَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً». فكتب إليه مروان: فإني أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، والسلام[2]. كما ساق البلاذري روايةً أخرى لها علاقة بالرواية السابقة، وهي أن معاوية شاجر مروان، فقال له: أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، فقال معاوية: لقد أخذتها من عين صافية[3].

وقد أورد الأصفهاني هذه الحادثة على نحو ما أورده البلاذري تقريباً، لكنه زاد

= ذنبه حتى يُطرد؟!. كما أن مروان مسلم ظاهراً وباطناً يقرأ القرآن ويتفقَّه في الدين، ولم يكن قبل الفتنة ـ فتنة مقتل عثمان ـ معروفاً بشيء يُعاب به، ولم يكن مروان ممَّن يحادُّ الله ورسوله. وأما الفتن التي شارك فيها فقد وقع فيها من الصحابة مَن هم أفضل من مروان. انظر: منهاج السنة، ٦/ ٢٦٥، ٢٦٩.

(١) أنساب الأشراف، ٦/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) أنساب الأشراف، ٥/ ٦٤.

(٣) أنساب الأشراف، ٥/ ١٢٥.

فيها عدة أخبار، منها أن معاوية قال لمروان: يا ابن الوزغ؛ إشارةً إلى حديث (الوزغ ابن الوزغ)، فردَّ عليه مروان رداً غليظاً مذكِّراً إياه أن بنيه كادوا يكملون الأربعين، فخضع معاوية له واسترضاه. وكان الأحنف بن قيس[1] موجوداً حينها، فقال لمعاوية: ما هذا الخضوع لمروان؟! وأيُّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأيَّ شيء تخشاه منه؟ فقال له معاوية: ادْنُ مني أخبرْك بذلك. فدنا منه، فقال له: إن الحكم بن أبي العاص كان أحدَ مَن وفد مع أختي أم حبيبة لما زُفَّت إلى النبي ﷺ، وهو الذي تولَّى نقلها إليه، فجعل رسول الله ﷺ يحدُّ النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أحددتَ النظر إلى الحكم! فقال: «ابْنُ المَخْزُومِيَّةِ، ذَلِكَ رَجُلٌ إِذَا بَلَغَ وَلَدُهُ ثَلاثِينَ - أَوْ أَرْبَعِينَ - مَلَكُوا الأَمْرَ بَعْدِي». فوالله لقد تلقَّاها مروان من عين صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعنَّ هذا أحدٌ منك؛ فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن. فقال معاوية: فاكتمها عليَّ يا أبا بحر إذنْ؛ فقد لعمري صدقت ونصحت[2].

وقد أورد ابن أبي الحديد هذه الحادثة نقلاً عن الأصفهاني، وذكر أن الأصفهاني أورد ذلك رمزاً لحديث النبي ﷺ: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي العَاصِ أَرْبَعِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً»، ثم قال: فكان بنو أبي العاص يذكرون أنهم سيَلُون أمر الأمة إذا بلغوا هذه العدَّة[3]. وقد أورد ابن حجر العسقلاني هذه الحادثة عن طريق الهيثم بن عدي[4]، وهو متروك الحديث، فذكر أن الأحنف قال

---

(١) الأحنف بن قيس: أبو بحر التميمي، اسمه ضحاك، وقيل: صخر، واشتهر بالأحنف لحَنَف رجليه، وهو العوج والميل. كان سيِّد قومه بني تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ وحدَّث عن جمع من الصحابة، مات سنة ٦٧هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات ٧ / ٤٦-٦٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤ / ٨٦-٩٧.

(٢) الأغاني، ١٣ / ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٦، ٥٧.

(٤) الهيثم بن عديّ: أبو عبد الرحمن الطائي المنبجي الكوفي، أخباري علامة. قال عنه البخاري:=

لمعاوية: ما هذا الخضوع لمروان؟ قال: إن الحكم كان ممَّن قدم مع أختي أم حبيبة لما زُفَّت إلى النبي ﷺ، وهو الذي نقلها إليه، فجعل رسول الله ﷺ يحدُّ النظر إلى الحكم، فقال: «ابْنُ المَخْزُومِيَّةِ، ذَاكَ رَجُلٌ إذَا بَلَغَ وَلَدُهُ ثَلاثِينَ ـ أَوْ أَرْبَعِينَ ـ مَلَكُوا الأَمْرَ»(١).

كما ساق البلاذري ما دار في مؤتمر الجابية الذي عقده الأمويون للتباحث فيمَن يتولَّى أمرهم، فأورد كلام أحد المشاركين في مروان قائلاً: «ومروان أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، وإن بايعتموه كنتم عبيداً»(٢). كما أوردها ابن سعد وابن الأثير على نحو البلاذري(٣)، وفي ذلك إشارة إلى الأحاديث التي وردت فيها مثل هذه العبارات.

ومن النكات الغريبة أن المصادر التاريخية اختلفت في عدد أبناء مروان وفي أسماء بعضهم؛ فقد ذكر المصعب الزبيري أن عدد أولاد مروان أحد عشر رجلاً ونسوة(٤)، أما ابن سعد فذكر أن عدد أبناء مروان ثلاثة عشر رجلاً ونسوة(٥)، وذكر البلاذري في (أنسابه) نحو ما ذكره ابن سعد، إلا أنه لم يحدِّد العدد، كما أنه أغفل ذكر خمسة منهم(٦). كما أشار المسعودي إلى أنهم أحد عشر ذكراً

= ليس بثقة، كان يكذب. وقال أبو داود: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك الحديث. مات سنة ٢٠٧هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٢٤، ٣٢٥.

(١) انظر: الإصابة، ٢/ ٩١، ٩٢.

(٢) أنساب الأشراف، ٦/ ٢٦٦.

(٣) انظر: الطبقات، ٥/ ٣٠. الكامل، ٣/ ٣٢٧.

(٤) انظر: نسب قريش، ص١٦٠، ١٦١. ويُلاحظ أن المصعب الزبيريّ نصَّ على أن عدد أبناء مروان ابن الحكم أحد عشر رجلاً ونسوة، ولكنه عندما أورد أسماءهم زاد الرجال واحداً فذكر اثني عشر رجلاً، هم: عبد الملك، ومعاوية، وعبد العزيز، وبشر، وأبان، وعبيد الله، وعبد الله (درج؛ أي مات صغيراً)، وأيوب، وعثمان، وداود، وعمر، ومحمد. والنساء هنَّ: أم عمرو، وأم عثمان، ورملة، وأم عمر.

(٥) ذكر ابن سعد أسماء الرجال، وهم: عبد الملك، ومعاوية، وعبد العزيز، وبشر، وعبد الرحمن (مات صغيراً)، وأبان، وعبيد الله، وعبد الله (مات صغيراً)، وأيوب، وعثمان، وداود، وعمرو، ومحمد. والنساء هنَّ: أم عمرو، وأم عثمان، ورملة، وأم عمر. انظر: الطبقات، ٥/ ٢٦، ٢٧.

(٦) وهؤلاء الخمسة هم: عبد الله، وأيوب، وعثمان، ورملة، وأم عمر. انظر: أنساب الأشراف، ٦/ ٣٠٧، ٣٠٨.

وثلاث بنات على نحو ما ذكره البلاذري[1]. وذكر ابن عساكر أن عدد ولد مروان أحد عشر رجلاً ونسوة[2].

فإذا كانت المصادر لم تتَّفق على عدد أبناء مروان، كما أنها اختلفت في أسماء بعضهم، ناهيك من ضعف الحديث الذي أوردناه في ذلك، ألا يكفي كلّ هذا للدلالة على ضعف ما ورد من أحاديث في مروان وولده وغير ذلك من الروايات الغريبة؟!

كما ذكرت بعض المصادر التاريخية أن مروان كان يُذمُّ ويُعيَّر بابن الزرقاء[3] على منوال حديث: «ابْنُ الزَّرْقَاءِ، هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْهِ».

وهكذا نجد أن المصادر التاريخية تورد أحاديث مكذوبة دون تعليق أو تحقيق أو نقد، وهذا هو عين التأثُّر الذي تهدف الدراسة إلى إيضاحه من حين إلى آخر؛ مثل ما ورد من قول مروان: إني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة، وما ورد في حديث (ابن الزرقاء)، وغيرهما؛ مما أخذ أشكالاً عديدة في الروايات وسِيقت حوله قصص عديدة في المصادر التاريخية.

والباحث هنا لا يبرِّئ ساحة مروان من سلبياته التي ذكرتها المصادر التاريخية[4]، إلا أن قضية وضع الأحاديث والروايات الباطلة ذهبت مذهباً بعيداً في نفاقه وضلاله والتحذير منه، ويعظم الخطب أكثر عندما يذكر بعض أهل العلم أنه صحابي على خلاف في ذلك سبق بيانه.

---

(١) وهم جميع الذكور الذين ذكرهم ابن سعد وأوردناهم في حاشية رقم (٥) في الصفحة السابقة عدا عبد الله وأيوب وعثمان، وزاد المسعودي عليهم عمر. كما ذكر المسعودي جميع مَن ذكرهنَّ ابن سعد من النساء إلا رملة. انظر: مروج الذهب، ٣/٩٨.

(٢) انظر: تاريخ دمشق، ٣٧/١١٣، ضمن سيرة عبد الملك.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/٢٥٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٢٣٣. ابن الأثير، الكامل، ص٣٤٨. النويري، نهاية الأرب، ٢١/٩٧. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١١٩.

(٤) وصفت العديد من المصادر مروان بأنه خيط باطل، لكنها اختلفت في سبب هذه التسمية، فقسم يرى أن ذلك مرتبط بالفتن التي شارك فيها؛ كيوم الدار وموقعة الجمل وصفين وموقعة=

٢- عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ):

أوردت المصادر حديثاً عن عبد الملك سبقت الإشارة إلى جزء منه في عدة مواضع من الدراسة، وهو حديث (الجبابرة الأربعة)[١]، ومفاده أن مروان بن الحكم أرسل ابنه عبد الملك إلى معاوية ليقضي له حاجته، وعندما خرج عبد الملك من عند معاوية قال معاوية لابن عباس وكان جالساً عنده: أنشدك بالله، أما سمعت رسول الله ﷺ قال عنه: «أَبُو الجَبَابِرَةِ الأَرْبَعَةِ»؟ فقال ابن عباس: اللهم نعم. وهو ضعيف ومنكر عند المحدِّثين[٢] وعند بعض المؤرِّخين[٣]. لكن بعض المصادر التاريخية تناقلت هذا الحديث دون بيان لضعفه؛ فقد أورده ابن عساكر كاملاً ضمن سيرة عبد الملك ولم يعلِّق عليه[٤]، كما أورده البيهقي في سياق أحاديث الحكم ولم يعلِّق عليه[٥]، وأورده المقريزي والسيوطي والشامي نقلاً عن البيهقي دون تعليق منهم على ضعف الحديث[٦].

= الحرَّة، وقسم يرى أن سبب هذه التسمية هو ما كان عليه جسده من ضعف واضطراب ودقة في عنقه. انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ٤/١٢٨٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/٢٥٦. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٩٥. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/٤٤٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٢٧٩. ابن الأثير، أُسْد الغابة، ٤/١٠٨. النويري، نهاية الأرب، ٢١/٨٣. الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠هـ)، ص٢٣٠. ابن كثير، البداية، ٨/٢٦٣.

(١) ورد الحديث كاملاً ضمن مُلْك بني أمية في الفصل الثاني، ص ٢٣٥. كما ورد جزء منه ضمن الحديث عن مروان في الفصل الثالث، ص ٣٧٦. وهو حديث ضعيف وفيه نكارة شديدة.

(٢) هذا المقطع من الحديث أخرجه نعيم بن حماد. قال محقِّق الكتاب: ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة ورشدين، كلاهما ضعيف. انظر: الفتن، ص٨٨. كما أخرجه الهيثمي بسنده ضمن حديث طويل عن الطبراني، وقال: فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن. مجمع الزوائد، ٥/٢٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير، الشمائل، ٢/٢٦٥. البداية، ٦/٢٤٨.

(٤) انظر: تاريخ دمشق، ٣٧/١٢٦، ١٢٧.

(٥) انظر: دلائل النبوة، ٦/٥٠٨.

(٦) انظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٧٩. السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢/٢٠٠. الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٠/٩٠.

ومما تجدر الإشارة إليه أن حديث الجبابرة الأربعة الوارد هنا ساقه ابن أبي الحديد بلفظ الأكْبُش الأربعة ضمن حديثه عن مروان، فعدَّ مروان هو أبا الأكْبُش الأربعة وليس ابنه عبد الملك، وراح يسوق الأدلة على ذلك إمعاناً في التعصُّب(١).

كما أن حديث (الجبابرة الأربعة) هذا كان له تأثير كبير في المصادر التاريخية، ويتعلَّق ذلك بقضية الرؤى التي قيلت على لسان عبد الملك، فقد ذُكرت روايات عديدة حول ما قيل من أن عبد الملك رأى أنه يبول في محراب المسجد أو في محراب مسجد رسول الله ﷺ أربع مرات. قال مصعب الزبيري: «زعموا أن عبدالملك رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات، فدسَّ مَن يسأل سعيد بن المسيب... فقال: يملك من ولده لصلبه أربعة. كان هشام آخرهم»(٢).

واستمراراً لقضية تأثُّر المصادر التاريخية بالأحاديث النبوية يُلاحظ أن بعض هذه المصادر ـ المُغالية في ذمِّ الأمويين ـ وصفت عبد الملك بأنه أعرق الناس في الكفر(٣)؛ لسببين:

السبب الأول: ما ورد من أحاديث في لعن الحكم بن أبي العاص جد عبد الملك لأبيه، وقد بيَّنت الدراسة ضعفها.

والسبب الثاني: أن جده لأمه معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وهو أبو عائشة أم عبد الملك بن مروان، قد أمر النبي ﷺ بطرده من المدينة وأجَّله ثلاثاً، ثم أرسل في أثره علياً وعماراً رضي الله عنهما فقتلاه(٤).

---

(١) انظر ما أفاض به ابن أبي الحديد حول هذا القول في: شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٦، ص٥٤.

(٢) انظر: نسب قريش، ص١٦٣. كما نقلها الذهبي عن المصعب بلفظه دون تعليق. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٥١، ٣٥٢.

(٣) انظر: رسالة في الحكمين، رسائل الجاحظ السياسية، ص٤٢٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٦٩. المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٩.

(٤) انظر: رسالة في الحكمين، رسائل الجاحظ السياسية، ص٤٢٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٦٩. المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٩.

وقصة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص جدّ عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة بنت معاوية أوردتها المصادر[1]، وليس فيها ما يجيز تكفير عبد الملك؛ فعبدالملك خليفة مسلم تمكّن من إخماد الثورات، وبسط الأمن، وعمل الإصلاحات، ويُعدُّ من المؤسِّسين الحقيقيين للدولة الأموية[2]، كما عدَّه العديد من العلماء والمؤرخين من الفقهاء[3].

٣- الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ):

٤- سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ):

لم يقف الباحث على أيّ حديث ورد في سليمان بن عبد الملك، سواء في مصادر الحديث أو التاريخ. أما الوليد بن عبد الملك فهناك حديث عام سبق ذكره، وهو ضعيف، أورده نعيم بن حماد: «يَلِيكُمْ عُمَرُ وَعُمَرُ، وَيَزِيدُ وَيَزِيدُ، وَالوَلِيدُ وَالوَلِيدُ، وَمَرْوَانُ وَمَرْوَانُ، وَمُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ»[4]. كما أن هناك حديثاً نبوياً نصَّ على اسم الوليد سيأتي الحديث عنه ضمن سيرة الوليد بن يزيد.

٥- عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ):

أجمعت المصادر على فضل عمر بن عبد العزيز وورعه وزهده وصلاحه؛ فهو من أجلّ التابعين، روى عنه الحديث جماعة من التابعين، وكان من أعلم الناس في

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٩٥، ٩٦. ابن كثير، البداية، ٤/٥٢.

(٢) للاستزادة عن سيرة عبد الملك انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٢٤٦-٢٤٩. ابن كثير، البداية، ٩/٦٦-٧٣. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩٠-١٩٧. وللاستزادة عن دوره السياسي والإداري انظر: بسام العسلي، عبد الملك القائد، ط٢، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص١٠٩-١٢٧.

(٣) ذكر العديد من العلماء أن عبد الملك كان من فقهاء المدينة، ووصفوه بعدة جوانب علمية. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٧/١١٩، ١٢٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٢٤٧، ٢٤٨. ابن كثير، البداية، ٩/٦٦. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩١.

(٤) قال محقِّق (الفتن): حديث ضعيف، وفي سنده مجهول. انظر: نعيم بن حماد، الفتن، ص٧٢.

زمانه؛ فقد ذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز «أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه، وعدُّوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبةً على عدله»[1]. وقال في موضع آخر: «وأجمع العلماء قاطبةً على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر الذين جاء فيهم الحديث الصحيح: «لا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيماً حَتَّى يَكُونَ فِيهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[2].

وقد عدَّه بعض علماء السلف خليفةً راشداً أو خامس الخلفاء الراشدين[3]؛ أي أنه سار على منهجهم في العدل والصلاح وحسن السيرة، لكنه لا يساويهم في الفضل والمكانة. وقد بيَّنَّا في حديث سفينة مَن هم الخلفاء الراشدون، فعمر بن عبد العزيز لا يدخل ضمنهم.

كما عدَّه العديد من العلماء مجدِّد القرن الأول الهجري عند سياقهم حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا»[4].

---

(١) البداية، ٦/٢٥٥.

(٢) البداية، ٩/٢٠٨.

(٣) ذكر ابن عبد البر أقوال السلف في ذلك؛ كسفيان الثوري وغيره. انظر: جامع بيان العلم، ٢/١١٧٣. وساق ابن الجوزي أقوال العلماء في ذلك؛ مثل سفيان الثوري وقبيصة. انظر: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص٧٢، ٧٣. كما ذكر الذهبي أن الشافعي جعله ضمن الخلفاء الراشدين. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/١٣٠، ١٣١. كما نقلت المصادر التاريخية قول سفيان الثوري إنه من الخلفاء الراشدين. انظر: ابن كثير، البداية، ٩/٢٠٨.

(٤) الحديث في سنن أبي داود، وقال عنه الألباني: صحيح. انظر: سنن أبي داود، تحقيق: الألباني، ص٦٣٩. كما أخرجه الحاكم في (مستدركه)، ووافقه الذهبي. انظر: مستدرك الحاكم، ٥/٧٣٠. كما نقل ابن الجوزي الحديث ونقل قول أحمد بن حنبل إن عمر هو المقصود برأس المائة. انظر: سيرة ومناقب عمر، ص٧٣، ٧٤. كما ذكر ابن كثير الحديث ثم قال: وقد قال كثير من الأئمة إنه عمر بن عبد العزيز. انظر: البداية، ٦/٢٤٤. وانظر أيضاً: البداية، ٩/٢١٥،=

وأما المقصود برأس المائة فهو آخرها[١].

كما أطلق عليه بعض العلماء لقب المهديّ[٢]، كما أن هناك حديثاً صحيحاً أورده الإمام مسلم ظنَّ بعض العلماء أن المقصود به عمر بن عبد العزيز، والحديث هو: عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي المَالَ حَثْياً، لا يَعُدُّهُ عَدًّا». قال: قلتُ لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا[٣]. وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على أن هذا الخليفة هو المهديّ[٤].

لكن ليس مقصود العلماء والتابعين الذين وصفوا عمر بن عبد العزيز بالمهدي أنه مهديّ آخر الزمان الذي هو من آل بيت النبي ﷺ ويخرج عند نزول عيسى عليه السلام؛ فالأحاديث الواردة في ذلك صريحة وواضحة، وقد أوضح السلف

= ٢١٦ . كما ذكر ابن حجر أن عمر بن عبد العزيز هو القائم بالأمر على رأس المائة الأولى؛ لاتّصافه بجميع صفات الخير وتقدُّمه فيها، ومن ثَمَّ أطلق الإمام أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه. انظر: فتح الباري، ١٣/ ٣٠٨، باب قول النبي ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ...». كما نقل محمد شمس الحق آبادي أقوال العلماء في أن المُجدِّد هو عمر بن عبد العزيز؛ مثل: الزهري، والإمام أحمد، وابن حجر العسقلاني. انظر: عون المعبود، ١١/ ٢٦٠، ٢٦١.

(١) انظر شرح الحديث وأقوال العلماء في رأس المائة في: محمد شمس الحق آبادي، عون المعبود، ١١/ ٢٦٠-٢٦٢.

(٢) سُئل سعيد بن المسيب عن المهدي، فذكر أنه الأشج من بني مروان، يقصد عمر بن عبد العزيز. انظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٢٥٦. ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص٧٢-٧٤. كما نقل الذهبي قول ابن سيرين عن عمر بن عبد العزيز: إمام هُدى. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٣٠. كما نقل ابن كثير قول قتادة ووهب بن منبه والإمام أحمد إنه المهدي. انظر: البداية، ٩/ ٢٠٨. كما نقل السيوطي قول وهب بن منبه: «إن كان في هذه الأمة مهديّ فهو عمر بن عبد العزيز». انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢٠٥.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/ ٣١.

(٤) ذكر الهيثمي هذا الحديث تحت اسم: باب ما جاء في المهدي. انظر: مجمع الزوائد، ٧/ ٣١٦-٣١٩.

المقصود من لفظ المهدي الذي وصف به عمر بن عبد العزيز؛ فقد سُئل طاوس بن كيسان التابعي الجليل[1] عن عمر بن عبد العزيز: هل هو المهديّ؟ فقال: هو مهديّ وليس به، إنه لم يستكمل العدل كله[2]. وقد ذكر ابن القيم أنه جاء عن الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه أن عمر بن عبدالعزيز من الخلفاء الراشدين المهديين، لكنه ليس مهديّ آخر الزمان؛ لحديث رواه أحمد في المسند: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»[3]. قال ابن القيِّم: «لا ريب أنه كان راشداً مهدياً، ولكن ليس بالمهديّ الذي يخرج آخر الزمان... فكذلك بين المهديّ الأكبر مهديُّون راشدون»[4]. ومما يؤكد ذلك أن لفظ (المهدي) أُطلق على غير عمر بن عبد العزيز؛ كمعاوية بن أبي سفيان[5] وسليمان بن عبدالملك[6].

لكن هناك روايات ضعيفة استند إليها بعض المؤرخين في أن عمر بن عبد العزيز هو مهديّ الأمويين؛ فقد ذكر ابن سعد في (طبقاته) بسنده عن العَرْزَمِيّ[7] قال:

---

(١) طاوس بن كيسان: أبو عبد الرحمن الفقيه القدوة عالم اليمن، وُلد في عهد عثمان رضي الله عنه، روى عدة أحاديث، مات سنة ١٠٦هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٨-٤٨.

(٢) انظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ٢/١٨٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/١٣٠. ابن كثير، البداية، ٩/٢٠٨. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٧. وأصل الرواية أوردها ابن أبي شيبة في (مصنَّفه) بزيادة: «إن المهديّ إذا كان زِيدَ المحسن في إحسانه، وتِيبَ عن المسيء من إساءته، وهو يبذل المال، ويشتدُّ على العمال، ويرحم المسكين». انظر: مصنَّف ابن أبي شيبة، ٧/٥١٤.

(٣) انظر: المنار المنيف، ص١٣٨. انظر نصّ الحديث كاملاً عن العرباض بن سارية رضي الله عنه في: مسند أحمد، ٢٨/٣٦٧، ٣٧٣. قال محقِّقو (المسند): حديث صحيح.

(٤) انظر: المنار المنيف، ص١٣٨، ١٣٩.

(٥) قال الأعمش التابعي الجليل عن مجاهد: «لو رأيتم معاوية لقلتم: هذا المهدي». انظر: ابن كثير، البداية، ٨/١٣٧. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص٣٥.

(٦) أورد ابن أبي شيبة بسنده عن وكيع قال: لما قام سليمان وأظهر ما أظهر قلت لأبي يحيى: هذا المهدي الذي يُذكر؟ قال: لا، ولا المتشبّه. انظر: مصنَّف ابن أبي شيبة، ٧/٥١٣.

(٧) لم أَقِفْ على المُراد بالعرزمي هنا؛ لأن المصادر أوردت ثلاث شخصيات بهذا الاسم، أذكرها هنا حسب أقربها إلى الرواية: محمد بن عبد الرحمن بن محمد العرزمي. قال الدارقطني: متروك=

سمعت محمد بن عليّ[1] يقول: النبي منا، والمهديّ من بني عبد شمس، ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز[2]. وقد قال هذا في خلافة عمر بن عبد العزيز. وفي رواية: سُئل محمد بن علي: إن الناس يزعمون أن فيكم مهدياً؟ فقال: إن ذاك كذاك، ولكنه من بني عبد شمس. قال (الراوي): كأنه عنى عمر بن عبدالعزيز[3]. ولكن هذه الرواية فيها العرْزمي (راوي الخبر) فيه مقال. كما أن هذا الخبر يخالف ما هو مقرَّر في الأحاديث الصحيحة من أن المهديّ من أهل بيت النبي ﷺ[4].

أما بالنسبة إلى الأحاديث النبوية الواردة في عمر نصاً باسمه فلم يقف الباحث على أيّ حديث نبوي ورد فيه تنصيصاً، لكن بعض المصادر ذكرت وجود إشارة نبوية لخلافته؛ فقد ذكرت مصادر الحديث والتاريخ عدة عناوين تحمل في مضامينها الإخبار بتولِّيه الخلافة وإقامته العدل، ومن ذلك: عنون البيهقي لعمر بن عبد العزيز بقوله: (باب في إخباره ﷺ ... وما يُستدلُّ به على إخباره بعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - وإشارته إلى ما ظهر من عدله وإنصافه في ولايته)[5].

= الحديث هو وأبوه وجدُّه. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٦٢٧. ابن حجر، لسان الميزان، ٥/ ٢٥٥. والثاني: محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العرزمي، أبو عبد الرحمن الكوفي، من الطبقة السادسة، مات سنة ١٥٥هـ، متروك. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٦٣٥. ابن حجر، تقريب التهذيب، ص٤٩٤. والعرزمي الثالث هو عمّ محمد بن عبيد الله، واسمه: عبد الملك ابن أبي سليمان ميسرة العرزمي، من الطبقة الخامسة، صدوق وله أوهام، مات سنة ١٤٥هـ. انظر: تقريب التهذيب، ص٣٦٣. وقال عنه الذهبي: أحد الثقاة المشهورين. انظر: ميزان الاعتدال، ٢/ ٦٥٦.

(١) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: توفِّي بالشراة من أرض الشام سنة ١٢٥هـ وعمره ستُّون سنة، وهو وصيُّ أبي هاشم؛ إذ قال له أبو هاشم: إن هذا الأمر إنما هو في ولدك. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ٥/ ٢٥٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، ٥/ ٢٥٦.

(٤) انظر ما قرَّره العلماء في قضية المهدي وعقيدة أهل السنة فيه في الفصل الثاني، ص ٢٨٨.

(٥) انظر: دلائل النبوة، ٦/ ٤٩٠.

كما عقد ابن الجوزي باباً عن عمر بن عبدالعزيز بعنوان: (ذكر ما يُروى من شهادة رسول الله ﷺ له بأنه خير أهل زمانه)[١]. كما ذكر ابن كثير فصلاً في (الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز تاج بني أمية)[٢]. كما عقد المقريزي في (إمتاع الأسماع) فصلاً بعنوان: (... إشارته ﷺ إلى خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله تبارك وتعالى عنه)[٣].

وقد ذكرت مصادر الحديث والتاريخ عدة روايات تشير إلى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رؤيا ثم استيقظ وقال: «إن من ولدي رجلاً بوجهه علامة ـ وفي رواية: أثر أو شيْن ـ يملأ الأرض عدلاً». وقد تحقَّق ذلك على يدي عمر بن عبد العزيز الذي عُرف بأنه (أشجّ بني مروان)[٤]، و أمه هي ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب[٥].

ورؤيا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تناقلتها العديد من المصادر الحديثية والتاريخية، ولم أقف على مصدر ضعَّفها أو تكلَّم عليها، بل أكَّدها علماء ومحدِّثون

(١) انظر: سيرة ومناقب عمر، ص٣٩، ٤٠.

(٢) البداية، ٦/ ٢٤٣.

(٣) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٨٢.

(٤) ورد العديد من الروايات في هذا الأمر. للاستزادة انظر: ابن الحكم، الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، ص٢٩، ٣٠. نعيم بن حماد، الفتن، ص٧٦. ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٢٥٤. ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص١١. البيهقي، دلائل النبوة، ٦/ ٤٩٢، ٤٩٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢/ ٣١٣. ابن كثير، البداية، ٦/ ٢٤٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٢.

(٥) أصل هذه الرواية أن عمر بن الخطاب كان يمنع الناس من مَذْق اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة فسمع امرأة تقول لابنتها: امْذُقِي اللبن بالماء، فرفضت الابنة لأن عمر نهى عن ذلك، فقالت الأم: إن عمر لا يعلم، فقالت البنت: إن كان عمر لا يعلم فربٌّ عمر يعلم. فأُعجب بها عمر وأمر ابنه عاصماً أن يتزوجها، فولدت له أم عاصم، قيل: اسمها ليلى، وقيل: قريبة، فتزوَّجها عبد العزيز ابن مروان بن الحكم فأتت بعمر. انظر: عبد الله بن عبد الحكم، الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين، تحقيق: أحمد عبيد، مراجعة وتعليق: أحمد عوض، د. ط، (القاهرة: دار الفضيلة، د. ت)، ص٢٨، ٢٩.

ومؤرخون ثقات[١]، ناهيك من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مُلْهَماً[٢]. أما العلامة أو الشجة الموجودة في جبين عمر بن عبد العزيز فقد أوردت بعض مصادر الحديث والتاريخ أنها بسبب دابة ضربته في جبهته وهو غلام، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنتَ أشجَّ بني أمية إنك لسعيد[٣].

كما أوردت مصادر الحديث والتاريخ عدة نبوءات بأنه المنتظر وأنه المُبشَّر بالخلافة؛ فقد أورد نعيم بن حماد عدة روايات فيها نبوءات أهل الكتاب بأنه سيلي أمر الأمة[٤]. كما عقد ابن الجوزي عدة أبواب في هذا الجانب؛ مثل: باب في ذكر الهاتف في خلافته[٥]، وباب فيما يُروى أنه مذكور في الكتب الأولى كتب الإسرائيليات[٦]. كما عقد ابن كثير فصلاً عن عمر بعنوان: (وقد كان مُنتظَراً فيما يُؤثر من الأخبار)[٧]، وساق عدة نبوءات وروايات.

كما أشارت بعض المصادر إلى لقاء عمر بالخَضِر[٨]، وبشارة الخضر له بتولِّي

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/١٢٢. ابن كثير، البداية، ٦/٢٤٤.

(٢) أورد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ». وقد ذكر ابن حجر أن السبب في تخصيص عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بالذكر «كثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات». انظر الحديث وشرحه في (باب مناقب عمر) في: فتح الباري، ٧/٥٢-٦٢.

(٣) أوردت بعض مصادر الحديث ذلك. انظر: نعيم بن حماد، الفتن، ص٨٥، ٨٦. كما أوردت مصادر التاريخ ذلك. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/٢٥٤. ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص١١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/١١٦. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢/٣١٢. ابن كثير، البداية، ٩/٢٠١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٢.

(٤) انظر: الفتن، ص٧٦.

(٥) انظر: سيرة ومناقب عمر، ص٥٦.

(٦) انظر: سيرة ومناقب عمر، ص٥٧.

(٧) انظر: البداية، ٩/٢٠٤.

(٨) الخَضِر: اختلف العلماء في أمر الخضر: هل هو نبيٌّ أم رسول أم رجل صالح؟ وهل هو حيٌّ باقٍ=

الخلافة. وهذا الخبر محلّ خلاف بين العلماء بين مؤيِّد أو معارض له، والراجح ضعفه(١).

وقد ذُكرت حول عمر بن عبد العزيز عدة روايات تخبر عن عدله وزهده، وهو أمر اشتهرت فيه الأخبار والآثار، ولم نتعرَّض لها لأنها ليست ضمن إطار الدراسة.

= إلى زماننا أم مات؟ فقد عقد ابن كثير فصلاً فيما يتعلّق بالخضر واسمه ونبوَّته وبقائه، مبيناً اختلاف العلماء في ذلك، ثم ذكر أنه نبيٌّ موضّحاً ذلك بعدَّة أدلة وبأقوال العلماء. ثم انتقل ابن كثير إلى أقوال العلماء في وجود الخضر وبقائه، فبيَّن ضعفها وانقطاعها ونكارتها، ثم انتصر لرأي القائلين بوفاته؛ كالبخاري وإبراهيم الحربي وأبي الحسين ابن المنادى والشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، ثم ذكر أدلَّة ذلك. انظر: البداية، ١/٣٠٣-٣١٣. كما ساق ابن حجر أقوال العلماء في أمر الخضر، ثم ذكر أن جمهور العلماء يرون أنه نبيٌّ، ثم نقل قول ابن الصلاح: هو حيٌّ عند جماهير العلماء الصالحين والعامة منهم، وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين. وتبعه النووي وزاد أن ذلك مُتَّفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح. ثم نقل ابن حجر أسماء العلماء الذين جزموا بأن الخضر غير موجود؛ أي ليس حياً يُرزق، ومنهم: البخاري، وإبراهيم الحربي، وابن المنادى، وأبو يعلى ابن الفراء، وأبو بكر ابن العربي. ثم نقل ابن حجر أدلَّة الفريقين. وقد ضعَّف ابن حجر أقوال مَن يرى وجوده. فتح الباري، ٦/٤٩٩-٥٠١. للاستزادة: عقد ابن القيِّم فصلاً نقض فيه كلّ ما قيل عن حياة الخضر. انظر: المنار المنيف، ص٦٦-٧٤.

(١) انظر: ابن عبد الحكم، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، ص٣٩، ٤٠. ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص٥٤. كما أورده الذهبي بسنده ولم يعلّق عليه. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/١٢٢. كذلك أورده ابن كثير بسنده ولم يعلّق عليه. انظر: البداية، ٩/٢٠٤، ٢٠٥. لكن ابن كثير أورده في جزء سابق عن طريق يعقوب بن سفيان الفسوي ثم نقل أقوال العلماء في تضعيفه؛ مثل أبي الفرج ابن الجوزي وأبي الحسين ابن المنادى اللذين ضعَّفا طرقه. البداية، ١/٣١١. كما أورده ابن حجر عن يعقوب بن سفيان في (تاريخه) وقال: لا بأس برجاله، ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيِّد غيره، ثم قال: ولكن هذا الخبر لا يعارض حديث (المائة سنة)، وهو: «لا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا اليَوْمَ أَحَدٌ». انظر: الإصابة، ٦/٥٠١. كما أورده السيوطي وقال: أخرجه أبو نعيم بسند صحيح. تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣. لكن بعض المعاصرين عدَّ رواية يعقوب بن سفيان ضعيفة السند؛ لأن فيها ضمرة بن ربيعة، وهو ثقة لكنه تفرَّد بهذا الخبر. انظر تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط على ما أورده الذهبي في: سير أعلام النبلاء، ٥/١٢٢، حاشية رقم ١.

ويُلاحظ أن العديد من المؤرخين يُبالغ في مدح عمر بن عبد العزيز من أجل إظهار معايب خلفاء بني أمية السابقين، فعلى سبيل المثال: أوردت بعض المصادر أن عمر بن عبد العزيز حين أوصى رجاء بن حيوة بدفنه قال: «فإذا وضعتموني في لحدي فحلَّ العقدة ثم انظر إلى وجهي؛ فإني قد دفنتُ ثلاثةً من الخلفاء، كلُّهم إذا وضعته في لحده حللت العقدة ثم نظرت إليه فإذا وجهه مسْودٌّ إلى غير القبلة»(١). وقد أوردها الذهبي عن ابن سعد وقال: «إسنادها مظلم»(٢).

وعمر بن عبد العزيز لا جدال في زهده وتقواه وورعه، لكن لا يُقارن بمعاوية. وقد سُئل التابعي الجليل عبد الله بن المبارك: أيُّهما أفضل: عمر بن عبد العزيز أم معاوية؟ فقال: «غبار في أنف ـ وفي لفظ: منخري ـ معاوية خير من عمر بن عبدالعزيز»(٣).

٦- يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ):

لم يقف الباحث على حديث ورد فيه نصاً، سواء في مصادر الحديث أو التاريخ.

وهناك حديث عام مبهم سبق الكلام على ضعفه أورده نعيم بن حماد، وهو: «يَلِيكُمْ عُمَرُ وَعُمَرُ، وَيَزِيدُ وَيَزِيدُ، وَالوَلِيدُ وَالوَلِيدُ، وَمَرْوَانُ وَمَرْوَانُ، وَمُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ»(٤).

---

(١) أوردها ابن سعد بسنده قال: أخبرنا عباد بن عمر الواشحي قال: حدَّثنا مخْلد بن يزيد، عن يوسف بن ماهك، عن رجاء بن حيوة. انظر: الطبقات الكبرى، ٥/٣١٨.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/١٤٣.

(٣) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٩/٢٠٧. ابن كثير، البداية، ٨/١٤٢. ابن حجر الهيتمي، تطهير الجنان، ص١٣.

(٤) قال محقِّق (الفتن): حديث ضعيف، وفي سنده مجهول. انظر: نعيم بن حماد، الفتن، ص٧٢.

٧- هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ):

لم يقف الباحث على أيّ حديث ورد في هشام تنصيصاً، سواء في مصادر الحديث أو التاريخ، سوى حديث استشهد به ابن كثير في موضعين: الموضع الأول ضمن أحداث سنة ١٢٥هـ، والموضع الثاني عند وفاة هشام. فعند وفاة هشام أورد ابن كثير بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «تُرْفَعُ زِينَةُ الدُّنْيَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ»[١]، ومعنى زينتها: أي نور الإسلام وبهجته، وقيل: يعني الرجال[٢]. ولم يعلِّق عليه ابن كثير في هذا الموضع، لكنه أورده في موضع آخر قبله ضمن أحداث سنة ١٢٥هـ، وقال عنه: حديث غريب منكر[٣]. وهذا الحديث ذكر العديد من المحدِّثين أنه موضوع[٤]. والسؤال هنا: هل سيدرك القارئ أن ابن كثير بيَّن حكمه في الحديث في موضع وسكت عنه في موضع آخر؟!

كما أن هناك روايات وآثاراً موقوفة قيلت على لسان بعض الصحابة والتابعين ذكرها نعيم بن حماد وغيره فيها ذمّ لهشام وتنبُّؤ بمدة حكمه ونهايته، نذكر بعضها مثالاً على انتشارها في المصادر التاريخية؛ فقد أورد نعيم بن حماد بسنده أنه كان يُقال: إذا كان على الناس خليفة أحول فإن قدرت أن تخرج من مصر إلى الشام فافعل، وذلك قبل خلافة هشام. وعلى رغم ضعف هذا الأثر[٥] إلا أن

(١) البداية، ٩/ ٣٦٩.

(٢) ذكر ابن كثير هذا الحديث عن ابن أبي فديك. انظر: البداية، ٩/ ٣٦٨، ٣٦٩. والحديث أورده أبو يعلى في (مسنده) عن ابن أبي فديك. انظر: البوصيري، الإتحاف، ١/ ٣٤٤. كما أورده بلفظ آخر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُرْفَعُ زِينَةُ الدُّنْيَا سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ». انظر: البوصيري، الإتحاف، ١٠/ ١٦٦.

(٣) انظر: البداية، ٩/ ٣٦٥.

(٤) ذكر ابن الجوزي أنه موضوع؛ لأن فيه بركة كذَّاب. انظر: الموضوعات، ٣/ ١٩٢. كما أورده السيوطي بعدَّة روايات وذكر أنه موضوع. انظر: اللآلئ المصنوعة، ٢/ ٣٩٠، ٣٩١. وذكره الشوكاني ضمن الموضوعات. انظر: الفوائد المجموعة، ص٥١٠.

(٥) انظر: الفتن، ص٨٤. قال محقِّق الكتاب: فيه رشدين وابن لهيعة، كلاهما ضعيف.

المتمعّن فيه يتساءل: لمَ الخروج من مصر إلى الشام والشام آنذاك مقرّ الخلافة؟ وهل في هذا مدح لهشام أم ذمّ؟!

كما أورد ابن كثير خبراً على نحو ما أورده نعيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «هلاك بني أمية على رجل أحول»، يعني هشاماً[(١)]. ولم يعلّق ابن كثير على هذا الخبر واكتفى بذكر سنده. لكن هذا الخبر الذي أورده ابن كثير حول هلاك بني أمية على يد رجل أحول له روايات مناقضة ذكرها ابن كثير نفسه في مواضع أخرى من كتابه تفيد بأن ملك بني أمية سيسقط على يد ابن أَمَة أو حمار الجزيرة مما سيأتي بيانه عند الحديث عن مروان بن محمد.

وضمن النبوءات الواردة في هشام ما أخرجه نعيم بن حماد بسنده من أن الناس اختلفوا بعد معاوية وفتنة ابن الزبير، فجاء أحد القدماء ممن أدرك الجاهلية قد سقط حاجباه على عينيه، فسُئل عن أخبار الزمان، فدعا بعِصابة فعصب بها جلدة حاجبيه حتى ارتفعت عن عينيه فأبصرنا، ثم قال: «إن هذا الأمر سيصير إلى رجل من بني أمية يليكم ثنتين وعشرين سنة ثم يموت، ثم يليكم من بعده خلفاء يتتابعون في سنيات يسيرة، حتى يليكم رجل علامته في عينه - يعني هشام بن عبد الملك - يجمع المال جمعاً لم يجمعه أحد قبله، يعيش تسع عشرة سنة وشيء ثم يموت»[(٢)].

وذكر ابن الجوزي أن عبد الملك رأى في المنام أن أم هشام فلقت رأسه فلطعت فيه عشرين لطعة، فعبَّرها له ابن المسيب فقال: تلد غلاماً يملك عشرين سنة. فولدت هشاماً[(٣)].

كما ذكر ابن الجوزي أن هشام بن عبد الملك رأى في منامه أن طبقاً فيه تفاح

---

(٢) انظر: الفتن، ص٨٦. قال محقّق الكتاب: إسناده ضعيف، وفيه مجهول، وهو الشيخ الذي أدرك الجاهلية.

(٣) انظر: المنتظم، ٧/٩٧.

(١) انظر: المنتظم، ٧/٩٧.

قد قُدِّم إليه، فأكل تسع عشرة تفاحة وبعض الأخرى. فسأل عن ذلك، فقيل له: تملك تسع عشرة سنة وكسراً. فكان لا يُقدَّم إليه التفاح في خلافته ولا يراه(١).

وهذه الأخبار ونحوها انتشرت في المصادر التاريخية، وهي نبوءات غير صحيحة. بل تجاوزت المصادر التاريخية ذلك فساقت أخباراً غريبة حول مولده؛ فقد ذكر نعيم أن مخبراً جاء إلى عبد الملك بن مروان يخبره أنه وُلد له غلام، وأن أمه سمَّته هشاماً، فقال: هشمها الله في النار(٢).

والحقيقة أن هذه الأخبار التي قيلت عن مولده غرضها تشويه سيرة هشام، ولا أدلَّ على ذلك من وجود رواية مناقضة لها ذكرها ابن الجوزي في (المنتظم)، وهي أن عبد الملك أُخبر أن زوجته ولدت له غلاماً فسمَّته هشاماً، فلم ينكر ذلك(٣).

٨- الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ):

لقيت شخصية الوليد اهتمام المؤرِّخين والمحدِّثين؛ لورود أحاديث تنصُّ على أنه فرعون الأمة، وأنه هادم شرائع الإسلام، وأن الله يسُدُّ به ركن جهنم، مما سيأتي بيانه.

أولاً: الأحاديث الواردة في الوليد بن يزيد

عنونت بعض مصادر الحديث والتاريخ للوليد بعدة عناوين فيها ذمٌّ صريح ومباشر له؛ فقد ذكره الهيثمي في (مجمعه) تحت عنوان: (باب فتنة الوليد)(٤)، وأورده البيهقي تحت عنوان: (باب ما جاء في إخباره ﷺ برجل يكون في أمته يُقال له الوليد صاحب ضَرَر فكان كما أخبر)(٥). كما ذكر ابن كثير عنواناً عن الوليد: (ذكر الأخبار عن الوليد بما فيه من الوعيد الشديد)(٦). أما المقريزي فقد

(١) انظر: المنتظم، ٧/ ٩٧.

(٢) انظر: الفتن، ص٨٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ص٩٧.

(٤) انظر: مجمع الزوائد، ٧/ ٣١٦.

(٥) دلائل النبوة، ٦/ ٥٠٥.

(٦) شمائل الرسول، ٢/ ٢٦٣. البداية، ٦/ ٢٤٧.

عنون للوليد بقوله: (إخباره عليه الصلاة والسلام بالوليد وذمّه له)[1]. كما ذكر السيوطي: (باب إخباره ﷺ بوهب والقرظي وغيلان والوليد)[2]. كما أورد الشامي: (في إخباره ﷺ بصلة بن أشيم رحمه الله تعالى ووهب والقرظي وغيلان والوليد)[3].

والحديث الذي في الوليد أخرجه الإمام أحمد في (مسنده)، والحاكم في (مستدركه)، والبيهقي في (دلائله)، وجاء عن طريق الأوزاعي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: وُلد لأخي أم سلمة زوج النبي ﷺ غلام فسمَّوْه الوليد، فقال النبي ﷺ: «سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ!! لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ، لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ - وفي رواية: أَضَرُّ عَلَى أُمَّتِي، وفي رواية: أَشَدُّ عَلَى أُمَّتِي - مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ»[4].

وقد ورد هذا الحديث بعدة ألفاظ، لكن مدارها وفحواها حول «الوَلِيدُ فِرْعَوْنُ الأُمَّةِ»[5]. وقد قيل: إن بعض العلماء اعتقدوا أن هذا الحديث ورد في الوليد بن

---

(١) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢ / ٢٨٠.

(٢) غيلان القَدَريّ مدَّعي القَدَر، والقرظي هو محمد بن كعب، أما وهب فلم يُعرف. انظر: الخصائص الكبرى، ٢ / ٢٢٦.

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد، ١٠ / ١٠٥.

(٤) انظر: مسند أحمد، ١ / ٢٥٦. كما أخرجه نعيم عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن ابن المسيب. انظر: الفتن، ص٨٤، ٨٥. كما أخرجه الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة. انظر: المستدرك، ٥ / ٦٩٣. كما أخرجه البيهقي بروايتين: رواية عن يعقوب بن سفيان، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن ابن المسيب، على نحو رواية الإمام أحمد، وقال عنه البيهقي: مرسل، ورواية عن الحاكم، وفيها زيادة: «غَيِّرُوا اسْمَهُ فَسَمُّوهُ عَبْدَ اللَّهِ»، قال عنها البيهقي: مرسل حسن. دلائل النبوة، ٦ / ٥٠٥. كما ذكره القاضي عياض. انظر: الشفا، ١ / ٣٤٤. كما أخرجه الهيثمي وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد، ٧ / ٣١٦. كما أورده ابن حجر الهيتمي بروايتين. انظر: تطهير الجنان، ص٨٤.

(٥) ورد الحديث بألفاظ أخرى أوردها الحافظ ابن حجر، منها حديث أم سلمة قالت: دخل عليَّ=

عبد الملك، لكنهم أكَّدوا وروده في الوليد بن يزيد بن عبد الملك؛ لأن الفتن جاءت في عهده. فقد نقلت بعض المصادر قول الإمام الأوزاعيِّ: «فكان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك، ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد لفتنة الناس به، خرجوا عليه فقتلوه وانفتحت على الأمة الفتنة والهرج»[(١)]. كما نقل العديد من المصادر قول الإمام الزهري: «إن استُخلف الوليد بن يزيد فهو، وإلا فالوليد بن عبد الملك»[(٢)]. لكن ابن الجوزي علَّق على قول الزهري في هذه الرواية بقوله: «وهذه الرواية لا أعلم صحَّتها. قال المصنِّف: قلتُ: فإن صحَّت دلَّت على ثبوت الحديث. والوليد ابن يزيد أولى به؛ لأنه كان مشهوراً بالإلحاد مبارزاً بالعناد، وإنما قال (أسماء فراعنتكم) لأن فرعون موسى اسمه الوليد»[(٣)].

وهذا الحديث يعدُّ من أهم أحاديث هذا الفصل؛ لأن العديد من العلماء اختلفوا في صحته؛ فهناك من يرى أنه باطل وموضوع، وهناك من يرى أنه ضعيف، وهناك من يرى أنه حسن بمجموع طُرُقه، وهناك مَن يرى أنه صحيح على شرط الشيخين.

وقد حكم العديد من علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث

= النبي ﷺ وعندي غلام من آل المُغيرة اسمه الوليد، فقال: «مَنْ هَذَا؟»، قلتُ: الوليد، قال: «قَد اتَّخَذْتُمُ الوَلِيدَ حَنَّاناً، غَيِّرُوا اسْمَهُ - وفي رواية: سَمُّوهُ عَبْدَ اللَّهِ - فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِرْعَوْنٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ». كما أورد ابن حجر رواية أخرى أخرجها الطبراني بسند ضعيف عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فيه قال: «الوَلِيدُ اسْمُ فِرْعَوْنٍ، هَادِمُ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، يَبُوءُ بِدَمِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ». للاستزادة عن هذه الروايات انظر: فتح الباري، ١٠/٥٩٦، ٥٩٧.

(١) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ٦/٥٠٦. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/٢٦٣. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٨١. ابن حجر، فتح الباري، ١٠/٥٩٦.

(٢) انظر: نعيم بن حماد، الفتن، ص٨٥. مستدرك الحاكم، ٥/٦٩٣. ابن كثير، شمائل الرسول، ٢/٢٦٣.

(٣) انظر: ابن الجوزي، الموضوعات، ٢/٤٧.

بالوضع والبطلان؛ لأن في إسناده إسماعيل بن عياش[١]، وفيه ضعف، ولأن الحديث مُرسَل أيضاً. ومن هؤلاء العلماء الذين حكموا بوضع الحديث ابن حبان والمقدسي (ت ٥٠٧هـ) والجوزقاني وابن الجوزي والعراقي وابن عراق الكناني والشوكاني[٢]. كما نصَّ ابن القيِّم وغيره من العلماء أن كل حديث في ذمِّ الوليد كذب[٣].

---

(١) إسماعيل بن عياش: أبو عتبة العنسي الحمصي، من علماء الشام، وُلد سنة مائة، ومات سنة ١٨١هـ. قال عنه البخاري: إذا حدَّث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدَّث عن غيرهم ففيه نظر. وقال أبو حاتم: ليِّن. وقال ابن حبان: كثير الخطأ. وقال يحيى بن معين: حديثه عن الشاميين صحيح، وإذا حدَّث عن العراقيين والمدنيين خلط ما شئت. قال أبو داود: سمعت يحيى ابن معين يقول: إسماعيل بن عياش ثقة. قال ابن خزيمة: لا يُحتجُّ به. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/ ٢٤٠-٢٤٤. وقد وضع العلامة محمد بن طاهر الهندي محدِّث الهند المعروف بالصديقي إسماعيل بن عياش ضمن الضعفاء الذين لا يُحتجُّ بهم. انظر: قانون الموضوعات والضعفاء، ص٢٤١.

(٢) قال ابن حبان: هذا خبر باطل، ما قال رسول الله ﷺ هذا، ولا عمر رواه، ولا سعيد حدَّث به، ولا الزهري رواه، ولا هو من الأوزاعي بهذا الإسناد. وإسماعيل بن عياش لما كبر تغيَّر حفظه وكثر الخطأ في حديثه وهو لا يعلم. انظر: ابن حبان البستي، كتاب المجروحين من المحدِّثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود زايد، د. ط، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج١، ص١٢٥. كما ذكره المقدسي بلفظ «يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ» ضمن الموضوعات؛ لأن فيه إسماعيل بن عياش ضعيف. انظر: تذكرة الموضوعات، تعليق: محمد مصطفى، ط١، (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص١٤٣. وقد نقل الجوزقاني قول ابن حبان في الحديث. انظر: الأباطيل، ٢/ ٣٠٩، ٣١٠. كما نقل ابن الجوزي قول ابن حبان في الحديث وقال: لعلَّ هذا مما أُدخل على إسماعيل بن عياش في كبره، وقد رواه وهو مختلط. انظر: الموضوعات، ٢/ ٤٦. كما نقل الذهبي قول ابن حبان في الحديث. انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٢٤٤. كما أن الحافظ العراقي وصف هذا الحديث بالوضع وعدَّه من الموضوعات. انظر: ابن حجر العسقلاني، القول المسدَّد في الذبِّ عن المُسنَد، ص٦. ونقل ابن عراق الكناني قول ابن حبان في الحديث، ثم نقل كلام ابن حجر ملخَّصاً. انظر: تنزيه الشريعة، ١/ ١٩٨. كما أورده الشوكاني عن الإمام أحمد، ثم نقل كلام ابن حبان وابن الجوزي وابن حجر عليه. انظر: الفوائد المجموعة، ص٤٧٢، ٤٧٣.

(٣) انظر: ابن القيم، المنار المنيف، ص١١٢. ملا علي القاري، الأسرار المرفوعة، ص٣٤٣.

وهناك من العلماء مَن يرى صحة الحديث؛ كالإمام الحاكم الذي يرى أنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال: «هو الوليد بن يزيد بلا شك ولا مريَّة»[١].

وهناك من العلماء مَن يرى ضعف الحديث؛ فقد أورده الإمام الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ضمن أحاديث العلل[٢]، كما قال عنه البيهقي إنه مرسل حسن[٣]، وقال الهيثمي: رجاله ثقات[٤]، وفي موضع آخر قال: إسناده حسن[٥]. كما ذكره الذهبي في (تاريخه) بعدة روايات وعدَّه مرسلاً قوياً[٦]، ثم أورد الذهبي رواية أخرى عن أم سلمة، لكنه ذكر أنها منقطعة[٧]. كما أورد الذهبي في (السِّيَر) عن الإمام أحمد حديثاً آخر نحوه بلفظ: «سَيَكُونُ فِي الأُمَّةِ فِرْعَونٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ»، وقال: إسناده ضعيف[٨]. كما نقل الذهبي في (ميزان الاعتدال) قول ابن حبان أن الحديث باطل ولم يعلِّق عليه[٩]. وبذلك يكون الذهبي قد ذكر ثلاثة آراء في طرق الحديث، هي: مرسل قويّ، وضعيف، وباطل. كما نقل ابن كثير قول البيهقي إنه مرسل حسن، وفي رواية أخرى: مرسل[١٠]. وذكر الهيتمي

(١) انظر: المستدرك، ٥/٦٩٣.

(٢) انظر: علي بن عمر الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن السلفي، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٢، ص١٥٩.

(٣) انظر: دلائل النبوة، ٦/٥٠٥.

(٤) انظر: مجمع الزوائد، ٧/٣١٦.

(٥) انظر: مجمع الزوائد، ٥/٢٤٣.

(٦) انظر ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك في: تاريخ الإسلام (١٢١-١٤٠هـ)، ص٢٨٨.

(٧) هذه الرواية مفادُها أن أم سلمة قالت: دخل عليٌّ النبي ﷺ وعندي غلام من آل المُغيرة اسمه الوليد، فقال: «مَنْ هَذَا؟»، قلتُ: الوليد، قال: «قَدِ اتَّخَذْتُمُ الوَلِيدَ حَنَّاناً، غَيِّرُوا اسْمَهُ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِرْعَونٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ». انظر: تاريخ الإسلام (١٢١-١٤٠هـ)، ص٢٨٨.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/٣٧١.

(٩) اكتفى الذهبي بنقل قول ابن حبان ولم يعلِّق على الحديث. انظر: ميزان الاعتدال، ١/٢٤٤.

(١٠) انظر: شمائل الرسول، ٢/٢٦٣.

الحديث بروايتين؛ إحداهما سندها حسن عن عمر رضي الله عنه، والأخرى مرسلة إلى سعيد بن المسيب[1].

لكن بعض العلماء أنكر قول القائلين بوضع الحديث، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني الذي تتبَّع الروايات الواردة في هذا الحديث، وذكر أن العديد من علماء الجرح والتعديل وثَّقوا إسماعيل بن عياش في رواياته عن الشاميين، كما أن إسماعيل بن عياش لم ينفرد برواية هذا الحديث؛ فقد ورد من طرق أخرى عديدة أسانيدها حسنة. وحاصل كلام ابن حجر أن الحديث ليس باطلاً كما يزعم ابن حبان، بل له شواهد عديدة[2]، لكن ابن حجر لم يجزم بصحته. وقد أورد السيوطي كلام ابن حجر في هذا الحديث بنصِّه في (اللآلئ المصنوعة)[3].

وقد تتبَّع العديد من المحدِّثين المعاصرين هذا الحديث وذكروا أن سنده ضعيف لانقطاعه؛ فسعيد بن المسيب لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]. وهو ما يميل إليه الباحث، وهو القول الوسط في هذا الحديث. وهذا الضعف في الحديث لا يُجيز الاحتجاج به في ذمِّ الوليد؛ لأن الأحاديث الضعيفة ليست لها حجيَّة في الأحكام.

وهناك أحاديث أخرى وردت في الوليد بن يزيد يغلب عليها الضعف الشديد، ومن ذلك ما أورده نعيم بن حماد بسنده عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ رَجُلٌ اسْمُهُ الوَلِيدُ، يُسَدُّ بِهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ وَزَاوِيَةٌ مِنْ

(1) انظر: تطهير الجنان، ص٨٤.

(2) انظر تعليق ابن حجر وشرحه الحديث في: القول المسدَّد، ص١٢-١٤. فتح الباري، ١٠/٥٩٦، ٥٩٧.

(3) نقل السيوطي كلام ابن حجر في (القول المسدَّد) بتمامه تأييداً لتعليقه على الحديث. انظر: اللآلئ المصنوعة، ١/١٠٧-١١١.

(4) ذكر الشيخ شعيب الأرناؤوط أن سنده ضعيف لانقطاعه. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٧١، حاشية رقم ١. كما ذكر محقِّقو (المسند) أن إسناده ضعيف لانقطاعه. انظر: مسند أحمد، ١/٢٦٥، حاشية رقم ٢. كما ضعَّفه الشيخ مجدي الشورى محقِّق كتاب (الفتن) لانقطاعه. انظر: نعيم بن حماد، الفتن، ص٨٥، حاشية رقم ٣٢٥.

زَوَايَاهَا»[١]. وعلّق ابن كثير على الحديث فقال: هذا مرسل[٢]. والمعلوم أن المرسل عند أكثر المحدِّثين ليس بحجة، وهو الراجح من أقوالهم[٣]، ناهيك من أن مراسيل الحسن البصري لا يُحتجُّ بها[٤].

ومن الأحاديث الواردة في الوليد أيضاً ما أورده الطبراني بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو حديث طويل فيه أن رسول الله ﷺ قال: «الوَلِيدُ اسْمُ فِرْعَوْنٍ، هَادِمُ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَسُلُّ اللَّهُ سَيْفَهُ فَلا غِمَادَ لَهُ»[٥]. وقد ذكره ابن حجر عن الطبراني بلفظ: «الوَلِيدُ اسْمُ فِرْعَوْنٍ، هَادِمُ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، يَبُوءُ بِدَمِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»، وقال: سنده ضعيف جداً[٦]. كما أورد السيوطي رواية الطبراني ضمن الأحاديث الموضوعة[٧]. وقد سبق الحديث عن جزء منه يتعلّق بيزيد بن معاوية، وذكرنا أن في سنده كذَّاباً هو مجاشع، وضعيفاً هو ابن لهيعة[٨].

كما أخرج الحاكم بسنده أن أنس بن مالك رضي الله عنه قدم على الوليد بن يزيد، فقال له الوليد: ماذا سمعتَ رسول الله ﷺ يذكر الساعة؟ فقال: سمعتُهُ يقول: «أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». قال الحاكم: أخرجه الشيخان[٩].

وهذا الحديث الذي أخرجه الحاكم يُوحي لفظه للقارئ أن المقصود منه أن زمن بني أمية أو أن زمن الوليد بن يزيد يعدُّ من علامات الساعة، كما أن لفظ الحديث

(١) انظر: الفتن، ص٨٤.

(٢) انظر: شمائل الرسول، ٢/٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) انظر أقوال العلماء في الحديث المُرسَل في الفصل الأول من الدراسة، ص ٨٦.

(٤) انظر: خلدون الأحدب، أسباب اختلاف المحدِّثين، ١/٢٣٤.

(٥) انظر الحديث كاملاً في: المعجم الكبير، ٣/١٢٠.

(٦) انظر: فتح الباري، ١٠/٥٩٧.

(٧) انظر: اللآلئ المصنوعة، ١/٤٥٤.

(٨) انظر: ص ٣٦٤ من هذا الفصل.

(٩) انظر: مستدرك الحاكم، ٥/٦٩٣.

الذي ذكره الحاكم ليس هو لفظ الشيخين: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»(١)، ناهيك من أن أنساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقدم على الوليد بن يزيد وإنما قدم على الوليد بن عبدالملك كما يقول الذهبي(٢)؛ فقد توفِّي أنس سنة ٩٣هـ، وتولَّى الوليد بن يزيد سنة ١٢٥هـ.

والحقيقة أنه لا يوجد في السُّنَّة حديث صحيح ينهى عن تسمية الوليد أو يكره ذلك(٣).

ثانياً: موقف المصادر التاريخية من الأحاديث الواردة في الوليد

أخذ قول النبي ﷺ عن الوليد «هُوَ شَرٌّ لأُمَّتِي مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ» أو نحوه حظَّه من التأثير في المصادر التاريخية، لكن هذه المصادر تباينت في إيراده؛ فمنها ما ذكره بالنص وأشار إلى مصادره، ومنها ما اكتفى بذكره دون الإحالة إلى مَن أخرجه. كما أن بعض المصادر أوردت عدة ألفاظ للحديث تدور على أن الوليد هو فرعون الأمة؛ فقد أورد يعقوب بن سفيان الفسوي بسنده نص الحديث عن الأوزاعي عن الزهري(٤)، كما أورد الإمام البيهقي في (الدلائل) الحديث بروايتين: إحداهما عن يعقوب بن سفيان وذكر أنها مرسلة، والأخرى عن الإمام الحاكم وحسَّن إرسالها(٥).

---

(١) الحديث عن أنس بن مالك أورده مسلم في صحيحه. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/ ٧١. وأحاديث قُرب الساعة التي وردت في البخاري ومسلم هي: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»، وحديث: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»، وأشار بالوسطى والتي تلي الإبهام. انظر: اللؤلؤ والمرجان، ٣/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) انظر تعليق الذهبي على (المستدرك) في: مستدرك الحاكم، ٥/ ٦٩٣.

(٣) ذكر ابن حجر في باب (تسمية الوليد) أن ما ورد في كراهة هذا الاسم حديث سنده ضعيف جداً أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود: «نهى رسول الله ص ﷺ أن يُسمِّي الرجل عبدَهُ أو ولدَهُ حرباً أو مُرَّة أو وليداً». انظر: فتح الباري، ١٠/ ٥٩٦.

(٤) انظر: المعرفة والتاريخ، ٣/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٥) انظر: دلائل النبوة، ٦/ ٥٠٥، ٥٠٦.

كما أورده القاضي عياض في فصل (ما اطَّلع عليه ﷺ من الغيوب وما يكون)، ولكن القاضي عياض لم يُشِرْ إلى سنده أو مَن أخرجه أو قول العلماء فيه[١]. كما أورده ابن عساكر في (تاريخه) ضمن ترجمة الوليد بن يزيد بن عبدالملك بعدة روايات، ثم نقل قول البيهقي إنه مرسل حسن[٢]. كما أورده ابن الجوزي في (المنتظم) عن الإمام أحمد[٣]. وفي كتاب (العيون والحدائق) لمؤلِّف مجهول افتتح المؤلِّف سيرة الوليد بقوله: «قرأتُ في تاريخ يعقوب بن سفيان قال: روى الزهري عن سعيد بن المسيب»، ثم ذكر الحديث[٤]. كما أورده الذهبي في (السِّيَر) عن الإمام أحمد، ثم ذكر حديثاً بلفظ: «سَيَكُونُ فِي الأُمَّةِ فِرْعَوْنٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ»، وقال: إسناده ضعيف[٥]. أما في (تاريخ الإسلام) فقد أورد الذهبي رواية أحمد ثم قال: وهذا من أقوى المراسيل[٦]، كما أورد روايةً أخرى عن أم سلمة، لكنه ذكر أنها منقطعة[٧].

أما ابن كثير فقد ذكر رواية يعقوب بن سفيان التي أخرجها البيهقي عن الحاكم، ونقل قول البيهقي: مرسل حسن[٨]. ثم ذكر رواية نعيم بن حماد: «سَيَكُونُ رَجُلٌ اسْمُهُ الوَلِيدُ يُسَدُّ بِهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ»، وقال: هذا مرسل[٩].

وقد ذكر ابن كثير روايات الإمام أحمد والبيهقي وابن عساكر ضمن أحداث

---

(١) الشفا، ١/٣٤٤.

(٢) تاريخ دمشق، ٦٣/٣٢٢-٣٢٤.

(٣) انظر: المنتظم، ٧/٢٤١، ضمن حوادث سنة ١٢٥هـ.

(٤) انظر: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ٣/١١٢.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/٣٧١.

(٦) انظر: تاريخ الإسلام (١٢١-١٤٠هـ)، ص٢٨٨.

(٧) انظر الرواية في فصلنا هذا، ص ٤٠٨، حاشية رقم ٧.

(٨) انظر: البداية، ٦/٢٤٧.

(٩) انظر: البداية، ٦/٢٤٧.

سنة ١٢٦هـ مع اختلاف في بعض ألفاظها[١]. لكن ابن كثير ذكر ضمن ترجمته للوليد بن يزيد حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح عن النبي ﷺ قال: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائِماً بِالقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»[٢]، ولم يعلّق عليه على رغم أنه ضعَّفه في مواضع عديدة من كتابه[٣]. وذكر المقريزي في (إمتاع الأسماع) ما أورده البيهقي وقوله: مرسل حسن، وقال: خرجه الإمام أحمد، كما نقل قول الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وهو الوليد بن يزيد بلا شك ولا مريَّة[٤]. أما السيوطي فقد ذكر في (تاريخ الخلفاء) رواية الإمام أحمد ضمن ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولم يعلّق عليها[٥]، لكنه ذكر الحديث ومَن أخرجه من العلماء في كتابه (الخصائص الكبرى)، ثم نقل قول البيهقي: مرسل حسن[٦]. أما الإمام الشامي فقد أورد رواية البيهقي ثم ذكر أن الإمام أحمد روى مثله، وأخرجه الحاكم وصحَّحه[٧].

وهكذا أوردت المصادر التاريخية حديث «الوَلِيدُ فِرْعَوْنُ الأُمَّةِ» من مصادر الحديث، واكتفت بتعليق البيهقي والحاكم، كما أن بعض هذه المصادر أوردته عن طريق نعيم بن حماد فقط. ومما يُلاحظ أن هناك مصادر تاريخية أطلقت لفظ فرعون أو فراعنة على خلفاء بني أمية دون ذكر الحديث الذي فيه تخصيص

---

(١) مثل رواية أن النبي ﷺ دخل على أم سلمة وعندها غلام فقال: «مَنْ هَذَا؟»، قلتُ: الوليد، قال: «قَد اتَّخَذْتُمُ الوَلِيدَ حَنَّاناً – وفي رواية: حَسَّاناً - غَيِّرُوا اسْمَهُ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِرْعَوْنٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ». انظر: البداية، ١٠/٧.

(٢) انظر: البداية، ١٠/٧. كما أورد ابن عساكر هذا الحديث ضمن مقتل الوليد. انظر: تاريخ دمشق، ٦٣/٣٣٦.

(٣) انظر تعليق ابن كثير على الحديث في: البداية، ٦/٢٣٤، ٨/٢٣٤.

(٤) انظر: إمتاع الأسماع، ١٢/٢٨٠، ٢٨١.

(٥) انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٢.

(٦) انظر: الخصائص الكبرى، ٢/٢٢٧.

(٧) انظر: سبل الهدى والرشاد، ١٠/١٠٥.

الوليد[١]. والمعروف أن النبي ﷺ أطلق على أبي جهل (فرعون الأمة) حينما اشتدَّ ظلمه وعتوُّه وجبروته على المسلمين[٢]، فلم يُعرف أن في الأمة فرعوناً آخر غيره.

وعلى الرغم من ضعف الأحاديث الواردة في الوليد إلا أن هذه الشخصية تستوجب ذِكْر بعض أقوال المحدِّثين والمؤرِّخين فيها؛ فقد ذكرت العديد من المصادر فسق الوليد بن يزيد ومجونه وخلاعته وشربه الخمر؛ فقد عقد البلاذري فصلاً عن مجون الوليد وشربه الخمر وخلاعته وسفاهته وشعره الماجن[٣]، وذكر الطبري عدة أخبار تدلُّ على لهو الوليد ومجونه قبل خلافته وبعدها[٤]، كما وصفه ابن حزم بالخليفة الفاسق الماجن، وأن الأخبار قد صحَّت بكفره[٥]، كما ذكر ابن الأثير أخباراً تدلُّ على فسقه ومجونه[٦]، وقال عنه ابن الجوزي في (المنتظم): « كان الوليد بن يزيد مشهوراً بالإلحاد، مبارزاً بالعناد، مطرحاً للدين »[٧]. وسمَّاه

(١) ورد في كتاب (الدولة العباسية) لمؤلِّف مجهول، ص٢٠٠، أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال لبكير بن ماهان؛ أحد دعاة العباسية: يا أبا هاشم، ومنكم قاتل فرعون هذه الأمة؛ عمرو أو عامر. وجاء في ص١٩٧ من الكتاب نفسه لفظ الفراعنة على حكام بني أمية. كما ذكرت بعض المصادر في معرض حديثها عن ولاية مصعب بن الزبير البصرة أنه صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ﴾ [القصص: ٦]، وأشار بيده نحو الشام. انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ٦ / ٩٣. النويري، نهاية الأرب، ٢١ / ٤٤. كما ذكر ابن الطقطقا وابن كثير ضمن (مقتل مروان بن محمد) أن عبد الله بن علي العباسي حين أغرق جند الشام أخذ يتلو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]. انظر: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٤٧. البداية، ١٠ / ٤٥.

(٢) ذكر ابن كثير روايةً عن الإمام أحمد في مقتل أبي جهل في غزوة بدر أن النبي ﷺ قال: « الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي قَدْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّه، هَذَا كَانَ فِرْعَوْنَ هَذِه الأُمَّة ». انظر: البداية، ٣ / ٢٨٩.

(٣) للاستزادة انظر: أنساب الأشراف، ٩ / ١٢٧-١٦٤.

(٤) انظر: تاريخ الرسل، ٧ / ٢٣١.

(٥) انظر: جوامع السيرة، ص٣٦٤.

(٦) انظر: الكامل، ٤ / ٢٦٤.

(٧) انظر: المنتظم، ٧ / ٢٤١.

الذهبي في (تاريخه) الخليفة الفاسق[١] . وقال عنه ابن كثير: « كان هذا الرجل مجاهراً بالفواحش مُصراً عليها، منتهكاً محارم الله عز وجل، لا يتحاشى معصية... كان عاصياً شاعراً ماجناً متعاطياً للمعاصي، لا يتحاشاها من أحد، ولا يستحي من أحد، قبل أن يلي الخلافة وبعد أن ولي »[٢] . وذكر ابن خلدون أن الوليد كان متلاعباً وله مجون وشراب وندماء[٣]. وسمَّاه السيوطي (الخليفة الفاسق)[٤] . ويكاد لا يخلو مصدر تاريخي تحدَّث عن الوليد من ذكر مجونه ولهوه. لكن بعض هذه المصادر بالغت حين وصفته بالشذوذ الجنسي والكفر والإلحاد والزندقة؛ فقد رمته بعض المصادر بعدة عظائم؛ منها: أنه كان يمارس مع الشعراء والمغنِّين أعمالاً مخلة بالحياء يستنكف الباحث عن ذكرها[٥] .

كما ذكرت المصادر أن الوليد ألحد وكفر عندما اتَّخذ المصحف غرضاً، فراح يخرقه بسهمه ويستهزئ به قائلاً:

تُهدِّدني بجبَّار عنيد فها أنا ذاك جبَّار عنيد
إذا ما جئتَ ربَّك يوم حشرٍ فقلْ: يا ربِّ خرَّقني الوليد[٦]

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (١٢١-١٤٠هـ)، ص٢٨٧ .

(٢) انظر: البداية، ١٠ /٧، ٨ .

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون (العبر)، ٣ /١٠٦، ١٠٩ .

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢٣٣ .

(٥) ذكر المسعودي أن الوليد سمع غناء ابن عائشة فأطرب له فخلع ثيابه. انظر: مروج الذهب، ٣ /٢٢٨ . كما ذكر الأصفهاني أن الوليد ألحد وكفر عند سماعه غناء ابن عائشة، وأنه طرب فخلع ثيابه. انظر: الأغاني، ٢ /٢١٨، ٢١٩ . للاستزادة عن ضعف هذه الروايات انظر: الأقصم، الدولة الأموية، ص٩٦ .

(٦) انظر: مروج الذهب، ٣ /٢٢٨ . ابن الأثير، الكامل، ٤ /٢٩٦ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٦ /٥٢، ٥٣ . ابن الجوزي، المنتظم، ٧ /٢٤١ . النويري، نهاية الأرب، ٢١ /٤٨٣، ٤٨٤ . ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣٤ . الدواداري، كنز الدُّرر (الدولة الأموية)، ٤ /٤٢٣، ٤٢٤ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢ /٢٨١ . للاستزادة عن ضعف هذه الروايات انظر: الأقصم، الدولة الأموية، ص٩٧-٩٩ .

ومن العظائم التي ذُكرت في الوليد أنه استهزأ برسول الله ﷺ، وأن الوحي لم يأته عن ربه، قائلاً:

تلعَّب بالخلافة هاشميٌّ ... بلا وحي أتاه ولا كتاب[1]

كما ذكرت بعض المصادر أن الوليد واقع جاريةً له، ثم دُعِيَ إلى الصلاة، فأمرها فخرجت متلثِّمة فصلَّت بالناس وهي جنب[2]. وذكرت بعض المصادر أن الوليد خطب الجمعة وهو سكران[3]. كما ذكرت بعض المصادر أن الوليد أراد الحج ليشرب الخمر فوق الكعبة[4]. وبالغت بعض المصادر فذكرت أن الوليد بن يزيد كان يصلِّي إلى غير القبلة[5]. كما أن بعض المصادر ذكرت ما رماه به أبناء عمومته من لواط وغيره والزواج بأمهات أولاد أبيه، وذلك ضمن أسباب مقتل الوليد بن يزيد على يد ابن عمه يزيد بن الوليد[6]. ومقتل الوليد كانت وراءه أسباب عديدة ظاهرة وخفية ليس المجال مناسباً للتفصيل فيها[7].

وبعد هذا الإيجاز عما أوردته المصادر من مجون الوليد وخلاعته وكفره وزندقته نذكر أقوال وآراء بعض المؤرخين حول ما رُمي به الوليد من عظائم كالكفر والإلحاد

---

(١) انظر: مروج الذهب، ٣/٢٢٩.

(٢) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٩/١٦٠، برواية المدائني. ابن عبد ربِّه، العقد الفريد، ٥/٢٠٢-٢٠٥. العيون والحدائق لمؤلف مجهول، ٣/١٢٩. الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/١٠٨. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٢٨١.

(٣) محمد بن علي العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط٢، (الرياض: دار العلوم للنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٥٢.

(٤) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق ٦٣/٣٣٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٧٢. ابن كثير، البداية، ١٠/٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٠.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج١٥، ص٤٧٠.

(٦) انظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٦، ٢٤٧. الطبري، تاريخ الرسل، ٧/٢٣١-٢٥٢. ابن كثير، البداية، ١٠/٩-١١.

(٧) انظر في ذلك: محمد بطاينة، حول مصرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض (الملك سعود حالياً)، مج٥، ١٩٧٧-١٩٧٨م، ص٢٢٩-٢٦٨.

والزندقة. فقد ذكر ابن عساكر والذهبي وابن كثير أن رجلاً ذكر الوليد بالزندقة عند المهدي الخليفة العباسي، فقال: «مهْ، خلافة الله أجلّ من أن يجعلها في زنديق»[(١)]. كما قال الذهبي في (تاريخه): «لم يصحّ عن الوليد كفر ولا زندقة»[(٢)]. كما توقف ابن كثير في رميه بالكفر والإلحاد فقال: «وربما اتُّهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين، فالله أعلم»[(٣)]. كما نفى السيوطي عن الوليد الكفر والزندقة فقال: «ولم يصحّ عن الوليد كفر وزندقة»[(٤)].

أما حادثة رمي الوليد للمصحف، فعلى الرغم من اشتهارها في العديد من المصادر إلا أن ابن خلدون نفاها وذكر أن ذلك من شناعات الأعداء ألصقوها به[(٥)]، كما بيَّن ابن خلدون أن خلافات الوليد مع بني عمومته وتحامل القبائل اليمنية عليه كانا من أسباب رميه بالكفر وانتشار الروايات القائلة بإلحاده[(٦)].

والحقيقة أن العديد من الدارسين لشخصية الوليد قاموا بمراجعة الروايات التي ذُكرت عنه، والأشعار التي قيلت على لسانه، فحقَّقوها ونقدوها وبيَّنوا ضعفها، وذكروا أن هذه الروايات جاءت من ثلاثة مصادر: رواة الشيعة، ومن قِبَل الرواة اليمنيين الذين ثاروا على الوليد بعد أن أهانهم، ومن قِبَل أبناء عمومته الحاسدين له والطامعين في الخلافة[(٧)]. وبذلك يمكن القول: على الرغم من أن جلّ المصادر

(١) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٣/ ٣٣٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٧٢. ابن كثير، البداية، ١٠/ ٩. والرواية أوردها البلاذري بلفظ مختلف قليلاً؛ إذ قال المهدي: إن خلافة الله أعزّ وأجلّ من أن يولِّيها مَن لا يؤمن به. أنساب الأشراف، ٩/ ١٨٤.

(٢) انظر ترجمة الوليد في: تاريخ الإسلام (١٢١-١٤٠هـ)، ص٢٩٤.

(٣) انظر: البداية، ١٠/ ٧.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء، ص٢٣٣.

(٥) انظر: تاريخ ابن خلدون (العبر)، ٣/ ١٠٩. للاستزادة عن ضعف رواية رمي الوليد المصحف انظر: الأقصم، الدولة الأموية، ص٩٧، ٩٨.

(٦) انظر: تاريخ ابن خلدون (العبر)، ٣/ ١١٠.

(٧) انظر: حسين عطوان، الوليد بن يزيد، د. ط، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)،=

أجمعت على فسق الوليد بن يزيد وشربه الخمر إلا أنها اختلفت في كفره وإلحاده وزندقته. كما أن الباحث لم يقف على حديث صحيح في ذمِّه، ويبدو أن فسق الوليد أسهم في نشر حديث «الوَلِيدُ فِرْعَوْنُ الأُمَّةِ» بين مصادر الحديث والتاريخ وغيرها[١].

٩- يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦-١٢٧هـ):

١٠- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٧هـ):

١١- مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٧-١٣٢هـ):

لم يقف الباحث على حديث نبوي فيه ذكر يزيد بن الوليد أو إبراهيم بن الوليد أو مروان بن محمد سوى ما أورده نعيم بن حماد تحت باب: (آخر مَن ملك بني أمية)، وأدرج حديثاً ضعيفاً سبق ذكره، وهو حديث: «يَلِيكُمْ عُمَرُ وَعُمَرُ، وَيَزِيدُ وَيَزِيدُ، وَالوَلِيدُ وَالوَلِيدُ، وَمَرْوَانُ وَمَرْوَانُ، وَمُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ». كما ذكر نعيم عدة أقوال من بعض السلف عن بعض خلفاء بني أمية، وبخاصة الأواخر منهم؛ فقد أخرج بسنده قال: حدثنا عبد الله بن مروان، عن أبيه، عن سعيد بن خالد، عن مكحول (الشامي) قال: بلغني أن رسول ﷺ قال: «يَكُونُ فِي قُرَيْشٍ أَرْبَعَةُ زَنَادِقَةٍ». قال أبوه: فسمعتُ سعيد بن خالد يذكر عن أبي زكريا نحو ذلك ثم قال: هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن خالد الذي كان بخراسان. وهو ضعيف[٢]. وهذا الحديث لم يقف الباحث على

= ص١٩٤، ١٩٥، ٢٣١، ٢٤٦. وانظر أيضاً: شعر الوليد بن يزيد، جمع وتحقيق: حسين عطوان، ط١، (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٧٩م)، ص١٥٩. للاستزادة عن أسباب مصرع الوليد انظر: محمد بطاينة، حول مصرع الوليد بن يزيد، ص٢٤٠، ٢٥٥، ٢٥٦.

(١) انظر ما ذكره الدميري عن الوليد والحديث الذي جاء فيه في: حياة الحيوان الكبرى، ١/١٠٨.

(٢) انظر: الفتن، ص٨٤. قال محقِّق الكتاب: إسناده مرسل، وفيه مكحول الدمشقي الشامي؛ ثقة فقيه، كثير الإرسال، مشهور.

مصدر أخرجه غير نعيم بن حماد، ولعله من إفراداته.

كما أخرج نعيم بسنده أن الزهري سُئل عن إمارة هشام، فقال: هو هالك عن عام أو عامين أو نحوهما. قيل له: موت أو قتل؟ قال: بل موت. قيل له: فمَن بعده؟ قال: هذا الغلام من أهل بيته ـ ولم يذكر نعيم اسمه، وأظنه الوليد بن يزيد ـ قيل له: فما مدَّته؟ قال: كنَوْم الصبيّ. قيل: يموت أو يُقتل؟ قال: بل يُقتل. قيل: فمَن بعده؟ قال: الذي يأتي من ها هنا. وأشار إلى الجزيرة، وسليمان بن هشام يومئذ أمير الجزيرة. قيل له: مَن هو؟ قال: اسمه واسم أبيه ثمانية أحرف. قيل: وما مدَّته؟ قال: كالثوب البالي إذا رُقع من مكان تهتَّك من مكان[1].

ويبدو أن هذه الرواية نُسبت إلى الإمام الزهري الذي كان من جلساء هشام وناصحيه[2]. وعلى فرض صحة نسبتها فهي لا تعدو كونها مراسيل ضعيفة[3] أو أقوالاً غيبية ليس لها ما يسندها.

كما أخرج نعيم بسنده أن الناس اختلفوا بعد معاوية وفتنة ابن الزبير، فجاء أحد القدماء ممن أدرك الجاهلية قد سقط حاجباه على عينيه، فسُئل عن أخبار الزمان، فدعا بعصابة فعصب بها جلدة حاجبيه حتى ارتفعت عن عينيه فأبصرنا، ثم قال: «إن هذا الأمر سيصير إلى رجل من بني أمية يليكم ثنتين وعشرين سنة ثم يموت، ثم يليكم من بعده خلفاء يتتابعون في سنيات يسيرة، حتى يليكم رجل علامته في عينه ـ يعني هشام بن عبد الملك ـ يجمع المال جمعاً لم يجمعه أحد قبله، يعيش تسع عشرة سنة وشيء ثم يموت، ثم يليكم رجل منهم شاب يعطي الناس عطايا لم يُعْطِها أحد كان قبله، ثم ينش به رجل من أهل بيته خفيّ لم يكن يُذكر

---

(١) انظر: الفتن، ص٨٦، ٨٧.

(٢) للاستزادة عن دور الزهري وعلاقته ببني أمية، ومنهم هشام، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٣٧-٣٤٢. ابن كثير، البداية، ٩/٣٥٥. ابن حجر، فتح الباري، ١٠/٥٤٧.

(٣) نقل الذهبي أقوال العلماء في مراسيل الزهري وبيَّن أنها ضعيفة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/٣٣٨، ٣٣٩.

فيقتله فتُراق على يديه الدماء، ثم يأتيكم مُرين[١] من ها هنا، وأشار إلى الجزيرة»[٢]. وفي رواية أخرى زيادة: «فيأخذها بسيفه قسراً»[٣]. وكلا الروايتين ضعيف، ناهيك مما فيهما من ادِّعاء للغيب. لكن على الرغم من ضعف هذه الرواية إلا أن فيها وصفاً لأربعة خلفاء من بني أمية ذكرتهم المصادر بهذه الصفات المذكورة؛ فالمعروف تاريخياً أن مدة حكم هشام نحو عشرين عاماً، وقد وصفته بعض المصادر بجمع الأموال والبخل وساقت قصصاً عديدة في ذلك[٤]، ثم جاء بعده الوليد بن يزيد وكان معروفاً بتوزيع العطايا بين الناس[٥]، لكنه كان فاسقاً، فخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد المعروف بالناقص؛ لأنه أنقص عطايا الناس[٦]، ثم جاء مروان بن محمد من الجزيرة ـ أي الفراتية ـ التي كان يليها آنذاك فبايعه بعض بني أمية[٧].

لكن اللافت للنظر أن شخصية مروان بن محمد ظهرت حولها العديد من النبوءات القائلة بنهاية حكم بني أمية على يد حمار الجزيرة[٨] أو على يد ابن

---

(١) مُرين: هكذا وجدتُها، ولم أقفْ على معناها، ويحتمل أن تكون قريةً بهذا الاسم؛ فقد ذكر ياقوت أن (مُرَيْن) قرية من قرى مرو يُقال لها: مرين دست. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/١١٩.

(٢) انظر: الفتن، ص٨٦. قال محقِّق الكتاب: إسناده ضعيف، وفيه مجهول، وهو الشيخ الذي أدرك الجاهلية.

(٣) انظر هذه الرواية بلفظ مختلف قليلاً، وهي ضعيفة أيضاً، في: الفتن، ص١٢٧.

(٤) انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ٧/٢٠٤، ٢٠٥. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٢١-٢٢٣. ابن كثير، البداية، ٩/٣٦٦.

(٥) انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ٧/٢٦١، ٢٦٢. ابن كثير، البداية، ١٠/١٣.

(٦) انظر: خليفة بن خياط، التاريخ، ص٣٦٩. الطبري، تاريخ الرسل، ٧/٢٦١، ٢٦٢. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٣٤. ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٧٤. ابن كثير، البداية، ١٠/١٣.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ٧/٢٩٩، ٣٠٠. المسعودي، مروج الذهب، ٣/٢٤٧، ٢٤٨. ابن كثير، البداية، ١٠/٢٤-٢٦.

(٨) خصَّص نعيم بن حماد فصلاً عن علامات انقطاع ملك بني أمية ذكر فيه عدة روايات تنبئ عن=

أمة[١]. كما أن شخصية مروان لقيت ازدراء بعض المصادر التاريخية بنهايته المؤسفة علي أيدي العباسيين وملاحقته من مكان إلى آخر حتى قتلوه بقرية بوصير بصعيد مصر[٢]. بل إن أغرب ما ذُكر عن مروان وصفه بالمرتد؛ لأنه تهوَّد؛ أي ترك الإسلام وأصبح يهودياً[٣]. وهذا قول فيه كذب وافتراء؛ فالعديد من المؤرخين أشادوا به وبشخصيته؛ فقال عنه الذهبي: «كان أديباً مهيباً بليغاً عظيم المروءة»[٤]، وقال عنه ابن كثير: «وقد كان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الرأي»[٥]، وقد نُقل عن الخليفة العباسي المنصور قوله في مروان: «لله درّه! ما كان أحزمه وأسوسه وأعفّه عن الفيء»[٦].

= اختلافهم، ومجيء حمار الجزيرة مروان بن محمد، وأن نهايته على أيدي أهل الرايات السُّود. وهي روايات واهية وضعيفة ومنقطعة. انظر: الفتن، ص١٢٤-١٢٩. كما أورد ابن كثير في صفة مقتل مروان العديد من الأخبار المتعلِّقة بمقتل مروان عن طريق ابن عساكر وغيره. انظر: البداية، ١٠/٤٩.

(١) حول هذه النبوءات انظر موضوع علامات انقطاع ملك بني أمية في الفصل الثاني من الدراسة، ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٢) للاستزادة عن شخصية مروان بن محمد وكيفية مقتله ودوره في سقوط الدولة الأموية انظر: سعدي أبو حبيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، د. ط، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١٠٠-١١١، ١٥٢-١٦١.

(٣) ذكر الصفدي هذا القول نقلاً عن الجاحظ في حجة قحطان على عدنان ولم يعلِّق عليه. انظر: الوافي بالوفيات، ٢٥/٣٠٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، ٦/٧٦.

(٥) انظر: البداية، ١٠/٤٩.

(٦) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٣٣٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/٧٥.

الخاتمة

العلاقة الوطيدة التي تربط التاريخ بالأحاديث النبوية تفرض على الباحثين إلقاء الضوء على هذه الرابطة دراسةً ونقداً؛ فالحديث النبوي المتعلِّق بالجوانب التاريخية، سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً، تُبنى عليه تصوُّرات وأحكام واتِّجاهات وميول يكون لها أثرها في الكتابات التاريخية. وهذه الدراسة هي جزء من هذه العلاقة، وقد خرجت بنتائج مفادُها: أن التاريخ الأموي يشغل مساحات لا بأس بها في مصادر الحديث المختلفة، وأن المادة التاريخية الخاصة بالأحاديث النبوية الواردة في بني أمية الموجودة في مصادر الحديث تُوجد ضمن أبواب المناقب والمثالب والفتن والخلافة وأشراط الساعة ودلائل النبوة، كما أن هذه الأحاديث النبوية وُجدت في كتب المفسِّرين التي اعتمدت على أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو إسرائيليات في وصف بني أمية بأنهم ملعونون، وأنهم هم الذين أحلُّوا قومهم دار البوار، وأن أيَّامهم في الحُكْم هي ألف شهر كما ورد في سورة القدر. وقد أثبتت الدراسة بُطلان ذلك، وبيَّنت أثره من خلال انتشاره في العديد من المصادر التاريخية بشكل كبير. كما أثبتت الدراسة بُطلان الأحاديث القائلة بلعن بني أمية، ولم تقفْ على حديث صحيح صريح وواضح يذمُّهم أو يلعنهم، سوى ما جاء في ذمٍّ بعض الشخصيات الأموية؛ مثل ما ورد في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حول سبب نزول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦]، أو ما ورد في لعن الحكم ابن أبي العاص وطرده على اختلاف في صحَّته، وقد بيَّنت الدراسة ضعف ما ورد في لعن الحكم.

ولكن بعض العلماء يرى وجود أحاديث صحيحة أشارت إلى ذمِّهم وإن كانت غير صريحة، لكن أدلَّتهم ضعيفة، وفي مقابلها وُجدت أحاديث صحيحة غير

صريحة أيضاً استنبط منها جمعٌ من العلماء ما يدلُّ على أنها تصبُّ في جانب الإشادة ببني أمية، وهي حُجَّة في الردِّ على القائلين بوجود أحاديث صحيحة تذمُّهم، وهو ما ذهبت إليه الدراسة وأيَّدته بالحجج والبراهين. كما أن ما ورد من أحاديث في تحديد مدة حكم بني أمية، أو تحديد زمن معيَّن لسقوطهم، أو أنهم اتَّخذوا الناس عبيداً وجعلوا الدِّين مفسدة؛ فقد أثبتت الدراسة ضعفه وبُطلانه، وبيَّنت أيضاً بالحجج والبراهين تناقض هذه الأقوال مع الواقع التاريخي للأمويين، وإن كانت هناك أحاديث صحيحة أوَّلها بعض العلماء بأن فيها ذماً لحُكْم بني أمية؛ مثل حديث سفينة رضي الله عنه: «الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ»، وحديث المُلْك العَضُوض والحُكْم الجبريّ، وحديث ذمّ سنة الستين وإمارة الصبيان، وحديث انتقاض عُرى الإسلام عروةً عروةً. وقد أوردت الدراسة أحاديث أخرى صحيحة ذكرها العديد من العلماء بيَّنوا أن فيها ثناءً لبني أمية؛ مثل حديث الاثني عشر خليفةً، وحديث «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وحديث «أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو القُسْطَنْطِينِيَّةَ مَغْفُورٌ لَهُ».

كما بيَّنت الدراسة الفرق بين المُلْك والخلافة، وأن مدَّة الراشدين الأربعة ومعهم الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تدخل تحت اسم الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وأن حُكْم بني أمية يعدُّ ضمن المُلْك، لكن ليس في ذلك المُلْك ذمٌّ أو دلالة على الظلم.

كما أثبتت الدراسة أن الأحاديث الواردة في السفياني الذي يخرج لنُصرة الأمويين التي اعتمد عليها الأمويون في ثوراتهم على العباسيين وروَّجوها بينهم هي أحاديث ضعيفة جداً أو موضوعة، وأن وراء انتشارها دوافع سياسية أموية أو قبلية؛ مما كان له أثر كبير في بعض الكتابات التاريخية، فظهرت هذه الأحاديث عند المؤرِّخين على منوال أحاديث المهديّ.

كما بيَّنت الدراسة أن كلَّ ما ورد من أحاديث جليَّة أو خفيَّة في أن نهاية حكم

بني أمية يكون على يد العباسيين أصحاب الرايات السُّود القادمة من المشرق لا يصحُّ ولا يثبت.

أما على مستوى خلفاء بني أمية فإن الدراسة لاحظت أن أكثر الخلفاء الأمويين نصيباً من هذه الأحاديث هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ فقد وردت في ذمِّه عشرات الأحاديث الموضوعة، كما وردت في مدحه أيضاً عشرات الأحاديث الموضوعة؛ فهناك أحاديث تقطع بدخوله النار، وأحاديث تقطع بدخوله الجنة وتضعه في أعلى الدرجات بجوار العرش. وتمثِّل شخصية معاوية بن أبي سفيان بُعداً واضحاً في الصراع المذهبي والقبلي والسياسي؛ فقد كان وضع الأحاديث في معاوية من جهتين:

الجهة الأولى: الشيعة، وبخاصة في العراق، وهي أحاديث جاءت في ذمِّه ولعنه.

الجهة الثانية: النواصب الذين ناصبوا أهل البيت العداء، فوضعوا أحاديث في مدح معاوية وذمّ عليّ رضي الله عنهما، وهم بعض أهل الشام.

كما أن الدراسة أوضحت أن هناك أحاديث عديدة في مدح معاوية وتبشيره بالخلافة حسَّنها بعض العلماء وعدَّها آخرون صحيحة، وهو قول جمع كبير من العلماء والمحقِّقين. كما أثبتت الدراسة أنه لا يثبت حديث أو يصحّ في ذمّ معاوية. ويُلاحظ أن أكثر المصادر التاريخية تأثُّراً بما ورد من أحاديث في معاوية هو كتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر الذي نقل عنه أكثر من مائة رواية، فكان ذلك محلّ نقد الآخرين.

ويأتي يزيد بن معاوية ثاني الخلفاء الأمويين في كثرة الأحاديث الواردة فيه؛ فقد وردت عدة أحاديث في لعنه ووصفه بالفسق والمجون. لكن الدراسة أثبتت أنه لم يثبت حديث صحيح في لعنه أو سبِّه، وإن كانت هناك أحاديث حسنة وردت في ذمّ فترته، لكنها جاءت عامَّةً غير مصرِّحة باسمه؛ كأحاديث الاستعاذة من سنة الستين ومن إمارة الصبيان.

والحقيقة أن الأحداث الخطيرة التي حدثت في عهد يزيد؛ كمقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووقعة الحرَّة في المدينة، كان لها أكبر الأثر في كره بعض العلماء له فصرَّحوا بلعنه وجواز ذلك، مستندين إلى ما قام به من أعمال مُنكرة، وإلى أحاديث ضعيفة تُجيز لعنه، أو أحاديث صحيحة عامَّة تُجيز لعن مَن آذى أهل المدينة. وقد أثبتت الدراسة عدم جواز لعنه وانتصرت لأقوال المانعين، وهو قول جمع من المحققين والمحدِّثين والمؤرخين.

وثالث الخلفاء الأمويين الذي كثرت فيه الأحاديث الموضوعة مروان بن الحكم؛ فقد كان لورود أحاديث عديدة في ذمّ ولعن والده الحكم وولده دور كبير في دخوله في هذا اللعن؛ فقد وصفته المصادر الحديثية والتاريخية على السواء بأنه الوَزَغ ابن الوَزَغ، والملعون ابن الملعون، وأن الأمة ستجد في عهده الهلاك. وقد أثبتت الدراسة نكارة تلك الأحاديث ووضعها، وبيَّنت مدى انتشارها في العديد من المصادر التاريخية.

ورابع الخلفاء الأمويين الذي نال حظاً وافراً من الأحاديث هو الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك؛ فقد وصفته المصادر الحديثية والتاريخية بأنه فرعون الأمة الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ. وهذا الحديث انتشر في المصادر التاريخية بشكل واضح؛ لذا كان محلّ اهتمام الدراسة، فبيَّنت اختلاف العلماء فيه ما بين المُصحِّح والمُضعِّف له، كما أثبتت ضعفه وأنه لا يصحّ الاستدلال به على رغم ما ثبت من فسق الوليد بن يزيد.

كما لقيت شخصية عمر بن عبد العزيز ثناء جلّ المصادر؛ إذ وُصفت أيامه بالخيرية، وأنه مجدِّد القرن الأول. لكن بعض هذه المصادر بالغت عندما وصفته بالمهديّ المُنتظَر. وقد حرصت الدراسة على إيضاح الشُّبهات حول قضية مهديّ آل البيت ومهديّ بني أمية، وبيَّنت المعنى اللغوي والشرعي للمهديّ ومقصوده عند أهل السُّنة والجماعة. كما بيَّنت الدراسة أن عمر بن عبد العزيز لم تَرِدْ فيه أحاديث

صريحة سوى إشارات نبوية ذكرتها العديد من المصادر، إضافةً إلى ما ورد على لسان عمر بن الخطاب من نبوءة صادقة حول ظهور شخصية من ولده تملأ الأرض عدلاً، فكانت هي شخصية عمر بن عبد العزيز.

كما أن هناك خلفاء أمويين لم تقف الدراسة على أحاديث وردت فيهم؛ مثل: معاوية الثاني، وسليمان بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد.

ويُلاحظ أن الأحداث السياسية ألقت بثقلها على وضع الأحاديث في بني أمية؛ لذا كان معاوية ويزيد ابنه ومروان بن الحكم هم أكثر مَن وردت فيهم الأحاديث الموضوعة.

وبذلك يمكن القول: إن خلفاء الدولة الأموية لم يَرِدْ حديث صحيح ينصُّ على ذمِّهم، وإذا كانت هناك إشارات تذمُّ يزيد بن معاوية من خلال بعض الأحاديث الذامة لفترته فإن الدراسة لم تقفْ على نصّ صحيح صريح في ذمّه هو نفسه. وقد خلصت الدراسة إلى أن الأسرة الأموية ظُلمت وسُوِّدت صفحاتها بالأحاديث الموضوعة التي كانت ضمن معاول تشويه صورتهم.

ويُلاحظ أن الأحاديث الواردة في مدح الأمويين قليلة جداً مقارنةً بما ورد في ذمّهم، وإن كانت شخصية معاوية هي الأكثر من حيث الأحاديث التي جاءت في مدحه.

ومن النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة أيضاً أنها لم تجِدْ حديثاً صحيحاً صريحاً في ذمّ بني أمية في صحيحي البخاري ومسلم، ولا في سنن أبي داود، ولا عند ابن ماجه، ولا عند النسائي في (السنن الصغرى). ويعدُّ الترمذي أبرز أصحاب السنن الأربعة إيراداً للأحاديث الذامَّة في بني أمية؛ مثل حديث «مات رسول الله ﷺ وهو يكره ثلاثة أحياء»، وذكر منهم بني أمية، وحديث أن الألف شهر هي أيام بني أمية. لكن الترمذي أبان موقفه منها. وقد أثبتت الدراسة ضعف

هذه الأحاديث ونكارتها. وبذلك فإن الكتب الستة لم تذكر أحاديث فيها لعن أو ذمّ لبني أمية، لكن هذه الكتب الستة ذكرت أحاديث عامة اختلف الشُّرَّاح في مغزاها ومعناها ومدى علاقة بني أمية بها؛ فمنهم مَن استند إليها في ذمِّهم، ومنهم مَن استند إليها في مدحهم.

ومما خلصت إليه الدراسة أن أكثر الأحاديث الذامَّة واللاعنة لبني أمية في المصادر الحديثية المتقدِّمة جاءت عن كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد، و(مصنَّف) ابن أبي شيبة، و(مسند) الإمام أحمد، و(المعجم الكبير) و(المعجم الأوسط) للطبراني، و(المستدرك على الصحيحين) للحاكم. كما أن أكثر الأحاديث الذامَّة واللاعنة لبني أمية في المصادر الحديثية المتأخِّرة جاءت من (مجمع الزوائد) للهيثمي، و(تطهير الجَنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه) للهيتمي.

كما أثبتت الدراسة دور التعصُّب القبلي والمذهبي والسياسي في وضع الأحاديث ضد بني أمية من قِبَل الشيعة والعباسيين الذين حرصوا على تشويه سمعة الأمويين. كما أثبتت الدراسة دور النواصب في وضع الأحاديث لبني أمية، خصوصاً لمعاوية رضي الله عنه.

كما بيَّنت الدراسة اختلاف المحدِّثين في التصحيح والتضعيف، كما أن بعضهم لم يسلم من التعصُّب ضد بني أمية، وهذا ما لمسته الدراسة عند الحاكم صاحب (المستدرك)؛ مما أثَّر في الكتابة التاريخية. ومما لُوحظ أيضاً اختلاف المحدِّثين في منهجية إيراد الأحاديث؛ فهناك مَن أورد الأحاديث مكتفياً بالأسانيد تاركاً النقد لغيره، لكن هذه المنهجية أضرَّت كثيراً بالكتابة التاريخية؛ لأن العديد من المؤرِّخين ينقل عن كتب هذا الصنف من المحدِّثين جهلاً بمنهجيتهم في طرح الأحاديث.

كما بيَّنت الدراسة أن هناك مصادر حديثية هي مظانّ الحديث الضعيف والموضوع أوردت عن بني أمية الكثير من الموضوعات؛ مثل كتاب (الفتن) لنعيم

ابن حماد الذي يُعدُّ مصدراً لجلّ الأحاديث الواردة عن بني أمية في المصادر التاريخية.

وقد أثبتت الدراسة تأثُّر المصادر التاريخية بما ورد من أحاديث في بني أمية، وكان هذا التأثر يتراوح بين النقل والنقد، والجمع والانتقاء، والتعصُّب والحياد، ومن ثَمَّ إصدار الأحكام؛ كوصفهم بالشجرة الملعونة والنفاق والكفر والظلم. كما تناقل العديد من المؤرخين الأحاديث الواردة في بني أمية إما ثقةً في مؤلِّفيها فلم ينقدوها أو يمحصوها، وإما أن بعضهم تأثَّر بميوله وتعصُّبه فأخذ يوجِّهها تبعاً لذلك؛ مما كان له الأثر الواضح في انحراف الكتابة التاريخية فدارت بين الإفراط والتفريط.

كما أثبتت الدراسة أن مصادر التاريخ تباينت في منهجية قبول الحديث وطريقة إيراده؛ فهناك مصادر تذكر الحديث باللفظ دون بيان مَن خرَّجه، وهناك مصادر تكتفي بذِكْر معنى الحديث، ويغلب ذلك على أكثر المصادر التاريخية، وهناك مصادر تنقل الحديث ورواياته مكتفيةً بإسناده دون نقده، ويغلب ذلك على الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق)، وهناك مصادر تنقل الحديث برواياته لكنها تنقده وتبيِّن ضعفه من قوَّته، كما هو في (تاريخ الإسلام) و(سير أعلام النبلاء) للذهبي، و(البداية والنهاية) لابن كثير، و(تاريخ الخلفاء) للسيوطي أحياناً.

ويُلاحظ أن بعض مصادر التاريخ المتقدِّمة لم تُعْطِ موضوع الأحاديث الواردة في بني أمية أهمية مثل المصادر المتأخِّرة؛ فهناك مصادر متقدِّمة تكاد تخلو من ذكر أحاديث في بني أمية؛ مثل (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة، و(الأخبار الطوال) للدينوري، و(تاريخ) خليفة بن خياط، وهناك مصادر أشارت إلى هذه الأحاديث إشارات خفيفة؛ كالطبري في (تاريخه)، والمسعودي في (مروجه)، وابن أعثم الكوفي في (الفتوح). ويُعدُّ (أنساب الأشراف) للبلاذري أبرز المصادر

المتقدِّمة اهتماماً بهذا الجانب. أما المصادر المتأخِّرة فقد اهتمت بهذا الجانب كثيراً، فيُعدُّ (تاريخ دمشق) لابن عساكر أكثر المصادر التاريخية اهتماماً بقضية الأحاديث في بني أمية، لكن أغلب ما يرويه ابن عساكر ضعيف ولا يُورد نقداً له. ويمثِّل الذهبي وابن كثير قمة الكتابة التاريخية في مجال نقد هذه الأحاديث؛ فهما أبرز المحدثين الذين نقدوا أحاديث بني أمية. ويرجع اهتمام المؤرِّخين المتأخِّرين بقضية الأحاديث إلى ما طرأ من تطوُّر في كتابة التاريخ وظهور المصنَّفات العديدة فيه، إلى جانب أنهم برعوا في الحديث فجمعوا بين العِلْمَيْن.

ويُلاحظ أن المصادر التاريخية التي اهتمت بالأحاديث النبوية الواردة في بني أمية هي كتب الشمائل والدلائل النبوية؛ إذ أفردت لها فصولاً وأبواباً، ومن ذلك (دلائل النبوَّة) للبيهقي الذي كان مصدراً للعديد ممَّن جاء بعده؛ فقد نقل عنه الشامي في (سبل الهدى والرشاد)، والمقريزي في (إمتاع الأسماع)، والسيوطي في (الخصائص الكبرى).

ويُلاحظ أن أكثر المصادر التاريخية إيراداً للأحاديث الضعيفة والموضوعة في بني أمية (تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، و(دلائل النبوَّة) للبيهقي، و(الخصائص الكبرى) للسيوطي.

وأخيراً، فإن أبرز ما تُوصي به الدراسة هو ضرورة الاهتمام بمصادر الحديث وكتابات المحدِّثين وشروحاتهم؛ فهي مصدر مهمّ للتاريخ الإسلامي عامَّةً، والتاريخ الأموي خاصَّةً. كما تُوصي الدراسة بضرورة تكريس الجهود لدراسة الجوانب التاريخية المرتبطة بالأحاديث النبوية، وهو اتِّجاه جديد ظهر على الساحة التاريخية مؤخَّراً، وهو ما نلمسه في ظهور دراسات عديدة اهتمَّت بهذه الجوانب، خصوصاً أن الأحاديث النبوية خُدمت ولقيت بحثاً ونقداً وتصنيفاً وتبويباً، بل أصبحت اليوم مُيَسَّرةً أكثر من ذي قبل من خلال برامج الحاسوب والفهرسة المتنوِّعة لها.

المصادر والمراجع

* آبادي، أبو الطيب شمس الحق العظيم: عون المعبود شرح سنن أبي داود للحافظ شمس الدين ابن القيِّم الجوزية، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

* إبراهيم، حقي إسماعيل: الوصية السياسية في العصر العباسي، ط١، عمان: دار الفكر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ):

– الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، ط٥، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

– أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (ت ٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: صلاح عويضة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* الأحدب، خلدون:

– أسباب اختلاف المحدِّثين، ط٤، جدة: دار كنوز العلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

– زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

– حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في البيوع المنهيّ عنها، ط١، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* الأزدي، أبو زكريا يزيد محمد بن إياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ): تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، د. ط، القاهرة: نشر لجنة التراث الإسلامي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

* الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت ٢٢٣هـ أو ٢٤٤هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط٦، مكة المكرمة: دار الثقافة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

* الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

* الأصفهاني أو الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ):

– مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

– الأغاني، شرح وتعليق: عبد أ. علي مهنا وسمير جابر، ط٢، بيروت: دار الفكر، د. ت.

* ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ): الفتوح، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* الأعظمي، وليد: السيف اليماني في نحر الأصفهاني، ط٣، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* الأفغاني، سعيد: معاوية في الأساطير، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام المنعقد بالجامعة الأردنية في ٢٨ ربيع الأول – ٣ ربيع الآخر ١٣٩٤هـ الموافق ٢٠–٢٥ نيسان (إبريل) ١٩٧٤م، بيروت: الدار المتحدة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

* الأقصم، إبراهيم: الدولة الأموية في كتابات المسعودي، ط١، جدة: دار المجتمع، ١٤٢٤هـ.

* الألباني، محمد ناصر الدين:

– سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط٢، عمان: المكتبة الإسلامية، ١٤٠٤هـ.

– تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ومعه مناقب الشام وأهله لابن تيمية، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط١، أسيوط: لجنة إحياء السنة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
– صحيح الجامع الصغير وزيادته للسيوطي (الفتح الكبير)، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.
– صحيح الترغيب والترهيب، ط٣، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م.
– ضعيف سنن الترمذي، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
– سلسلة الأحاديث الضعيفة، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
* أمحزون، محمد: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدِّثين، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
* أمين، أحمد:
– فجر الإسلام، ط١٦، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.
– ضحى الإسلام، ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.
– ظهر الإسلام، ط٧، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٩٩م.
* البتاني، محمد العربي: تحذير العبقري من محاضرات الخضري، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجُعفي (ت ٢٥٦هـ):
– التاريخ الصغير، تحقيق: محمود زايد، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
– التاريخ الكبير، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* البرزنجي، السيد محمد (ت ١١٠٣هـ): الإشاعة لأشراط الساعة، تحقيق: محمود الدمياطي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
* البسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
* بطاينة، محمد: حول مصرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض (الملك سعود حالياً)، مج٥، ١٩٧٧-١٩٧٨م.
* البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ): الفَرْق بين الفِرَق، ط٥، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
* البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ): المنمّق في أخبار قريش، تعليق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦هـ): شرح السنة، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
* ابن بكار، أبو عبد الله الزبير (ت ٢٥٦هـ):
- جمهرة أنساب قريش وأخبارها، تحقيق: محمود شاكر، د. ط، القاهرة: دار العروبة، ١٣٨١هـ.
- الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي العاني، د. ط، بغداد: نشر رئاسة ديوان الأوقاف، ١٩٧٢م.
* بكار، محمد: أسباب ردّ الحديث وما ينتج عنها من أنواع، ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ):
- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله الطباع وعمر الطباع، د. ط، بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، بيروت: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
* ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ): الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
* البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت ٨٤٠هـ): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: عادل بن سعد والسيد بن محمود، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
* البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي الشافعي (ت ٦٩١هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
* بيضون، إبراهيم: الدولة الأموية والمعارضة، ط٢، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (توفِّي بعد ٧٣٧هـ): مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م.
* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي المُسمَّى (الجامع الصحيح)، تحقيق: الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، د. ت.
* التنوخي، أبو علي الحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبُّود الشالجي، ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

* التويجري، حمود: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ط٢، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٤هـ.
* ابن تيمية، أبو العباس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ):
– سؤال في معاوية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٩م.
– منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمود رشاد سالم، ط١، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
– مناقب الشام وأهله، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
– مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد بن قاسم، د. ط، د. م: د. ن، د. ت.
* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ):
– التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط١، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.
– رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، تبويب وشرح وتقديم: علي أبو ملحم، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م.
– رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، تقديم وتبويب وشرح: علي أبو ملحم، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م.
– البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.
* ابن جُزَيّ، محمد بن أحمد الكلبي (ت ٧٤١هـ): كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* جلي، أحمد: دراسة عن الفِرَق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، ط٢، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* الجمعة، علي بن عبد الله: الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (تخريجها ودراسة أسانيدها وبيان درجتها من أوَّل الكتاب حتى ترجمة محمد بن مصعب بن الدعاء)، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ.

* الجوزقاني، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم (ت ٥٤٣هـ): الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط٤، الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* جوزي، بندلي:

- حنين العرب إلى بني أمية، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٧٨، ج٦، ١٩٣١م.

- حنين العرب إلى بني أمية، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٧٩، ج١، ١٩٣١م.

- السفياني، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٨٣، ج١، ١٩٣٣م.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ):

- الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، شرح وتعليق: نعيم زرزور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، د. ط، لاهور: إدارة ترجمان السنة، د. ت.

* ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ): علل الحديث، د. ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ):

- المدخل في أصول الحديث، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- المستدرك على الصحيحين ومعه تلخيص الذهبي وكتاب (الدرك بتخريج المستدرك) و(زوائد المستدرك على الكتب الستة) و(الاستدراك على المستدرك) و(المدخل لمعرفة المستدرك)، صنعة: عبد السلام علوش، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ): كتاب المجروحين من المحدِّثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود زايد، د. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ): كتاب التاريخ، وضع حواشيه: سالم البدري، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* ابن حثلين، سلطان: الفقهاء والخلفاء (مواقف الفقهاء من السلطة السياسية في العهدين الأموي والعباسي الأول ٦٠-٢٤٥هـ)، ط١، عمان: دار عمار، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* حجاب، محمد: الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثاً، ط١، القاهرة: دار الفجر، ١٩٩٨م.

* ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد (ت ٦٥٥هـ): شرح نهج البلاغة للإمام عليّ رضي الله عنه، د. ط، د. م: د. ن، د. ت.

* ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

- القول المُسدَّد في الذَّبّ عن المسند للإمام أحمد، ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠١هـ.

- أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدين الخطيب، ط١، القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
– تقريب التهذيب، ط٢، حلب: دار الرشيد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
– شرح النخبة (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)، تحقيق: نور الدين عتر، ط٢، بيروت: دار الخير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
– مختصر زوائد مسند البزَّار على الكتب الستة ومسند أحمد، تحقيق وتقديم: صبري عبد الخالق أبو ذرّ، ط٣، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
– الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
– المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: أيمن أبو يماني وأشرف صلاح علي، ط١، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
– لسان الميزان، د. ط، د. م: د. ن، د. ت.
– تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: علي محمد البجاوي، مراجعة: محمد علي النجار، د. ط، بيروت: المكتبة العلمية، د. ت.
* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦هـ):
– الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، ط٢، جدة: دار عكاظ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
– جمهرة أنساب العرب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
– جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس وناصر الأسد، مراجعة: أحمد شاكر، د. ط، باكستان: دار إحياء السنة، د. ت.
* حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢م.

* حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.

* الحسني، السيد عبد الرزاق: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط٢، د. م: د. ن، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

* الحسني، عبد الحي بن فخر الدين الهندي: الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام المُسمَّى (نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر)، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ط٣، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* حمادي، محمد جاسم: أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطوُّر الفكر التاريخي، مجلة المؤرِّخ، ع٢٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ):

– معجم الأدباء (إرشاد الأريب)، الطبعة الأخيرة، القاهرة: دار المأمون، د. ت.

– معجم البلدان، د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.

* ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١هـ):

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

– فضائل الصحابة، تحقيق: وصيّ الله بن محمد عباس، ط٢، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* ابن حوقل، محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ): صورة الأرض، د. ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

* الخرعان، عبد الله: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ.

* خضر، عبد العليم: المسلمون وكتابة التاريخ، ط٢، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* الخضري بك، محمد: الدولة الأموية، د. ط، القاهرة: دار الفكر، د. ت.
* الخضير، عبد الكريم: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ):
– غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، خرَّج أحاديثه: عبد القيوم عبد ربّ النبي، د. ط، دمشق: دار الفكر، منشورات جامعة أم القرى – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
– معالم السنن شرح سنن أبي داود، تخريج الأحاديث: عبد السلام عبدالشافي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ):
– الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد هاشم، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
– الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: صلاح عويضة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
– تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
– تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
* الخطيب، محمد عجاج:
– السُّنة قبل التدوين، ط٣، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
– أصول الحديث: علومه ومصطلحه، ط٤، دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ):
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: تركي فرحان المصطفى، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- المقدِّمة، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د. ط، بيروت: دار صادر، د. ت.
* خليل، عماد الدين: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
* ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* الدارقطني، علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ):
- كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن السلفي، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تحقيق: الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، د. ت.
* الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ): السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
* الدعجاني، طلال سعود: موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، رسالة دكتوراه،

الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ.

* الدملوجي، صديق: اليزيدية، د. ط، الموصل: نشر المؤلِّف، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

* الدميري، محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ): حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بج، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* الدوري، عبد العزيز: مقدِّمة في تاريخ صدر الإسلام، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٤م.

* الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٧هـ): كنز الدُّرَر وجامع الغُرَر (الدُّرَّة السَّميَّة في أخبار الدولة الأمويَّة)، تحقيق: جونهلد جراف وأريكا جلاسن، د. ط، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* الدينوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: حسن الزين، د. ط، بيروت: دار الفكر الحديث، ١٩٨٨م.

* الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):

– أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط١، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٤هـ.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر تدمري، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

– سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

– المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتدال لابن تيمية (مختصر منهاج السُّنة)، تلخيص: الذهبي، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، د. ط، الرياض: عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- تلخيص كتاب العلل المتناهية لابن الجوزي، تحقيق: ياسر محمد، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ميزان الاعتدال، د. ط، تحقيق: علي البجاوي، د. م: دار الفكر، د. ت.

* الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ): مختار الصحاح، د. ط، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢م.

* الربعي، أبو الحسن (ت ٤٤٤هـ): فضائل الشام ودمشق، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

* الرحيلي، سليمان: النابتة الأموية في الحكم العباسي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع١٨، (ذو القعدة ١٤١٧هـ).

* رستم، أسد: مصطلح التاريخ، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

* روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح العلي، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* الزبيري، علي: ابن جزي ومنهجه في التفسير، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ): كتاب نسب قريش، تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، ط٣، القاهرة: دار المعارف، د. ت.

* الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط٨، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.

* زكار، سهيل: الجامع لأخبار القرامطة، د. ط، الرياض: دار الكوثر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

* الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٤٦٧هـ): الكشاف عن حقائق

غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د. ط، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩م.

* زيات، حبيب: التشيُّع لمعاوية في عهد العباسيين، مجلة المشرق، بيروت، مج٤٧، ع٦، ١٩٢٨م.

* (الساعاتي) البنا، أحمد بن عبد الرحمن:

- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، ط٢، القاهرة: مكتبة الفرقان، ١٤٠٣هـ.

- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

* سالم، السيد عبد العزيز: التاريخ والمؤرِّخون العرب، د. ط، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

* سبط ابن الجوزي، شمس الدين (ت ٦٤٥هـ): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٤٨١-٥١٧هـ)، تحقيق ودراسة: مسفر الغامدي، ط١، مكة المكرمة: منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ): قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرِّخين، جمع وتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: دار الوعي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ):

- الإعلان بالتوبيخ لمَن ذمَّ التاريخ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، د. ط، الرياض: مكتبة الساعي، د. ت.

– التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، د. ط، بيروت: دار الجيل، د. ت.

* السدحان، مديحة: تحقيق كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، رسالة ماجستير، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب بالرياض، قسم الدراسات الإسلامية، ١٤١٠هـ.
* سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، تعريب: محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د. ت.
* ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
* السفاريني، محمد بن أحمد (ت ١١٨٨هـ): أهوال يوم القيامة وعلاماتها الكبرى، ط٤، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
* السلمي، محمد بن صامل:

– منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
– منهج نقد الروايات التاريخية، ط١، الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* السلمي، يوسف بن يحيى (ت ٦٨٥هـ): عقد الدُّرَر في أخبار المُنتظَر، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، د. ط، القاهرة: د. ن، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
* السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ): الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار

المصطفى، ط٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* السنيدي، عبد الرحمن: المواجهة الاقتصادية بين المسلمين وقريش في العهد النبوي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٢١، ١٤١٩هـ.

* السهلي، محمد: عصر الخلفاء الراشدين في كتابات اليعقوبي: دراسة نقدية مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ، كلية الآداب، جدة، ١٤٢١هـ.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):

- تحذير الخواص من أكاذيب القصّاص، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الخصائص الكبرى، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- الحاوي للفتاوي، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: محمد سكر، مراجعة: مصطفى قصاص، ط٢، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أحمد هاشم، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- تاريخ الخلفاء، تعليق: محمود رياض الحلبي، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ترتيب: خليل المنصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- الشماريخ في علم التاريخ، د. ط، الكويت: الدار السلفية، د. ت.

- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، د. ط، بيروت: دار المعرفة، د. ت.

- الدُّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، د. ط، مكة المكرمة: المكتبة التجارية، د. ت.

* الشافعي، محبّ الدين محمد القدسي (ت ٨٨٨هـ): كتاب دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حِكَم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، تحقيق: صبحي لبيب وأُولريش هارمان، ط١، بيروت: الشركة المتحدة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* شاكر، محمود:

- التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- الأمويون والتاريخ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، م٤، ع٦، ١٤٠٢هـ.

- التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* شاهين، حمدي: الدولة الأموية المُفترَى عليها، د. ط، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، د. ت.

* الشبل، علي: الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، د. ط، الرياض: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢هـ): تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، تحقيق: فهيم شلتوت، ط١، بيروت: دار التراث، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

* الشريف، أحمد: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط١، د. م: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م.

* شعوط، إبراهيم: أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، ط٧، جدة: دار الشروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* أبو شهبة، محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.
* الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د. ط، بيروت: دار المعرفة، د. ت.
* الشوكاني، محمد بن عليّ (ت ١٢٥٠هـ):
- فتح القدير، د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، جمع: محمد زبارة، ضبط: خليل المنصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
* الشيال، جمال الدين: دراسات عن المقريزي، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
* الشيباني، محمد عبد الهادي: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، د. ط، د. م: دار البيارق، د. ت.
* ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ): مُصنَّف ابن أبي شيبة المُسمَّى (الكتاب المُصنَّف في الأحاديث والآثار)، ترتيب وضبط: محمد عبد السلام شاهين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
* الصالح، علي: رواية الأئمة عن الضعفاء: أحكامها وأسبابها، مجلة الحكمة، مانشستر (بريطانيا)، ع٢٥، جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ.
* الصالحي الشامي، محمد يوسف (ت ٩٤٢هـ): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* الصباغ، محمد لطفي: الحديث النبوي، ط٧، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* صديق، شمس الله محمد: منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية (كلية الدعوة - قسم التاريخ)، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

* الصديقي، محمد بن طاهر الهندي: تذكرة الموضوعات وفي ذيلها قانون الموضوعات والضعفاء، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٩هـ.

* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

* ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ): مقدِّمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تعليق: صلاح عويضة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ):

- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن بن إبرهيم، د. ط، القاهرة: دار الحرمين، د. ت.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صدقي العطار، د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- تاريخ الرُّسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة: دار المعارف، د. ت.

* الطحان، محمود:
- تيسير مصطلح الحديث، د. ط، د. م: دار التراث العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ط٢، الرياض: دار المعارف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
* ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (تاريخ الدول الإسلامية)، د. ط، بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
* ابن طولون، شمس الدين أبو الفضل محمد بن علي بن خمارويه (ت ٩٥٣هـ):
- إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، تحقيق: مهنا حمد مهنا، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- قيد الشريد من أخبار يزيد، تحقيق: فاطمة مصطفى عامر، د. ط، د. م: د. ن، د. ت.
* الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ): الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ): تاريخ ابن طيفور (كتاب بغداد)، تحقيق: السيد عزت العطار، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
* ظهير، إحسان إلهي: الشيعة وأهل البيت، ط٦، لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* عابدين، محمد أبو اليسر: أغاليط المؤرِّخين، د. ط، دمشق: نشر محمد عزيز عابدين، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

* العباد، عبد المحسن: الردّ على مَن كذَّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ويليه عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، ط١، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، د. ت.
* عبد الباقي، محمد فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتَّفق عليه الشيخان، جمع: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ):
– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥هـ.
– جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
* ابن عبد الحكم، عبد الله المصري (ت ٢١٤هـ): الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين، تحقيق: أحمد عبيد، مراجعة وتعليق: أحمد عوض، د. ط، القاهرة: دار الفضيلة، د. ت.
* ابن عبد ربِّه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترميني، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
* عبد اللطيف، عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط٣، القاهرة: دار الاتحاد التعاوني، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
* عبد المعطي، فاروق: جلال الدين السيوطي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
* العدوي، مصطفى: الصحيح المُسنَد من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ط١، الرياض: دار الهجرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
* ابن عدي، أحمد عبد الله بن عدي (ت ٣٦٥هـ): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: سهيل زكار، مراجعة: يحيى عزاوي، ط٣، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

* ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.
* ابن عراق، علي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣هـ): تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
* أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٣٣هـ): كتاب المحن، تحقيق: يحيى الجبوري، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ):
- العواصم من القواصم، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، تخريج وعناية: محمود الإستانبولي ومحمد جميل غازي، ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
* عرجون، محمد الصادق: الخليفة المُفترَى عليه عثمان بن عفان، د. ط، د. م: د. ن، د. ت.
* ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي (ت ٧٩٢هـ): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، دمشق: دار البيان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ): الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، ط١، طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

* العش، يوسف:
- تاريخ عصر الخلافة العباسية، مراجعة: محمد أبو الفرج العش، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهّدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
* عطوان، حسين:
- شعر الوليد بن يزيد، د. ط، عمّان: مكتبة الأقصى، ١٩٧٩م.
- الوليد بن يزيد، د. ط، بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- رواية الشاميين للمغازي والسِّيَر في القرنين الأول والثاني الهجريين، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م.
- الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م.
- الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- الدعوة العباسية: مبادئ وأساليب، د. ط، بيروت: د. ن، د. ت.
* عقلة، عصام وياسين، يوسف: ثلاث رسائل في فضائل معاوية، تحقيق: عصام عقلة ويوسف ياسين، ط١، أربد: حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٠م.
* عقلة، عصام مصطفى: الأمويون في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ): دراسة في مصير الأسرة الأموية بعد سقوط دولتها، ط١، أربد، الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر، ٢٠٠٢م.
* العقيلي، عمر سليمان: تاريخ الدولة الأموية، ط١، الرياض: نشر المؤلِّف، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
* العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن حماد (ت ٣٢٢هـ): المسند الضعيف، تحقيق: كامل عويضة، ط١، الرياض: مكتبة نزار الباز، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* العلي، صالح أحمد: دراسات في تطوُّر الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* علي، محمد كرد: مميِّزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج١٦، ج١-٢، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.
* ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، د. ط، بيروت: دار التراث العربي، د. ت.
* العمد، إحسان: الجذور التاريخية للأسرة الأموية، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت، م١٧، ع١١٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* عمر، فاروق: طبيعة الدعوة العباسية، ط١، بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.
* ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط٢، الرياض: دار العلوم للنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
* العمري، أكرم ضياء:
- دراسات تاريخية، ط١، المدينة المنورة: المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- السيرة النبوية الصحيحة، ط٢، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
* العودة، سليمان حمد: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ط٣، الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ.
* عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

* العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط١، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.

* الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (ت ٢٧٢هـ أو ٢٧٩هـ): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط٣، بيروت: دار خضر للطباعة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

* أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ): المُختصَر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفدا، د. ط، القاهرة: مكتبة المتنبي، د. ت.

* الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت ٤٥٨هـ): تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، تحقيق: أبو عبد الله الأثري، ط١، الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن سلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ):
– المعارف، ط١، بيروت: دار الكتب الحديثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
– الإمامة والسياسة (منسوب)، د. ط، مصر: المكتبة التجارية، د. ت.

* القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة (ت ٤٥٤هـ): تاريخ القضاعي (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف)، تحقيق: جميل المصري، د. ط، مكة المكرمة: مركز البحوث وإحياء التراث بجامعة أم القرى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

* القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار فراج، د. ط، بيروت: عالم الكتب، د. ت.
* ابن قيِّم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١هـ): المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: أحمد عبد الشافي، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* كاشف، سيدة: التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٦م.
* الكافيجي، محمد بن سليمان الحنفي (ت ٨٧٩هـ): المُختصَر في علم التاريخ، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ):
- شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ط٢، القاهرة: المكتبة الأدبية العربية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- تفسير القرآن العظيم، ط١، بيروت: دار الخير، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: أحمد عبد الشافي، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، شرح: أحمد شاكر، عُني به: بديع السيد اللحام، ط١، دمشق: دار الفيحاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملجم وعلي عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
* كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* الكرماني، محمود بن حمزة (توفِّي بعد ٥٠٠هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، تحقيق: شمران العجلي، ط١، جدة: دار القبلة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، د. ط، دمشق: دار الفكر، د. ت.
* المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن (ت ١٣٥٣هـ): تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
* المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط: بكري حياتي، تصحيح: صفوة السقا، د. ط، حلب: مكتبة التراث الإسلامي، د. ت.
* المرادي، محمد خليل (ت ١٢٠٦هـ): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* المروزي، نعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٩هـ): الفتن، تحقيق: مجدي الشورى، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ):
– التنبيه والإشراف، د. ط، بيروت: دار الهلال، ١٩٩٣م.
– مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، بيروت: دار المعرفة، د. ت.
* ابن مسكويه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ): تجارب الأمم، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت.
* المشهداني، محمد جاسم: موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، ط١، مكة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
* المصري، جميل: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، ط١، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

* مصطفى، شاكر:
- التاريخ والمؤرِّخون العرب، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.
- دولة بني العباس، د. ط، الكويت: وكالة المطبوعات، د. ت.
* معروف، بشار عواد: أصالة الفكر التاريخي عند العرب، المؤتمر الدولي للتاريخ ١٩٧٣م، بغداد: منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
* ابن مفلح، شمس الدين إبراهيم بن محمد الحنبلي (ت ٨٨٤هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، د. ط، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د. ت.
* المقدسي (البشاري)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٣٩هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٦م.
* المقدسي، أبو الفضل محمد بن طاهر بن أحمد (ت ٥٠٧هـ): تذكرة الموضوعات، تعليق: محمد مصطفى، ط١، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
* المقدسي، المطهّر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ): البدء والتاريخ، د. ط، بيروت: مكتبة خياط، د. ت.
* المقدم، محمد أحمد: المهدي وفقه أشراط الساعة، ط١، الإسكندرية: الدار العالمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
* المقريزي، تقيّ الله أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ):
- اتِّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، د. ط، القاهرة: نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٧م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد النميسي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

– النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، د. ط، تعليق: صالح الورداني، د. م: الهدف للإعلام، د. ت.

* ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي (ت ٨٠٤هـ): مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم، تحقيق ودراسة: سعد بن عبد الله آل حميد، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١١هـ.

* المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ): فيض القدير شرح الجامع الصغير، د. ط، د. م: دار الفكر، د. ت.

* المنجد، صلاح الدين:

– معجم بني أمية من تاريخ دمشق، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠م.

– سؤال في معاوية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٩م.

– مأساة سقوط دمشق ونهاية الأمويين، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨١م.

* المنشاوي، محمد صديق: قاموس مصطلحات الحديث النبوي، د. ط، القاهرة: دار الفضيلة، د. ت.

* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت ٧١١هـ): لسان العرب، ط٧، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* موافي، عثمان: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، ط٢، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٦م.

* مؤلِّف مجهول (تُوفِّي منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً): الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، ط٢، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٧م.

* مؤلِّف مجهول (تُوفِّي أواخر القرن السادس الهجري تقريباً):
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، الجزء الرابع
- القسم الأول، د. ط، بغداد: نشر جامعة بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، الجزء الثالث، د. ط، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت.
* مؤنس، حسين:
- تاريخ قريش، ط١، جدة: الدار السعودية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- تنقية أصول التاريخ الإسلامي، ط٢، القاهرة: دار الرشاد، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
* الندوي، مسعود الرحمن: الإمام ابن كثير.. سيرته ومؤلَّفاته ومنهجه في كتاب التاريخ، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٣٨٠هـ): الفهرست، ضبط وتعليق: يوسف طويل، وضع فهارسه: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ): كتاب السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
* النعمة، إبراهيم: الواضح في مصطلح الحديث، ط١، عمَّان: دار النفائس، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
* أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.
* النووي، محيي الدين يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٦هـ):
- تهذيب الأسماء واللغات، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ.

- صحيح مسلم بشرح النووي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٧٣هـ):

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد رفعت، مراجعة: إبراهيم مصطفى، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: علي البجاوي، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد جابر الحيني، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* هاشم، أحمد: السُّنة النبوية وعلومها، ط٢، د. م: مكتبة غريب، د. ت.

* ابن هشام، عبد الملك المعافري (ت ٢١٨هـ): السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، تحقيق: محمد علي القطب ومحمد الدالي بلطة، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* الهديب، فريال بنت عبد الله: صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية، الرياض: دار أجا، ١٤١٦هـ.

* الهيتمي، أحمد بن حجر (ت ٩٧٤هـ): الصواعق المُحرِقة في الردّ على أهل البدع والزندقة ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوُّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

* الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د. ط، بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ): أسباب النزول، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* الورداني، صالح: السيف والسياسة: صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي، ط١، بيروت: دار الرأي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي أو تتمَّة المُختصَر في أخبار البشر، ط٢، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

* الوزير (ابن الوزير)، محمد بن إبراهيم اليماني (ت ٨٤٠هـ): العواصم والقواصم في الذَّبّ عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

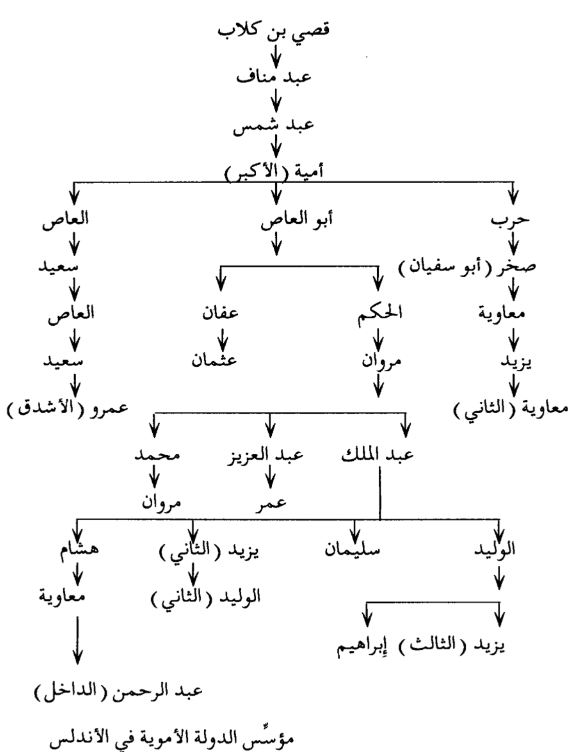
* ولي، عبد العزيز محمد نور: أثر التشيُّع على الروايات التاريخية في القرن الأول، ط١، المدينة النبوية: دار الخضيري، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر ابن واضح (ت ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، د. ط، بيروت: دار صادر، د. ت.

* * *

ملحق (١)

شجرة نسب بني أمية (خلفاء الدولة الأموية)



ملحق (٢)

كتاب المعتضد بالله في لعن بني أمية

(تاريخ الطبري، ج١٠، ص٥٥-٦٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله العليّ العظيم ، الحليم الحكيم ، العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ؛ الذى يعلم سوابق[1] الصدور ، وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافيةٌ ، ولا يعزُبُ عنه مثقال ذرّة فى السموات العُلا ، ولا فى الأرضين السفلى ؛ قد أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كلَّ شىء عدداً ، وضرب[2] لكل شىء أمداً ، وهو العليم الخبير . والحمد لله الذى برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفته ، على سابق علمه فى طاعة مطيعهم ، وماضى أمره فى عصيان عاصيهم ؛ فبيَّن لهم ما يأتون وما يتَّقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذَّرهم مسالك الهلَكة ، وظاهَرَ عليهم الحجَّة ، وقدّم إليهم المعذرة ، واختار لهم دينه الذى ارتضى لهم ، وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعُروته أولياءَه وأهلَ طاعته ، والعاندين عنه والمخالفين له أعداءَه وأهلَ معصيته ؛ ليهلك مَنْ هلَكَ عن بينة ، ويحيا مَن حىّ عن بيِّنة ، وإن الله لسميع عليم . والحمد لله الذى اصطفى محمداً رسوله من جميع بريَّته ، واختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدِّين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذّن له بالنصر[3] والتمكين ، وأيده بالعزّ والبرهان المتين ، فاهتدى به مَن اهتدى ، واستنقذ به مَن استجاب له من العمى ، وأضلّ من أدبر وتولَّى ، حتى أظهر الله أمرَه ، وأعزّ نصرَه ، وقهر مَنْ خالفه ، وأنجز له وعده ، وختَم به رسله[4] ، وقبضه مؤدّياً لأمره ، مبلغاً لرسالته ، ناصحاً لأمته ، مرضيّاً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين ؛ فصلى الله عليه أفضلَ صلاة وأتمَّها ، وأجلَّها وأعظمَها ، وأزكاها وأطهرها ؛ وعلى آله الطيبين .

والحمدُ لله الذى جعل أمير المؤمنين وسلفه الرّاشدين المهتدين ورثةَ

٢١٦٧/٣

(١) س : « أسرار » . (٢) س : « وجعل » .
(٣) س : « النصرة » . (٤) س : « رسالته » .

تابع ملحق (٢)

خاتم النبيين وسيّد المرسلين والقائمين بالدّين، والمقوّمين لعباده المؤمنين، والمستحفَظين ودائع الحكمة ، ومواريث النبوة ، والمستخلَفين فى الأمة ، والمنصورين بالعزّ والمنعة ، والتأييد والغلبة ؛ حتّى يظهر الله دينَه على الدّين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعةٌ من العامة من شُبْهة قد دخلتهم فى أديانهم ، وفساد قد لحِقهم فى معتَقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتُهم ، على غير معرفة ولا رويّة ، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنَة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة ، إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١] ، خروجاً عن الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة ، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة[٢] مَنْ قطع الله عنه الموالاة ، وبَتَرَ منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغّر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف ركنه ، من بنى أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفةً لمن استنقذهم الله به من الهلَكة ، وأسبغ عليهم به النّعمة؛ من أهل بيت البركة والرحمة، قال الله عزوجل: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٣]. فأعظم أميرُ المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى فى ترك إنكاره حرَجاً عليه فى الدين ، وفساداً لمن قلّده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجة على الشاكّين ، وبسْط اليد على العاندين .

٢١٦٨/٣

وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأنّ الله عز وجل لمّا ابتعث محمداً بدينه ، وأمره أن يصدَع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشّرهم ، ونَصحَ لهم وأرشدهم ، فكان مَن استجاب له وصدّق قولَه واتّبع أمره نفرٌ يسير من بنى أبيه ، من بين مؤمنٍ بما أتى به من ربّه ، وبين ناصر له وإن لم يتّبع دينَه ؛ إعزازاً له ، وإشفاقاً عليه، لماضى علم الله

(١) سورة القصص ٥٠ . (٢) ب : « الموالاة » .
(٣) سورة آل عمران ٧٤ .

تابع ملحق (٢)

فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيئتُه فيما يستودعه إياه من خلافته وإرث نبيه ؛ فؤمنهم مجاهد بنُصرته وحميّته ، يدفعون مَن نابذه ، وينهرون مَنْ عارّه وعانده[١] ، ويتوثّقون له ممن كانفه وعاضده ، ويبايعون له مَنْ سمح بنصرته ، ويتجسّسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين ؛ حتى بلغ المدَى ، وحان[٢] وقت الاهتداء ، فدخلوا فى دين الله وطاعته وتصديق رسوله ، والإيمان به ، بأثبت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيتِ الرّحمة ، وأهل بيت الدين[٣] ــ أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً ــ ومعدن الحكمة ، وورثة النبوّة وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة . ٢١٦٩/٣

وكان ممن عانده ونابذه ، وكذّبه وحاربه من عشيرته ، العددُ[٤] الأكثر ، والسواد الأعظمُ ؛ يتلقّوْنَه بالتكذيب والتثريب ، ويقصدونه بالأذيّة والتخويف[٥] ، ويبادونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدّون عنه مَنْ قصده ، وينالون بالتعذيب مَن اتّبعه. وأشدُّهم فى ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة ، وأوّلهم فى كلّ حرب ومناصبَة ، لا يُرفع على الإسلام رايةٌ إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها ، فى كلّ مواطن الحرب[٦] ، من بدر وأحُد والخندق والفتح ... أبو سفيان بن حَرْب وأشياعه من بنى أمية ، الملعونين فى كتاب الله ، ثم الملعونين على لسان رسول الله فى عِدّة مواطن ، وعدّة مواضع ، لماضى علم الله فيهم وفى أمرهم ، ونفاقهم وكفر أحلامهم ؛ فحارب مجاهداً ، ودافع مكابداً ، وأقام منابذاً حتى قهره السيفُ ، وعلا أمر الله وهم كارهون ؛ فتقوّل بالإسلام غير منطوٍ عليه ، وأسرّ الكفر[٧] غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وميّز له المؤلفة قلوبُهم ، فقبله وولده على علم منه ؛ فممّا لعنهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل به كتابًا قوله : ٢١٧٠/٣

(١) ب ، س : « ويقهرون » ، وعارّه : قاتله . (٢) س : « وحاز » .
(٣) س : « البيت الذين » . (٤) ب : « العدو » .
(٥) ب : « بالتخويف » . (٦) ب : « مواطن الحروب » .
(٧) س : « بالكفر » .

تابع ملحق (٢)

﴿ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُم فَمَا يَزِيدُهُم إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[١] . ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بنى أمية .

ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلا على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: « لعن الله القائد والراكب والسائق». ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بنى عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار . وهذا كفر صُراح يلحقه به اللعن من الله كما لحقت ﴿الذين كفروا من بنى إسرائيل عَلَى لِسَانِ داوُدَ وَعيسى ابن مَرْيَم ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون﴾[٢] . ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحُد بعد ذهاب بصره ، وقوله لقائده: ها هنا ذببنا محمداً وأصحابه . ومنه الرؤيا التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم فوجم لها ، فما رُئى ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾[١] ، فذكروا أنه رأى نفراً من بنى أمية ينزون على منبره . ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبى العاص لحكايته إياه ، وألحقه الله بدعوة رسوله آيةً باقية حين رآه يتخلج ، فقال له: « كن كما أنت» ، فبقىَ على ذلك سائر عمره ، إلى ما كان من مروان فى افتتاحه أول فتنة كانت فى الإسلام ، واحتقابه لكلّ دم حرام سُفِك فيها أو أريق بعدها .

٢١٧١/٣

ومنه ما أنزل الله على نبيه فى سورة القدر : ﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣] ، من مُلْك بنى أمية . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه ، فدافع بأمره ، واعتلّ بطعامه ، فقال النبىّ: « لا أشبع الله بطنه» ، فبقى لا يشبع ، ويقول: والله ما أترك[٤] الطعام شبعاً ، ولكن إعياء[٥] . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يطلع من هذا الفجّ رجلٌ من أمتى يُحشر على غير ملتى» ، فطلع معاوية . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه » . ومنه الحديثُ المرفوع المشهور أنه قال : « إن معاوية فى تابوت من نار فى أسفل

(١و١) سورة الإسراء ٦٠ . (٢) سورة المائدة ٧٨ . (٣) سورة القدر ٣ .

(٤) فى ط : « أنزل » تحريف . (٥) فى ط : « أعيا » ، تحريف .

تابع ملحق (٢)

دَرْك منها ينادي : يا حنّان يا منّان ، الآن وقد عصيتُ قبلُ وكنتُ من المفسدين .

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين فى الإسلام مكانًا ، وأقدمهم إليه سبقا ، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً ، علىّ بن أبى طالب ، ينازعه حقه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضُلاّله وغُواته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه ، من إطفاء نور الله وجحود دينه ، ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره ولو كره المشركون . ٢١٧٢/٣

يستهوى أهلَ الغباوة [1] ، ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه ، الذين قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر عنهما ، فقال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار » ، مؤثراً للعاجلة [2] ، كافراً بالآجلة ، خارجاً من ربقة الإسلام ، مستحلاً للدّم الحرام ، حتى سفك فى فتنته ، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابّين عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهداً لله ، مجتهداً فى أن يُعصى الله فلا يُطاع ، وتُبطَل أحكامه فلا تُقام ، ويُخالَف دينه فلا يُدان . وأن تعلوَ كلمة الضلالة ، وترتفع دعوة الباطل ؛ وكلمة الله هى العليا ، ودينه المنصور ، وحكمه المتّبع النافذ ، وأمره الغالب ، وكيد من حادّه المغلوب الداحض ؛ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتّبعها ، وتطوّق تلك الدماء وما سُفك بعدها ، وسنّ سنن الفساد التى عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلَها ؛ واغترّه الإملاء ، واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قتلُه مَنْ قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة ؛ مثل عمرو بن الحَمِق وحُجْر بن عدىّ ، فيمن قتل [من] أمثالهم ، فى أن تكون له العزّة والملك والغلبة ، ولله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مؤمنا مُتَعَمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعدّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ [3] . ٢١٧٣/٣

ومما استحقّ به اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زيادَ بن سُميّة ، جرأةً على الله ؛ والله يقول : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾ [4] ورسول الله صلى الله

(١) س : « النباء » . (٢) س : « العاجلة » .

(٣) سورة : النساء ٩٣ . (٤) سورة الأحزاب ٥ .

تابع ملحق (٢)

عليه وسلم ، يقول : «ملعون مَن ادّعى إلى غير أبيه ، أوانتمى إلى غير مواليه» ، ويقول : «الولد للفراش وللعاهر الحجَر» ، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم جهاراً ، وجعل الولد لغير الفراش ، والعاهر لا يضرّه عهرُه ، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله فى أمّ حبيبة زوجة النبيّ صلى الله عليه وسلم وفى غيرها من سُفور وجوه ما قد حرّمه الله ، وأثبت بها قربى قد باعدها الله ، وأباح بها ما قد حظره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله ، ولم ينل الدين تبديل شبهُه .

ومنه إيثاره بدين الله ، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير ، صاحب الدّيوك والفهود والقُرود ، وأخذُه البيعة له على خيار المسلمين بالقَهْر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة ، وهو يعلم سفَهه ويطّلع على خبثه ورَهقه ، ويعاين سكَرَانه[1] وفجورَه وكفره . فلما تمكن منه ما مكّنه منه ، ووطّأه له ، وعصى الله ورسوله فيه ، طلَبَ بثأرات المشركين وطوائلهم عند المسلمين ، فأوقع بأهل الحرّة الوقيعة التى لم يكن فى الإسلام أشنعُ منها ولاأفحش ؛ مماً ارتكب من الصالحين فيها ، وشفى بذلك عبَدَه[2] نفسه وغليله ، وظن أن قد انتقم من أولياء الله ، وبلّغ النّوى[3] لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه : ٣/٢١٧٤

لیتَ أشیاخی ببدرٍ شهدوا جزَعَ الخزْرَجِ من وقع الأَسلْ
قد قتلنا القَوْم من ساداتكمْ وعدَلنا میْلَ بدر فاعتدَلْ
فأَهَلّوا واستهلُّوا فَـرحاً ثم قالوا : یا یزید لا تُسَلْ
لسْتُ من خِندِفَ إن لم أنتقم من بنی أحمدَ ما كان فعلْ
وَلِعَتْ هاشِمُ بالمُلكِ فلا[4] خبرٌ جاءَ ، ولا وحیٌ نزَلْ

هذا هو المروقُ من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله .

ثم مِنْ أغلظ ما انتهك ، وأعظم ما اخترم سفكُه دم الحسين بن عليّ

(١) السكران : السكر . (٢) العبد ، بالفتح : الغضب .
(٣) النوى هنا : الحاجة والوجه الذى تنويه . (٤) من أبيات فى ابن هشام ٣ : ٩٦ ، ٩٧

تابع ملحق (٢)

وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢١٧٥/٣ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ، اجتراءً على الله ، وكفراً بدينه ، وعداوةً لرسوله ، ومجاهدةً لعترته[1] ، واستهانةً بحرمته ، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كُفَّار أهل الترك والدَّيلم ، لا يخاف من الله نقمةً ، ولا يرقب منه سطوة ، فبتر الله عمره ، واجتثَّ أصله وفرعه ، وسلبه ما تحت يده ، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ما استحقَّه من الله بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بني مَرْوان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ، واتِّخاذ مال الله دُولاً بينهم ، وهَدْم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصبهم المجانيقَ عليه ، ورميهم إياه بالنيران ، لا يألون له إحراقاً وإخراباً ، ولما حرَّم الله منه استباحة وانتهاكاً ، ولمن لجأ إليه قتلا وتنكيلا ، ولمن أمَّنه الله به إخافة وتشريداً ؛ حتى إذا حُقَّت عليهم كلمة العذاب ، واستحقُّوا من الله الانتقام ، وملئوا الأرض بالجوْر والعُدْوان ، وعمُّوا عباد الله بالظلم والاقتسار ، وحلَّت عليهم السخطة ، ونزلت بهم من الله السَّطْوة ، أتاح الله لهم من عِتْرة نبيِّه ، وأهل وراثته مَن استخلصهم منهم بخلافته ؛ مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسفك الله بهم دماءَهم مرتدِّين ، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين ؛ وقطع الله دابر القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين . ومكن الله المستضعفين ، وردَّ الله الحق إلى أهله المستحقين ، كما ٢١٧٦/٣ قال جل شأنه : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[2] .

واعلموا أيها الناس ، أنَّ الله عز وجل إنما أمر ليُطاع ، ومثَّل ليتمثَّل ، وحكم ليُقبَل ، وألزم الأخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليُتَّبع ؛ وإن كثيراً ممَّن ضلَّ فالتوى ، وانتقل من أهل الجهالة والسَّفَاه ممَّن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ؛ وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَقَاتِلُوا أئمة الكفر ﴾[3] .

---

(١) ب : « لحرمته » .   (٢) سورة القصص ٥ .
(٣) سورة التوبة ١٢ .

تابع ملحق (٢)

فانتهوا معاشر الناس عمّا يُسخط الله عليكم ، وراجعوا ما يرضيه عنكم ، وارضوا من الله بما اختار لكم ، والزموا ما أمركم به ، وجانبوا ما نهاكم عنه ، واتّبعوا الصراط المستقيم، والحجة البيّنة، والسبل الواضحة، وأهل بيت الرحمة ؛ الذين هداكم الله بهم بديئًا ، واستنقذكم بهم من الجوْر والعدْوان أخيراً ، وأصاركم إلى الخفض والأمن والعزّ بدولتهم، وشملكم الصلاح فى أديانكم ومعايشكم فى أيامهم ، والعنوا مَنْ لعنه الله ورسوله ، وفارِقوا مَنْ لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته .

٢١٧٧/٣ اللهم العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنه ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده ؛ اللهم العن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدِى الرسول ، ومغيِّرى الأحكام ، ومبدّلى الكتاب ، وسفّاكى الدّم الحرام .

اللهم إنا نتبرّأ [(١)] إليك من موالاة أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلتَ: ﴿لا تجدُ قومًا يُؤْمنُون بالله واليوم الآخر يُوادّون مَنْ حادّ الله ورسوله﴾[(٢)] .

يأيّها الناس، اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله، وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلَها، فإنه إنما يبيّن عن الناس أعمالُهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم ؛ فلا يأخذكم فى الله لومة لائم ، ولا يميلنّ بكم عن دين الله استهواء مَنْ يستهويكم وكيدُ مَنْ يكيدكم ، وطاعة من تُخرجكم طاعته إلى معصية ربكم .

أيها الناس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفَظون فيكم ، أمر الله ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله ، فقفوا عند ما نقفكم عليه ، وانفذوا لما نأمركم به ؛ فإنكم ما أطعتم خلفاءَ الله وأئمة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى، وأمير المؤمنين يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم، ويرغب إلى الله فى هدايتكم لرشدكم، وفى حفظ دينه عليكم؛ حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقين[(٣)] لرحمته ، والله حسْب أمير المؤمنين فيكم ، وعليه توكله ، وبالله على ما قلّده من أموركم استعانتُه، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم .

---

(١) ب ، س : « نبرأ » . (٢) المجادلة ٢٢ . (٣) مستحقين : حاملين

ملحق رقم (٣)

جدول يوضح اختلاف العلماء والمؤرخين في مدَّة خلافة النبوة

(الخلفاء الراشدون) (حديث سفينة)

الخليفة	رأي ابن القيِّم	رأي النووي	رأي المسعودي
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	سنتان وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوماً	سنتان وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوماً	سنتان وثلاثة أشهر وثمانية أيام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ	عشر سنين وخمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً	عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ وفي موضع آخر: تسعة عشر يوماً
عثمان بن عفان رضي الله عنه	اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً	اثنتا عشرة سنة إلا ست ليالٍ	إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً وفي موضع آخر: إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة عشر يوماً
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه	خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يوماً	خمس سنين، وقيل: خمس سنين إلا أشهراً	أربع سنين وسبعة أشهر إلا يوماً وفي موضع آخر: أربع سنين وسبعة أشهر
الحسن بن عليّ رضي الله عنهما	لا يدخل ضمن الثلاثين سنةً	سبعة أشهر	ثمانية أشهر وعشرة أيام وفي موضع آخر: ستة أشهر وثلاثة أيام



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية



ردمك: ٦-٨٧-٨٩٠-٩٩٦٠-٩٧٨